

٢٩٩ (تفسير سورة بونس عليه الصلاة والسلام)

٣٣١ فصل في الكلام على هذا الحديث (أى قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنت الخ) لانه في الظاهر مشكل

فصل في وجه اشكال الحديث المذكور

٣٣٨ (تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام)

٣٤٩ فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول انى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام

٣٥٦ فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا بقوله تعالى انه عمل خير صالح الخ

﴿تمت﴾

صحيفة

- ٢ ﴿ تفسير سورة الانعام ﴾
- ٢٩ ذكر قصة مولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين نمرود
- ٣٤ فصل احتج العلماء بقوله تعالى فبهذا هم اقتده على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٤٣ فصل يتعلق بقوله تعالى لا تدركه الابصار
- ٥١ فصل اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكروا اسم الله عليها
- ٦٧ فصل في احتجاج القدرية والمعتزلة بقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا إلخ
- ٧٦ ﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾
- ٨٤ فصل في الاستدلال على صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عنه
- ١٠٩ ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق إلخ
- ١١٤ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق إلخ
- ١٢٥ فصل في بيان المجزة وكونها دليلا على صدق الرسل
- ١٣٥ فصل في احتجاج من نفي الرؤية بظاهر قوله تعالى ان تراني والرد عليهم في ذلك
- ١٤٧ شرح غريب ألفاظ الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة
- ١٦٢ ذكر أسماء الله الحسنى
- ١٧١ فصل في احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ١٧٤ ﴿ تفسير سورة الانفال ﴾
- ١٨٥ فصل في حكم الفرار عند الزحف
- ٢١٠ فصل في استدلال من يقدح في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ٢١٣ ﴿ تفسير سورة التوبة ﴾
- فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة
- ٢١٦ فصل في بيان متوهم متوهم ان في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامار وتفصيله على أبي بكر وذلك جهل إلخ
- ٢٣٠ فصل في بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
- ٢٤٠ ذكر سياق حديث الهجرة
- ٢٤٤ فصل في الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه إلخ الدلالة على فضل سيدي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
- ٢٤٦ فصل استدلال بقوله تعالى عفا الله عنك إلخ من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ٢٥١ فصل في بيان حكم قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين إلخ وفيه مسائل
- ٢٦٨ فصل قد وقع في هذه الاحاديث التي تنضم من قصة موت عبد الله بن أبي بن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات إلخ

السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكاتكم) فيه وعيد وتهديد يعنى اعملوا ما اتم عملوا فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا
ما شئتم (انا عاملون) يعنى ما أمرنا به ربنا (واتظروا) يعنى ما يعدكم به الشيطان (انامنتظرون) يعنى
ما يحل بكم من نعمة الله وعذابه اما فى الدنيا واما فى الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعنى يعلم ما غاب
عن العباد فيهما يعنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليلها وحاضرها ومعدومها لا يخفى
عليه شئ في الارض ولا في السماء (واليه يرجع الامر كله) يعنى الى الله يرجع أمر الخلق كلهم
في الدنيا والآخرة (فاعبدوه) يعنى ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبدوه
ولا تستغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعنى وثق به في جميع أمورك فإنه يكفيك (وما
ر بك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى
يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شئ فيجزى
المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال
كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة
سورة هود والله أعلم
بمراده وامرار
كتابه

﴿تم الجزء الثانى وبليه الجزء الثالث أوله سورة يوسف﴾

تثبت فؤاده زيادة بقيته
لان تكاثر الأدلة أثبت
للقلب (وقل للذين
لا يؤمنون) من أهل مكة
وغيرهم (اعملوا على
مكاتكم) على حالكم
وجهتم التي أتم عليها
(انا عاملون) على مكانتنا
(واتظروا) بنا للدوائر
(انامنتظرون) أن ينزل
بكم نحو ما اقتص الله تعالى
من النعم النازلة بأشباهكم
(ولله غيب السموات
والارض) لا تخفى عليه
خافية مما يجري فيهما فلا
تخفى عليه أعمالكم (واليه
يرجع الامر كله) فلا بد
أن يرجع اليه أمرهم
وأمرك فينتقم لك منهم
يرجع نافع وحفص
(فاعبدوه وتوكل عليه) فإنه
كافيك وكافلك (وما ر بك
بغافل عما تعملون) وبالناء
مدنى وشامى وحفص أى
أنت وهم على تغليب
المخاطب قبل خاتمة التوراة
هذه الآية وفي الحديث
من أحب أن يكون اقوى
الناس فليتوكل على الله
تعالى

ينهم لا يضمنون الى
 شركهم فسادا آخر (ولو
 شاعر بك لجعل الناس
 أمة واحدة) أى متفقين
 على الإيمان والطاعات
 عن اختيار ولكن لم يشأ
 ذلك وقال المعتزلة هي مشيئة
 قسرو ذلك رافع لا بلاء
 فلا يجوز (ولا يزالون
 مختلفين) في الكفر
 والإيمان أى ولكن شاء
 ان يكونوا مختلفين لماعلم
 منهم اختيار ذلك (الامن
 ربحهم بك) الاناس اعصمهم
 الله عن الاختلاف
 فانفقوا على دين الحق غير
 مختلفين فيه (ولذلك
 خلقهم) أى ولما هم عليه
 من الاختلاف فعندنا
 خلقهم لم الذى علم انهم
 يصيرون اليه من اختلاف
 أو اتفاق ولم يخلقهم لغير
 الذى علم انهم يصيرون اليه
 كذا في شرح التأويلات
 (ونمت كلمة ربك) وهى
 قوله للملائكة (أملأن
 جهنم من الجنة والناس
 أجمعين) لعلمه بكثرة من
 يختار الباطل (وكلا)
 التنوين فيه عوض من
 المضاف اليه كانه قيل وكل
 نبأ وهو منصوب بقوله
 (نقص عليك) وقوله
 (من أنباء الرسل) بيان
 لكل وقوله (ما ثبت به
 فؤادك) بدل من كلا
 (وجاءك في هذه الحق)

السيئات وقيل في معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمرسئهم اذا كانوا مصلحين بمعنى يعامل
 بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال في الدنيا أما عذاب الآخرة فهو لازم لهم
 ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق
 والتشديد قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى كلهم على دين واحد وشريعة
 واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعنى على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرى ومسلم فكل
 أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أى هريرة رضى الله عنه
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وأثنى وسبعين والنصارى
 مثل ذلك وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فبنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان
 هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهى الجماعة أخرجه
 أبو داود وقال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة
 والدين اذ جعلهم من أمة وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا
 بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة
 السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وقوله سبحانه وتعالى (الامن ربحهم
 بك) يعنى اكن من ربح ربك فربك عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهذه الى الدين القويم والعهود
 المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء ولا اختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن
 أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
 والضحاك وللجنة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف
 للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق
 الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا خلاص الآية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين
 وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة
 وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (ونمت
 كلمتك ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة
 وللرحمة فهداهم وفقهم لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية وقوله
 سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه
 السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم مخاطب نبيه صلى الله عليه
 وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل يعنى من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما ثبت به
 فؤادك يعنى ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبى
 صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى
 من قومهم وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (في هذه الحق) اختلفوا في هذا الضمير الى ما اذا يعود فقيل
 معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للنبأ كرحتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية
 وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاء الحق في سور القرآن فلم خص هذه
 السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور
 بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر لتثريتها (وموعظة وذكري للمؤمنين) أى وهذه

(ان الحسنات يذهبن السيئات) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهن من الذنوب والطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فابعده أو القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة لامعة عظيمة نزلت في عمرو بن غزيرة الانصاري بائع التمر قال لامرأة في البيت تمر أجود فدخلت فقهاها فندم فجاءه حاكبا كما فتنزل فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقبل أنه خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والاتقاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) (٣٧٥)

الارامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتعريض ونحوه بالفضل (أولو بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرج به أجوده وأفضله فصار مثالا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينهن عن الفساد في الارض) عجب محمد عليه السلام وأمه ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلا كههم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهن عن الكفر والمعاصي (الافليس منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا من أئجيننا من القرون

واحدة زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زادني رواية ما لم تغش الكبائر وزادني رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر (ق) عن أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيتهم لو أن نهر ابواب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرر قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولهذا ثلاث شرائط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط سحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاول أصح أنها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرطبي والضحاك وجهه والمفسرين (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني المصابين بقوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعني فهلا كان من القرون التي أهلكتهم (من قبلكم) يعني يا أمة محمد (أولو بقية) يعني أولو تميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودية (ينهن عن الفساد في الارض) يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فذلك أهلكتهم (الافليس هذا استثناء منقطع معناه اكن قليلا من أئجيننا منهم) يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهن عن الفساد في الارض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) يعني واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ما تنعموا فيه والترف التنعم والمعنى أنهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وابتاعوا اللذات على الآخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعني كافرين (وما كان ربك باعديهم) يعني وما كان ربك يهلك القرى (بظلم) يعني لا يهلكهم بظلم منه (وأهلها مصلحون) يعني في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم

نحو ان الفساد رسأثرهم تاركون للنهي ومن في من أئجيننا للبيان لا للتبويض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله أئجيننا الذين ينهن عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمر أي الافليس ان أئجيننا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وشهواتهم فهو عطف على نهوا (ما أترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والترفة من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورغبتهم في الامور بالمعروف والنهي عن المنكر ونبتوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون (وما كان ربك يهلك القرى) اللام تأنيدي (بظلم) حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لانه عن الظلم وقيل الظلم الشرك أي لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في العمارات فيما

(ولا تركوا الى الدين ظاهرا) ولا يملوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لانباع الكفرة اى لانتركوا والى القادة والكبراء في ظلمهم وموقفا بدعوتكم اليه (فتمسك النار) وقيل (٣٧٤) الركون اليهم الرضا بكفرهم وقيل قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموقف انه صلى

خلف الامام فمما قرأ هذه الآية غشي عليه فلم يفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تنفوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الاقراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شئ ابغض الى الله من علم زور عامل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا ظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في امره واقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء يقال لا فقيس له يموت قال دعوه يموت (وما لكم من دون الله من اولياء) حال من قوله فتمسككم النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من اولياء يقدر على منعكم من ذنابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هولاء لانهم لا ينصرونكم ومعنى ثم الاستبعاد اى النصر من الله مستبعدة (واقم الصلوة طرفي النهار) غدوة وعشية

هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فان يغالب ولن يقاوى فسد دواى اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا الى اطباء المقاربة وهى القصد الذى لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة والراح بكرة والراح الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا طرفي النهار وقتا وفتا والدجة سير المائل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا وقوله شئ من الدجة اشارة الى تقيله ﴿ وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا يملوا الركون هو المحبة والميل بالقباب وقال ابو العالمة لا ترضوا باعمالهم وقال السدى لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسك النار) يعنى فتصبيكم النار بحرها (وما لكم من دون الله من اولياء) يعنى اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعنى ثم لا تنجذون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة فغيبه وعيد لمن ركن الى الظلمة او رضى باعمالهم او احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿ قوله عز وجل (واقم الصلوة طرفي النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذى عن ابي اليسر قال اتيت امرأة تنبت عثرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت البهاق فبنتها فايت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتي عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى نمتي انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من المائل الى قوله ذلك ذكرى لئلا تكون قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله لهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وقيل بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فترأت واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من المائل الآية فقال الرجل يا رسول الله الى هذه الآية قال لمن عمل بهما منى وفي رواية فقال رجل من القوم يا بني الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ ابن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم رجل فقال يا رسول الله رأيت رجلا في امرأة وليس بينهما معرفة فلبس يأتى الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من المائل ان الحسنات بذهبن السيئات ذلك ذكرى لئلا تكون فامرء النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله أهى له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ أما التفسير فقوله سبحانه وتعالى واقم الصلوة طرفي النهار يعنى صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعنى صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب طرف وزلفا من المائل يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من المائل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعنى صلاة الصبح والمغرب قل الامام غفر الدين الرازى كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخل تحت قوله تعالى وزلفا من المائل فوجب حل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا من المائل) يعنى واقم الصلاة في زلف من المائل وهى ساعاته

(وزلفا من المائل) وساعات من المائل جمع زلفة وهى ساعاته انقر بية من آخر النهار من أزاله اذا قرب به وصلاة الغداة واحدها الفجر وصلاة العشي الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزايف المغرب والعشاء واتصاف طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أفت عنده جميع النهار وأثبت نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه

صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسيتران بهم مثله وهو استئناف معناه لتعليل النهي عن المرية وما في مماوكم مصدرية أو موصولة أي من عبادتهم وعبادتهم أو ما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (والموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصاءهم (غير منقوص) حال من نصيبهم أي كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لقضى بينهم) بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لم يثبثوا) من القرآن أو من العذاب (٣٧٣) (مرتب) من أرب الرجل اذا كان

ذارية على الاسناد المجازي (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم أي وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصري وعلى ما مضى جىء به اليه فصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام في الماموطة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أي جزء أعمالهم من ايمان وخجود وحسن وقبح بعكس الاولى ابو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل ولان أن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحول يكن ولم يك فكذا المشبه به مشدداً غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لم

ياحمد في هذه الاصنام التي يعبدونها هؤلاء الكفار فانهم لا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعنى أنه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدها مثلهم (والموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانما عبادتهم هذه الاصنام نزلهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذي قدر لهم في الآخرة كاملا موفرا غير ناقص قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى في الكتاب ففهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (لقضى بينهم) يعنى اعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لم يثبثوا) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد (مرتب) يعنى انهم قد وقعوا في الريب والنهمة (وان كلا) يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم في القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعلمون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال عبادهم وان دقت فيه وعدة لحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذابين الكافرين قوله سبحانه وتعالى (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر في الاستقامت للتأكد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقاتم قم حتى آتيك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك (ومن تاب معك) يعنى ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه وغان الثعلب (م) عن سفیان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد بعدهك قال قل آمنت بالله ثم استقم (ولا تظفوا) يعنى ولا تجاوزوا أمري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعلمون بصير) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بما السكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتي هود وأخواتها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر وان يشاء الدين أحد الاغلبة فسدوا وقار بوا بشر واستعينوا بالعدوة والروحة وشئ من الدجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان

الشيء جعلته لما تم وقف فصار لما تم أجرى الوصل مجرى الوقف وجزاء أن يكون مثل الدعوى والزيوى وما فيه ألف التأنيث من المصادر ورقأ الزهرى وان كلا لما بالتنوين كقوله كلاً لما هو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلاما لمومين أي مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الإيجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل في الكلام اختصار كانه قيل وان كلا لما بغنوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال السكاسي ليس لي يشهد بالمعالم (انه بما يعلمون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وجاز للفصل يعنى فاستقم انت وايسقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا (ولا تظفوا) ولا تخرجوا عن حد زادة (انه بما تعلمون بصير) فهو مجازيكم فانقوه قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتي هود

متعد (ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء بك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو روضة الله تعالى ورضوانه أو معناه الامن شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يردوا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب وكفي بهائمينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه يمتد الى غير نهاية كقوله لم أجز غير ممنون وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء قيل كفرت الجنة بما باربع آيات عطاء غير مجذوذ كما هداهم وما عهد الله بآيات لا تقطوعة ولا مودة لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكرا حل بهم من تقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلانك في مربة مما يعبد هؤلاء) أي

يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قومًا من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسًا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجنة فيروا به ليصين أفوا ما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحمته فيقول لهم الجنة ميمون (خ) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجنة ميمون وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة ابث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فالذين شقوا في النار لهم فيها رزق وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء بك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد) وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء بك) أن يدخله النار أولاً ثم يخرجهم منها فيدخله الجنة فاصل هذا القول ان الاستثناء يبرج كل واحد منهم الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوباً واستوجبوا عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبداً وقيل ان الاستثناء يبرج الى الفر يقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والدار الا هذا المقدار وقيل معناه الاماشاء بك سوى ماشاء بك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء بك من الزيادة على ذلك وهو كقولك فلان على ألف الألفين أي سوى ألفين وقيل الابعني الواو يعني وقد شاء بك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تمجد وتعالى للثلاثين للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي ولالذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء بك لا يخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكمهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله كقوله والله لا ضرر بك الا أن أرى غير ذلك وعزمه أن يضرب به فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعني من اخرج من النار وادخلهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين فاما على التفصيل فتقوله الاماشاء بك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقربه ان يقيد حصول الزفير والشهيق مع خلوده اذ ادخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعني الاماشاء بك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه الاماشاء بك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الاماشاء بك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار وبدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالدين فيها وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعني غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبتون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه وهذا ان مسح عن ابن مسعود وأبي هريرة فحمل عند أهل السنة على اخلاء ما كن المؤمنين الذين استحقوا الدار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون مجزولاً على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذاباً فوق عذابهم والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (فلانك في مربة مما يعبد هؤلاء) يعني فلانك في شك

(يوم يأت) وبالياء مكى وافقه أبو عمر ونافع وعلى في الوصل وثابت الياء هو الاصل اذ لا علة ثوجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنانين وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذ كر أو بقوله (لا تكلم) أى لا تتكلم (نفس الاباذنه) أى لا يشفع أحد الاباذن الله من ذا (٣٧١) الذى يشفع عنده الاباذنه

(فمنهم) الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (شقي) معذب (وسعيد) أى ومنهم سعيد أى منعم (فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير) هو أول نهيقي الحمار (وشهيق) هو آخره وأهما اخراج النفس وردده والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار (خالد بن فيها) حال مقدرة (ما دامت السموات والارض) في موضع نصب أى مدة داوم السموات والارض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة لا ابد والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل مادام فوق ونحت ولا بد لاهل الآخرة بما يقلم ويظلم ما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ملاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (الاما شاء ربك) هو استثناء من الخلود في عذاب النار

لا يعلمه أحد الا الله تعالى (يوم يأت) يعنى ذلك اليوم (لا تكلم نفس الاباذنه) قيل ان جميع الخلائق يستكون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الاباذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضاً تدل على الكلام في ذلك اليوم فأت يوم القيامة طويل وله أحوال مختلفة وفيه أحوال عظيمة ففي بعض الأحوال لا يقدر على الكلام لشدة الأحوال وفي بعض الأحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الأحوال فيحتاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الاباذنه الشفاعة يعنى لا تشفع نفس لنفس شيئاً إلا أن يأذن الله لها في الشفاعة (فمنهم) يعنى من أهل الموقف (شقي وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره طام السعادة على ضرب بين سعادة دنيوية وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضرب بين أيضاً شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس وجعل ينكت بمخضرة ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسيصير عمله أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير عمله أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسيسر له يسرى الآية بقيع الغرقده مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم والمخضرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يسره الله لبيده الانسان والنكت بالنون والتاء لمنشة من فوق ضرب النسي بتلك المخضرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لاننا لم نألفهم وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنهم ومن استوت حسنة وسياتيه وهم أصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فيؤلفهم مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكري لا يدل على نفي القسم الثالث (فاما الذين شقوا في النار لهم فيها) أى في النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مرده وخرجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره اذ رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير في الخلق والشهيق في الجوف (خالد بن فيها) يعنى لاثنين مقيمين في النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعنى مادامت سموات الجنة والنار وأرضها ما لا بد لاهل الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تظلمهم فكل ما عاك فظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيتك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأبيد وقوله سبحانه وتعالى (الاما شاء ربك) اخذوا العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم

وذلك لان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار وما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجنة ميمون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضاً فيقال لهم الجنة ميمون في النار أيما فهو لا يعلم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعد وسعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقادة رضى الله عنهم

الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه انباعه بالواردة ثم قال بشس الورد والمورود الذي يردونه النار لان الورد انما يارد لتسكين العطش والنار ضده
(وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (اعتقوا يوم القيامة) أي ياعنون في الدنيا و يلعنون في الآخرة (بشس الورد المرفود) رفدهم أي بشس العون
المعان وبشس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبا بعض أنباء القرى
المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (فأثم وحصيد) أي بعض ما باقى وبعضها عاقب الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصده والجملة
مستأنفة لاجل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلا كنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به اهلكوا (فأغنت عنهم آلهم)
فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال مأخوذة (من دون الله من

(٣٧٠)

شيء لما جاء أمر ربك)

وأتبعوا فورد دهم النار وبشس الورد والمورود لان الاصل فيه قصه الماء واستعمل في ورود النار على سبيل
الفضاعة (وأتبعوا في هذه) بمعنى في هذه الدنيا (لعنة) يعني طردا وبعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعني
وأتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بشس الورد المرفود) يعني بشس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رافدة للعنة في الآخرة وقيل معناه بشس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم
لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعني من أخبار أهل القرى
وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم لعلمهم يعتبرون
بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعني من القرى التي اهلكنا أهلها
(فأثم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقف ومنهما ما قد محى أثره
بالحكمة شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصده وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود
(وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فأغنت عنهم
آلهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع
عنهم العذاب (وما زادوهم غير تنبيب) يعني غير تحسيس وقيل غير تذكير (وكذلك أخذ ربك) يعني وهكذا
أخذ ربك (إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائدة على القرى والمراد أهلها (ان أخذهم أشد) (ق)
(عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذهم لم يقلعهم ثم
قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم أشد فالآية الكرسي والحديث دليل على ان
من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم لاغيرا فلا
يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مخص بظالمى الامم الماضية بل
هو عام في كل ظالم وبعضه الحديث والله أعلم قوله عز وجل (ان في ذلك لآية) يعني ما ذكر من عذاب الامم
الخالية واعلا كهم اعبدة وموعظة (ان خاف عذاب الآخرة) يعني ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها
وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار في
الدنيا من آليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه
وخشيته من الله (ذلك يوم يجمع له الناس) يعني يوم القيامة تجتمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين
للمحاسب والوقوف بين يدي رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني يشهده أهل السماء وأهل الارض (وما
نؤخره الا لاجل معدود) يعني وما تؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت

عذابه ولما منصوب بما
أغنت (وما زادوهم غير
تنبيب) نخسيس يقال
تب اذا خسرت بغيره
أوقعه في الخسران يعني
وما أفادتهم عبادة غير الله
شيأ بل اهلكتهم (وكذلك)
محل الكاف الرفع أى ومثل
ذلك الاخذ (أخذ ربك
إذا أخذ القرى) أى
أهلها (وهي ظالمة) حال
من القرى (ان أخذهم أشد)
شديد (مؤلم شديد صعب
على المأخوذ وهو التحذير
لكل قرية طاعة من كفار
مكة وغيره افعلى كل ظالم ان
يبادر التوبة ولا يغتر بالامهل
(ان في ذلك) فباقص الله
من قصص الامم الهالكة
(لآية) لعبرة (ان خاف
عذاب الآخرة) أى اعتقد
صحته ووجوده (ذلك)
اشارة الى يوم القيامة لان
عذاب الآخرة دل عليه

لا

(يوم يجمع له الناس) وهو مرفوع بجمع كابر فرفع فله اذا قلت بجمع له الناس وانما

آثار اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه أثبت أيضا اسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون
منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه فاستع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أى يشهده فيه
الخلائق الموقفة لا يغيب عنه أحد (وما نؤخره) أى اليوم المذكور لاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهائها والعدا انما هو للمدة
لاقيانها ومنتهائها فعنى قوله وما نؤخره (الا لاجل معدود) لالاتها مدة معدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهى المدة
التي ضم بناها لبقاء الدنيا

من يأتيه عذاب يخز به ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينما يأتيه عذاب يخز به أي يفضحه وأينما هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشق الذي يأتيه عذاب يخز به والذي هو كاذب في زعمكم ردعواكم وادخلوا الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعهما وصل تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملنا أنت فقال سوف تعلمون والأتان بالوجهين للفتن في البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما قولكم (اني معكم قريب) منتظر والرفيب بمعنى الرقيب من رقبه كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشرة أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاحبهم جبريل صيحة فهل كسوا وانما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة نود ولو لم يأتوا لكانوا معهم ما وقع بعدهم ذكر أنواعه وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فخى بالفاء الذي (٣٦٩) هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد

كان كيت وكيت وأما الاخران فقد سبقا وقتا مبتدئين فكان حقهما أن تعظما بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فاصبحوا في ديارهم جائعين) الجائهم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاحبهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغنة (كان لم يغنوا فيها) كان لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين (الأبعد المدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشداً لا ترى الى قوله (كما بعدت نود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البناء بين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء

العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تنكاز محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخز به) يعني بسبب عمله السيئ وأينما الشق الذي يأتيه عذاب يخز به (ومن هو كاذب) يعني فيما يدعيه (وارتقبوا) يعني وانتظروا العاقبة وما يؤل إليه أمرى وأمركم (اني معكم قريب) أي منتظر والرفيب بمعنى المراقب (ولما جاء أمرنا) يعني بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني بفضل منابن هديناهم للإيمان ووقفناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبيعس (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاحبهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا (فاصبحوا في ديارهم جائعين) يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد واطأ بالأرض (كان لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الأبعدا) يعني هلاكا (لمدين كما بعدت نود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعد ذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فلما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناها الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمى السلطان سلطانا لأنه حجة الله في الأرض (الى فرعون ومثله) يعني أتباعه وأشرف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى (ومأمر فرعون برشيد) يعني وما طر يق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حيد العاقبة ولا يدعوا الى خير (يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار) يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو وأمامهم والممنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وأمامهم في النار (وبشس الورد المورود) يعني وبشس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون

(٤٧ - (خازن) - ثاني) كافر قوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعدوا وعد (واقعد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا التي أبهرها (الى فرعون ومثله فاتبعوا) أي الملا (أمر فرعون ومأمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر باظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله يعزل عن الألوهية وفيه أنهم عابوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشداً والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشداً قط والمراد ومأمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم وهم على عقبه نفسير له وايضا أي كيف يرشداً من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما محمود ويرضى كما يستعمل في كل ما يمدم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فاوردهم النار) ادخلهم وجى بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لاحتاله يعني كما كان قدوتهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبشس الورد المورود) الذي وردوه شبه بالفارط

الهلاك وهو الكفر والمساوى وسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكور والمؤث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والتهيق ونحوهما (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ان ربي رحيم) بغفر لاهل الجفاء من المؤمنين (ودود يجب) أهل الوفاء من الصالحين (قالوا) يا شعيب ما نفقة كثير مما تقول أي لانفهم صحة ما تقول والافكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء (وانا انراك فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيها بيننا فلا تقدر على الامتناع (٣٣٨) من ان أردنا بك مكرها (ولولا رهطك لرجمناك) ولو عشيرتك لقتلناك بالرجم

وهو شرفه لانه وكان رهطه من أهل ملتهم فذلك أظهر وأبيل البسم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعز يز) أي لا تعز علينا ولا نكرم حتى نكرمك من القتل وزرعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لافي الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعز يز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان نهاؤهم به وهو نبي الله تعالى والله حين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع

بهملا كمهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعني من عبادة الاصنام (ثم توبوا إليه) يعني من البغض والنقصان في الكيل والوزن (ان ربي رحيم) يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهم من قومهم وددت الرجل أوده اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون ودود فعل بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الخليلي هو الوالد لاهل طاعته أي الراضى عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمدايح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه (قالوا يا شعيب ما نفقة كثير مما تقول) يعني ما نفهم ما تدعوننا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تسمع ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون (وانا انراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان أعشى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل يعني ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعشى ولا نبيابه زمانه وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعني جماعتك وعشيرتك قيل رهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجمناك) يعني اقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه اشتمتناك وأغلظناك القول (وما أنت علينا بعز يز) يعني بكرم وقيل بمنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) يعني أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قسلى لمكان رهطى عندكم فالاولى أن نحفظوني في الله ولاجل الله لا لرهطى لان الله أعز وأعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعني ونبتذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء الملقى الذي لا يلتفت اليه (ان ربي بما نعملون محيط) يعني أنه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منه شيء فيجازيكم بها يوم القيامة (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) يعني على توددكم وتحسنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدرة من الشر (اني عامل) يعني ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أي انا الخافى على نفسه المخفي في فعله فان قلت أي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فاي يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل نارة بالفاء وتارة بالاستئناف للفتن في البلاغة كما هو عادة بلغاء

الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبذ وراء الظهر لا يعأبه والظهرى منسوب العرب الى الظهر والكسر من تفسيرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس امسى (ان ربي بما نعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) هي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكن اذا تمكن من الشيء يعني اعملوا فاربن على جهكم التي أتم عليها من الشرك والشنا كنلى أو اعملوا متمكنين من عداوتى. يطيقن لها (اني عامل) على حسب ما يؤتى الله من النصرة والتأييد وبمكتنى (سوف تعلمون)

(انك لانت الحليم الرشيد) أى السفية الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء وأنتك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك (قال باقوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه) من لدنه (رزقا حسنا) يعنى النبوة (٣٦٧) والرسالة أو مالا حلالا من غير

بخس ونظيف وجواب
أرايتم محذوف أى أخبروني
ان كنت على حجة واضحة
من ربي وكنت نبيا على
الحقيقة أيصح لى أن
لا آمركم بترك عبادة
الاوثان والكاف عن المعاصي
والانبياء لا يبعثون الا لذلك
يقال خالفني فلان الى كذا
اذا قصده وأنت مول عنه
وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت
قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فساله
عن صاحبه فيقول خالفني
الى الماء يريدانه قد ذهب
اليه واردا وان اذهب عنه
صادرا ومنه قوله (وما أريد
أن أخالفكم الى ما أنتم
عنه) يعنى أن أسبقكم الى
شهو وانكم التي نهيتكم عنها
لست بجاهدونكم (ان أريد
الاصلاح) ما أريد الا
أن أصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وأمرى بالمعروف
ونهى عن المنكر
(ما استطعت) ظرف أى
مدة استطاعتى للاصلاح
ومادمت متكئما منه لا ألو
فيه جهدا (وما توفيقى الا
بالله) وما كوني موافقا
لاصابة الحق فما آتى
وأذرا لا بمعونته وتأنيده
(عليه توكلت) اعتمدت

وقال الاعمش أقراءك لان الصلاة تطاق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعنى أدبك
يا أمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن تفعل فى أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا يذبحون الدراهم والدنانير
فيكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكروا الصلاة لانها من أعظم
شعائر الدين (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفية الغاوى لان العرب قد نصف الشئ
بضده فيقولون للدينغ سليم وللغلاة المهلكة مفارقة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد فى زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك يا شعيب
فيما احياهم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم فى دينهم (قال) يعنى قال لهم شعيب (يا قوم أرايتم
ان كنت على بينة من ربي) يعنى على بصيرة وهداية وبيان (ورزقي منه رزقا حسنا) يعنى حلالا قليل كان
شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة
وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي المال الحلال والهداية
والمعرفة والنبوة فهل يسعنى مع هذه النعمة أن أخون فى وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو
أبخر الناس أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا لك لانت الحليم الرشيد
والمعنى فكيف يايق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله (وما أريد أن أخالفكم
الى ما أنتم لكم عنه) قال صاحب الكشف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء
يريدانه قد ذهب اليه واردا وان اذهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتم
أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لست بجاهدونكم قال الامام نضر الدين الرازى وتحقيق الكلام فيه
ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكما العقل يحمله صاحبه على اختيار
الطريق الاصولى فكأنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلى فاعلموا ان الذى اخترته لنفسى
هو اصول الطريق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخرس والنقصان فأناموا وظب عليها غير تارك
لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما أنتم عليه وقال الزجاج معناه فى لست أنها كم عن شئ
وأدخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسى وقال ابن الانبارى بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله
وترك البخرس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (ان أريد)
يعنى ما أريد فيما أمركم به وأنتم لكم عنه (الاصلاح) يعنى فيما بينى وبينكم (ما استطعت) يعنى ما استطعت
الاصلاح وهو الابلاغ والاذار فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه بهدى من
يشاء ويضل من يشاء (وما توفيقى الا بالله) التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك
الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقى الا بالله (عليه توكلت) يعنى على الله اعتمدت فى جميع أمورى (واليه
أنيب) يعنى واليه أرجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه أرجع فى معادى روى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى (و يا قوم
لا يجرمكم شقاقى) أى لا يحملكنم خلافى وعدوانى (أن يصيبكم) يعنى عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم
الخبينة (مثل ما أصاب قوم نوح) يعنى الفرق (أو قوم هود) يعنى الرمح التى أهلكنهم (أو قوم صالح)
يعنى ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا واحد بنى عهد

(واليه أنيب) أرجع فى السراء والضراء جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (ويا قوم لا يجرمكم شقاقى أن
يصيبكم) أى لا يكسبكنم خلافا لى اصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح) أو قوم هود أو قوم صالح) وهو الفرق والرمح والرجفة (وما قوم لوط
منكم ببعيد) فى الزمان فهم أقرب اهل الكين منكم أو فى المكان فنارهم قربة منكم أو فيما يستحق به

ولا تنقصوا المكيال) أي المكيال بالمكيال - (والميزان) والموزون بالميزان (إني أراكم بخير) بتروة وسعة تفنيمكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا وأعداب الآخرة (ويأقوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال (٣٦٦) والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول كزيادة التزغيب فيه وحيء

به مقيد بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) البخس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العثى والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيانهم في الأرض (بقيت الله) ما بقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم أن كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا نعم ببقية الله خير للكفرة أيضاً لأنهم يسلّمون معها من تبعة البخس والتطفيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للإيمان وتنبه على جلالة شأنه والمراد أن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به

الدعوة إلى وحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب عبد الله ما لكم من الغيرة ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيأمرهم فيه وما كان المعتاد من أهل مدن البخرى في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون بالغير ناقصا الوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لأنفسهم زائد عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلما الوجهين مذموم فلهذا نهواهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (إني أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا مفسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وشلاء السعر وحصول النعمة أن لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) يعني محيطا بكم فيهلككم جباؤه وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وأحذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (ويأقوم أوفوا المكيال والميزان) أي أتموهما ولا تطفّفوا فيهما (بالقسط) أي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني أموالهم فإن قلت قد وقع التكرار في هذه الفقرة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الأول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم في الفقرة في هذا التكرار قلت إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيّد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيّد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولأن قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الأول ومغاير له ولما قيل إن يقول النهي ضد الأمر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز أن ينهى عن التنقيص ولا يأمر بإيفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحلك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الأمر والنهي وأما قوله ثانياً ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضاً لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهي عن التنقيص والأمر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد ببقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل ببقية الله يعني ما بقا لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (إن كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرنكم به ونهيتمكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني أحفظ أعمالكم قال بعضهم إنما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بمقتلهم (قالوا يا شعيب أصلونك تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الأصنام (أو أن نفعل في أموالنا منشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل أنهم كانوا يعبدون به فيرونه يصلي فيستهزؤون به ويقولون هذه المقالة

أياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمة عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا يا شعيب أصلونك) وبالتوحيد كوفي وقال غير أبي بكر (تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا) وأن نفعل في أموالنا منشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول إنها تأمر بالمحاسن ونهي عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلونك تأمرنا أن نترك عبادتنا ما كان بعد آباؤنا وأن نترك التسط في أموالنا منشاء من إيفاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات أمراً مجازاً كما سماها الله تعالى ناهية مجازاً

جولة موفقة التي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدر و اعلى ضرره (فأمر) بالوصل بخجازي من سرى (بأهلك بقطع من الليل) طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه الى ما خلف أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (الامر أنك) مستثنى من فأمر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمر وعلى البدل من أحد وفي اخر اجما مع أهل روايتان (٣٦٥) روى أنه أخرجهام معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هي فلما

ورأسه حبك مثل المرجان كانه كالثلج بياضا وقدماء الى الخضرة فضر بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر أقوام في الارض قد سحر ونا وجعلوا يقولون بالوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا بوعده وبذلك (فأمر بأهلك) يعني ببيتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية الليل وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل انه السحر الاول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم أحد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه (الامر أنك) فانها من الملتفات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى (انه مصيها ما أصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له (أليس الصبح بقريب) فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامر أنه فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماء فاخذتها بحجارة فاهلكنهم معهم (فاما جاء أمرنا) يعني أمرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربع مائة ألف فرجع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم نداء ولم ينتبه لهم نائم ثم قبلها فجعل عاليها سافلها (وأمرنا عليها) يعني على شذاها ومن كان خارجا عنها من مسافرينها وقيل بعد ما قبلها أمطر عليهم (حجارة من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة معناه سنك كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قوله سندنس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه ألفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في ألفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد وأهل حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها اسماء لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت محتومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (وما هي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (ببعيد) قال قتادة وعكرمة يعني ظلمي هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظالم بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذا قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه ﴿ قوله عز وجل (والى مدین) یعنی وأرسلنا الى مدین (أخاهم شعيبا) مدین اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسم القبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدین بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا الى أهل مدین خذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت

يبلغت منهم أحد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماء فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسرها واختلف القراءتين لاختلاف الروايتين (انه مصيها ما أصابهم) أي ان الامر وروى أنه قال لهم متى موعدهم هلاكم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل قراهم ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قبلها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وأمرنا عليها حجارة من سجيل) هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين (منضود) نعت لسجيل أي متتابع أو مجموع معدل للعذاب (مسومة) نعت للحجارة أي معلمة للعذاب قيل مكتوب

على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وما هي من الظالمين ببعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظلمي أمك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة والضمير للقرى أي هي قريبة من ظلمي مكة يمرون بها في مسابرها (والى مدین أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدتهم مدين بن ابراهيم أي وأرسلنا شعيبا الى ساكني مدين أو الى بني مدين (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

يا قوم هؤلاء بناتي) فتزوجهن أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كما جاز في
الابتداء في هذه الأمة فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقبل كان لهم سيدان
مطاعان فاراد لوط أن يزوجهما (٣٦٤) ابنتيه (هن أطهر لکم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتي عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر

المبتدأ أو بناتي خبر وهن
أطهر مبتدأ وخبر (فاتقوا
الله) بليارهن عليهم (ولا
تخزون) ولا تهينوني ولا
تفضحوني من الخزي أو
ولا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء وبالياء أبو
عمرو في لوصول (في ضيقي)
في حق ضيقي فإنه إذا
خزي ضيف الرجل أو جاره
فقد خزي الرجل وذلك
من عراقة الكرم واصله
المرءة (أليس منكم رجل
رشيد) أي رجل واحد
يهتدي إلى طريق الحق
وفعل الجليل والكف عن
السوء (قالوا لقد علمت
مالتنا في بناتك من حق)
حاجة لان نكاح الاناث
أمر خارج عن مذهبنا
فذهبنا اتیان الذکران
(وانك لتعلم ما تريد) عنوا
اتيان الذکور وما لهم فيه
من الشهوة (قل لو أن لي
بكم قوة أو آوى إلى ركن
شديد) جواب لو محذوف
أي لذمت بكم ولست بمت
والمعنى لو قويت عليكم
بنفسي أو آويت إلى قوتي
أستند اليه وأتمنع به

انهم غلمان من بني آد (يا قوم هؤلاء بناتي) يعني أزواجكم إياهن وفي أضيافه ببناته قيل إنه كان في ذلك الوقت
وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام
وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد ببناته نساء قومهم وأضافهن إلى نفسه لأن كل نبي أبوأته وهو كالوالد لهم
وهذا القول هو الصحيح وأشبهه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كاتنا اثنتين وإبنا
بكافيتين للجماعة وليس من المرءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن إياهن فكيف يليق ذلك
بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل إنما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل
التحقيق ﴿ وفي قوله (هن أطهر لکم) سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أطهر لکم من باب أفعال التفضيل
فيقتضي أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهر ومعلوم أنه محرم فاستدس نجس لا طهارة فيه البتة فكيف
قال هن أطهر لکم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ومعلوم
أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعل وأجل اذا مماثلة
بين الله عز وجل والصنم وإنما هو كلام خرج مخرج المبالغة ولهذا انظر كثرة ﴿ وقوله (فاتقوا الله) يعني
خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون في ضيقي) يعني ولا تسوؤني في أضيافي
ولا تفضحوني معهم (أليس منكم رجل رشيد) أي صالح سيد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لاله الا الله
وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد
علمت ما نلتنا في بناتك من حق) يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل لعنا ليست بناتك لنا
بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما نلتنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الايمان
ولا تريد ذلك (وانك لتعلم ما تريد) يعني من اتیان الرجال في أدبارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو أن
لي بكم قوة) أي لو أني أقدر أن أتقوى عليكم (أو آوى إلى ركن شديد) يعني أو أنضم إلى عشيرة بمنعوني
منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة لانضمت اليهم قال أبو هريرة
ما بعث الله نبياً بعده الا في منعة من عشيرته (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برحم
الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولوليت في السجن ما لبث يوسف ثم أناني الداعي لاجبته قال الشيخ
محي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها ومعنى
الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد
حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوى إلى عشيرة تمنع لمنعتكم
وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وأنه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق
بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغاق
لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل ينظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار
فلما رأته الملائكة مالت لوط بسببهم (قالوا يا لوط) ركنك شديد (انارسل ربك ان يصلوا اليك) يعني بمكروه
فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به عز وجل في عقوبتهم فأذن له
فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو راق الثياب أجلى الجبين

فيعمى منكم فشب القوي العزيز بالركن من الجليل في شدته ومنعته روى أنه أغلق بابه حين جاءوا جعل يرادهم ما حكي
ورأسه
الله عنه ومجاهد لم يفتور والجدار فلما رأته الملائكة مالت لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انارسل ربك) فافتح الباب
ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به في عقوبتهم فأذن له فغضب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم
كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوم اسحرة (ال١٠٥) ١١١

(ان ابراهيم خليليم) غير مجبول على كل من أساء اليه أو كثر الاحتمال من آذاه الصفوح عن عصاه (أوام) كثير التأوه من خوف الله (منيب)
تائب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافقة والرحمة (٣٦٣) فيبين ان ذلك مما حمله على المجادلة

فيهم رجاء أن يرفع عنهم
العذاب ويعلّموا لهم
يحدثون التوبة كما حمله
على الاستغفار لايه فقات
الملائكة (يا ابراهيم
أعرض عن هذا) الجدال
وان كانت الرحمة بيدك
(انه قد جاء أمر ربك)
قضاؤه وحكمه (وانهم
آتيهم عذاب غير مردود)
لا يرد بجدال وغير ذلك
عذاب مرتفع باسم
الفاعل وهو آتيهم تقديره
وانهم ياتيهم ثم خرجوا من
عند ابراهيم متوجهين
نحو قوم لوط وكان بين
قريه ابراهيم وقوم لوط
أربعة فراسخ (ولما جاءت
رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى
هياكلهم وجاهلهم (سأ
هم) أذن لانه حسب انهم
انس خاف عليهم خبت
قومه وأن يهجز عن
مقاومتهم ومدافعتهم
(وضاق بهم ذراعا) تمييزاً
وضاق بمكانهم صدره
(وقال هذا يوم عصيب)
شديد روى ان الله تعالى
قال لهم لانه حسب انهم
يشهد عليهم لوط أذن
شهادات فلما مشى معهم
منطلقاً بهم الى منزله قال لهم
أما بلغكم أمر هذه القرية

المفسر بن معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة أن قال لهم أرايتم لو كان في
مدائن قوم لوط خسون رجلا من المؤمنين أتلهكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما
زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتلهكونها قالوا لا قال ابراهيم فان
فيها لوطا قالوا نحن أعلم بما نتجيجه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير
العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جرير كان في قري قوم لوط
أربعة آلاف مقاتل (ان ابراهيم خليليم أتاه منيب) تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة
لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) يعني أعرض عن هذا المقاتل واترك هذا الجدال (انه قد جاء أمر
ربك) يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيهم عذاب غير
مردود) يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا
لوطا) يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه (سأهم)
يعني أذن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه (وضاق بهم ذراعا) قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقه
والاصل فيه ان البعير يذرع يديه في سيرة ذراعا على قدر سرعة خطوه فاذا حمل عليه أكثر من طوفه ضاق ذراعه
من ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذراع عبارة عن ضيق الوسع والطاقه والمعنى وضاق بهم ذراعا لزمجد
من المسكر وفي ذلك الامر مخاضا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا لا يعرف أصله الا أن يقال ان الذراع
كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنيون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق
فلان ذراعا بكذا اذا وقع في مكره ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم
وطيب رائحتهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكرهم وأفاحشه وعلم انه سيحتاج الى المدافعة
عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده مأخوذ من
العصابة التي تشدها الرأس قال قتادة والسدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قريه لوط فانوا لوطا
نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تلهكوهم
حتى يشهد عليهم لوط أذن بع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية
قالوا وما أمرهم قال أشهد بانها الشرفية في الارض عملا يقول ذلك أذن بع مرات فضاومعه حتى دخلوا
منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي
شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة
أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أذن بع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل
للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم
الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم
قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون
وقال الحسن الاهرع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين اهرولة والخب والجز (ومن قبل) يعني ومن
قبل مجي الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السينات) يعني الفعلات الخبيثة
والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أديارهم (قال) يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا

قالوا وما أمرهم قال أشهد بانها الشرفية في الارض عملا قال ذلك أذن بع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته
فاخبرت قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السينات) ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مر نوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال

(فبشرناها باسحق) وخت بالبشارة لان النساء أهظم سرور بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالصباحى وحزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أى فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قالت يا بلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن ياربى يلى على الاصل (ألدوا ناعجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا يعلى شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلى خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة الى ذات (٣٦٢) عليه ذا ومعنى التنبيه الذى دل عليه هذا (ان هذا الشئ عجيب) ان يولد ولد من هريمن وهو

استبعاد من حيث العادة (قالوا) تعجبين من امر الله قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة لعادة فكان عليها ان تتوفرو ولا يزدعيها ما يزدعي سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هذه أمنا لها بكممكم رب العزة وبخضكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف عال به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكررة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكاهن

فضحكت أى حاضت قالو يقال أصله من ضحك الطاعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض فضحك الضيع من دماء سليم * اذ رأته على الحراب نور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكا يعنى حاضت حياء قال وضحك الارنب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم اللقاء يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكر أن يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضيع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكثير لاكل اللحوم وهذا سهو ومنه لانه جعل كشرها حياء وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتبرز بعضها على بعض فجعل هن يزهاضحكا وقيل لانها نسرهم فجعل سرورها ضحكا فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالتة أعلم أى ذلك كان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق) ومن وراء اسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بابها تعيش حتى ترى ولدا ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا (قالت يا بلتا) نداء ندبة وأصلها يا بلتا وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا (ألدوا ناعجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا يعلى) يعنى زوجى والبعلى هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعاليا عاها قائما بامرها سمي بذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول مجيد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا الشئ عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجب من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة بولد لهما (قالوا) يعنى قالت الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) معناه لا تعجبين من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شيئا كان سريعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجال من أهل بيته (انه حديد) يعنى هو الحمود الذى بحمد على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمد فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم وأصل المجدى فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل المجاد هو ذو الشرف والكرم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) يعنى انزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف اسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (بجاد لنا) فيه اضمار تقديره أخذ بجادلنا وأجعل بجادلنا وبخاضنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لان العبد لا يتقدرا أن يخاضم ربه وقال جمهور

من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه مجيد) محمود بتجليل النعم (مجيد) المفسرين ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) الفزع وهو ما وجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (بجاد لنا فى قوم لوط) أى لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملى سرور اسبب البشرى فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل بجادلنا أو بجادلنا جواب لما وانما سجي به مضارعا لحكاية الحال والمعنى بجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا اناهم لكو أهل هذه القرية فقال رأيتكم لو كان فيها اخون مؤمن أنهم لكونه قالوا الا قال فاربعون قالوا الا قال فلان قالوا الا حتى بلغ العشرة قالوا الا قال رأيتكم ان كان فيها رجل واحد مسلم أنهم لكونه قالوا الا عند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها لنعجبه وأهله

يعني ان الملائكة سلموا اسلاما (قال) يعني لهم ابراهيم (سلام) أي عليكم أو أمركم سلام (فبالت أن جاء
 بهجمل حنيد) يعني مشوا والمخزوا هو المشوى على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل أهل
 البادية وكان سمي ناسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم
 عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأت به ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءت الملائكة
 رأى أضيافا لم ير مثاهم قط فبهجمل قراهم وجاءهم بهجمل سمين مشوى (فلما رأى أيديهم) يعني أيدي الاضياف
 (لأنصل اليه) يعني الى الهجمل المشوى (نكرهم) يعني أنكرهم وأنكر حالهم وانما أنكر حالهم لامتناعهم
 من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف
 ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس يخاف أن ينزلوا به مكرها لامتناعهم من
 طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف أنهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه
 يخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة في أول الامر ويدل على صحة هذا أنه
 عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما قدم اليهم لعلهم ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون
 ولانه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأى الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا لا تخف)
 يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط وامراته) يعني سار قزوجة ابراهيم وهي ابنة هاران بن
 ناحورا وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعني من وراء الستر سمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل
 وابراهيم جالس معهم (فضحكت) أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس وظهره الانسان
 عنده سميت مقدمات الانسان الضواحك ويستعمل في السرور والجرد وفي التعجب المجرد أيضا والعلماء في
 تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا
 الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم ياكلوا وخاف ابراهيم منهم فقال ألتا كلون
 فقالوا ألتا باكل طعاما لا نحن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره
 فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ به خذرا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لاتصل اليه
 ضحكت سارة وقالت يا عجبا لضيافنا نخدمهم بانفسنا نكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت
 من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين
 خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها عن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه مخين قالوا
 لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس وذهب ضحكت تعجبا من أن يكون
 لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق
 فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضم اليك ابن أخيك لوط فان العذاب نازل بقومه
 فلما جاءت الرسل وبشرت بعد ايامهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله
 فضحكت قال عكرمة ومجاهد أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال
 حاضت ليس ذلك تفسيره لقوله فضحكت كما صوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر
 ذلك تنصيحا لخالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به خيضا في الوقت لتعلم أن حملها ليس بنكر لان المرأة
 مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم تسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ
 ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد
 عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع اقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال أراد أنها تحيض فراحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أي طمئت وحكى الازهرى عن بعضهم في قوله

(سلاما قال سلام) أمركم
 سلام سلم حزة وعلى بمعنى
 السلام (فبالت أن جاء
 بهجمل) فبالت في المجيء به
 بل بهجمل فيه أو فبالت بحجة
 والعجل ولدا البقرة وكان
 مال ابراهيم البقر (حنيد)
 مشوى بالحجارة المحماة
 (فلما رأى أيديهم لاتصل
 اليه نكرهم) نكر وأنكر
 بمعنى وكانت عادتهم أنه اذا
 مس من يطرقهم طعامهم
 أمنوه والاخافوه والظاهر
 أنه أحس بانهم ملائكة
 ونكرهم لانه يخوف أن
 يكون نزولهم لاسرا نكره
 الله عليه أولته عذيب قومه
 دليله قوله (وأوجس منهم
 خيفة) أي أضر منهم خوفا
 (قالوا لا تخف انا أرسلنا
 الى قوم لوط) بالعذاب وانما
 يقال هذا لمن عرفهم ولم
 يعرف فيم أرسلوا وانما
 قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر
 الخوف والتغير في وجهه
 (وامراته قائمة) وراء الستر
 تسمع محاورهم أو على
 رؤسهم تخدمهم (فضحكت)
 سرورا بزوال الخيفة أو
 بهلاك أهل الخبائث أو
 من غفلة قوم لوط مع قرب
 العذاب أو خاضت

(فما تزدونني) بقولكم أنتم إيماناً نعبده ما يعبد آباؤنا (غير تخشيع) بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتى إياكم إلى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فاما تقدمت انتصبت على الحال (فذر وهاتنا كل في أرض الله) أى ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفقها (ولا تمسوها بسوء) عقر أو نحر (فياخذكم عذاب قريب) عاجل (فوقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أى (يتصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك)

خالفت أمره (فما تزدونني غير تخشيع) قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزدونني غير تخشيع وإنما المعنى فما تزدونني بما تقولون الانسبتى إلى الخسارة (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك ان قومهم طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا اليها فداها الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة أشهر ثم ولدت فصبي لا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعباد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فذر وهاتنا كل) يعنى من العشب والنبات (في أرض الله) يعنى فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يعنى يعقر (فياخذكم) يعنى ان قتلتموها (عذاب قريب) يعنى في الدنيا (فوقروها) يعنى خالفوا أمر ربهم ففقدوها (فقال) يعنى فقال لهم صالح (تمتعوا) يعنى عيشوا (في داركم) أى في بلدكم (ثلاثة أيام) يعنى ثم تهلكون (ذلك) يعنى العذاب الذى أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعند غير مكذوب) أى هو غير كذب روى انه قال لهم يا نبيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثانى حمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كقَالَ وَأَنهَـمْ الْعَذَابُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) يعنى العذاب (نَجِيجًا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) أى بنعمة منابان هديناهم إلى الإيمان فآمنوا (ومن خزي يومئذ) يعنى ونجبتناهم من عذاب يومئذ يسمى خزي بالان فيه خزي الكافرين (ان ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى ان ربك يا محمد (هو القوي) يعنى هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزير) يعنى القاهر الذى لا يغلبه شئ ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَالَمُوا) يعنى أنفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أنهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ في الأرض ففقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جائعين) يعنى صرعى هلكى (كأن لم يغنوا فيها) يعنى كأن لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدامة من الدهر لانه غلبت بالكان اذا أثبتت وأفت به (ألا ان نمودا كفر وار بهم ألا بعد النمود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف وقوله عز وجل (وَلَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِأَهْلِهِم بِالشَّرِّ) أراد بالرسالة الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر مائكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة مائكا وقال السدي كانوا أحد عشر مائكا على صور الغلمان الحسن الوجوه وقول ابن عباس هو الاول لان قيل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الأقل وما بعده غير مقطوع به بالشري يعنى بالإشارة بأسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا اسلاما)

وعند غير مكذوب) أى غير مكذوب فيه فأتسع في الطرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو عند غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمفعول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب أو عذابنا (ننجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجي إنما نجي برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) باضافة الخزي إلى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة وبفتحتها مدنى وعلى لانه مضاف الى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيف الى الاسماء المهمة والافعال الماضية بذيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله * على حين عانت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ أى من دله وفضيحه ولا

خزي أعظم من خزي من كان هلاكه غضب الله وانتقامه وجاز أن يرد بيومئذ يوم القيامة كفر العذاب الغالب بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوي) القادر على تنجية أولائه (العزير) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظالموا الصيحة) أى صيحة جبريل عليه السلام (فأصبحوا في ديارهم) منازلهم (جائعين) ميتين (كأن لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (ألا ان نمودا كفر وار بهم) نمود حزة وحفص (ألا بعد النمود) على الحرف المذهب إلى الحى أو الأب الاكبر ومنعته لتعريف والتأنيب بمعنى القصة (ولقد جاءت ربك) جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر مائكا (اراهم بالشري) هى الإشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط ولأول أصهر (قالوا اسلاما) سامنا عليك

(وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يريدو رؤساءهم ودعائهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعتدون بهم
ومعنى اتباع امرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا العنة ويوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت العنة تابعة لهم في الدارين (ألا
ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد) تكرر الالامع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لصرهم وبعث على الاعتبار بهم والخذل من مثل
حالهم والدعاء ببعدها بعد هلاكهم وهو دعاء باهلا لك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان اعدا وفيه فائدة لان عاد اعدان
الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى ثمود أخاهم) (٣٥٩) صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الغيرة هو انشاءكم
من الارض لم ينشئكم منها
الا هو وانشاؤهم منها خلق
آدم من التراب ثم خلقهم
من آدم (واستعمركم فيها)
وجعلكم عمارها واراد منكم
عمارتها واستغفركم من العمر
أى أطال أعماركم فيها وكانت
أعمارهم من ثلثمائة الى
ألف وكان ملوك فارس
قد أكثروا من حفر الانهار
وغرس الاشجار وعمروا
الاعمار الطوال مع ما فيهم
من الظلم فسأل نبي من
أنبياء زمانهم ربه عن سبب
تعميرهم فاوحى الله اليه
انهم عمروا بلادى فعاش
فيها عبادى (فاستغفروه)
فأسألوهم مغفرته بالايان
(ثم توبوا اليه ان ربي
قريب) داني الرحمة
(محيب) لمن دعاه (قالوا)
يا صالح قد كنت فينا فيما
بيننا (مرجوا قبل هذا)
المسيادة والمشاورة في الامور
أو كننا رجوان تدخل في
ديننا وتوافقنا على

الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا
بآيات ربهم يعنى المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصا ورسله يعنى هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجع
امالته العظيم أولان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعنى ان السفلة منهم
وأتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه
(وأتبعوا في هذه الدنيا العنة) يعنى أردفوا اعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللغة الطرد والابعاد من
رحمة الله (ويوم القيامة) يعنى وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللغة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى
السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا برهم
(ألا بعد العاد) يعنى هلاكلهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة
في قوله ألا بعد العاد لان الثانى هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على
نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان اعدا فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فاف
الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم
ارم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في
التنصيص تدل على تقوية التأكيد قوله عز وجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا الى ثمود وهم
سكان الحجر أخاهم صالحا يعنى في النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة
(ما لكم من الغيرة) يعنى هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على
وحدانيته وكآله قدرته فقال تعالى (هو انشاءكم من الارض) يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك أنهم
من بنى آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال
أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من
العمر أى جعلها لكم ما عشتهم (فاستغفروه) يعنى من ذنوبكم (ثم توبوا اليه) يعنى من الشرك (ان ربي
قريب) يعنى من المؤمنين (محيب) لدعائهم (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعنى قبل هذا
القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيديا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم
ويعنى فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما أظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع
رجاؤهم منه (أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) يعنى الآلهة (واننا فى شك مما تدعونا اليه) يعنى من عبادة الله
(مريب) يعنى انما نرى تابون فى قولك من أرابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس ووقعها فى التهمة
(قال) يعنى قال صالح مجيبا لقومه (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعنى على يقين وبرهان (وأأتانى
منه رحمة) يعنى نبوة وحكمة (فمن ينصرنى من الله) أى فمن ينصرنى من الله (ان عصيته) يعنى ان

ما نحن عليه (أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا فى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع فى الريبة
من أرابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وأأتانى منه رحمة) نبوة أتى
بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا اتى على بينة من ربي وأأتى نبي على الحقيقة
وانظروا ان تابعتم وعصيت ربي فى أوامره (فمن ينصرنى من الله) فمن ينصرنى من عذاب الله (ان عصيته) فى تبليغ رسالته ومنعكم عن
عبادة الاوثان

عما نشركون من دونه (ي) أي من أشراكم آلهة من دونه والمعنى في أشهد الله أني بري عما نشركون واشهدوا أنتم أيضا في بري من ذلك وحي عليه على لفظ الامر بالشهادة كقول الرجل لمن يسأل التري بينه وبينه أشهد على أني لأحبك تنه كما به واستهانة بحاله (فكيدوني جميعها) 'نتم وآلهتكم (تم لا تنظرون) لانهم لولون فاني لأبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معركتكم وان نعاوتم علي وكيف نضرنى آلهتكم وما هي الاجاد لا يضروا لا ينفع وكيف (٣٥٨) نلتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان نخباني وتذهب بعقلي (اني نوكت

(२०८)

مما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدوني جيها) يعني احتالوا في كيدي
 وضري أتم وأصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع (ثم لا تنظرون) يعني ثم لا تهملون
 وعذابيهم معجزة عظمى هو دوابهم السلاطمة وذلك انه كان وحيداً في قومه ف قال لهم هذه المقالة ولم يهيم
 ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقت بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (اني
 توكلت على الله ربي وربكم) يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه (ما من دابة) يعني تدب على الارض
 ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الا هو آخذ بناصيتها) يعني انه تعالى
 هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من أخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس
 وسمى الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكور لان العرب تستعمل ذلك كثيراً
 في كلامهم فاذا وصفوا انساناً بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان يد فلان وكانوا اذا أسروا أسيراً وأرادوا
 اطلاقه جزوا ناصيته لئيموا عليه ويعتقدوا بذلك خيراً عليه فخطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من
 كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) يعني ان ربي وان كان قادراً او اتم في قبضته كالعبد الدليل فانه
 سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والاضاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيان
 وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملك على صراط مستقيم
 (فان تولوا) يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما أرسلت به اليكم (فقدأبأ بكم ما أرسلت به اليكم)
 يعني اني لم يقع مني نقص في تبليغ ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلف ربي قوما
 غيركم) يعني انكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوماً غيركم
 أطوع منكم يوحده ويبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضره شياً)
 يعني بتوابعكم انما تضررون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئاً اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء
 (ان ربي على كل شيء حفيظ) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من أن تذالوني بسوء ﴿قوله
 سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعني باهلا لهم وعذابهم (نجينا هوداً والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة
 آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قديم المؤمنين والكافرين فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب
 كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الرجز التي أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه
 وتعالى أرسل على عاد يحاشد بدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوا وما هي الايام النحسات فاهلكتهم
 جميعاً وأنجى الله المؤمنين جميعاً فلم تضرهم شيئاً وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو
 الصريح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب
 الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظاً لانه أعظم من عذاب الدنيا (ولك عاد يجذوا بآيات ربهم وعصوا
 رسله) لم فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة

أعمالكم ولا يغفل عن مواخ

أعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم ومن كان رقيقاً على الأشياء كلها حافظاً لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن العمل المضار لم يصرم مثله مثلكم (وإسحاءاً أمرنا نجيحنا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعاً آلاف (برحمة منا) أي بفضل منا لا بعلمهم أو بالإيمان الذي أعمنا عليهم (ونجيحناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجيحنا للتأكيد والثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه (وتلك عاد) إشارة إلى قبورهم وآثارهم كنهه في الأرض فأنظر إليه واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (سجدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لأنهم إذا عصروا رسلهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله

(فأصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كإصبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولبن كذبك نحو ما كان لنوح واقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم وانتصبا للعطف على أرسلنا نوحا أى وأرسلنا إلى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من غيره) بالرفع نافع سفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ (ان أنتم الالمفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لا أسئلكم عليه أجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرنى) ما من رسول الا واجبه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضنها الاحسب المطامع وما دام يتوهم شئ منهم لم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك (و يا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة (٣٥٧) الدور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما

قصد استئناهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زرع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدين بماء وتوأم من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على التكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن ابن على رضى الله عنه ما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجاجه انى رجلى ذوال ولا بولدى عاهنى شيا لعل الله يرزقنى ولد ا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبع مائة مرة فو لده عشر بنين فبلغ ذلك معاوية

معروفة فى العالم فكيف قال ما كنت تعامها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل أن يكون كانوا يعامونها مجمله فترى القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميالم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصيح قوله ما كنت تعامها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فأصبر) يا محمد على أذى مشركى قومك كإصبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخرى (للمتقين) يعنى للؤمنين قوله عز وجل (والى عاد) يعنى وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا) يعنى أخاهم فى النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيا فى العبادة (مالكم من غيره) يعنى أنه تعالى هو الهكم لاهذه الاصنام التى تعبدونها فانها بخجارة لا تنضر ولا تنفع (ان أنتم الالمفترون) يعنى ما أنتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره (يا قوم لا أسئلكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة (أجرا) يعنى جعلنا آخذة منكم (ان أجرى) يعنى مائواى (الاعلى الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويبينى فى الآخرة (أفلا تعقلون) يعنى فتعقلون (و يا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به فالاستغفار هنا يعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم متتابعامرة بعد مرة فى أوقات الحاجة له وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعيم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجذبت بلادهم وحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام أنهم ان آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله اليهم المطر فاحياه بلادهم كما كانت أول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان أنتمم بقومك بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان أنتمم أرسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصيحى حال كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أى براهان وحجة واضحة على صحة ما تقول (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى أنك يا هود لست تمنعنا من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن بعض آلهتنا أصابك بنخل وجنون لانك سببتهم فاتقموا منكم بذلك ولا تحمل أمرك الاعلى هذا (قال) يعنى قال هود محييا لهم (انى أشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا وأنتم أيضا على (انى برىء

فقال هلا سائته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويزدكم بالاموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعماد دعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وأنتمكم (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) كذب منهم ومخجود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوههم اليه افناطاله من الاجابة (ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نى فبنى جميع القول الاقولا واحدا وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولنا لاهذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء

والظاهر (فلاتسألن) اجتزأ بالكسر عن الياء كوفي تسألني بصري تسألني مدني تسألن شامي غذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألن مكى (ماليك بك به علم) بجواز مسئلته (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كانهى رسوانا بقوله فلا تكون من الجاهلين (قل رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم) أى من أن أطلب منك فى المسئلة تقبل ما لا علم لى بصحته تأدبا بأدبك واتعظا بعظمتك (والاتفغلى) رفرطنى (٣٥٦) (وترحنى) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا)

* فاعلم اقبال وادبار * قال الواحدى وهذا قول ابى اسحق يعنى الزجاج وأبى بكر بن الانبارى وأبى على الفارسى قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثرت منه فعلى هذا الاحذف (فلاتسألن ما ليس لك به علم) وذلك أن نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم أن ذلك محذور لاصرار ولده على الكفر فهاد الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلاتسألني ما ليس لك به علم بجواز مسئلته (انى أعظك) يعنى أنهاك (أن تكون من الجاهلين) يعنى لمثل هذا السؤال (قال) يعنى قال نوح (رب انى أعوذ بك) يعنى ألتجأ اليك وأعتزرك اليك (أن أسألك ما ليس لى به علم) يعنى انك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسئلتى ما ليس لى به علم (والاتفغلى) يعنى جهلى واقدمى على سؤال ما ليس لى به علم (وترحنى) يعنى برحمتك التى وسعت كل شئ (أكن من الخاسرين)

فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء * وبيانه أن قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلهذا نهاه عنه بقوله فلاتسألني ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على أن ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه وأهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ وتابع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك فى وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى أنه مغرق مع الذين ظالموا ونهاده عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيعلم يؤذن له فيه خاف نوح من ذلك اهلاك فاجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الارباب سيئات المقر بين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدمه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم ﴿وقوله سبحانه وتعالى قيل يا نوح اهبط﴾ أى أنزل من السفينة أو من الجبل الى الارض (بسلام) أى بامن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ونماؤ وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا أن الله سبحانه وتعالى جعل ذرية نوح هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم (وعلى أمم ممن معك) يعنى وعلى ذرية أمم ممن كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون نجي ممن بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا كل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم ستمتعهم) هذا ابتداء كلام أى وأمم كفرة يحدثون بعدك ستمتعهم يعنى فى الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم يسمهم مناعذاب أليم) يعنى فى الآخرة (نلك من أنباء الغيب) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى أن هذه القصة التى أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قوميه من أنباء الغيب يعنى من أخبار الغيب (نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) يعنى من قبل نزول القرآن عليك فان قصة نوح كانت مشهورة

بتحية منا أو بسلامة من الغرق (وبركات عليك) هى الخيرات النامية وهى فى حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين فى القرون الباقية من نسله (وعلى أمم ممن معك) من لايان فتراد الأمم الذين كانوا معهم فى السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تشعب منهم أولا ابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهى الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (ستمتعهم) فى الدنيا بالسعة فى الرزق والخصف فى العيش صفة والخير محذوف تقديره ومن معك أمم ستمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم يسمهم مناعذاب أليم) أى فى الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك ومن معك أمم ستمتعون بالدنيا منقلبون الى الدار وكان نوح عليه السلام أبالانبياء والخاص

بعد الطوفان منه ومن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن

ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (نلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلهما الرفع على الابتداء والجل بعدها وهى من (أنباء الغيب نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار أى تلك القصة به أضأنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل إحيائى اليك واخبارك بها

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداء ربه دعاه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (ان ابني من أهلي) أى بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد (٣٥٥) نعهده فهو الحق الثابت الذى لا شك في

انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فبالإلهى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحاكم وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غوي في الجهل والجور من متقادى الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يانوح انه ليس من أهلك) ثم علل لاتقاء كونه من أهله بقوله (انه عمل غير صالح) وفيه ايدان بان قرابة الدين غامرة اقرباة النسب وان نسبك في دينك وان كان حبشيا وكنتم قرشيا اصيقتك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها * فأنما هي اقبال وادبار * أو التقدير أنه ذو عمل وفيه اشعار بأنه إنما أنجي من أنجي من أهله لصالحهم لالأنهم أهله وهذا لما اتفق عنه الصحاح لم تنفعه أبوته عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح

لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عازق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخروا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا هلاك اطفال الامم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عمنه فعل وهم يستلون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ونادى نوح ربه) أى دعاه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلي) يعنى وقد وعدتني أن تنجينى وأهلي (وان وعدك الحق) يعنى الصدق الذى لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) يعنى انك حكمت اقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك قال يعنى قال الله تعالى (يانوح انه) يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاته (ليس من أهلك) اختلاف اسماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح اصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد نوح من غير نوح ولم يعلم بذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر ٧ الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير والضحاك وأكثرا المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجهورا لم يصح عن ابن عباس أنه قال ما بغت امرأة نبي قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يابني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهونى وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهونى وكان آزر كافرا وكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهونى فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأله النجاة مع قوله رب لا تذرعلى الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما سأل على أن ناداه رقة الابوة واعلمه اذ رأى تلك الاحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراها وما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى ان نوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائى ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقر من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه أن سؤالك اياي أن أنجي من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعدما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير في أنه على ابن نوح أيضا ويكون التقدير على هذه القراءة أن ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح خذف المضاف كما قالت الخنساء

عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافى والا لا يحتمل أن يقول ابني من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظاهروا منهم غرقون فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لئيبنا عليه السلام ويضرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلع الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر

وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والسكنانية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارد ان نقطع طوفان السماء فانقطع وأن نغيض الماء فنزل من السماء فغيض وأن نقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فمضى وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الطامة غرق بني الكلام على تشبيه المراد بالامر الذي لا يتأتى منه لسان هيبته العصبان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكوين المقصود تصوير الاقتدار العظيم وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متمعة لارادته فيها تعبيراً وتبديلاً كما هم اقلاء هميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا عاملاً بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل الجهود وعليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا انظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للحمداد وهو يا أرض ويا سماء ثم قال مخاطباً لهما يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغو ر الماء في الارض البلع الذي هو اعمال المجاز به في المطعم وللشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيهه بالغذاء اتقوى الارض بالماء في الانبات كتنقي الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الافلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأتى ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد اولم يصرح عن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعد اكمال لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء لولا كافي كل واحد من ذلك لسبيل السكنانية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين يكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلي ماءك ويا سماء أقامى ولا أن يكون الغائص والقاضى والمسوى غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيهها السلكى (٣٥٤) مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لانفسهم اظهار المكان السخط وأن ذلك

العذاب الشديد ما كان الا ظاهراً لهم * ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجه كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يادون أخواتها اكونها أكثر استعمالاً لاولد لانها على بعد المنادى الذي يستدعيه

مقام اظهار العظمة والمكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن لانها ان به ولم يقل يا أرض لزيادة النهاون اذا الاضافة تستدعي القرب ولم يقل يايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما أخف وأدور واختير ابلي على ايتامى لكونه أخصر وللمجانس بينه وبين أقلى وقيل أقلى ولم يقل عن المطر وكذلك لم يقل يا أرض ابلي إماءك فبلعت ويا سماء أقلى فقلت اختصاراً واختير غيظ على غيض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستعانة بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي أى أقرت على تخويل وغيض اعتبار البناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعد اللقوم ولم يقل ليعبد القوم طلباً للتأكيده مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلام وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقل يا أرض ابلي ويا سماء أقلى ولم يقل ابلي يا أرض أو أقلى يا سماء جزى اعلى مقتضى الكلام فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليعتدك كن الامر الوارد عقبيه في نفس المنادى قصد بذلك لمعنى الترشيع ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله اقصة الماء وأخذ به بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعد ومن اهلك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر * ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كجاري نظم للمعاني لطيف ونأية لها ملخصة مبينة لاتعقيد بعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطر يق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عريضة مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالمسل في الخلاوة كالنسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية ولله درشان التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الأدر ك لطائف لاتسع الحصر ولا تظن الآياتة مقصورة على المذكور فلعلى المتروك أكثر من المستور

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بسم الله متصل باركبوها حالاً من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله وقائلين بسم الله وقت احرائها وقت ارسائها املان المجرى والمرسى للوقت واملانهم امام صدر ان كالاجراء والارساء حذف منهم الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعاقبة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد ان ترسو قال بسم الله فرست مجراها بفتح الميم وكسر الراء من جرى امام صدر وأوقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمر وبالباقوت بضم الميم وفتح الراء (ان ربى لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلاصهم (وهى تجرى بهم) متصل بحذف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر ومرة وهو ما يرفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها

(٣٥٣)

وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجهور على انه ابنه الصلى وقيل كان ابن امرأته (وكان فى معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعول من عزله عنه اذا نجاه وأبعده أو فى معزل عن دين أبيه (يانى) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاسافة من قولك يابنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاسافة (اركب معنا) فى السفينة أى اسلم واركب (ولا تسكن مع الكافرين قل سآوى) الجأ (الى جبل يعصمى من الماء) يعنى من الغرق (قال لعاصم اليوم من أمر الله الامن رحم) الا

يحمل منها شيأاً قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة (بسم الله مجريها ومرساها) ان ربى لغفور رحيم) يعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها وقال الضحاك كان نوح اذا أراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فتجى وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسوا أى تقف وهى اذا تعاليم من الله لعباده أنه من أراد أمراً فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سبباً للنجاح والفلاح فى سائر الامور (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الرياح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسيرة ارسل الله المطرأربعين يوماً ليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحت ابواب السماء بماء منهمر وجزا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفاً من السماء ونصفاً من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى انه لما كثرت المياه فى السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فالتقى الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فالتقى الماء فذهبت حتى استوت على الجبل فالتقى الماء الى رقبتهما رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلبى رحم الله منهم أحد الرحم أم الصبي (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافراً (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يانى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولا تسكن مع الكافرين) يعنى فتملك معهم (قال) يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سألتجئ وأصير (الى جبل يعصمى) يعنى يعنى (من الماء قال) يعنى قال له نوح (لعاصم) يعنى لاما نزع (اليوم من أمر الله) يعنى من عذابه (الامن رحم) يعنى الامن رحمه الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعد ما تناهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلعى ماءك) أى اشر بيه (ويا سماء أقمى) أى أمسكى (وغيض الماء) أى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب (وقضى الامر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) يعنى هلاكاً (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسيرة لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب

(٤٥ - خازن - ثانى)

عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى لا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصماً من الماء قال له لعاصمك اليوم يعصمك قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصاروا فكان فى علم الله (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) انشفي وتشرى بى والبلع النشف (ويا سماء أقمى) أمسكى (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا انقصه وهو لازم وتعد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحاً من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعد الله لهم للظالمين) أى سحق القوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث اهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر فى هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان

والشعبى ان التنور هو الذى يجز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس أيضاً وهذا القول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة فى اسم الموضع الذى يجز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام فى لفظ التنور للعهد وايس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رايت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور مع لوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنور من حجارة وكانت حوائج تجز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا فى موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على عين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوراً التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان (قلنا اجل فيها) يعنى قلنا النوح اجل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرًا وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى الى الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه فى كل جنس منها فيقع الذكرك فى يده والأنثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة (وأهلك) أى واجل أهلك ولدك وعيالك (الامن سبق عليه القول) يعنى بالهلاك وأراد به امرأته وأهلها وولده كنعان (ومن آمن) يعنى واجل معك من آمن من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا فى عدد من حمل نوح معه فى السفينة فقال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة اثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنانين له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نقرأ آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان فى السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرحهم قال الطبرى والصواب من القول فى ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بانقله ولم يحدد عدداً بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز فى ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوح جميع الدواب والطير ليحملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد ان يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابل يس بذنبه فلم تنقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينفض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك فكلما زلت على لسانه فلما اقلها نوح على سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عدو الله قال لم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال لا بد من أن تحملى معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى وقال الامام غفر الدين الرازى وأما الذى يروى ان ابل يس دخل السفينة فبعد لانه من الجن وهو جسم نارى أو هوأى فكيف يفر من الغرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انك سبب البلاء فلا جاكما فقالتا اجلنا فقصن ضمن لك أن لا نضر أحدا اذ كرك فنقرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم تضراء وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الاما يادو وبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم

(قلنا اجل فيها) فى السفينة (من كل زوجين اثنين) نفسه فى سورة المؤمنين (وأهلك الا من سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واجل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا لاله بانه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ما أراد (وما آمن معه الا قليل) نوح وأهله وبنوه الثلاثة عليه السلام كانوا اثمانية ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعمائة نصفهم رجال ونصفهم نساء

(وكلم امر عليه ملا من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعاد موضع من الماء فكانوا يتضاكون منه ويقولون له يانوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا) (٣٥١) منافانا تسخر منكم) عند رؤية

الهلك (كما تسخرون) منا عند رؤية الفلك روى ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثمانمائة ذراع او ألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وجعل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء (فسوف تعلمون من بآياته) من في محل نصب يتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزبه) ويعني به اياهم ويريد بالعداب عذاب الدنيا وهو الفرق (ويحل عليه) وينزل عليه عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يتبدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد

أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة قبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأقيم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يحوله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فصنه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثمانمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثمانمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للاناس والطبقة العليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام أن اغمر ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما أفسد القار في السفينة فجعل يقرضها و يقرض حبا لها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القطعة والقطا فاقبلوا على الفأر فاكلوه قوله سبحانه وتعالى (وكلم امر عليه ملا من قومه) أي جماعة من قومه (سخر وامنه) يعني استهزأ به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يانوح ماذا صنعت قال اصنع بيتا بمشي على الماء فضحكوا وامنه (قل) يعني نوحا قومه (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لئلا نرضىكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى ان ترى غيب سخر يتكتمنا اذ انزل بكم العذاب وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون) يعني فسيترون (من بآياته) يعني آياتنا نحن أو انتم (عذاب يخزبه) يعني يهينه ويخزل عليه عذاب مقيم) يعني في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الفرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له قوله عز وجل (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) يعني وغلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسم غير هذا فاندلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور أصله أعجمي فتكلمت به العرب فصارعوا بيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فارك السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار التنور أي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور المسيح بخروج النور من التنور وقال الحسن ومجاهد

وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال انه كلما امر عليه ملا من قومه سخر وامنه وجواب كما سخر واو قال استثناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخر وا بدل من مرأ وصفة ملا (اذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) هي كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من شجر لحوا فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض

ان شاء) أي ليس الايمان بالله - ذاب الى وانه هو الی من كفرتم به (وما أتم بهجزي بن) أي لم تقدر واعلى الحرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام . وضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القلوب والاشهاد والبرهان (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أي يضلكم وهذا شرط يدخل على شرط فيكون الثاني مقسداً في الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين اما (٣٥٠) في ارادة المعاصي (هـ) فيصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون)

ان شاء) يعني قال نوح لقومه حين استمجدوا بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما أتم بهجزي بن) يعني وما أتم بقايتين ان أراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم) يعني ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم (ان كان الله يريد أن يغويكم) يعني يضلكم وقيل بهلككم وهما معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدي الى الهلاك (هـ) يعني انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدر ان يخرجكم من سلطانته (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجازيكم بكم بكم (أم يقولون افتراه) أي اختلقه وجاء به من عند نفسه واضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به (قل ان افتريته) أي اختلقته (فعل اجرامى) أي اثم اجرامى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى اثم ا كتسب الذنب وافتعله (وأنا برىء مما يجرمون) يعني من الكفر والتكذيب وأ كثر المفسرين على أن هذا من محاوره نوح قومه فهم من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ﷺ ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الا من قدامن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحاً حتى يسقط فيلقونه في لبدو يلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله ويرى ان شيخاً منهم جاء متكئاً على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبا بكر أمكنى من العاصف أخذها من أبيه وضرب بها نوحاً عليه السلام حتى شجبه شجرة منكورة فأوحى الله اليه لن يؤمن من قومك الا من قدامن (فلا تبتئس) يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلككم (بما كانوا يفعلون) يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعانا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً وحكى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمر اللبني انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحاً في خنقه فنه حتى يغشى عليه فاذا فاق قال رب اغفر اقوامي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجليل بعد الجليل فلا يأتى قرن الا كان أتمس من الذي قبله ولقد كان يأتى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا نحن ونافلاً يقبلون منه شيئاً فشكلوا نوحاً الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ايلان ونهار الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه (واصنع الفلك) يعني السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن عباس مرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعني بأمرنا (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغفون) يعني بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك كعبان وامرأتك واهله فانهم ما هلكوا مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحاً فقال له ان ربك يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجاراً فقال ان ربك يقول اصنع فانك بأعيننا فأخذ القودم وجعل ينجر ولا يخطئ فصنعها مثل جوج الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (واصنع الفلك) يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قال

فيجازيكم على اعمالكم (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه (قل ان افتريته فملى اجرامى) أي ان صحت افتريته فعلى عقوبة اجرامى أي افترائى يقال أجرم الرجل اذا أذنب (وأنا برىء) أي ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى (مما يجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعتراضكم ومعاداةكم (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن) اقنط من ايمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن لا يمان حكم التجدد كانه قال ان الذى آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت في الايمان باقرآن (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بئس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وابتدائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واصنع الفلك بأعيننا) هو في موضع الحال أى صنعها بحفظنا وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن الله معه اهل اعياننا نكوه من أن يزيع في صناعته عن الصواب (ووحينا) وأما وحي اليك والهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جوج الطير (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تذكروني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشما عتلك (انهم مغفون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (واصنع الفلك) حكاية حال ماضية

اهل اعياننا نكوه من أن يزيع في صناعته عن الصواب (ووحينا) وأما وحي اليك والهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جوج الطير (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تذكروني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشما عتلك (انهم مغفون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (واصنع الفلك) حكاية حال ماضية

(أَنْزَلَكُمْ وَهَا) أَي الرِّجَّة (وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) لَا تَرْضَوْنَهَا وَالْوَادُ خَلَّتْ هُنَا نَتْمَةُ اللَّيْمِ وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو اسْكَنْ الْمِيمَ وَوَجْهَهُ أَنَّ الْحَرَكَتَ لَمْ تَكُنْ
الْأَخْلَصَةَ خَفِيفَةً فَظَنَّا الرَّائِي سَكُونًا وَهُوَ لَحْنٌ لِأَنَّ الْحَرَكَتَ الْإِعْرَابِيَّةَ لَا يَسُوغُ طَرَحُهَا إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ (وَيَقُومُ لِأَسْئَلِكُمْ عَلَيْهِ) عَلَى
تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ لِأَنَّهُ مَدْلُولُ قَوْلِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ (مَالًا) أَجْرًا يَنْقُلُ عَلَيْكُمْ أَنْ أُدِينُمْ (٣٤٩) أَوْ عَلَى أَنْ أُيْتِمَ (إِنْ أَجْرِي) مَدَنِي وَشَامِي

وَأَبُو عَمْرٍو وَحَفْصُ
(الْإِعْلَى) اللَّهُ وَمَا نَابِطُ رِدْ
الَّذِينَ آمَنُوا) جَوَابُ
لَهُمْ حِينَ سَأَلُوا طَرْدَهُمْ
لِيُؤْمِنُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ
الْمَجَالِسَ مَعَهُمْ (أَنْتُمْ مَلَاقُوا
رَبَّهُمْ) فَيَشْكُونَنِي إِلَيْهِ
أَنْ طَرَدْتَهُمْ (وَلَكِنِّي
أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ)
تَسْأَلُهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَيَدْعُوهُمْ أَرَأَيْتُمْ أَرَأَيْتُمْ
يَجْهَلُونَ لِقَاءَ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ
خَيْرٌ مِنْكُمْ (وَيَقُومُ مِنْ
يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ) مِنْ
بَعْنِي مِنْ اتِّقَامِهِ (أَنْ
طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)
تَتَعَذَّبُونَ (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ) فَادْعِي
فَضْلًا عَلَيْكُمْ بِالْفَنَى حَتَّى
تَجِدُوا فَضْلِي بِقَوْلِكُمْ
وَمَا تَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ
(وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) حَتَّى أَطْلُعَ
عَلَى مَا فِي نَفْسِ اتِّبَاعِي
وَضَائِرِ قُلُوبِهِمْ وَهَوَ
مَعْطُوفٌ عَلَى عِنْدِي
خَزَائِنُ أَيُّ لَا أَقُولُ عِنْدِي
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ)
حَتَّى تَقُولُوا مَا أَتَى الْإِلَهِ
بَشَرًا مِثْلَنَا (وَلَا أَقُولُ
لِلَّذِينَ يَزْدَرِي أَعْيُنَكُمْ)

يَعْنِي خَفِيتُ وَأَلْبَسْتُ عَلَيْكُمْ (أَنْزَلَكُمْ مَوْهَا) الْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الرِّجَّةِ وَالْمَعْنَى أَنْزَلَكُمْ بِهَا الْقَوْمَ قَبُولَ الرِّجَّةِ
يَعْنِي أَنَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تَزْلِمَكُمْ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا (وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ أَيْ
لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَالَّذِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَسِّرَ لِي أَنْ أَضْطَرَّكُمْ إِلَى ذَلِكَ قَالَ قَتَادَةُ وَاللَّهُ
لَوْ اسْتَطَاعَ نَبِيُّ اللَّهِ أَنْ يُلْزِمَهُمْ قَوْمَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ (وَيَقُومُ لِأَسْأَلِكُمْ عَلَيْهِ مَالًا) يَعْنِي لِأَسْأَلِكُمْ وَلَا أَطْلُبُ
مِنْكُمْ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ جَعَلَا (إِنْ أَجْرِي) الْإِعْلَى اللَّهُ وَمَا نَابِطُ رِدْ (وَالَّذِينَ آمَنُوا) ذَلِكَ أَنْتُمْ-مُ طَلِبُوا مِنْ نُوْحٍ
أَنْ يَطْرُدَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ الْارْذَلُونَ فِي زَعْمِهِمْ فَقَالَ مَا يَجُوزُ لِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَبْتَغُونَ (أَنْتُمْ مَلَاقُوا رَبَّهُمْ) فَلَا
أَطْرُدُهُمْ (وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ) يَعْنِي عِظَمَةُ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتُهُ وَرَبُّوهُ يَتَّقُونَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْكُمْ تَجْهَلُونَ
أَنْ هُوَ لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا مِنْكُمْ (وَيَقُومُ مِنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ) أَنْ تَطْرُدْتَهُمْ يَعْنِي مَنْ يَنْعَنِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ
طَرَدْتَهُمْ عَنِّي لِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مَخْلُصُونَ (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يَعْنِي تَتَعَذَّبُونَ (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ)
هَذَا عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا وَالْمَعْنَى لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ يَعْنِي الَّتِي
لَا يَفْنِيهَا شَيْءٌ فَادْعُوَكُمْ إِلَى اتِّبَاعِي عَلَيْهَا لِأَعْظِيَكُمْ مِنْهَا وَقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ الْخَزَائِنُ هُنَا بَعْنِي غِيُوبُ اللَّهِ وَمَا هُوَ
مَنْطُوعٌ عَنِ الْخَلْقِ وَنَحْمُوجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا جَوَابًا مِنْ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ قَالُوا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا
الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لِنَبَادِي الرَأْيِ وَادَّعَوْا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَاءُ تَبَعُوهُ فِي ظَاهِرٍ مَا يَرَى مِنْهُمْ وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُتَّبَعِينَ
لَهُ فَقَالَ بِحَبِيبَاتِهِمْ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ مِنْهَا مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ عِبَادُهُ وَمَا يَظْهَرُ وَنَبَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا
قِيلَ لِلْغِيُوبِ خَزَائِنُ لَغَمُوضِهَا عَنِ النَّاسِ وَاسْتَتَارَ هَاغَتِهِمْ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لِجُحْصِ الْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِهِ وَلَا
أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) يَعْنِي وَلَا ادَّعَى عِلْمَ مَا يَغِيبُ عَنِّي مِمَّا يَسْرُودُهُ فِي نَفْسِهِمْ
فَسَبِيلِي قَبُولُ إِيْمَانِهِمْ فِي الظَّاهِرِ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي ضَائِرِهِمْ إِلَّا اللَّهُ (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) وَهَذَا جَوَابُ لِقَوْلِهِمْ
مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا أَيُّ لَا ادَّعَى إِنِّي مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
إِلَيْكُمْ **فصل** استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء قال لأن نوحا عليه السلام قال
ولا أقول إني ملك لأن الإنسان إذا قال أنا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن إلا إذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل
من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب أن
نوحا عليه السلام إنما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك إلا بشرا مثلبا كان في ظنهم أن الرسل لا
يكونون من البشر إنما يكونون من الملائكة فاعلمهم أن هذا ظن باطل وأن الرسل إلى البشر إنما يكونون
من البشر فلماذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول إني ملك ولم يرد أن درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء
والله أعلم **فصل** وقوله سبحانه وتعالى (ولا أقول للذين يزدري أعينكم) يعني نخشع وتستغصروا عينيكم يعني
المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أَرَادُوا لِنَا مِنْ الرَّذَالَةِ وَهِيَ الْخِصَّةُ (إِنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا) يَعْنِي تَوْفِيقًا وَهَدَايَةً وَإِيْمَانًا
وَأَجْرًا (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) يَعْنِي مِنَ الْخَبَرِ وَالشَّرِّ (إِنِّي أَذِلُّ الْظَّالِمِينَ) يَعْنِي أَنْ طَرَدْتَهُمْ مَكْدَبًا ظَاهِرًا
وَمِجْلًا لِيَأْمَنَهُمْ يَعْنِي إِنِّي أَنْفَعْتُ هَذَا فَا كَوْنُ قَدْ ظَلَمْتَهُمْ وَأَنَا لَا أَفْعَلُهُ فَمَا أَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ (قَالُوا
يَا نُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا) يَعْنِي خَاصَمْتَنَا (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) يَعْنِي خَاصَمْتَنَا (فَأَتَيْنَا بِكَ نَعْدَانَا) يَعْنِي
مِنَ الْعَذَابِ (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) يَعْنِي فِي دَعْوَاكَ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ الْيَسَّى (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ

وَلَا أَحْكَمُ عَلَى مَنْ اسْتَرَدَّاهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْلِهِمْ (لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِهَوَانِهِ عَلَيْهِ مَسَاعِدَةُ لَكُمْ وَزَوْلَا عَلَى هَوَاكُمْ (اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) مِنْ صَدَقِ الْإِعْتِقَادِ وَأَعْلَى قَبُولِ الظَّاهِرِ أَقْرَاهُمْ إِذَا لَمْ يَطْلُعْ عَلَى خَفَى أَسْرَارِهِمْ (إِنِّي أَذِلُّ الْظَّالِمِينَ) أَنْ قُلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ
وَالْإِزْدِرَاءُ اقْتِعَالُ مَنْ ذَرَى عَلَيْهِ إِذَا عَابَهُ وَأَصْلُهُ تَزَرَّى فَابْدَلْتُ اللَّتَاءَ دَالَا (قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا) خَاصَمْتَنَا (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) فَاتَيْنَا بِكَ
نَعْدَانَا) مِنَ الْعَذَابِ (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فِي وَعْدِكَ (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ

(هل يستويان) يعني الفر يقين (مثلاً) تشبهاً وهو نصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتنفعون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه
 أني لكم نذير مبين) أي باني والمعنى أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله أني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان
 والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحزة على إرادة القول (أن لا تعبدوا إلا الله) أن مفسرته متعلقة بأرسلنا أو بنذير
 (أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم باليم من الاستناد المجازي لوقوع الالم فيه (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف
 لا هم يملئون القلوب هيبة (۳۴۸) والمجالس أبهة أولانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك إلا بشراً مثلاً)

ضرب لهم مثلاً فقال تبارك وتعالى مثل الفر يقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو
 الذي لا يهتدى لرشد والاصم وهو الذي لا يسمع شيئاً البتة والبصير وهو الذي يبصر الأشياء على ماهيتها
 والسميع وهو الذي يسمع الأصوات ويحيط بالداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل
 في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه (هل يستويان مثلاً) قال الفراء
 لم يقل هل يستويان لأن الأعمى والاصم في حين كانهما واحداً وعما من وصف الكافر والبصير والسميع في حين
 كانهما واحداً وعما من وصف المؤمن (أفلا تذكرون) يعني فتعظون قوله عز وجل (ولقد أرسلنا
 نوحاً إلى قومه أني لكم نذير مبين) يعني أن نوحاً عليه السلام قال اقومه حين أرسله الله إليهم أني لكم أيها
 القوم نذير مبين يعني بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى
 (أن لا تعبدوا إلا الله أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) يعني ولم موجه قال ابن عباس بعث نوح بعد
 أربعين سنة ولبت بدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفاً وخمسين
 سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومبث
 بدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وأربعمائة
 وخمسين سنة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح (ما نراك إلا
 بشراً مثلاً) يعني آدمياً مثلاً لا فضل لك علينا لأن التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمنع اشتباهه إلى
 حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وإنما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلاً منهم
 لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدعوة إلى الله تعالى بأقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المحجة
 الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك إلا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله إلى
 عباده ثم قال سبحانه وتعالى إلى أخبارا عن قوم نوح (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) يعني
 سفلةنا والراذل الدون من كل شيء قبلهم الخاكة والاسا كفته وأصحاب الصنائع الخسيسة وإنما قالوا ذلك
 جهلاً منهم أيضاً لأن الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل
 للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم إذا حسنت سيرتهم في الدين (بأدى الرأي) يعني
 أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير تثبت وتفكر في أمرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأي يعني
 اتبعوك ظاهرهم من غير أن يتفكروا باطناً (وما نرى لكم علينا من فضل) يعني بالمال والشرف والجاه وهذا
 القول أيضاً جهل منهم لأن الفضيلة المعتبرة عند الله بالإيمان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نظنكم
 كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ
 الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعني نوحاً (يا قوم أرايتم إن كنتم على بينة من ربي) يعني على بيان
 ويقين من ربي بالذي أنذرتكم به (وأتاني رحمة من عنده) يعني هداية ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم)

أراد أنه كان ينبغي أن
 يكون ملكاً أو ملكاً
 (وما نراك اتبعك إلا الذين
 هم أراذلنا) أخساء واجمع
 الأراذل (بأدى) وبالهمزة
 أبو عمرو (الرأي)
 وبغير همز أبو عمرو رأى
 اتبعوك ظاهر الرأي أو
 أول الرأي من بدا يبدو
 إذا ظهراً وبدأ يبدأ إذا
 فعل الشيء أولاً وانتصابه
 على الظرف أصله وقت
 حدوث ظاهر رأيهم أو
 أول رأيهم خذف ذلك
 وأقيم المضاف إليه مقامه
 أرادوا أن اتبعهم لك شيء
 عن لهم بديهة من غير روية
 ونظروا ولو تفكروا ما اتبعوك
 وإنما استدلوا المؤمنين
 لفقرهم وتأخرهم في
 الأسباب الدنيوية لأنهم
 كانوا جهالاً ما كانوا
 يعلمون الاظهار من
 الحياة الدنيا فكان
 الاشراف عندهم من له جاه
 ومال كانوا أكثر التمسك
 بالاسلام يعتقدون ذلك
 وينون عليه أكرامهم

واهانهم واتخذزل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (وما نرى لكم
 علينا من فضل) في مل ورأي عنوا نوحاً وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أي نوحاً في الدعوة ومتبعيه في الإجابة والتصديق يعني نواظهم على
 الدعوة والإجابة تسيباً للرياسة (قال يا قوم أرايتم) أخبروني (إن كنتم على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي
 (وأتاني رحمة من عنده) يعني النبوة (فعميت عليكم) أي خفيت فعميت حجة وعلى وحفص أي أخفيت أي فعميت عليكم البينة فلم تهلكم
 كالمعمى على القوم دليلهم في المغازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهتدى غيره

(لذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاوجاج وهي مستقيمة أو يبغونها أهلاها أن
يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لنا كيد كفرهم بالآخر (٣٤٧) واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا)

أى بما كانوا (مجهزين في
الارض) بمجهزين الله في
الدنيا أن يعاقبهم لو أراد
عقابهم (وما كان لهم من
دون الله من أولياء) من
يتولاهم فينصرهم منه
وينعمهم من عقابه ولكنه
أراد انظارهم وتأخير
عقابهم الى هذا اليوم وهو
من كلام الاشهاد (بضعف
لهم العذاب) لانهم أضلوا
الناس عن دين الله يضعف
مكي وشامى (ما كانوا
يستطيعون السمع) أى
استماع الحق وما كانوا
يبصرون الحق (أولئك
الذين خسروا أنفسهم) حيث
اشترى عبادة الآلهة بعبادة
الله (وضل عنهم) وبطل
عنهم وضاع ما اشتروه وهو
(ما كانوا يفترون) من
الآلهة وشفاعتها (لاجرم
أنهم في الآخرة هم
الآخسرون) بالصد
والصدود وفي لاجرم أقوال
أحدها أن لاردل كلام
سابق أى ليس الامر كما
زعموا ومعنى جرم كسب
وفاعله مضمر وانهم في
الآخرة في عمل النصب
والتقدير كسب قولهم
خسرانهم في الآخرة
وانها أن لاجرم كتمان

وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فية ولسترته اعليك في الدنيا وأنا أغفر هالك اليوم ثم يعطى كتاب
حسابه وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسنة وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادى
بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألألغة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى
(الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألألغة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين
يصدون عن سبيل الله يعنى من الناس من الدخول في دين الله الذى هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا)
يعنى ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم
كافرون) يعنى وهم مع صدهم عن سبيل الله يمحذون البعث بعد الموت ويشكرونه (أولئك) يعنى من هذه
صفتهم (لم يكونوا مجهزين في الارض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هار بين وقيل فأتين في الارض
والمعنى أنهم لا يجهزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدر على
الامتناع منه اذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعنى وما كان هؤلاء المشركين من أنصار
ينصرونهم من دون الله اذا أرادهم سواء أو عذابا (بضعف لهم العذاب) يعنى في الآخرة يزداد عذابهم بسبب
صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)
قال قتادة صموا عن سماع الحق فالسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فأيأخذون به وقال ابن
عباس أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ألك بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة ما في الدنيا فانه قال
ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة
أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم
حظوظهم رحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله
وادعائهم أن الملائكة والاصنام تشفع لهم (لاجرم) يعنى حقا وقال الفراء لا محالة (أنهم في الآخرة هم
الآخسرون) لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله
عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) لماذا كره الله عز وجل أحوال الكفار في
الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذلك كراهة المؤمنين في الدنيا وربهم في الآخرة والاخبارات في اللغة
هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب وافظ الاخبار يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا
فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أخبت له فمعناه خضع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى
جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى
ان هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة لا يحصل أعمال القلب وهى الخشوع والخضوع فاذا فسرنا
الاخبارات بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالأعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب
والجزاء على تلك الأعمال أو يكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبارات بالخشوع
والخضوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهى الخشوع والخضوع
(أولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من أهل
الجنة التى لا انقطاع لتعيمها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير
والسميع) لماذا ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق
ومن الصمم عن سماعه وذلك كراهة المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد لاطاعة

ركتبنا قصار معنائهم احقا وان في موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسرانهم وذلك أن معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا
الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادة بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المظلمة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع

وسلم وجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال علي بن أبي طالب ما من رجل من قریش الا وقد نزلت فيه الآية والآية فقال له رجل وأنت أي آية نزلت فيك فقال علي ما نقرأ الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن أبي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تنسب اليه هذا الشاهد وهو على لانصالة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلوا القرآن في التصديق بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (ومن قبله) يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعني التوراة (امام اورجة) يعني انه كان اماما لهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رجة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة ﴿وقوله تعالى﴾ (أولئك يؤمنون به) يعني أن الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (من الأحزاب) يعني من جميع الكفار وأصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبداء الاوثان وغيرهم والأحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء (فالتار موعده) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغت حديث عن رسول الله ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغت حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسجد في أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أثبت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالتار موعده قال فالأحزاب أهل الملل كلها ﴿ثم قال سبحانه وتعالى﴾ (فلاتك في مرة منه إنه الحق من ربك) فيه قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراء والقول الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالتار موعده يعني فلاتك في شك من ان النار موعده من كفر من الأحزاب والخطاب في قوله فلاتك في مرة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (واكن أ كثر الناس لا يؤمنون) يعني لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعده الكفار النار قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني أي الناس أشد تعديا من اختلاق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولد أو في الآية داليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وروى في معرض المبالغة (أولئك) يعني المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعني يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا (ويقول الاشهاد) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة اكمل من كذب على الله (ألا لعنة الله على الظالمين) يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز الماضي قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرر به بذنوبه تعرف ذنب كذا

(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان بضامن قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (امام) كتابا مؤتمناه في الدين قدوة فيه (ورجة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أي من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الأحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالتار موعده) مصيره ومورده (فلاتك في مرة) شك (منه) من القرآن أو من الموعده (انه الحق من ربك) واكن أ كثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم يحسبون في الموقف وتعرض أعمالهم (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبیین بانهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا (ألا لعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كصحاب وصاحب أو شهيد كشره وأشراف

على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله وأولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل إن حل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لأن قوله سبحانه وتعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار لا يليق بحال المؤمن إذا قلنا إن تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله استحقاقها فالوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً لم يغير الله أو أراد به غير الله فليقبوا مقعده من النار أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً ما يتبعه بوجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعودوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعود منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو أن يظهر الإنسان الأعمال الصالحة ليحمده الناس عليها وليعتقدها فيه الإصلاح أو ليقصد به بالعبادة فهذا العمل هو الذي لغير الله تعودوا بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وأرادته الآخرة غالبية فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروى نافع أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة ثواب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيطمع بحسناته في الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خير أخرجه البغوي بغير سند وقوله سبحانه وتعالى (أفمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أي كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار وإنما خذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينه الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينه اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين أنه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنت التالي قال وما معنى بالتالي قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت أني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول إن اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لأن اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لأن أعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولأنه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه

كان عملهم في نفسه باطلا
لأنه لم يعمل لغرض صحيح
والعمل الباطل لا ثواب له
(أفمن كان على بينة من ربه)
أمن كان يريد الحياة الدنيا
مكن كان على بينة من ربه
أي لا يعقبونهم في الميزلة
ولا يقار بونهم يعني إن بين
الفر يقين تبايننا وأراد
هم من آمن من اليهود كعبد
الله بن سلام وغيره كان على
بينته من ربه أي على
برهان من الله وبيان أن
دين الإسلام حق وهو
دليل العقل (ويتلوه)
ويتبع ذلك البرهان
(شاهد) يشهد بصحته
وهو القرآن (منه) من
الله وأمن القرآن فقد مر
ذكره آنفاً

(وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو) أي أنزل (٣٤٤) ملتبس بما لا يعلمه الا الله من انظم معجز الخاق واخبار بقيوب لاسبيل لهم اليه واعلموا

هند ذلك أن لا اله الا الله وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا اجد ثوبهم أولان الخطاب للشركين والضمر في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعالمهم بالجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أي باذنه أو بامرء (فهل أتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فغناه فاقبوا على العلم الذي أتم عليه وازدادوا يقينا على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أتم مسلمون محضون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينة الدنيا ونوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبغسون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخش في الدنيا وهو ما يرفون فيها من الصحة

وتعالى فانوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بان يا نوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فانوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز فأت قد قال بعضهم ان سورة هود نزات قبل سورة يونس وانه تحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبردها القول وقال ان سورة يونس نزات أولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فانوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فانوا بعشر سور مثله يعني في مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بان يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوك على ذلك (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فانوا بعشر سور مثله مفتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمل أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لهجزم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى انبياه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيادعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) يعني فاقبوا على العلم الذي أتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوك فاعلموا انما أنزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (وأن لا اله الا هو) يعني الذي أنزل القرآن هو الله الذي لا اله الا هو ولا من تدعون من دونه (فهل أتم مسلمون) فيه معنى الامر أي أسلموا وأخلصوا الله العبادة وان حملنا معنى الآية على أنه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أتم مسلمون التريع أي دووا على ما أتم عليه من الاسلام قوله عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينة الدنيا) يعني بعمله الذي يعمل من أعمال البر نزات في كل من عمل عملا يتغنى به غير الله عز وجل (نوف اليهم أعمالهم فيها) يعني أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المسكاره في الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبغسون) يعني أنهم لا ينقصون من أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا لحافى غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجاء أو يعطى سائلا أو يرحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في العيشة والرزق ويقرب عينه فيما خوله و يدفع عنه المسكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل

والرزق وهم الكفار والمنافقون (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة على ما صنعوه أو صديعهم أي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يربدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي

ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدر اولانه أشكل بترك (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لنفقته والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه مالا نزيده ولا تقترحه (انما أنت نذير) أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تهاونوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدور منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فاتوا بعشر سور) تحداهم أو لا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى عمالة

اليك ربك ان تبلغه الى من أمرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبأه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهتهم ظاهر فأمر الله عز وجل فاعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمد ولا سهو ولا غلط وانما صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكن منه شياً وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانداز ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول أحد الان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد بقوله تعالى فاعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئاً آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئاً مما يوحى اليه اشفاقاً من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة البلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يأمرها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثاني ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزل اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون به فامر الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وأن لا يلتفت الى استهزائهم وأن تحمل هذا الضرر أهون من كنتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الحقيقة لان الانسان اذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك مشقتان على ضرر عظيم ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئاً من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم ورددهم الى قبول قوله بقوله فاعلك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بان تتلوه عليهم (أن يقولوا) يعني مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) يعني يستغنى به وينفقه (أو جاء معه ملك) يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية الخزرجي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقاً في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وأنت عزيز عنده مع أنك فقير فهل أنزل عليك ما نستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ما كاشه ذلك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (انما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالشواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك (والله على كل شيء وكيل) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعني بل يقول كفار مكة اختلقه يعني ما أوحى اليه من القرآن (قل) أي قل لهم يا محمد (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرعى لهم العنان وقاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى شيء وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلي من أهل الفصاحة وقرسان البلاغة وأصحاب اللسان فاتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتمكم به مختلق من عند أنفسكم فانكم تقدررون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه

كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرعى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي فاتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فاتم عرب فصحاء مثلي

(إيبلوكم) أي خلق السموات والأرض وما بينهما الممتحن فهم ولم يخلق هذه الأنبياء لأنفسها (أيكم حسن عملا) أكثر شكرًا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وسرع في طاعة الله فن شكر وأطاع وأتابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما شبه ذلك اختبار المختبر قال إيبلوكم أي يفعل بكم ما يفعله المبتلى لآحو لكم كيف تعملون (وإن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت يقولون الذين كفروا إن هذا إلا ساحر مبين) أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فادأجعله وسحر افقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغـ به ساحر حزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (وإن أخرنا عنهم العذاب) عذاب لآخرة أو عذاب يوم بدر (إلى أمة) إلى جماعة من الأوقات (معدودة) معلومة أو قلائل (٣٤٢) والمعنى إلى حين معلوم (يقولون ما يحبس) ما يمنعهم من النزول استعجالا له على وجه

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب لله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض خمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمر الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء خمسين ألف سنة قوله فرغ بدأ تمام خلق المقادير لأنه كان مشغولا ففرغ منه لأن الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فأنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله سبحانه وتعالى (إيبلوكم) يعني ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملا) يعني بطاعة الله وأورع عن محارم الله (وإن قلت) يعني وإن قلت يا محمد طولا لكفار من قومك (أنكم مبعوثون من بعد الموت) يعني للحساب والجزاء (يقولون الذين كفروا إن هذا إلا ساحر مبين) يعنون القرآن (وإن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) يعني إلى أجل محدود وأصل الأمة في اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال سبحانه وتعالى إلى اقراض أمة ومحبي أمة أخرى (يقولون ما يحبس) يعني أي شيء يحبس العذاب وأنما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشيء قال الله عز وجل (الأيوم يأتيهم) يعني العذاب (ليس مصر وفا عنهم) أي لا يصرف عنهم شيء (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) يعني ونزل بهم وبالاستهزاء ثم قوله سبحانه وتعالى (وإن أذقنا الإنسان منارحة) يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه) يعني سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فأجتاحتها وذهبت به (أنه ليؤس كفور) يعني يظلم فأنطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور أي محمود لنعمته تعالى ولا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تتجدها فإن نزعنا عنك فينبغي لك أن تصبر ولا تياس من رحمة الله فإنه العواد على عباده بالخبر وهو قوله سبحانه وتعالى (وإن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعني وإن نحن أنعمنا على الإنسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعني الذي أصابه الخير والسعة (ذهب السيآت عني) يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وأنما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة عليه لأنه لم يصف الأشياء كلها إلى الله وأنما أضافها إلى العوائد فلها ذمه الله تعالى فقال (أنه لفرح خفور) أي أنه أثمر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمستهي والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا الاستثناء منقطع عنه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فأنهم ليسوا كذلك فأنهم إن نالهم شدة صبروا وإن نالهم نعمة شكروا عليها (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى

التكذيب والاستهزاء (الأيوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصر وفا عنهم) ويوم منصوب بمصرفا أي ليس العذاب بمصرفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤون) العذاب الذي كانوا به يستهزؤون وأنما وضع يستهزؤون موضع يستعجلون لأن الاستعجال كان على وجه الاستهزاء (وإن أذقنا الإنسان) هو للجنس (منارحة) نعمة من صحة وأمن وحدة واللام في الثن لتوطئة القسم ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (أنه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوقة فاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سأل من الثقل في

نعمة الله نساءه (وإن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله (ليقولن ذهب السيآت عني) أي المصائب التي ساءتني (أنه لفرح) أشرب بطر (خفور) على الناس بما أذقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (إلا الذين صبروا) في المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا في النعمة والرخاء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة كانوا يفتخرون عليه آيات نعمته إلا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في إرشادهم ومن افتراحتهم لولا أنزل عليه كثر أوجاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن وينهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم باليقبلونه ويضعكون منه فهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزأهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) أي أملاك ترك أن

المستقر الجنة والنار والمستودع القبر (كل في كتاب مبين) أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها
 ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعني قبل خلق
 السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوته خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء بر نعد ثم خلق الريح
 فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمره ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم
 خلق السموات والارض وخلق القلم فسكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم
 ان ذلك الكتاب سجد الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه وقال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش
 قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش
 كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم
 قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها
 ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال
 بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن
 له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا
 يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي
 بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشري يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا امرتين فتغير وجهه ثم دخل
 عليه ناس من أهل اليمن فقالوا اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا
 جئنا لنتفق في الدين ولندلك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله
 وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك
 ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطامها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم عن أبي رزين
 العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عشاء ما فوقه هواء وما تحته هواء
 وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحمد بن محمد بن زيد بالعماء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في
 كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا
 غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذر كل شيء وقوله
 في عشاء وجدته في كتاب عماء مقيد بالمدفان كان في الاصل ممدودا فعنه سحاب رقيق وير يد بقله في عشاء
 أي فوق سحاب مدبر اله والياء عليه كما قال سبحانه وتعالى أأنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال
 تعالى لاصلبكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله
 وما تحته هواء أي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فغناه
 لاشئ ثابت لانه معامى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ
 غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أي ليس فوق العمى الذي هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان
 ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض أهل
 العلم معناه أين كان عرش ربنا خذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية وبدل على ذلك قوله سبحانه
 وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الأثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل
 الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا خذف وبدل على
 هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم في العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه
 الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والافلاندرى
 كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمر بن العاص قال

(كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذي خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة أيام) من الاحد الى الجمعة تعليلا للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض فيدل بدأه بخلق ياقوته خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحاً فارتفع الماء على متنها ثم وضع عرشه على الماء وقوف العرش على الماء أعظم اعتبارا لاهل الافكار

سجن في الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدل وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له في الآخرة وأما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانه اذا تكبر لرفع الدرجات ونكفر السيئات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عبثة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي يعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره ونوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعانه في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشرة واحدة و بقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت أحاده عشره و قيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل اطاعته (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عما جنتهم به من الهدى (فاني أخاف عليكم) أي فقل لهم يا محمد اني أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعني عذاب النار في الآخرة (الى الله مرجعكم) يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته (وهو على كل شيء قدير) يعني من اصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (الأنهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلوا الكلام حلوا المظهر وكان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت (الأنهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحاء والعداوة من نيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا امر برسول الله صلى الله عليه وسلم نثي صدره وظهره وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويخني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثبتت عناني (ليستخفوا منه) يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا (الذين يستغشون ثيابهم) يعني يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون أنه عليهم بذاب الصدور) ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أضرر واعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفي علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عياش بن جعفر الخنزومي أنه سمع ابن عباس يقرأ (الأنهم يثنون صدورهم) قال فسأله عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (وما من دابة في الارض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (الاعلى الله رزقها) يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءهم من رزق فن الله ور بما لم يرزقها فتموت جوعا (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه في ليل وأنهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

(الكتاب) أي هذا كتاب

فهو خبر مبتدأ محذوف

(أحكمت آياته) صفته

أي نظمت نظمًا رصينا

محكما لا يقع فيه نقض

ولا خلل كالبناء المحكم (ثم

فصلت) كما تفصل القلائد

بأفراد من دلائل التوحيد

والاحكام والمواعظ

والقصص أو جعلت فصولا

سورة سورة وآية آية

أوفرت في التنزيل ولم

تنزل جملة أو فصل فيها

ما يحتاج اليه العباد أي

بين وخلص وليس معنى

ثم التراخي في الوقت ولكن

في الحال (من لدن حكيم

خبير) صفة أخرى لكتاب

أو خبر بعد خبر أو صلة

لاحكمت وفصلت أي من

عنده احكامه ونقص يلها

(ألا تعبدوا الا الله) مفعول

له أي لئلا تعبدوا أو أن

مفسرة لان في تفصيل

الآيات معنى القول كانه

قيل قال لا تعبدوا الا الله

أو أمركم أن لا تعبدوا الا

الله (انني لكم منه نذير

وبشير) أي من الله (وأن

استغفروا ربكم) أي أمركم

بالتوحيد والاستغفار

(ثم توبوا اليه) أي

استغفروه من الشرك ثم

ارجعوا اليه بالطاعة (بمتعم

متعا حسنا) يطول نفعكم

في الدنيا بمنافع حسنة

وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شئت قال شيتني هود والواقعة والرسالات
وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت
يارسول الله عجل اليك الشيب قال شيتني هود وأخواتها الخاقعة والواقعة وعم يتساءلون وهن أباك حديث
الغاشية قال بعض العلماء سبب شبهه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر
القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (الكتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كانسخت هي الكتب والشرائع
(ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه
بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها
بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل
معناه نظمت آياته نظمًا رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم
فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة
وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن الغيبيات وقال مجاهد
فصلت بمعنى فسرت وسمي في قوله ثم فصلت ليست هي التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة
أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه
آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فغني الاحكام العام هنا انه لا يتطرق
الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد
بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه أيضا لم ينسخها
غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى السلك على
البعض لان الحكم للغالب واجراء السلك على البعض مستعمل في كلامهم ثم تقول أكلت طعام زيد وانما
أكلت بعضه وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله
(خير) يعني بأحوال عبادته وما يصلحهم (ألا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم
فصلت ثلاثا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى
الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام (انني لكم منه) أي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله
(نذير) ينذركم عقابه ان يثبتكم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن
بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اختلصوا في بيان الفرق
بين هذين المرتبتين فقبل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب
الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم
الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم اسألف ذنبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء
ثم هنا معنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد قد كررهما للتأكيد (بمتعم متعا حسنا) يعني انكم اذا
فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق
ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالمسور والصبر على المفذور (الى أجل
مسمى) يعني بمتعم متعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقانه حتى لا يجد ما يفقه على نفسه وعياله
فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى بمتعم متعا حسنا الى أجل مسمى قلت وأما قوله صلى الله
عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في

مرضية من عيشة واسعة وبعده متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم

دون الله (مالي ينفعك) ان دعوته (ولا يضرك) ان خذاته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله (مالي ينفعك ولا يضرك) فكيف عنه بالفعل
 ايجارا (فانك اذامن الظالمين) ذا جازا (مالي ينفعك) وجد اب اسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم
 أعظم من الشرك (وان عسى ان الله يصببك) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الله (وان يردك بخير) عافية (فلا
 راد لفسله) فلا راد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد الاعليه
 (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافي بالاعطاء اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها

(٣٣٨)

لا تنفع ولا تضر ان الله هو
 الضار النافع الذي ان
 أصابك بضر لم يقدر على
 كشفه الا هو وحده دون
 كل أحد فكيف بالجماد
 الذي لا شعور به وكذا
 ان أرادك بخير لم يرد أحد
 ما يريدك من الفضل
 والاحسان فكيف
 بالاوثان وهو الخلق اذا
 بان توجه اليه العبادة دونها
 وهو أبلغ من قوله ان
 أرادني الله بضر هل هن
 كاشفات ضره أو أرادني
 برحمة هل هن ممسكات
 رحمته وانما ذكر المس في
 أحدهما والارادة في الآخر
 كانه أراد أن يذكر
 الامرين الارادة والاصابة
 في كل واحد من الضر
 والخير وانه لا راد لما يريد
 منهما ولا مزيد لما يصيب
 به منهما فافوز الكلام بان
 ذكر المس وهو الاصابة في
 أحدهما والارادة في الآخر
 ليدل به ذكر على ما ذكر
 على انه قد ذكر الاصابة
 بالخير في قوله يصيب به من

دون الله (مالي ينفعك) يعني ان عبده ودعوته (ولا يضرك) يعني ان تركت عبادته (فان فعلت) يعني
 ما نهيتك عنه فعمدت غيري أو طلبت النفع ودفع الضر من غيري (فانك اذامن الظالمين) يعني لنفسك
 لانك وضعت لعبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به
 غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع أيها الانسان من دون الله
 مالي ينفعك الآية قوله تعالى (وان عسى ان الله يصببك الله بشدة وبلاء) (فلا كاشف له)
 يعني لذلك الضر الذي أنزل به (الاهو) يعني لا غيره (وان يردك بخير) يعني بسعة ورخاء (فلا راد لفضله)
 يعني فلا دافع لرزقه (يصيب به) يعني بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه
 وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تنفع ولا تضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع
 الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكآت مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة
 ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجح
 جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على
 انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد
 لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده
 وعنده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس
 قد جاءكم الحق من ربكم) يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله
 عز وجل (فن اهتدي فانما يهتدي لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فاما يضل عليها) أي على
 نفسه لان وبالرأى اليه فن حكم الله بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالاضلال ضل ولم ينتفع بشئ
 أبدا (وما أنا عليكم بوكيل) يعني وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية
 منسوخة بآية السيف (وانبع ما يوحى اليك) يعني الامر الذي بوحيه الله اليك يا محمد (واصبر) يعني على
 أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعني ينصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير
 الحاكمين) يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصرتيه واطهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل
 الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة هو عليه الصلاة والسلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قول الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها
 مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طر في النهار وعن قتادة نحوه وقالمة بل هي مكية الا
 قوله سبحانه وتعالى فأعلك نارك بعض ما يوحى اليك وقوله وألئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان
 الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة

يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) لقرآن والرسول (من ربكم فن اهتدي) يا رالهدى وستون
 وانبع الحق (فانما يهتدي لنفسه) فانتفع باختياره لنفسه (ومن ضل فاما يضل عليها) ومن أثر الضلال سافر الانفسه ودل اللام وعلى على
 معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ وكول الى أمركم انما أنا بشير ونذير (وانبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدائهم
 (حتى يحكم الله) لك بالنصرت عليهم والامامة (وهو خير الحاكمين) لانه اطاع على السر وأبلاغ الى بينة وشهود سورة هو عليه السلام
 مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزرع والثمار (وماتغنى الآيات) مانافية (والنذر) والرسال المنذرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون) (٣٣٧) الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم)

يعني وقائع الله فيهم كما قال أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسالتنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسالتنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) أي مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أي وحق ذلك علينا حقا ينجي بالتخفيف على وحقق (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أي الاصنام (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يمتكم وصفه بالتوفيق ليربهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبدون ما لا يقدر على شيء (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أي بأن أكون يعني ان الله امرني بذلك ببارك في من العقل وبما أوحى

(وماتغنى الآيات والنذر) يعني الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا في حق أقوام علم الله أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعني مشركي مكة (الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب أياما والنعيم أياما كما قوله تعالى وذكرهم بأيام الله والمعنى فهل ينتظرون هؤلاء المشركون من قومه يا محمد الابو ما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب (قل فانتظروا) يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (اني معكم من المنتظرين) يعني هلاكم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أوحى الله رسوله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم ننجي رسالتنا والذين آمنوا) يعني من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) يعني كما أنجينا رسالتنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيكم يا محمد والذين آمنوا معكم وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خلقه شيئا قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد هؤلاء الذين أرسلتكم اليهم فشكوا في أمرك ولم يؤمنوا بك (ان كنتم في شك من ديني) يعني الذي أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم أن تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما أتمتم عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعني هذه الاوثان وانما يجب تقديم هذا النبي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاختصاص الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضمر ان تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) والحكمة في وصف الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذه الصفة أن المراد ان الذي يستحق العبادة فاعبده أنا وانتم هو الذي خلقكم أولا ولم تكونوا شيئا ثم يمتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فكني بذلك الوفاة تنبيه على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعني وأمرت أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذل الإيمان لانه من أعمال القلوب (وان أقم وجهك للدين حنيفا) الواو في قوله وان أقم واو عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهي يعني أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وفي معناه أقم عمالك على الدين الحنيف وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفي غير ما تلى عنه (ولا تكونن من المشركين) يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة به غيره فهلك وقيل النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زائد وهو أن من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له أن يلتفت الى غيره بالكلام هذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالترك الحفي (ولاندع من

(٤٣ - (خازن) - ثاني) في كتابه (وان أقم وجهك للدين) أي وأوحى الى أن أقم ليشا كل قوله أمرت أي استقم وقبل بوجهك على ما أمرك الله أو استقم اليه ولا تتبع ما ولا تلتزم الا حنيفا) حالا من الدين أو الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من

لا يختلفون فيه أخبر عن
كمال قدرته ونفوذ مشيئته
انه لو شاء لآمن من في
الارض كلهم ولكنه شاء
ان يؤمن به من علم منه
اختيار الايمان به وشاء
الكفر ممن علم انه يختار
الكفر ولا يؤمن به وقول
المعترلة المراد بالمشيئة
مشيئة القسر والاجاء
أى لو خلق فيهم الايمان
جبر الاموال لكن قد شاء
ان يؤمنوا اختيارا فلم
يؤمنوا دايلا (أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين) أى ليس اليك
مشيئة الاكراه والجبر في
الايمان انما ذلك الى فاسد
لان الايمان فعل العبد
وفعله ما يحصل بقدرته ولا
يتحقق ذلك بدون
الاختيار وناو به عندنا
ان الله تعالى اطلقوا عظامهم
لآمنوا كلهم عن اختيار
ولكن علم منهم أنهم
لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك
وهو التوفيق والاستعانة
أفأنت بمعنى النفي أى لا تلك
أنت يا محمد أن تكرههم
على الايمان لانه يكون
بالتصديق والافرار ولا
يمكن الاكراه على التصديق
(وما كان لنفس أن
تؤمنن الا باذن الله)
بمشيئته أو بقضائه أو

وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدوة ولد بهامن الناس والدواب فغن البعض الى البعض فغن
الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعاب الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا
بما جاء به يونس وناو الى الله وأخلصوا النية فرحمهم بهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من
العذاب بعدما أنزلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من تو بهم ان ترادوا
المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقاعه فيرده وروى الطبري
بسند عن أبي الجلد خيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد
نزل بنا العذاب فاسترى قال قولا يا حي حين لا حي ويا حي محي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوا هو فكشف الله
عنهم العذاب وتمعوا الى حين وقال الفصيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت
أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا
فقل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدوني كذبا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف
عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وسد ثاقي القصة في سورة والصفات ان شاء الله تعالى فان فات كيف كشف
العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل تو بهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل تو به
قات أجاب العلماء عن هذا باجوبة أحد هان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد
الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم
العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالر يرض بخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز
وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل تو بهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا أخاص فلم يقبل منه
ايمانه والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) يقول الله عز وجل انبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ ان
يصدقك ويؤمن بك الا من سبق له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يحير من ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبق له من
الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا نسلي للنبي صلى الله
عليه وسلم لانه كان حر يصاعلي ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبق له العناية الازلية فلا تتعب
نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعني ليس ايمانهم
اليك حتى تكرههم عليه أو تحيرص عليه انما ايمان المؤمنين واضلال الكافر بمشيتنا وقضائنا وقد رنا ليس ذلك
لاحد سوانا (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) يعني وما كان ينبغي لنفس خالقها الله تعالى أن تؤمن
وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادي المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر
الله وقال عطاء بمشيئة الله قوله تعالى (ويجعل الرجس) يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط (على الذين لا يعقلون) يعني
بالياء ومعنادو يجعل الله (الرجس) يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط (على الذين لا يعقلون) يعني
لا يفهمون عن الله أمره ونهيه قوله عز وجل (قل انظروا) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك
الآيات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظرا اعتبارا وتفكروا تدبر (ما ذاق السموات والارض) يعني ما ذاق خلق
الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وهما دليلان
على النهار والليل والنجوم سمخرها طاعة وغاربه وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار
والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر
وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

(فتكون من الخاسرين) أي ثابت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المزية عنك والتكذيب بآيات الله وهو على طريق التهميش والاطلاب كقوله فلا تكونن ظهير للكافرين ولا يصدك عن آيات الله بعد إذا أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خطوب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي وإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً والخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عزا أخوك فنهى أو أن للنفى أي فما كنت في شك فسل أي ولا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة أحياء الموتى فإن قلت إنما يجيئ أن للنفى إذا كان بعده الاكفولة أن الكافرون الأفي غرور قلت ذاك غير لازم ألا ترى إلى قوله (٣٣٥) أن أمسكهم ما من أحد من بعده

فان للنفى وليس بعده إلا (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً وقوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولولجاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب الأليم) أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم وأعد القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهذا كانت قرية آمنت (فهللا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكتنا هاتيات عن الكفر وأخلصت الأيمان قبل المعايينة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بحتفه) (فنفعها إيمانها) بأن تقبل الله إيمانها بما بووعه في وقت الاختيار الاقوم يونس استثناء منقطع أي ولكن قوم

(فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم أن هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من عندهم شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا أن المراد به غيره والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمت ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت هؤلاء للنار ولا إلى وقال قتادة سخط ربك وقيل لعن ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل (لا يؤمنون ولولجاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الأليم) فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصر فهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (فلولا) يعني فهذا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معاينة العذاب (فنفعها إيمانها) يعني في حال اليأس (الاقوم يونس) هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) يعني إلى وقت انقضاء آجالهم واختالفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عياناً أم لا فقال بعضهم رأوا دلائل العذاب فآمنوا وقال الأكثر منهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع وإذا قرب وقوعه ﴿ذكر القصة في ذلك﴾

على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبيرة وهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا قرية ينوي من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فارسل الله سبحانه وتعالى إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له أخبرهم أن العذاب مصعبهم إلى ثلاث فآخبرهم بذلك فقالوا اننا لم نجرب عليه كذباً قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصعبكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا انفساهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبيرة غشي قوم يونس العذاب كما يغشي الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غماً أسودها ثلاثاً بدخن دخاناً شديداً فهبط حتى غشي مديةتهم واسودت أسطححتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطأبو أنبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فنفذ الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بانفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وابسوا المسوخ

يونس أو متصل والجملة في معنى النبي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الاقوم يونس واتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) إلى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث إلى ينوي من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوخ كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا إلى الصعيد بانفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فغن بعضهم إلى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرجهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقاع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا المنازل بهم العذاب إلى شيخ من نقيع عاماتهم فقال لهم قولوا يا حي يا قيوم لا اله الا أنت فقالوا هاهنا كشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منا واجلنا عمل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله

الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وأنت نبى يعرفونك بصفته عندهم وقد توجه
ههنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوته حتى يسأل أهل
الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكاً في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال
والاعتراض ما فله القاضى عياض في كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن
يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما
أوحى اليه فانه من البشر فقل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جلة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبيرة والحسن البصرى وحكى عن قتادة أنه قال بلغنا أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا ثم كلام القاضى عياض رحمه الله ثم اختلفوا
في معنى الآية ومن الخطاب بهذا الخطاب على قولين أحدهما أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر
والمراد به غيره فهو كقوله أين أشركت ليحبطن عمالك ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك فثبت
أن المراد به غيره ومن أمثلة العرب * أياك أعنى واسمى بإجاره * فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد
يأيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا إليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين
يقرؤون الكتاب يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يأيها الناس
ان كنتم في شك من دنى الآية فبين أن المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على
سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً في نبوته لكان غيره أولى بالشك في نبوته وهذا
يوجب سقوط الشريعة بالكافة بما ذل الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشك قط فيكون المراد بهذا التمهيج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لا أشك برب ولا
أسأل أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى
الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يأيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه
حسن لكان فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل في هذا الخطاب كان الاعتراض
موجودا والسؤال وارد وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا
إليك حتى تسأل فلا تسأل وابن سأل لا زدت يقينا والقول الثانى أن هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله
عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة مصدقون وبه مؤمنون
وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا
الخطاب فقال تمجدوه الى فان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحده الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع
لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل
أراد الجمع واختلفوا في المسؤول عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون
من أهل التفسيرهم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هم المؤمنون باخبارهم
وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الإخبار بصحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال
الضحاك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك
الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين
من الخبر بانك رسول الله حقاً وأن أهل الكتاب يعامون صحة ذلك (فلا تكونن من الممترين) يعنى من
اشاكين في صحة ما أنزلنا إليك (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة

(لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك
بالآيات الواضحة والبراهين
اللاشك أن ما أتاك هو الحق
الذى لا مجال فيه للشك
(فلا تكونن من الممترين)
الشاكين ولا وقف عليه
للعطف (ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات
الله

(لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شأنهم ان يغرق وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فإلقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل ان خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال وانه ما كان عاينه من عظم الملك (٣٣٣) آل أمره الى ما ترون لعصيان ربه

فما الظن بغيره (وان كثير من الناس عن آياتنا اغافلون واتقوا بني اسرائيل مبوءاً صدق) منزلاً صالحاً مرضياً وهو مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) في دينهم (حتى جاءهم العلم) أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلف بني اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلفوا في صفته انه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم انه هو (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يميز الحق من المبطل ويجزي كالأجزاء (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد ان يؤكد

الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالتقى فرعون على الساحل أحر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل ففر فوه في ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً ومعنى قوله بيدك يعني تليقك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كأنه قيل له تنجيحك ولكن هذه النجاة إنما تحصل ليدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع وكان فرعون درع من ذهب مرصع بالجوهر يعرف به فلما رأى أنه في درعه ذلك عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت أبداً فإظهاره لله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت انزول الشهادة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخساسة والدلة لما في على الارض لا يها به أحد (وان كثير من الناس عن آياتنا اغافلون) قوله عز وجل (واقعدوا نأبى اسرائيل مبوءاً صدق) يعني أسكنهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجه من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلاً محموداً صالحاً وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئاً اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملاً صالحاً لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولاً أحدهما انه مصرف فيكون المراد ان الله أوتى بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوباً عندهم فإدعى الله محمد أصلي الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بنفيا وحسداً فإلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقاً فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علم لانه سبب العلم ونسبة السبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سبباً لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وادعاه ويفتخرون بذلك على المشركين فإدعى الله كذبوه بنفيا وحسداً واشار البقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون ﴿وقوله تعالى (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك ونجى نبوتك النار﴾ قوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال التقيضين عند الانسان لوجود ما رتبين أو لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً فالأقيل فلان شك في هذا الأمر فعنا توقف فيه حتى يتبين فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن (فاستل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل

علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وببالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فراضا وتقديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلتها أو بما حثه العلماء فاستل علماء أهل الكتاب فاتهم من الاطاعة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمرآة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

ورده للإيمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فأنما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كته كليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل أنما يفعله ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الإيمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يمنعه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفعله الا بأمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه نهالاً لأنه أنما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبره أنه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الامانة مكافئين كته كليفنا وقوله وان كان الته كليفنا انما عن فرعون في ذلك الوقت حينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة بخوابه أن يقال ان للناس في تميل الى أفعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تعمل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصله وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا أو امره ونواهيها لها غاية محدودة محبوبة لاجلها أمرها ونهيها عنها وعلى هذا التقدير قد قيل بما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان إيمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقق معانيته للموت فلا تكون تلك الكلمة مافعله وأنه وان كان قاطم في وقت لا ينفعه فرس الذين في فيه تحقيق هذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للارحة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للإيمان فان موسى عليه السلام لما دعا به بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فاما قال فرعون تلك الكلمة عند معانيته لفرق السهولة ليجل جبريل قدس الطين في فيه ليس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد أجبت دعوتكم كما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه فعله فيكون سعي جبريل في مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذاً لما أمر به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لومعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر بخوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل أنما يتصرف بأمر الله ولا يفعله الا بأمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فأنما رضى بالامر لا بالامور به فأى كفر يكون هذا وأيضا فان الرضا بالكفر أنما يكون كفراً في حقنا لا مأموراً وبنازلته بحسب الامكان فاذا أقرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفراً في حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به واما من ايس مأموراً كما مرنا ولا مكلفاً كته كليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضياً بالكفر ولا يكون كفراً في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في فرعون كان ساخطاً بالكفر غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد خبيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بحلال الله أن يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان بخوابه ان الله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل أنما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله بخوابه أنما فعل ذلك بأمر الله منفذاً لامر الله والله اعلم بما رده وأسراره كتابه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (فاليوم نجيبك بدينك) أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع قال أهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنوا اسرائيل مامات فرعون وأنما قالوا ذلك لعظمتهم عندهم وما حصل في قلوبهم من

(فاليوم نجيبك) نلقيك
بنجوة من الارض فرماه
الماء الى الساحل كانه نور
(بيدك) في موضع
الحال أى في الحال التي
لاروح فيك وانما أنت
بدن أو بيدك كاملا سويا
لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو
عريانا است الابدنا من
غير لباس أو بدرعك
وكانت له درع من ذهب
يعرف بها قرأ أبو حنيفة
رضي الله عنه بأبدانك
وهو مثل قولهم هو باحرامه
أى بيدك كله وأفيا باجزائه
أو بدرعك لانه ظاهر
بينها

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا اله الا الله فيرجه الله وخشية أن يرجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

﴿فصل في الكلام على هذا الحديث﴾ لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وإيضاح فتقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس في الطريق الاول عن ابن زيد بن جده عن وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخنا نبيلاً صديقاً وقال كنهه كان سبيء الحظ وظو يغاط وقد احتلم الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذ لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فاما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلاً وان رواه ثقات ليس فيهم مترهم وان كان فيهم من هو سبيء الحظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو حزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر رأى من طين البحر كما في الرواية الاخرى

﴿فصل﴾ ووجه اشكاله ما عترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل يأخذ يلافه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة امان يقال التكليف هل كان ثابتاً أم لا فان كان ثابتاً لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت حينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لكان قدر ضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضاً كيف يليق بحلال الله ان يأمر جبريل ان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وماتتزل الابامر بك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتاً لم يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان وبدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فان خبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولاً فوس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والتم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف أيضاً ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة لا عبادة على كفره السابق فيحسن منه أن يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق

(فاستقيا) فأنبتا على ما أنما عليه من الدعوة والتبليغ (ولانتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولانتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق
الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولانتبعان بتخفيف النون وكسرها الالتقاء الساكنين نشيها بنون التثنية
شامى وخطأ بعضهم لان النون (٣٣٠) الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أو هو حال

رتقديره فاستقيا غير
متبعين (وجاوزنا بنى
اسرائيل البحر) هو دليل
لنأى الى خلق الافعال
(فأنبتهم فرعون وجنوده)
فلحقهم يقال تبعته حتى
أنبتته (بغيا) تطاولا
(وعدوا) ظلموا واتصبا
على الحال أو على المفعول
له (حتى اذا أدركه الفرق)
ولا وقف عليه لان (قال
آمنت) جواب اذا (انه)
حزة وعلى على الاستئناف
بدل من آمنت وبالفتح
غيرهما على حذف الباء التى
هى صلة الايمان (لأله الا
الذى آمنت به بنو اسرائيل
وأنامن المسلمين) وفيه
دليل على ان الايمان
والاسلام واحد حيث قال
آمنت ثم قال وأنامن المسلمين
كرر فرعون المعنى الواحد
ثلاث مرات فى ثلاث
عبارات حرصا على القبول
ثم لم يقبل مبه حيث أخطأ
وقته وكانت المرة الواحدة
تكفى فى حالة الاختيار
(الآن) أنؤمن بالساعة فى
وقت الاضطراب حين أدركك
الفرق وأيست من نفسك
قيل قال ذلك حين ألجأ

تعالى قد أجبت دعوتكما (فاستقيا) يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا الامر الى أن يأتيهم العذاب
(ولانتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف
فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلا تستعجل لقليل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون
سنة قال الامام نضر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما أن قوله
اننى أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه ^١ قوله عز وجل (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر)
أى وقطعنا بنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فأنبتهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم
وأدركهم (بغيا وعدوا) أى ظلموا وعدوا وانا وقيل البنى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا فى
القول وعدوا فى الفعل قال أهل اللغة سبوا راجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع
موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج بنى اسرائيل
من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجافيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما
سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بمجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين الخلد والخرج البحر
أماننا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فاوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب
بعصاك البحر فصر به فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأبىس لهم البحر
فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر
الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما
خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان رجع الاثنى لم يملك فرعون من أمره
شيأ فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج انطمم البحر عليهم فلما
أدرك فرعون الفرق أتى بكامة الاخلاص ظنأمنه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه
الفرق قال) يعنى فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنامن المسلمون) قال ابن عباس لم
يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء إيمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة
عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين وبدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه
قال هذه الكامة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى
والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين
لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلما قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك
لحصول الشك فى إيمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابها بما بحضور الموت ومعاينة
الملائكة قيل له (آلا آن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعنى آلا آن تتوب وقد أضعت التوبة فى
وقتها وأثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمحاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل
الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبض صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض
وبدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فالיום نتجيك بيدك والقول الاول أشهر ويعضده ما روى عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت
به بنو اسرائيل قال جبريل بالمحمر فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة

الفرق والعمل فيه أنؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان روى ان جبريل
عليه السلام أنه بفتية ما قول الاميرى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر بجمعه ومجده وادعى السيادة دونه فكاتب فيه يقول أبو
العباس الوائدين مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما ألجأ الفرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه

العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالشارة تعظيما لها
والمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاذينة) هو ما يترتب به من اباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا)
أى تقداؤه وما وضعية (فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس (٣٢٩) عن طاعتك كفى ولا وقف على

الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار الاول للالحاح فى التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله اذ اعلم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملى لهم ليزدادوا انما فتكون الآية حجة على المعتزلة (ربنا طمس على أموالهم) أى اهلكها وأذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيأ آتاهم منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (واشدد على قلوبهم) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذى هو اشدد (حتى يردوا العذاب الاليم) الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان بأس فلم يقبل وانما دعائهم بهذا لما أيس من ايمانهم وعلم بالوحى انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع لهم ان يدعو بهذا

ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر المؤمنين) يعنى بانه لا يصل اليهم مكرود ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاذينة وأموالا فى الحياة الدنيا) لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ فى الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أو لا سبب اقدامه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ فى الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت فرعون وملاذينة وأموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يترتب به كاللباس والدواب والعلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجليلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا فى هذه اللام فقال الفراء هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هى لما يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملاذينة فى الحياة الدنيا فاضلوا فعلى هذا هى لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا طمس على أموالهم) الطمس ازالة اثر الشئ بالمحو ومعنى طمس على أموالهم أزل صورها وهياكلها وقال مجاهد اهلكها وقال أكثر المفسرين امسحها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا أن أموالهم وحرثهم وزرعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظى صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تحبز فصارت حجر او هذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعاه على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحوا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز بدعنا بخرطة فيها شئ من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهى حجارة وقال السدى مسخ الله أموالهم حجارة النخل والتخار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التى أوتىها موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعنى اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلبس ولا تنشرح للإيمان ومعنى الشد على القلوب الاسيئاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعنى الفرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه قال موسى قبل أن يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فخل بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه العرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعائهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم فى الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل موسى وهرون (قد أجيب دعوتكما) انما سبب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه غالب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شر يك موسى فى الدعاء فلذلك قال

(٤٢) - (خازن) - (ثانى)

الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا (قال فدا جيت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن ففنت ان التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاء كما استجاب وما طلبها كائن واسكن فى وقته

له أو إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشرف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمتنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله (أن يقتلهم) يريد أن يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال في الأرض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المشرفين) في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (٣٢٨) وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته (فعليه توكأوا) فاليه

أسندوا أمركم في العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط في التوكل الاسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوا هاله سائلة خالصة لاحظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط (فقالوا على الله توكأوا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لاجرم أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاههم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعلية برفض التخليط الى الاخلاص (ربنا لا تجعل افتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبون أو يفتنوننا عن ديننا أي يضلوننا والفتن المضل عن الحق (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أي من توبيخهم وتسخيرهم (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذ مباءة كقوله توطنه اذا اتخذ وطناً والمعنى اجعل بمصر بيوتا من بيوت مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه لاجدة والصلوة فيه (واجعلوا

أشرفهم وهم ملا الذرية لانه كان أبائهم من القبط وأمهاتهم من بني اسرائيل وقيل أراد بالملاملا فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفعيض (أن يقتلهم) أي يعذبهم ويصددهم عن الايمان وانما قال أن يقتلهم ولم يقل أن يقتلهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامرهم (وان فرعون لعال في الأرض) يعني انه لغالب فيها متكبر فيها (وانه لمن المشرفين) يعني من المجاوزين الحد لانه كان عبداً فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل (وقال موسى) يعني اقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعلية توكأوا) يعني فيه فتقوا ولا مره فسلموا فانه ناصر وأليانه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) يعني ان كنتم مستسلمين لامرهم قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي والاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامرهم من كمال الايمان وإن كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره (فقالوا) يعني قال قوم موسى مجيبين له (على الله توكأنا) يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعل افتنة للقوم الظالمين) يعني لا تظهرهم علينا ولا لاهلنا بكذا نوبهم فيظنوا اننا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً وكفراً وقال مجاهد لا تعذبنا بعد ذنبنا عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا وبظنوا أنهم خير منا فيفتنوننا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنوننا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) يعني وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل (وأوحينا الى موسى وأخيه) هرون (أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) يعني اتخذ القومكما بمصر بيوتا للصلوة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتاً اذا اتخذ مباءة أي وطناً والمعنى اجعل بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلوة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف أهل التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصل فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضاً قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع القراعة فاذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضاً وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصالون اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا فمعنى هذا الخطاب فقل تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة في السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون بان يتبوأ لقومهم ما يبولن للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخص بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة ثم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (وأقيموا الصلاة) يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجاهلية أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم مخفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلم أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمره أن يتخذوا مساجد في بيوتهم

بيوتكم قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول الامر مأمرين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الاسلام بمكة (وأقيموا الصلاة) في بيوتكم حتى تأمنوا (وبشاهدين) باموسى ثنى الخطاب أولاً ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع

(قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا السحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف أى هذا سحر ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى لا يظفر (قالوا أجنبنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عادة الاصنام أو عبادة فرعون (٣٢٧) (وتكون لكما الكبرياء)

أى الملك لان المملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فى الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) مصدقين فيما جئنا به ويكون جاد وبجي (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر علم) سحار حرة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ماموصولة واقعة مبتدأ و جئتم به صلتها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحر من آيات الله آ السحر بعد وقف أبو عمر وعلى الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شئ جئتم أهو السحر (ان الله سيبطله) يظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يشته بل يدمره (ويحق الله الحق) ويشته بكلماته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى أول أمره (الاذرية من قومه على خوف من

يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا السحر مبين) يعنى ان هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا حذف السحر الاول ا كفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى أنه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح الساحرون) يعنى حاصل السحر تمويه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح أبد (قالوا) يعنى قال قوم فرعون لموسى (أجنبنا لتلفتنا) يعنى لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنى من الدين (وتكون لكما الكبرياء) يعنى الملك والسلطان (فى الارض) يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سعى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما بمؤمنين) يعنى مصدقين (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر علم) يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر أن ما أتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعنى ما معهم من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (ان الله سيبطله) يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون) قوله سبحانه وتعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الا ذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية للنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الالهام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستقرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمر أعظم و مع ذلك لما آمن معه الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به الصغير وقلة العدد واختلفوا فى هاء الكناية فى قومه فقيل انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من أولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأ ابن القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى الا ذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شطته قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهااتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله فى الايمان وذلك كما يقال لا ولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الانباء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء (على خوف من فرعون وملئه) الملاء الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن

فرعون) الا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل الا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبناءهم مع الخوف والضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وما شطته والضمير فى (وملئه) يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال بيعة ومضرأولاد ذواصحاب يأثمرون

(وشركاءكم) الواو بمعنى مع أي فاجعوا أمركم مع شركائكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة) أي غمّا عليكم وهما الوالم والغمّة كالكرب والكربة أو ملتبسان في حفيّة وغمّة السرة من غمّ إذا ستره ومنه الحديث لا غمّة في فرائض الله أي لا تستروا لكن بجاهرها والمعنى ولا يكن قصدكم إلى هلاك مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً. انجاء وتنبه (ثم اقضوا إلى) ذلك الأمر الذي تريدون في أي أدوا إلى ما هو حق عندكم من هلاك كاي قضى الرجل غريمه أو اضمنوا ما أمكنكم (ولا تنتظروا) ولا تمهلوني (فان نوابيتم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصحي (فما سألتكم من أجر) فاجب (٣٢٦) البولي أو فاسألتكم من أجر ففاني ذلك تنوابيتم (ان أجرى الأعلى الله) وهو الثواب

الذي يشين به في الآخرة أي مانصحتكم الله لا لغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعلم القرآن والعلم لديني (وأمرت أن أكون من المسلمين) من المستسلمين لا وأمره ونواهيته أن أجرى بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فدأموا على تكذيبه (فنجيناه) من الفرق (ومن معه في الفلك وجعلناهم خلافت) يخلفون أهل الكين بالفرق في السفينة (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المذنبين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أذنبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسالاً قومهم) أي هود وأصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً (لخاؤهم بالبينات) بالجمع الواضحة

الاجماع الاعداد والعزّة على الأمر وقال ابن الأنباري المراد من الأمر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لاندعوا من أمركم شيئاً إلا أحضرتموه (وشركاءكم) يعني وادعوا شركاءكم يعني آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حتمهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقادهم أنهم جاد لا تضر ولا تنفع فهو كالتيسكيت والتوبيخ لهم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة) يعني لا يكن أمركم عليكم خفياً مبهماً ولكن ليكن أمركم ظاهراً مبكشفاً من قولهم غمّ لعل فهو مغموم وادخني والتبس على الناس (ثم اقضوا) ثم امضوا (إلى) في أنفسكم من مكره وما توعدونني به من قتل وطرود وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان ادامات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما أنتم قاضون (ولا تنتظروا) أي ولا تؤخروني ولا تمهلوني بعد اعلامكم أي ما أتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التهجير لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وأنه كان واثقاً بنصره أيا دغير خاف من كيدهم عاماً منه بأنهم وآلهم ليس لهم نفع ولا ضرر وان مكرهم لا يصل اليه (فان نوابيتم) يعني فان أعرضتم عن قولي وقبول نصحي (فما سألتكم من أجر) يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فالذي أخذ على تبليغ الدعوة إلى الله شيئاً كان أقوى تأثيراً في النفس (ان أجرى الأعلى الله) أي ما نوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الأعلى الله (وأمرت أن أكون من المسلمين) يعني اني أمرت بدين الاسلام وأما ما مضى فيه غير تارك له واءقباهتموه أي لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت أن أكون من المستسلمين لأمر الله واسكن مكرهه يصل إلى منكم لأجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعني وجعلنا الذين نجيناهم معاً في الفلك سكان الأرض بعد أهل الكين (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المذنبين) أي فانظر يا محمد أي أيها الإنسان كيف كان آخر أمر من أذنبهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعني من بعد نوح (رسالاً قومهم) لم يسم هنامن كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهم من الرسل (لخاؤهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمجربات الباهرات التي تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعني ان أولئك الاقوام والامم التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعني مثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحاً كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) يعني من بعد الرسل (موسى وهرون إلى فرعون ومثله) يعني أشرف قومهم (بآياتنا فاستكبروا) يعني عن الإيمان بما جاء به موسى وهرون (وكانوا قوماً مجرمين) يعني مستكسبين للآثم (فلما جاءهم الحق من عندنا)

المثبتة لدعواهم (فما كانوا يؤمنوا) فاصروا على الكفر بعد الحجة (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يعني يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فواقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الدلع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون إلى فرعون ومثله بآياتنا) بالآيات النسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يهاون العبيد برسالة ربهم بعد تنبيهها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوماً مجرمين) كفاراً ذوا آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله

لتبصر واقعهم طالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) سماع مذ كرمعتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد ونعجب من كمالهم الحقاء (هو الغني) علة لنفي الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف لينتقوى به أو فقير يستعين به أو ذليل ليتشرف به والكل أمانة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد

(٣٢٥)

بعض الولد فيستدعي أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يمكن يحتاج الى الغير فكان حادنا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له مافي السموات ومافي الارض) ملاك ولا يجتمع البنوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة هذا اقول والباء حقا أن تتعاقى بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزكاه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله مالا نعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب) (لا يفلحون) باضافة الولد اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم الكفر ومناسبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به (ثم الينامر جمعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) (المخلد) (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (واتل عليهم) (نبا نوح) وقرأ عليهم

لقد امتنينا بأمر غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطلى بنائم فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما غنى نفسه وان لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من السبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وداضياء قوله تعالى (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغني) يعني انه سبحانه وتعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غني عنها (له مافي السموات ومافي الارض) يعني انه مالك مافي السموات ومافي الارض وكلامهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتفريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم باغى في الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله مالا نعلمون) يعني أتقولون على الله قولا لا نعلمون حقيقة وصحة وتضيفون اليه مالا يجوز اضافته اليه جهلا منهم بما تقولون بغیر حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد هؤلاء الذين يخلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولدا (لا يفلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطوله بل به خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف نام يعني قوله لا يفلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضممار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم الينامر جمعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبا نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء وتسايق له ليخف عليه ما يليق من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لحوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا وجرورا ذكر الله قصتهم وانه أهلكهم بالفرق اي صير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبا نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبير) يعني ثقل (عليكم مقامى) يعني فيكم (وتذ كبرى بآيات الله) يعني ووعظي اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذ كبرى بآيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبياناته فعزمهم على قتلى وطردى (فعلى الله نوكلت) يعني فم وحسبى وتقتى (فأجعوا أمركم) يعني فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء

خبره مع قومه والوقف عليه لازم ادلو وصل اصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذا ذكر (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبير عليكم) عظم وثقل كقوله وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين (مقامى) مكانى يعني نفسه كقوله ولئن خاف مقام ربى خاف ربى أو قيسامى ومكنى بين أظهركم ألف سنة الا خمسين عاما ومقامى (وتذ كبرى بآيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسدودا (فعلى الله نوكلت) أي فوضت أمري اليه (فأجعوا أمركم) من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه

(لأن تبديل الكلمات الله) لا تغيّر لافواه ولا خلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز (العظيم) وكلما
الجلتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما نقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت (ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم
وتهديدهم وتشاورهم في تدبيره لا ك (٣٢٤) وابطال أمر (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لأخزني فقيل ان

العزة (لله) ان الغلبة
والقهر في ملكه لا يملك
أحد شيئاً من حالاهم ولا غيرهم
فهو يغلبهم وينصرهم عليهم
كتب الله لا غلبان أناورسلى
أنا لنهزم رسلاؤهم يتعزز
كل عزيز فهو بعزك ودينك
وأهلك والوقف لازم على
قولهم لثلاثين ان العزة
مقول الكفار (جميعاً هو
السميع) لما يقولون (العليم)
بما يدرون ويعزمون
عليه وهو مكافئهم بذلك
(ألا ان الله في السموات ومن
في الارض) يعني العقلاء
وهم الملائكة والثقلاء
وخصهم ليؤذن ان هؤلاء
اذا كانوا له وفي ملكته
ولا يصلح أحد منهم
للربوبية ولأن يكون
شريكاً له فيها فما وراءهم
مما لا يعقل أحق أن لا
يكون له ندا وشريكاً (وما
يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء) مانافية
أى وما يتبعون حقيقة
الشركاء وان كانوا
بسموئهم شركاء لان شركة
الله في الربوبية محال (ان
يتبعون الا ظن) الا ظنهم
أنهم شركاء الله (وان هم
الابحرون) يحزرون

عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون
وقال عطاء عن ابن عباس البشري في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج
نفس المؤمن يرجعها الى الله تعالى ويشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه
من جنته وكريم نوابه و يدل عليه قوله تعالى (لأن تبديل الكلمات الله) يعني لا خلف لوعده الذي وعده
أوليائه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسوله ولا تغيّر لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعني ما
وعدهم به في الآخرة (ولا يحزنك قولهم) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء
المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك (ان العزة لله جميعاً) يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعاً هو
المنفرد بها دون غيره وهو ناصرهم عليهم والمتكتم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعاً فيعز من
يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة
الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك أن العزة لله جميعاً وهو الذي يعز من
يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فاخبر الله سبحانه
وتعالى أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)
لا قوا لكم ودعائكم (العليم) بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (لان الله من في
السموات ومن في الارض) ألا كلمة تنبيه معناه أنه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل
فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان الله مافي
السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت ان لفظة ما تدل على مالا
يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فجميع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من في السموات
ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن
في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء أيضاً وانما خصهم بالذكر لشرهم
واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا
ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدونها المشركون أيضاً في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا
في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دون (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظة ما استهفامية
معناه وأى شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تنبيههم على انهم ليسوا على شيء لانهم
يعبدونها على أنها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون
الا ظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع لهم وأنها تقر بهم الى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة له (وان
هم الابحرون) يعني انهم لا يكذبون ﴿قوله عز وجل﴾ (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا وفيه والنهار
مبصراً) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل لراحة لتسكنوا وفيه والليل والسكون والنهار
فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصراً وجعل النهار مضياً لتهدوا وفيه لحوادثكم وأسباب
معاشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار ما يبصر ولكن لما كان مفهوماً من كلام
العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما بهمونه قال جرير

وبقدرون أن يكونوا شركاء تقديراً باطلاً واستهفامية أى وأى شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب يبدعون وعلى
الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فافتقر على أحد مما للدلالة والمخدوف مفعول يبدعون أو موصولة
معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاء هم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده
بقوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا وفيه) أى جعل لكم الليل مظلماً لتستر بحجوافيه من تعب التردد في النهار (والنهار مبصراً) مضياً

قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم إنما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنسكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودام الاشتغال بالله وإذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية المعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ﴿ وأما قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لاولياء الله ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عباد بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال مأسألى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال مأسألى عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي حديث حسن (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب رؤيا الكافر وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من النبوة لفظ البخاري واسلم اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تخزي من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول اننا اذا قلنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم أن معرفة الله في القلب لا تنفد الا الحق والصدق فاذا رآى الولي رؤيا ورؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث تأكيداً للرؤيا وتحقيق منزلها وانما كانت جزءاً من أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لانها جزء من النبوة وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهى جزء من ستة وأربعين جزءاً وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيث وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيث أبداً فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيث يكون هذا القدر جزءاً من النبوة لانه نبى واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقاً والله أعلم وقيل في تفسير الآية أن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روى عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين الووى قال العلماء معنى هذه البشرى المججلة له بالخبر وهي دلائل للبشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المججلة دليل على رضاء الله عنه ومحبة له ونحيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا جده الناس من غير تعرض منه لخدمهم والا فتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نوراً فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيصعبه الناس ويثنون عليه فذلك عاجل بشرى بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالباشرة من الله عند الموت ويدل

(الذين آمنوا) منصوب
باضمار أعنى أولانه صفة
لاولياء أو مرفوع على أنه
خبر مبتدأ محذوف أى
هم الذين آمنوا (وكانوا
يتقون) الشرك والمعاصي
(لهم البشرى في الحياة
الدنيا) ما بشر الله به
المؤمنين المتقين في غير
موضع من كتابه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم
هي الرؤيا الصالحة يراها
المسلم أو ترى له وعنه عليه
السلام ذهبت النبوة
وبقيت المبشرات والرؤيا
الصالحة جزء من ستة
وأربعين جزءاً من النبوة
وهذا الان مدة الوحي ثلاث
وعشرون سنة وكان في
ستة أشهر منها يؤمر في
النوم بالانذار وستة أشهر
من ثلاث وعشرين سنة
جزء من ستة وأربعين
جزأً أو هي محبة الناس له
والدكر الحسن أولهم
البشرى عند النزاع بان
يرى مكانه في الجنة (وفي
الآخرة) هي الجنة

لهذه الفائدة (ولأصغر من ذلك) يعني من الذرة (ولأكبر) يعني منها (الافى كتاب مبين) يعنى فى
اللوح المحفوظ ﴿قوله سبحانه وتعالى (الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)﴾ اعلم أننا نحتاج
أولافى تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فممن يستحق
هذا الاسم فقال ابن عباس فى هذه الآية هم الذين يذكرون الله وروى الطبري بسنده عن سعيد بن
جبير مرسل قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذا رزوا ذكر الله وقال ابن
زبد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الإيمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون فى الله ويدل
على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لا ناسا ما هم بابناء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم
تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعل نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة
أين المتحابون بجلالى اليوم أظلم فى ظل يوم لا ظل الا ظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى المتحابون بجلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون
والشهداء أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان الله عبيد السوا بابناء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقرهم ومقعدهم من الله
يوم القيامة قال وفى ناحية القوم اعرافى فشا على ركبته ورمى يديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم
قال فرأيت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل
شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتبذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا
ويجعل لهم منابر من لؤلؤ فقام الرحمن يفرع الناس ولا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون وروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أولياءى من عبادى الذين يذكرون بذكرى أو اذ كر
بذكرهم هكذا ذكره البغوي غير سند وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من عباد الله عباد يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعنا نجهم قال هم قوم
تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس ثم قرأ الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد
من دموم والغبطة محودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة
ونحوها والغبطة هى أن يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التى هى على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر
الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء
وهو القرب والنصرة فولى الله هو الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشغلا بالله مستغرق
القلب فى معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالشاء
على آية وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتقر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه
غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله واهيه وناصره ومعينه قال الله تعالى والذين
آمنوا وقال المتكلمون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال
الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو ان الإيمان
مبنى على جمع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يبقى العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى
لا خوف عليهم يعنى فى الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعنى على شئ فانهم من نعيم الدنيا ولذاتها

ولا أصغر من ذلك ولا
أكبر) رفعهما حزة على
الابتداء والخبر (الافى
كتاب مبين) يعنى اللوح
المحفوظ ونصبهما غيره على
نفي الجنس وقدمت الارض
على السماء هنا وفى سبأ
قدمت السموات لان
العطف بالواو وحكمه حكم
التثنية (الان أولياء الله)
هم الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة أو هم
الذين تولى الله هدايتهم
بالبرهان الذى آتاهم فتولوا
القيام بحقه والرجة خلقه
أو هم المتحابون فى الله
على غير أرحام بينهم ولا
أموال يتعاطونها أو هم
المؤمنون المنتقون بدليل الآية
الثانية (لا خوف عليهم)
اذا خاف الناس (ولا هم
يحزنون) اذا حزن الناس

الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وهم الارزاق تخرج من الارض ولكن لما نبتت أسسها بالاسماء نحو المطر الذي نبتت الارض
النبات والشمس التي هي النضيج وينبع الثمار اضيف انزالها الى السماء (قل آله أذن لكم) متعلق بآيتهم وقل تكذبون بالآلهة التي تدعون
أخبر وفي آله أذن لكم في التحليل والتحرير فاتهم فاعلمون ذلك باذنه (أم) (٣٢١) على الله تفترون) أم أتم تكذبون

على الله في نسبة ذلك اليه
أو الهمة للانكار وأم
منقطعة بمعنى بل أنفرون
على الله تقريراً للافتراء
والآية زاجرة عن التجوز فيما
يسئل من الاحكام وباعثة
على وجوب الاحتياط فيه
وأن لا يقول أحد في شيء
جائزاً أو غير جائز إلا بعد ايقان
واتقان والافهم ففتر على
الديان (وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب)
ينسبون ذلك اليه (يوم
القيامة) منصوب بالظن
وهو ظن واقع فيه أي أي
شيء ظن المفترين في ذلك
اليوم ما صنع بهم وهو يوم
الجزاء بالاحسان والاساءة
وهو وعيد عظيم حيث أبهم
أمره (إن الله ذو فضل
على الناس) حيث أنهم
عليهم بالعقل ورحمهم
بالوحي وتعاليم الحلال
والحرام (ولكن أكثرهم
لا يشكرون) هذه النعمة
ولا يتبعون ما هدوا اليه
(وما تكون في شأن)
منافية والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والشأن
الامر (وما تلو من)
التزليل كأنه قيل وما تلو
من التبريل (من قرآن)

والحامي قال الضحك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا الله مازراً من الحرث والانعام نصيباً (قل آله أذن لكم)
يعني قل لهم يا محمد آله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعني بل أتم كاذبون
على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعني اذا قوه
يوم القيامة أي محسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استهزاء بمعنى التوبيخ والتقرير
والوعيد العظيم ان يفترى على الله الكذب (ان الله ذو فضل على الناس) يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب
ليبين الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان
﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وما تكون في شأن وما تلو من قرآن) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده
والشأن الخطب والحال والامر الذي يفتق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع
الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أي ماحاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدراً اذا
كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد
في شأن يريدم أعمال البر وقال الحسن في شأن من شأن الدنيا وحوادثها ويجوز أن يكون المراد منه القصد
يعني قصد الشيء وما تلو من قرآن اختلاف في الضمير في منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة
القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى
وما تكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلومه نبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد
تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تلو من القرآن من قرآن
يعني من سورة وشيء منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله المعنى
وما تلو من الله من قرآن نازل عليك وأما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وأمة داخلون فيه ومرا دون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم
داخلين في ذلك الخطاب وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم
داخلون في الخطابين الاولين ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (الا كنه عليكم شهودا) يعني شاهدين لأعمالكم وذلك
لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا يحدث ولا خافي ولا موجد الا الله تعالى فكل
ما يدخل في الوجود من أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه (اذ
تفيضون فيه) يعني أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتغوصون في ذلك العمل والافاضة
الدخول في العمل على جهة الانتصاب اليه والانسياق فيه وقال ابن الأنباري معناه اذ تدفعون فيه وتنسبون
في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشر ون فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا انشروا
فيه (وما يعزب عن ربك) يعني وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه
وأصل العز وب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعني وزن ذرة والمثقال
الوزن والذرة النملة الصغيرة الجراء وهي خفيفة الوزن جداً (في الارض ولا في السماء) فان قلت لم تقدم ذكر
الارض على السماء هنا وقد ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء
أن يقدم على الارض كما في سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على أهل الارض
وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع

(٤١ - (خازن) - ثاني) لان كل جزء منه قرآن والاخبار قبل الذكر تفخيم له ومن الله عز وجل (ولا تعملون)
أنتم جميعاً (من عمل) أي عمل (الا كنه عليكم شهودا) شاهدين رفقاء نحصي عليكم (اذ تفيضون فيه) تغوصون من أفاض في الامر اذا
اندفع فيه (وما يعزب عن ربك) وما يبعد وما يغيب بكسر الهمزة على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (في الارض ولا في السماء)

كان (ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى وبميت) هو القادر على الاحياء والامانة لا يقدر عليهم ما غيره (واليه ترجعون) والى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه القوائد (٣٢٠)

من موعظة وتنبية على التوحيد والموعظة التي تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما في القرآن من الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذا الامر يقتضي حسن المأمور به فيكون مرغوباً وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي (وشفاء لما في الصدور) أي صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدي) من الضلالة (ورحة للمؤمنين) لمن آمن به منكم (قل) يا محمد بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتفسير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفهامين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعني الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوها بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام

الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطاعات وعقاب العاصي حق لاشك فيه) (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني حقيقة ذلك (هو يحيى وبميت) يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحياء والامانة لا يتعذر عليه شئ مما أراد (واليه ترجعون) يعني بعد الموت للجزاء ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما في الصدور) يعني ان القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المملوكة فالقرآن منزيل لهذه الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الانسان مكان القلب فيه (وهدي) يعني وهو هدى من الضلالة (ورحة للمؤمنين) يعني وأعمة على المؤمنين لانهم هم الذين اتفقوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء في بفضل الله متعلقة بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم والفضل هنا يعني الافضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وادانته اخير لكم ﴿ثم قال سبحانه وتعالى﴾ (فبذلك فليفرحوا) أشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا إشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدى الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر فاذا هلكت فعند ذلك فاجزى قال الفاء في قوله فاجزى زائدة وقال صاحب الكشف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتعظيم والتعجب والاحتياج اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفهامين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعني الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوها بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام

والحامي

في الحديث من هدا الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفاقة كتب الله الفقيرين

عينه الى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالنساء شامى فليفرحوا بعقوب (قل أرايتم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بانزل أو بارأيتم أي أخبروني (جعلتم منه حراما وحلالا) فمضموم وقلم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه

أرأيتم ان أتاكم عذابه) الذي تستعجلونه (بيانا) نصب على الظرف أى وقت يات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون (أنهارا) وأنتم مشغولون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أى من العذاب والمعنى ان العذاب مكرهه موجب للنفور فإى شئ تستعجلون منه وليس شئ منه بوجوب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أرادت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أثبتك ماذا (٣١٩) تضعنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو

(أثم اذا ما وقع) العذاب
(أمنتم به) جواب الشرط
وماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراض والمعنى ان أتاكم عذابه أمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أقام من أهل القرى (آلان) على ارادة القول أى قيل لهم اذ آمنوا بعد وقوع العذاب آلان أمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) أى بالعذاب تكذبا واستهزاء آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام والفاء حركتها على اللام نافع (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلان (ذوقوا عذاب الخلد) أى الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبئونك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام

لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أتاكم عذابه بيانا) يعنى ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان فى الليل لا يكون الا فى البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أنهارا) يعنى فى النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعنى ما الذى يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم فأجاہم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعنى أى شئ يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جئت على نفسك (أثم اذا ما وقع) يعنى اذا ما نزل العذاب ووقع (أمنتم به) يعنى أمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقرير (آلان) فيه اضمار تقديره يقال لهم آلان تؤمنون أى حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى تكذبوا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شرهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الاعمال (وقوله سبحانه وتعالى (ويستنبئونك أحق هو) يعنى ويستخبرونك يا محمد أحق ما عذابنا به من نزول العذاب وقيام الساعة (قل اى ورى) أى قل لهم يا محمد نعم ورى (انه الحق) يعنى ان الذى أعدكم به حق لاشك فيه (وما أنتم بمجزيين) يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) يعنى أشركت (ما فى الارض) يعنى من شئ (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجو به من العذاب الا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسرؤا الندامة) يعنى يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الامور المستقبلية لان أحوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلا لها كالماضى والاسرار يكون بمعنى الإخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا فى قوله وأسرؤا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا يعنى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتغييرهم لهم (لما رأوا العذاب) يعنى حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمنين والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد فى عذاب الظالم (ألان لله ما فى السموات والارض) يعنى ان كل شئ فى السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فلمس للكافر شئ يفترى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو اياها ملك لله فكيف يفترى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه (ألان وعد الله حق) يعنى ما وعد

على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل) يا محمد (اى ورى) نعم والله (انه الحق) ان العذاب كائن لا محالة (وما أنتم بمجزيين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة (ما فى الارض) فى الدنيا اليوم من خرائثها وأموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال وداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه (وأسرؤا الندامة لما رأوا العذاب) وأظهروا هامن قولهم أسر الشئ اذا ظهره وأخفوهما جاز عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله (ألان لله ما فى السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وانه المنيب المعاقب وما وعد من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله (ألان وعد الله) بالثواب أو بالعقاب (حق)

(قد خسر الدين كذبوا بقاء الله) على ارادة القول أي بعارفون بينهم فائين ذلك أو هي شهادة من الله على حسراتهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم ويعلمهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أفسدهم (واما نرينك بعض الذي نعدهم) (٣١٨) من العذاب (وتوفينك) قبل عذابهم (فاليانصر جمعهم) جواب توفينك

وجواب نرينك محذوف أي واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذلك أو توفينك قبل أن نرينك فنجن نرينك في الآخرة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) ذكرت الشهادة المراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الوار (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبئهم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه) (قضى بينهم) بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبين أو وكل أمة من الامم يوم القيامة رسول ينسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف يشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) لا يعذب أحد بغير ذنبه ولما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم أي من العذاب استعجلوا ما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد

يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا عارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هيبة وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا ل هول ما يعاينون في ذلك اليوم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) يعني أن من باع آخرته الباقية بدنياء الفانية قد خسر لانه أثر الفاني على الباقي (وما كانوا مهتدين) يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (واما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذلك (أو توفينك) قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فاليانصر جمعهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على أن الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلم وخزيهم في حال حياتهم في الدنيا وقد أراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيره ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم ونكذبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى (ولكل أمة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به) فاذا جاء رسولهم في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به اليهم فكذبوه قوم وصدقهم آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم قولان أحدهما أنه في الدنيا وذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجج وازالة العذر فاذا كذبوا رسولهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسولهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجي الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جى بالرسول لشهادتهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) يعني هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت واتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أي قل لهم يا محمد (لأملك لنفسي ضرا ولا تنفعا) يعني لأملك لنفسي دفع ضرا وأجل نفع ولا أقدر على ذلك (الامشاء الله) يعني أن أقدر عليه وأملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واطهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل أمة أجل) أي مدة مضروبة ووقت معين (اذا جاء أجالهم) يعني اذا انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذي أجل لهم ولا يستقدمونه (قل) أي قل يا محمد

العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لأملك لنفسي ضرا) هؤلاء من مرض أو فقر (ولا تنفعا) من صحوا وعنى (الامشاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجب العذاب (لكل أمة أجل اذا جاء أجالهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل)

ومنهم من يؤمن به) بالشيء أو بالقرآن أي يصدق به في نفسهم به - لم أنه حق ولكن يعاند بالكذب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالفسدين) بالهائدين أو المصيرين (وان كذبوك) وان عاوى تكذيبك ويست من اجابته (فقل لي عملي) جزاء عملي (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس (٣١٧) يستمعون اليك اذا قرأت القرآن

وعلت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أ تسمع أنك تقدر على سماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماحه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعانون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) أنت حسبانك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصيرة لان الاعمي الذي له في قلبه بصيرة قد يحدث وأما العمي مع الحق فيجهد البلاء يعني انهم في اليأس من أن يقبلوا وصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر (ان الله لا يظلم الناس شيئا) ولكن الناس أنفسهم

الخطاب لكل فرد من الناس والماني فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله ﴿قوله عز وجل﴾ (ومنهم من يؤمن به) يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه أنه لا يؤمن (وربك أعلم بالفسدين) يعني الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعني وان كذبك قومك يا محمد (فقل لي عملي) يعني الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعني الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والسكبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام غر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات افعاله من الثواب والعقاب وآية القتال مارفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ﴿قوله تعالى﴾ (ومنهم) يعني ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعه ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفانت تسمع الصم) يعني كما أنك لا تقدر على سماع الصم فكذلك لا تقدر على سماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يستمعون ولم يوفهم لذلك فهم بمنزلة الجاهل اذا لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعني بإبصارهم الظاهرة (أفانت تهدي العمي) يريد عمي القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعشى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفيقي للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فبهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم - ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فبهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ويوم نحشرهم) يعني واذا كرمناهم يوم نجتمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بقدر لبسهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمالهم في الدنيا استقلوا بها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا أعمالهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعني

يظلمون) ولكن الناس حرة وعلى أي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا واجادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالباء حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبسهم في الدنيا وفي قبورهم لول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقلة واسمها محذوف أي كأنهم يتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم

(وتفصيل الكتاب) وتبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من رب العالمين) داخل في خبر الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً لمتن الآية الرية كائن من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لاشك فيه كرم (أم يقولون افتراء) بل أيقولون اختلقه (٣١٦) (قل) ان كان الامر كما يزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي

العظيم المجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المتزلة قبله ولولم يكن كذلك لقد حو افيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من اهل الكتاب علم بذلك أن ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيها فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله عليه وأنه مصدق لما بين يديه وأنه مجزؤه صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من اخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر (وتفصيل الكتاب) يعني وتبين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لاريب فيه من رب العالمين) يعني أن هذا القرآن لاشك فيه أنه من رب العالمين وأنه ليس مفترى على الله وأنه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراء) يعني أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استهزاءهم انكار وقيل أم يعني الواو أي ويقولون افتراء (قل) أي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فافائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أمياً لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان مجزاً في نفسه فقيل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني من انسان أي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أي فأتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها مجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدر واعليه وهو المراد من قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم ان محمداً افتراء ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعني القرآن أي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاءيريد انه ايس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك أنكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتخصيلها (ولما ياتهم ناوله) يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يؤل اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤل اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلاً ولا علموه ناولاً فلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم ناوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فباء وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون

شبيهة به في البلاغة وحسن الظم فانتم مثلي في العربة (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) أنه افتراء (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) ولما ياتهم ناوله (بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدية السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويفقوا على ناوله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم ناوله أنهم كذبوا به على البدية قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً قدمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكامة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى

وجوب اقوالهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسداً (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب ان الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلكم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عناداً وتقليداً للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما ياتهم ناوله ولم ياتهم بعد ناول ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى تبين لهم أنه كذب أم صدق يعني أنه كتاب مجز من جهتين من جهة اعجاز نظمهم ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ففسر عوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمهم وبلوغ حد الاعجاز وقيل أن يجربوا أخبارهم بالغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

(قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يرشد اليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي) يقال هداة لايحق والحق لجمع بين الاثنين ويقال هدى بنفسه بمعنى اعتدى كما يقال شري بمعنى اشترى ومنه فارة حزة على أمن لا يهدي بمعنى يهتدى لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى ورش بإشمام الهاء ففتح أبو عمر ووبكر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهى فارة عبد الله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء (٣١٥) او كسرت لالتقاء الساكنين

وعكس الياء والهاء وتشديد الدال يحى لاتباع ما بعدها وبكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدي يهدى للحق بماركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألمهمم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلهم آتداد الله أحد يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدي أى لا يهتدى بنفسه أولا يهدى غيره إلا أن يهده الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاونان الى مكان فينتقل اليه إلا أن يهدى الآن ينقل أولا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله الى أن يحمله حيا ناطقا فيجيبه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون

عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا بلدهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدي) يعنى أن الله هو الذى يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا يهدي إلا أن تهدي فان قلت الاصنام جادلات تصور هدايتها ولا أن تهدي فكيف قال إلا أن يهدي قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر إلا أن تحمل وتنقل فيبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فانه سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما أظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدر ون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والنسك بهدايته أولى من اتباع غيره ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فما لكم كيف تحكمون) قال الزجاج فما لكم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شر بكا وقيل معناه بشماحكمتم اذ جعلتم لله شر يكامن ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أ كثرهم الاظنا) يعنى وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالا كثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالا كثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئا (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن ونكذبهم الحق اليقين ﴿وقوله تعالى﴾ (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبنى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمد صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل أن هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا أن محمد صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن

أنهم آتداد الله (وما يتبع أ كثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله والمراد بالا كثر الجميع (الاظنا) بغير دليل وهو افتدأهم باسلافهم ظن انهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيئا) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح الاستقام أن يكون منله فى علو أمره وعجازه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدم من الكتب المنزلة

تتلو حجة وعلى أي تابع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خيرا أو شر كذا عن الاخفش (وردوا إلى الله مولاهم الحق) رهم الصادق في ربو بيته لانهم كانوا يقولون ما لبس لربو بيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم ونوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا (وخل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من رزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوا بآياته من الفطرة (٣١٤) الحجيبة أو من يحميهم من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان

يؤذيها أدنى شيء (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الأمر) ومن يلى تدبير أمر العلم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسـ يقولون الله) فسيجيبونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله (فقل أفلاتتقون) الشرك في العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذاكم الله) أي من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربو بيته ثبانا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) أي لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطفى الحق وقع في الضلال (فاني تصرفون) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك (كذلك)

انه من تلاه اذا تبعه أي تتبع كل نفس ما أسلفت لأن العمل هو الذي يهدي النفس إلى الثواب أو العقاب الثاني أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفتها عما هم من خيرا أو شر وقرئ تبلى بالباء المتناهية والياء الموحدة ومعناه تخبر وتعلمو البلاء الاختبار ومعه اختباره ما أسلفت يعني أنه ان قدم خيرا أو شر اقدم عليه وجوزي به (وردوا إلى الله مولاهم الحق) الرد عبارة عن صرف الشيء إلى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا إلى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكمهم ومتولى أمرهم فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك و يطلق على الناصر فعني المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (وخل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا ﴿قوله عز وجل﴾ (قل من رزقكم من السماء والارض) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين من رزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات (أم من يملك السمع والابصار) يعني ومن أعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب إلى الحقيقة (ومن يدبر الأمر) يعني ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعني أنهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقولون بذلك (فقل) أي قل لهم يا محمد (أفلاتتقون) يعني أفلاتتحافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تنفع ولا تنفع ولا تدبر على شيء من هذه الامور (فذاكم الله ربكم الحق) يعني فذاكم الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني اذا ثبت به هذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ما سواها ضلالا وباطلا (فاني تصرفون) يعني اذا عرفتم هذا الأمر الظاهر الواضح فكيف تستخIRON العبدول عن الحق إلى الضلال الباطل (كذلك) أي كما ثبت أنه ليس بعد الحق إلى الضلال (حققت) أي وجبت (كلمت ربك) في الازل (على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا بدفع (قل هل من شركائكم) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها آلهة (من يبدأ الخلق) يعني من يقدر على ان يذئ الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) أي ثم يعيده بعد الموت كهيشته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) أي قل أنت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعني ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فاني توفكون) يعني فاني تصرفون

مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أي كالحق وثبت ان الحق بعده الضلال أو كالحق أنهم تصرفون عن الحق فكذلك حققت كلمت ربك (على الذين فسقوا) تتردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الاقصى فيه (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أي حق عاينهم انتفاء الايمان أو حق عاينهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل أي لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مفرين بالاعادة لانه لظهور برهانهما جعل أمرهما على أن فيهم من يقرر بالاعادة ويحمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم في الحوار يعني أنهم لا تدعهم مكابرهم أن يطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فاني توفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل

والذين كسبوا) عطف على الذين أحسنوا أي وللذين كسبوا (السيئات) فنون الشرك (جزاء سيئة بمثلها) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها (وترهقهم ذلة) ذل وهوان (ما لهم من الله) من عقابه (من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) أي جعل عليها (٣١٣) غطاء من سواد الليل أي هم سود

الوجود وقطعا جمع قطعة وهو مفصول ثان لا غشيت قطعاً مكي وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلماً صفة لقطع وعلى الأول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأن من الليل صفة لقطعاً فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة أو معنى الفعل في من الليل (أو لئلك أصحاب النار) هم فيها أي الكفار وغيرهم (جميعاً) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) أ كدبه الضمير في مكانكم لصدقه مسدوقه الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فريلنا) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا (وقال شركاؤكم) من عبده من دون الله من أولى العقل أو الاصنام ينقطعها الله عز وجل (ما كنتم أبنا تعبدون) إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم

ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبدًا قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما أعد لهم من الكرامة شرع في هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين هملا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فالهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لأن الحسنات يضاعف ثوابها للعامل بها من الواحدة إلى العشرة إلى السبع مائة إلى أضعاف كثيرة وذلك تفضلاً منه وتكريماً وأما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدلاً منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله إياهم (ما لهم من الله من عاصم) يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) يعني كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم (أو لئلك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم جميعاً) الحشر الجمع من كل جانب وناحية إلى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعاً لنوقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا في هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (أنتم وشركاؤكم) يعني أنتم أيها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله (فريلنا بينهم) يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فريلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بهد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بأنه سيكون صار كالـ كائن الآن قوله (وقال شركاؤهم) يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم أولاً لأنه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب (ما كنتم أبنا تعبدون) تبرأ المعبدون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جاد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خالق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا أحياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم أم يبقيههم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شئ من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة إلا ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله إياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكفي بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كننا عن عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً انما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كننا عن عبادتكم إيانا من دون الله الا غافلين انما قلنا ما قلنا سبحانه وتعالى (هناك تباول كل نفس ما أسلفت) فهو كالتمتة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت تلى معنى استعارة اطلاق اسم المسكن على الزمان وفي قوله تباولوا قرأت قرئ بئاءين ولهما معنيان أحدهما

(٤٠ - (خازن) - ثاني) ان تتخذوا لله أنداداً فاطعموهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم إلى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكفي بالله شهيداً بيننا وبينكم) أي كفى الله شهيداً وهو تمييز (ان كننا عن عبادتكم لغافلين) ان مخففة من الثقل واللام فارقة بينها وبين النافية (هناك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تباول كل نفس) تحبذ وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

الله عليه وسلم في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكریم وعن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكریم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا نادى هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكروه بمعناه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حاكم شيء لم تعطوه قال فيتعجل لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وعمايؤ كذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فثبت لأهل الجنة أمر بن أحد هما النظارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حل الحسنى على الجنة ونعيمها وحل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الرؤية لأن الدلائل العقلية دلت على أن رؤية الله سبحانه وتعالى ممنوعة ولأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المز يد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولأن الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولأن جماعة من المفسرين حلوا هذه الزيادة على غير الرؤية فالتفتي ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على إمكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة بآيات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة وأجيب عن قولهم ولأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المز يد عليه بان المز يد عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا للنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولأن جماعة من المفسرين حلوا الزيادة على غير الرؤية بأنه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن أبي طالب أنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبع مائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا من يد يقول يحجزهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعني ولا يعقبي وجوه أهل الجنة (قتر) أي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولاذلة) يعني ولا هو ان قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعني

(ولا يرهق وجوههم) ولا يعقبي وجوههم (قتر) غيرة فيها سواد (ولاذلة) ولا أثره وان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

(والله يدعو الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسمه تعظيماً لها والسلام السلامة لان (٣١١) أهلها سالمون من كل مكروه وقيل

لقد شو السلام بينهم وتسليم
اللائكة عليهم الا قبلا
سلاما سلاما (ويهدى من
يشاء) ويوفق من يشاء
(الى صراط مستقيم) الى
الاسلام أو طريق السنة
فالدعوة عامة على لسان
رسول الله بالدلالة والهداية
خاصة من اطف المرسل
بالتوفيق والعناية والمعنى
يدعو العباد كلهم الى دار
السلام ولا يدخلها الا
المهديون (للذين أحسنوا)
آمنوا بالله ورسوله
(الحسنى) المثوبة الحسنى
وهي الجنة (وزيادة) رؤية
الرب عز وجل كذا عن
أبي بكر وحذيفة وابن
عباس وأبي موسى
الاشعري وعبادة بن
الصامت رضى الله عنهم
وفي بعض التفاسير أجمع
المفسرون على أن الزيادة
النظر الى الله تعالى وعن
صهيب أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل
أهل الجنة الجنة يقول الله
تبارك وتعالى أتر يدون
شيئاً أزبدكم فيقولون ألم
نبيض وجوهنا لم ندخلنا
الجنة وتنجنا من النار قال
فيرفع الحجاب فينظرون الى
الله تعالى فما أعطوا شيئاً
أحب اليهم من النظر الى
ربهم ثم تلاه من أحسنوا

كما ينالكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين سبحانه وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك
سبباً من جبال الزوال والشك والشبهة من القلوب قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر الله
زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى
هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء
والتغير وقيل أنه سبحانه وتعالى بوصف بالسلام لان الخلق سامعون طاعة وقيل أنه تعالى يوصف بالسلام
بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين من المكروه والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم
للجنة وهو جمع سلامة والمعنى أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن
والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم اللائكة
عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل
على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف
الا عظيماً وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)
يعنى والله يهدي من يشاء الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أو لاظهار للحجة
وخص بالدعوة ثانياً الاستغناء عن الخلق واظهار للقدره فخلصت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر
قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا ان صاحبكم مثلاً فاضربوه مثلاً فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً
فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا
أولوها بفقها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الداعي محمد ففى أطاع محمد افتقد أطاع
الله ومن عصى محمد افتقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفى رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انى رأيتم فى المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه
اضرب له مثلاً وعن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلاً صراطاً
مستقيماً على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعوا على رأس الصراط
وداع يدعوفوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التي على كنفى
الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستور الذى يدعو من فوقه واعطى به أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين
شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادته فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم
به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة
المحبة والخلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلف المفسرون
فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الاول أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه
الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الاشعري وعبادة بن
الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدى وبدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول
أما المنقول فماروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول
الله تبارك وتعالى أتر يدون شيئاً أزبدكم فيقولون ألم نبيض وجوهنا ألم ندخلنا الجنة وتنجنا من النار قال
فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد فى رواية ثم تلاه هذه الآية
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى

الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لانه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع أنه مدفوع قد ورد صاحب
المصاييح فى الصحاح وقيل زيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان

كَمَا أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ (فَاخْتَلَطَ بِهِ) بِالماء (نبات الارض) أَيْ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً (مما يَأْكُلُ النَّاسُ) يعني الحبوب والثمار والقول (والانعام) يعني الحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) زينت بالنبات واختلاف ألوانه (وازينت) وترتبت به وهو أصله وأدغمت التاء في الزى وهو كلام فصيح جمات الارض أخذته زخرفها على التمثيل بالعروس اذا خذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتملتها وترتبت بغيره من ألوان الزين (وطن أهلها) أهل الارض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من مفعولها محصلون لثمرتها رافعون أعلتها (أناها أمرنا) غداً وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمهم واسبقهم أنهم أنه قد سلم (ليلاً ونهاراً) فجعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بحصده من الزرع في قطعه واستنصاله (كان لم تغن) كان لم يغن زرعها أَيْ لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه يستقيم المعنى (٣١٠) (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كانه قبل كان لم تغن آفة (كذلك نفصل الآيات لقوم

يتفكرون) فيتفكرون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في مزرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التفت وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه والتنبية على حكمة التشبيه أن الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شبيتها كما أن صفوا الماء في أعلى الاناء قال ألم تر أن العمر كاس سلافة فاؤله صفو وآخره كدر وحقيقته تزيين جنة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ور ياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة شقائق

وزواها (كَمَا أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) يعني المطر (فَاخْتَلَطَ بِهِ) أي بالمطر (نبات الارض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يَأْكُلُ النَّاسُ) يعني من الحبوب والثمار (والانعام) يعني وبمما يأكل كل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) يعني حسناتها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وترتبت (وطن أهلها) يعني أهل تلك الارض (أنهم قادرون عليها) يعني على جدادها وقطافها وحصادها ذلك كناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفقوماً وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة (أناها أمرنا) أي قضاؤنا بها كما (ليلاً ونهاراً) يعني في الليل والنهار (فجعلنا حصيداً) يعني محصودة مقطوعة (كان لم تغن بالامس) يعني كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غنى فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضرب به الله سبحانه وتعالى للتشبيين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسناتها ذلك أنه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغي في الاض وتجب برفقها وركن الى الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النبات في أول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفاً فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسب كمال الرواق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الارض أخذته زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك أن الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الارض صاعقة أو برداً أو ريحاً فجعلها حصيداً كان لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبه بالدنيا ياتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون وجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى أنه آفة فتلف بالكلية ثم ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليبدل على أن من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادراً على اعادة الاموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم في ثيب الطائع ويعاقب العاصي (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يعني

الطريقة والخليفة تخرج خلاف الخلف ونمام الانم وشوك الشوك وشيح الشح وحطب العطب واعاع اللعب كما يدعوه معاده كما يحين للعرج حصاده فتزايه الحياة مغترا كما يبيع السبات مصفر اقتغيب جنته في الرمس كأن لم تغن بالامس الى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليلاً بهلاك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كالماء من أخذ الزاد وأخذ المال لا يتخلو من زله كما أن خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فله دون النصاب بضحضاح ماء مجاوز بلا احتماء والنصاب كنه حائل بين المجتاز والجواز الى المفاض لا يمكن الا بقطرة وهي الزكاة وعمرانها بذل الصلوات فني اختلت القنطرة غرفته أمواج القناطر المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دين الاجداد كما أن الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكبد البخل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم بغي وبغى ولا يبقى كالماء في الكف

(جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقته (ريح عاصف) (وجاءهم الموج) هو ماء على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالخي مثلاً في الإهلاك (دعوا الله مخاضين له الدين) من غير انشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه الأهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين ببطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك (٣٠٩) غايه للتيسير في البحر ولا يكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من عجىء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن والهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بديل من طنوا الان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم اذاهم يبغون في الارض) يفسدون فيها (بغير الحق) باطلاً أي مبطلين (يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم) أي ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها (متاع الحياة الدنيا) حصص أي تمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيركم غيره بالرفع على انه خبر بغيركم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبني عليهم ومعناه انما بغيتكم على أمتكم أو هو خبر ومتاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ أضرأى هو متاع الحياة الدنيا وفي الحديث أسرع الخير ثواباً صلة

بتلك الريح الطيبة لان الاسرار اذا ركب اسف نة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرعة العظيمة بذلك (جاءتهم ريح عاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقلل ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح شددت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديماً (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركب السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلامة من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعني وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحاط وقيل المراد من الظن اليقين أي وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله مخاضين له الدين) يعني انهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحداً سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لاختلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضروب بلاء أخلصوا الله الدعاء (لئن أنجيتنا) أي قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعني فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (اذاهم يبغون في الارض بغير الحق) يعني انهم أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما مجرود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبني لا يكون بحق قلت بلى قديكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة (يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم) يعني ان وبال بغيركم راجع عليكم (متاع الحياة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بني بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لآخرة وفيه هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيتكم على أنفسكم لا يتيها ان يبغى بعضكم على بعض الاياماً قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة اقضائها والبني من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بني جبل على جبل لاندك الباغي وقد انظم بعضهم هذا المعنى شعراً وكان المأمون يمثل به فقال

يا صاحب البغي ان البني مصرعة * فارجمع غيظ مقال المرء أعدله

فلو بني جبل يوماً على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعكم) يعني يوم القيامة (فتنبئكم) أي فتخبركم (بما كنتم تعملون)

يعني في الدنيا من البني والمعاصي فنجاز يكملها قوله عز وجل (انما مثل الحياة الدنيا) يعني في فناءها

الرحم وأجمل الشرع قابلاً للبني واليمين العاجزة وروى ثنتان يجملهما الله في الدنيا البني وعقوق والدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بني جبل على جبل لاندك الباغي وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البني والنكت والمكر قال الله تعالى انما بغيتكم على أنفسكم ولا يحق المكر السيء الا باهله ومن نكث فأنما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فتنبئكم بما كنتم تعملون) فتخبركم به ونجاز يكمل عليه (انما مثل الحياة الدنيا

(فانتظروا) نزول ما اقترحه وود (اني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم ووجودكم الآيات (واذا أذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) (٣٠٨) يعني القحط والجوع (اذا لهم مكر في آياتنا) أي مكروا بآياتنا فدفعها وانكارها

لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزول الآية الا هو (فانتظروا) يعني نزولها (اني معكم من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل اني معكم من المنتظرين ﴿قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس رحمة) يعني رخاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعني من بعد شدة وبلاء ضيق في اهبش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخضبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم تعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا لهم مكر في آياتنا) قال مجاهد أي تكذيب واستنزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فاما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبغ من عبادي مؤمن بي وكافرا فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجه في الصحيحين قوله على أثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناه أي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب ففني النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التي يجوز انحرافها فقد كرهه قوم وجرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكر الان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يمتثلون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفسد (قل الله أسرع مكرًا) أي قل لهم يا محمد لله أعجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم أسرع اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق ولما قابلو نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتوبون ماتمكرون) يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القييمة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم ﴿قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يعني هو الله الذي يسيركم يعني يحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهيء لكم أسباب السير في البر والبحر (حتى اذا كنتم في الفلك) يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء فقل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجوزينهم) يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشف المقصود منه المبالغة كانه يذكرون لغبرهم حالهم ليجههم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقيع وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم منزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يردده الى الغائب وقيل ان الاتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفر حوايها) يعني وفرح ركبان تلك الفلك

روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحب فلما رجعهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أي وان تصبهم سيئة فذلوا واذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطية من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وانما قال (قل الله أسرع مكرًا) ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة دلت على ذلك كانه قال واذا رجعناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعني الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلاء بان ما تظنون خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالباء سهل (هو الذي يسيركم في البر والبحر)

يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار أو يخلق فيكم السير بفشركم شامخ بتلك (حتى اذا كنتم في الفلك) أي السفن (وجوزينهم) أي السفن (بريح طيبة) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفر حوايها) بتلك الريح لينها واستقامتها

بالله جهداً بآيمانهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث وأنشور (قل) أتنبئون الله بما لا يعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاؤه عنده وهو أنباء بما ليس بمعلوم لله واذالم يكن معلوماً له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئاً وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيداً لنفيه لان ما لم يوجد فيه ما فهو معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه دانه عن ان يكون له شريك وبالناء حمزة وعلى وما موصولة ومصدر به أي عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن انشراكهم (وما كان الناس الا امة واحدة) حنفاء متفقة على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذرا الله من الكافرين دياراً (فاختلفوا) فصاروا مللاً (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم عنهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلاً (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه ولما لم يخفى من المبطول وسبق كلمته لحكمه وهي ان هذه الدار دار

المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان اعبادة اعظم أنواع التعظيم فلا تليق الابن بضره وينفع ويحيي ويميت وهذا الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع (و يقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها شدي في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا السـنابهل أن نعبد الله ولكن شغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبار عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت (قل) أي قل لهم يا محمد (أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يعني أنخبرون الله انه شر يكاولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالتزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجوداً لعلمه الله وحيث لم يكن معلوماً لله وجب أن لا يكون موجوداً ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد نفي شئ حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك في السموات والارض ولا يعلمه قوله سبحانه وتعالى (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلوا) يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعني كانوا اجمعاً على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى أن قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحاً وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع في أن يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولاً على الكفر وانما أسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في أول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة قابو ام يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني انه سبحانه وتعالى جعل اكل امة أجلاً وقضى بذلك في سابق الازل قال السكابي هي امهال هذه الامم وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعني يزيل العذاب وتجميل العقوبة لا لكذبين وكان ذلك فصلاً بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا فيه بالتواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بآيمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤخذ أحد الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمتي لاجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن آخرهم برحمتي الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا (و يقولون) يعني كفار مكة (ولولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا نزل على محمد ما تفرحه عليه من الآيات (فقل) أي فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعني ان الذي سألتموه هو من الغيب وانما الغيب

تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب (و يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير

يعنى ان تلاوته ليست الا
بمشيئة الله واظهاره امرا
عجيبا خارجا عن العادات
وهو ان يخرج رجل اعمى لم
يتعلم ولم يشاهد العلماء
فيقرأ عليكم كتابا فصحا
يغالب كل كلام فصيح
ويعلو على كل منشور ومنظوم
مشحون باعلوم الاصول
والفروع والخبار عن
الغيوب التي لا يعلمها الا الله
(ولا أدراكم به) ولا أعلمكم
الله بالقرآن على لساني
(وقد اثبت فيكم عمر من
قبله) من قبل نزول
القرآن أى فقد اثبت فيما
بينكم اربعين سنة ولم
تعرفوني متعاطيا شيئا من
نحوه ولا قدرت عليه ولا
كنت موصوفا به وبيان
فتهموني باختراعه (أفلا
تعقلون) فتعلموا انه ليس
الامن عند الله لامن مثلى
وهذا جواب عمادسوه
نحت قوله ان بقرآن عبر
هذا من اضافة الافتراء اليه
(فن أظلم من افترى على
الله كذبا) يحتمل أن يريد
افتراء المشركين على الله في
أنه ذو شريك وذو ولد
وان يكون نقاديا عما
أضافوه اليه من الافتراء
(أو كذب بآياته) بالقرآن
فيه بيان ان الكاذب على
الله والكذب بآياته في
الكفر سواء (انه لا يفاج

المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لوشاء الله ما تلونه عليكم) يعنى لوشاء الله لم ينزل على هذا
القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به (فقد
اثبت فيكم عمر من قبله) يعنى فقد مكنت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة اربعين سنة لم آتكم بشئ
ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعضه وعلموا أحواله
وانه كان أميا لم يطلع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد الاربعين جاءهم
بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الاحكام والآداب ومكارم
الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما عجز البلاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم
ان هذا لم يحصل الا بوحى من الله تعالى لامن عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعنى ان هذا القرآن من عند
الله أو حاد الى لامن قبل نفسى (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن
أربعين سنة فكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر الى المدينة فكث بها عشرين سنة ثم توفي
صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفى وهو
ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا ثم ان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشر اوتوفى وهو ابن خمس وستين سنة
أخرجاه في الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة
أخرجاه في الصحيحين (م) عن أنس قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو
بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال
سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا
بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالأسود ليس بجعد قط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحي وعوا ابن
أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي بالمدينة عشر اوتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في
رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النوى وورد في عمره صلى
الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون
سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس وانفق
العلماء على ان أصحها ثلاث وستون سنة وتاولوا الباقي عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك
الكسر ورؤية الخمس متأولة أيضا بانها حصل فيها الشبهة قوله يسمع الصوت يعنى صوت الهاتف من الملائكة
ويرى الضوء يعنى نور الملائكة وأنوار آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافه بالوحي من الله عز وجل وقوله
ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الحص وهو كره المنظر وبما توهم الناظر أنه برص
والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحرة قوله عز وجل (فن أظلم من افترى على الله كذبا) يعنى
فزعم أن له شريكا وولدا والمعنى انى لم افتر على الله كذبا ولم أكذب عليه فى قولى ان هذا القرآن من عند الله
وأنتم قد افترىتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منزعه عن الشريك والولد وقيل معناه
ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه منى من حيث انى افترىتم على الله
ولما كان هذا القرآن من عند الله أو حاد الى وجب أن يقال ليس أحد في الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه
منكم من حيث انكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (أو كذب
بآياته) يعنى يحد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد (انه لا يفلح المجرمون) يعنى المشركين
وهذا وعيدونا كيدنا مسبق (ويعبدون من دون الله مالا يبصرهم ولا ينفعهم) يعنى ويعبد هؤلاء

اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها (لننظر كيف تعملون) أي لننظر أتعلمون خيرا أو شرافنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصبتعملون لا ننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنهم بمنظر منافظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا (٣٠٥) حلوۃ خضرة وان الله مستخلفكم فيها

فناظر كيف تعملون (واذا تتلى عليهم آياتنا ينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظمهم مافي القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (انت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغنيظنا من ذلك تنبعك (أو بدله) بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بان يحجب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي (ان أتبع الا ما يوحى الي) لا أتبع الا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله (اني أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) أي يوم ألة يامة وأما الاتيان بقرآن

الام الخالية لما كذبوا رسالهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعني خيرا أو شرافنعاملكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد ان يختبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ايبأولكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن أنى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوۃ خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء ﴿قوله سبحانه وتعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا ينات) يعني واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد ينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (انت بقرآن غير هذا أو بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبيد الله بن أمية المخزومى والوايد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى والعاص بن عاصم بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فأجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام غفر الدين الرازى اعلم أن اقدام الكفار على هذا الالتباس يحتمل وجهين أحدهما أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله انت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو أن يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله (قل) أي قل يا محمد هؤلاء (ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) يعني ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الى وما ينبغى لي أن أغيره من قبل نفسي ولم أمر به (ان أتبع الا ما يوحى الي) يعني فيما أمركم به وأنها كم عنه وما أخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندي (اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أي قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فقصيته بذلك أن يعذبني بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴿قوله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء

(٣٩ - (خازن) - ثانى) آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم الجزع عنه الا أنهم كانوا لا يعترفون بالهجز ويقولون لو نشاء اقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله انت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي اقله انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلا اختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجو آمنه أو لا يهلكه فيفسخ أمره فيجعله مو التبدل جهة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قل)

(فندر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شرهم وضلالهم (يعمهمون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يجعل الله متضمن معنى نفى التجميل كانه قيل ولا يجعل لهم الشر ولا تقضى اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم أى فتمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحملة عليهم (واذا مس الانسان) (٣٠٤) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) أى دعائنا لازالة (جنبه) في موضع الحال بدليل عطف

الحالين أى (أوقاعدا أوقائماً) عليه أى دعانا مضطجماً وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضر لا يزال داعياً لا يفتقر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعاً جامعاً أجزاء من النهوض أوقاعدا لا يقدر على القيام أوقائماً لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا ما به (مر كأن لم يدعنا الى ضره) أى مضى على طريقته الاولى قبل من الضر ونسى حال الجهد أوامر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا خفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكت القرون من قبلكم) يأهـ لـ مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكوا والواو في (وجاءتهم رسالهم) للمحال أى ظلموا ما تكذب

سبحانه وتعالى (فندر الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعنى في غرورهم وعتوهم (يعمهمون) يعنى يترددون (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اتخذت عندك عهداً ان تخلفني فإني أنا بشر أعصّب كما يغضب البشر فأبى رجل من المهاجرين سبيته أو أعتته وجلدته فأجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقر به بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل (واذا مس الانسان الضر) أى الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا جنبه) أى على جنبه مضطجماً (أوقاعدا أوقائماً) يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن إحدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضر ولا يزال داعياً في جميع حالاته الى أن ينكشف ضره سواء كان مضطجعاً أوقاعداً أوقائماً وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى اذا مس الانسان الضر جنبه أو مسه قاعداً أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعنى فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعنا عنه (مر) يعنى على طريقته الاولى قبل من الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخييف (الى ضره) والمعنى انه استمر على حاله الاولى قبل أن يمس الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقير (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعنى مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقذار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شئ وإنما سمى الكافر مسرفاً لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحار والسواكب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدتها يعنى خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعمة والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهداً في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولاً وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابراً عند البلاء شاكراً لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وهما مقام أعلى من هذا وهو المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضياً بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكراً لله عز وجل في جميع أحواله ولعل العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جميع أفعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكت القرون من قبلكم) يعنى أهلكتنا الامم الماضية من قبلكم بخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعنى لما أشركوا (وجاءتهم رسالهم بالبينات) يعنى فكذبوهم (وما كانوا يؤمنوا) يعنى هذه الامم رسالهم ويصدقوهم بما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزي القوم المجرمين) يعنى كما أهلكتنا

وقد جاءتهم رسالهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا يؤمنوا) ان بقوا لم يهلكوا لان الله علم منهم أنهم يصرنون الامم على كفرهم وهو عطف على ظلموا واعتراض واللام لتأكيد النفي يعنى ان السبب في اهلاكم نكذبهم للرسول وعلم الله أنه لا فائدة في امهالهم بعد ان أزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك (نجزي القوم المجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على

(تجري من تحتهم الانهار) بيان له وتفسيره اذا التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم في الآخرة بتورايهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عمالك (٣٠٣) فيكون له نور او قائد الى الجنة والكافر

والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزبد لهم هداية بخصائص واطناق وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويشبههم على الهداية وقيل معناه بايمانهم بهديهم بهم لدينه أي يتصدقهم هداهم (تجري من تحتهم الانهار) يعني بين أيديهم ينظرون اليها من أعالي أسموتهم وقصورهم فهو كقولهم سبجانه وتعالى قد جعل لك تحتك سربا لم يدب به أنه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجري بأمرهم (في جنات النعيم) يعني ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أي دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزه لله تعالى من كل سوء وتقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخروا دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكروا التحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم وبدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلقون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتشطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيه اسلام) يعني يحيي بعضهم بهضابا بالسلام وقيل تحييتهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيتهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (وآخروا دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جباة من المفسر بن جلول التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتروا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتنزههم ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله سبحانه وتعالى (ولو يجعل الله للناس الشر) يعني ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه ضرورة ومكرهه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله ولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله ولده بما يكره أن يستجاب له فيه (استجبالهم بالخير) يعني كاستجبالهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتجمل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طلب المجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجييل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقولوا أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجبالون به استجبالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا غمامة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافر من العذاب كما جعل لهم خير الدينار من المال والولد الجمل قضاء آجالهم ولهاك واجيعا ويدل على صحة هذا القول قوله

بالخير) أصله ولو يجعل الله للناس الشر تجيئه لهم الخير فوضع استجبالهم بالخير موضع تجيئه لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فامطر علينا غمامة من السماء أي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما جعل لهم الخير ونجيهم اليه (لقضى اليهم أجلهم) لا ميتوا وأهلكوا لقضى اليهم أجلهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل

(وقدره) وقدر القمر أى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذامنازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور فاكثف بالسنين لاشتغالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والموافقت المقدرة بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ما تبسبا (بالحق) (٣٠٢) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلق عبثا (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص

خص الشمس بالضياء لأنها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء ولأنهما لو تساوا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير فى وقدره يرجع إلى الشمس والقمر والمعنى قدرهما منازل أو قدر سيرهما منازل لا يجاوزانهما فى السير ولا يقصران عنها وإنما وحد الضمير فى وقدره للإيجاز أو اكتفى بذلك كرا أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع إلى القمر وحده لأن سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لأن الشهور المعتبرة فى الشرع مبنية على رؤية الأهلة والسنة المعتبرة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشريطين والبطين والثريا والدبران والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسمك والغفر والزباني والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابج وسعد بلع وسعد السعد وسعد الاخمية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء السرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل و ينزل القمر كل ليلة منزلاً منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتري ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وإن كان تسعة وعشرين اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعنى وتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ما خلق الله ذلك الا بالحق) يعنى بالحق واطهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله وحيدانيته (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية فى نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أى ذى يب الهذلى * اذا سعته النحل لم يرج اسعها * أى لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون فى ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل إلى الدنيا ولذاتها أزلت عن قلوبهم والوجل والخوف فإذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك إلى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أى معرضون (أولئك ما أولاهم النار) بما كانوا يكسبون) يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم - هم ربهم بإيمانهم) يعنى يهديهم ربهم إلى الجنات ثوابهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به وقال قتادة بلغنا أن المؤمن إذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عمك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة

وبالنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالثأمل فيها (ان فى اختلاف الليل والنهار فى مجيئ كل واحد منهما خلف الآخر وفى اختلاف لونيها) (وما خلق الله فى السموات والارض) من الخلائق (لايات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعواهم الحذر إلى النظر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ببالهم انفتاحهم عن التفطن للحقائق أو لا يؤمنون بحسن لقاءنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقاءنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقي (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبر ان (أولئك ما أولاهم النار) فالتك مبتدأ وما أولاهم مبتدأ ثان

والنار خبره والجملة خبر أوائله والباء فى (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه والكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم - هم ربهم بإيمانهم) يسدد بهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى إلى الثواب ولذا جعل

والكفار

(عزیز علیہ ما عنتم) شہید علیہ شاق اکو نہ بعضا منکم عنتمکم ولماؤکم المکروه فهو يخاف علیکم الوقوع فی العذاب (حر یص علیکم) علی ایمانکم (بالؤمنین) منکم ومن غیرکم (رؤف رحیم) قیل لم یجمع الله اسمین من اسمائه لاحد غیر رسول الله صلی الله علیہ وسلم (فان تولوا) فان أعرضوا عن ایمان بک وناصبوک (فقل حسبی الله) فاستعن بالله وفوض الیه أمورک فهو کافیک معرفتهم وناصرك علیهم (لا اله الا هو علیہ توکلت) فوضت أمری الیه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظیم) بالجر وقری بالرفع علی نعت الرب جل وعز عن أبی آخر آية نزلت لقد جاءکم رسول من أنفسکم الآية (سورة بونس علیہ السلام) مائة وتسع آیات مکية ولذا ما بعدها الی سورة النور ﴿بسم الله الرحمن الرحیم﴾ (الر) ونحوه ممال جزة وعلی وأبو عمرو وهونعید بالاحروف علی طریق التحدی (تلك آیات الكتاب) إشارة الی آیات الموجودة فی هذه السورة ویكون التقدير تلك آیات هی آیات الكتاب وهو القرآن الذی أنزل الله الیک یا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ینزل علیہ کتابا بالایحیوه الماء ولا یغیره الدهور وقیل ان لفظة تلك للإشارة الی ما تقدم هذه السورة من آیات القرآن والمعنی ان تلك آیات هی آیات الكتاب الحکیم وفی قول آخر ان المراد بآیات الكتاب الکتاب انی قبل

القرن الذی کنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلی الله علیہ وسلم یقول ان الله اصطفى کنانة من ولد اسمعيل واصطفی قریشا من کنانة واصطفی من قریش بنی هاشم واصطفانی من بنی هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلی الله علیہ وسلم قال قلت یارسول الله ان قریشا جالسوا یتذاکرون أحسابهم بنهم فقالوا مثلك کمثل نخلة فی کدبة من الارض فقال رسول الله صلی الله علیہ وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنی من خیر فریقهم وخیر الفریقین ثم تخیر القبائل فجعلنی من خیر قبيلة ثم تخیر البیوت فجعلنی من خیر بیوتهم فانا خیرهم نفسا وخیرهم یتما أخرجه الترمذی وقیل ان قوله سبحانه وتعالی لقد جاءکم رسول من أنفسکم عام فمله علی العموم ولی فیكون المعنی علی هذا القول لقد جاءکم أيها الناس رسول من أنفسکم یعنی من جنسکم بشر مثلکم اذ لو کان من الملائكة لضعفت قوی البشر عن سماع کلامه والاخذ عنه ﴿وقوله سبحانه وتعالی﴾ (عزیز علیہ ما عنتم) أي شہید علیہ عنتمکم یعنی مکروهم وقیل یشق علیہ ضلالکم (حر یص علیکم) یعنی حر یص علی ایمانکم وایصال الخیر الیکم وقال قتادة حر یص علی هدايتکم وان یهدیکم الله (بالؤمنین رؤف رحیم) یعنی أنه صلی الله علیہ وسلم رؤف بالمطیعین رحیم بالمذنبین (ق) عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلی الله علیہ وسلم لی خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماسح الذی یمسح الله بئ السکفر وأنا الحاشر الذی یحشر الناس علی قدمی وأنا العاقب والعاقب الذی ایس بعده نبی وقد سماه الله رؤفأرحما قال الحسن بن الفضل لم یجمع الله سبحانه وتعالی لاحد من أنبیائه بین اسمین من اسمائه الا ان نبی صلی الله علیہ وسلم فسماه رؤفأرحما وقال سبحانه وتعالی ان الله بالناس لرؤف رحیم ﴿قوله سبحانه وتعالی﴾ (فان تولوا) یعنی فان أعرض هؤلاء الکفار والمنافقون عن ایمان بالله ورسوله وناصبوک للحرب (فقل حسبی الله) یعنی یکفینی الله وینصرنی علیکم (لا اله الا هو علیہ توکلت) یعنی لا علی غیره وبه وثقت (وهو رب العرش العظیم) انما خص سبحانه وتعالی العرش بالذکر لانه أعظم المخلوقات فیدخل مادونه فی الذکر فیکون المعنی فهو رب العرش العظیم فادونه أو یکون خصه بالذکر نشر یفاله كما یقال یدت الله وروی عن أبی بن کعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءکم رسول من أنفسکم الی آخر السورة آخر القرآن نزولا وروی رابیه عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءکم رسول من أنفسکم الی آخر الآيتين والله سبحانه وتعالی أعلم

﴿تفسیر سورة بونس علیہ الصلاة والسلام﴾

نزلت بمكة الثلاث آیات وهي قوله سبحانه وتعالی فان کنت فی شک مما أنزلنا الیک الی آخر الثلاث آیات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفی رواية أخرى عن ابن عباس ان فیها من المدنی قوله تعالی ومنهم من یؤمن به ومنهم من لا یؤمن به الآية وقال مقاتل هی مکية الآيتين وهي قوله سبحانه وتعالی قل بفضل الله وبرحمته والی تلایها وهي مائة وتسع آیات وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحیم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس فی رواية أخرى عنه الرحمن ورحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعید بن جبیر وسالم بن عبد الله وقال قتادة الراسم من أسماء القرآن وقیل هی اسم للسورة وقد تقدم الکلام فی معنی الحروف المقطعة فی أول سورة البقرة بما فیہ کفاية (تلك آیات الكتاب) المراد من لفظ تلك الإشارة الی آیات الموجودة فی هذه السورة ویكون التقدير تلك آیات هی آیات الكتاب وهو القرآن الذی أنزل الله الیک یا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ینزل علیہ کتابا بالایحیوه الماء ولا یغیره الدهور وقیل ان لفظة تلك للإشارة الی ما تقدم هذه السورة من آیات القرآن والمعنی ان تلك آیات هی آیات الكتاب الحکیم وفی قول آخر ان المراد بآیات الكتاب الکتاب انی قبل

رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أو لا يرون) يعني المنافقين وبالنساء حزة خطاب للمؤمنين (أنهم يفتنون) يتلون بالخط والمريض وغيرهما (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاضطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكار الوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لنصرف قانا لانصر على استماعه ويقال الضحك فتخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (انقضاءكم

بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج (فزادتهم) يعني السورة من القرآن (رجسا الى رجسهم) يعني كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما نزلت سورة أو استهزأ بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر (وماتوا) يعني هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعني وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزيد ايماننا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو ولعة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لعة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود قوله سبحانه وتعالى (أو لا يرون) قرئ ترون بالناء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على أنه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (أنهم يفتنون) يعني يتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعني بالامراض والشدائد وقيل بالخط والجذب وقيل بالغزو والجهاد وقيل أنهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل أنهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل أنهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله (ولا هم يذكرون) يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (انظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعني هل أحد من المؤمنين يراكم ان قتم من مجلسكم فان لم يرههم أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحد يراهم من المؤمنين أقاموا ولشووا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعني عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شيء فيه نفهم قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم بها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكره البغوي بإسناد الشاذلي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الانكاح كذلك أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها وريعتها ويمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهم منهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان آمنه لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغب في العرب في نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وغرهم بفخره وهوم من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والحيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من

طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه وأما فرض الكفاية من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا أقعد أهل بلد عن تعاليمه عصوا جميعا واذا أقام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقيين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدماكم أخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علم سهل الله طريقه إلى الجنة أخرجه الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر وابن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة وأوسنة قائمة وفريضة عادلة أخرجه أبو داود والآية المحكمة هي التي لا شبهة فيها ولا اختلاف في حكمها وأما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في امضاءها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يمدى عظميا في ملكوت السموات وأخرجه الترمذي موقوفا وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طاب العلم أفضل من صلاة النافلة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الأقرب فالأقرب إليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغوا منهم فامروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يومنون أو يعنوا الجزية عن يد وتغفل عنهم بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فاستأزات وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصول الاصح وهو أن يبدأ بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أول اقومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم انتقل إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غز الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انتقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الامصار لانه اذا قاتل الأقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الأبعد ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واجهدوا فيكم غلظة) يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالعون والنصرة ﴿قوله عز وجل﴾ (واذا ما أنزلت سورة فأنهم من يقول يعني يقول بعض أيكم زادته هذه الآية) يعني اذا أنزل الله سورة من سور القرآن فن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه الآية يعني السورة إيماناً يعني تصديقاً ويقيناً وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يعني تصديقاً ويقيناً وقرينة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء إلى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا أقرؤوا بنزل سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا أنهم امن عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الإيمان في أول سورة الانفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزل القرآن شيئاً بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا إيماناً وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الإيمان

(يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) يقرئون منكم (من الكفار) القتال واجب مع جميع الكفرة قريتهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية ان يقاتلوا من وإلهم (واجهدوا فيكم غلظة) شدة وعنفة في القتال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (واذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فهم) فن المنافقين (من يقول) بعضهم لبعض (أيكم زادته) هذه السورة (إيماناً) انكاراً واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالاستهزاء وقيل هو قول المؤمنين للبحث والتنبيه (فاما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يقينا وثباتاً وأخشية أو إيماناً بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلاً (وهم يستبشرون) يعدون زيادة التكليف بشارة الشريفة

يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما نفسه ير الآيه فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآيه فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكايتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فاللازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معني الآيه وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولايغنى فهذا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ ارجعوا اليهم من غزوهم لعلمهم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بآمرهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم ومعنى ذلك أن الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وأن الله يريد اعداء دينه وتقوية دينه صلى الله عليه وسلم وان الفتنة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا ارجعوا من ذلك النفر الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلمهم يحذرون فيتركوا السكفر والتفريق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقه في الدين ويمكن أن يجاب عنه بانهم اذا علموا أن الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين وأما الاحتمال الثاني وهو أن يقال ان هذه الآيه كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأنزل الله هذه الآيه والمعنى هذا لانفر من كل فرقة طائفة وقع طائفة ليتفقهوا في الدين وبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم لعلمهم يحذرون يعني ناس الله ونقمته اذا قالوا أمره وفي الآيه دليل على أنه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصرط المستقيم فيكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصرط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين أعمالا (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقيا حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذي وأصل الفقه في اللغة لفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاها اذا صار فقهها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذا الجهاد بالحجاج أعظم أثر من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذ ارجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة لتفقه

أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كام يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كام لونه لون دم وريح يريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أداوا لكن لأجد سعة فاجلهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فاقتلتم أغزو وفاقلتتم أغزو وفاقلت لفظ مسلم وللبخاري بعنه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن بجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتيقن الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أغبرت قدماء عبد في سبيل الله فمسه النار (م) عن أبي مسعود الأنصاري البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى ناقة نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمئة ضعف أخرج الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافق بن هالك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس أنها البست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهاد وبقيلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فآزر الله عز وجل الآية بخبر نبى صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائهم وحذر قلوبهم أن يفعلوا فعلهم اذ ارجعوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال كان ينطاق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيأولونه عمار يدون من أمر دينهم ويتفقون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا عما نقول لعشائنا اذ انطلقنا اليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وأن ينذروا قومهم اذ ارجعوا اليهم ويدعوهم إلى الاسلام وينذروهم النار ويأمرهم بالجئة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم نحر جاؤا قبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) ينتفعون الخير وقد طائفة (ليتفقوا في الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (اذا ارجعوا اليهم لعلمهم يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصابة يعني السرايا ولا يبرون الا بانه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآن وقد تعلمناه فذلك السرايا يعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبع سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقوا في الدين بقول ليتعلموا وما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذ ارجعت اليهم لعلمهم

على كل واحد جزء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفير الاجرهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام اتأ كيد الذي أى أن نفيرا الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للأفضاء إلى المفسدة (فلولا نفر) حين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقوا في الدين) ليتكفوا الفقهاء فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا مرمى همهم إلى التفقه وانذار قومهم وارشادهم (اذا ارجعوا اليهم) دون الأغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس (لعلمهم يحذرون) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تسوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد اشق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه في الدين فامروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى سائرهم

(ولا يرغبوا) ولأن يضنوا (بأنفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أي لا يختاروا بقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمر وأبان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) النهي عن التخلف (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا تخمجة) مجاعة (في سبيل (٢٩٤) الله) في الجهاد (ولا يبطئون موطئاً) ولا بدوسون مكاناً من أمانة الكفار بحوافر خيولهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعني ولأن يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) يعني ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لأنفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك) بأنهم (لا يصيبهم) في سفرهم وغزواتهم (ظمأ) أي عطش (ولانصب) أي تعب (ولا تخمجة) يعني مجاعة شديدة (في سبيل الله ولا يبطئون موطئاً يغيظ الكفار) يعني ولا يضعون قدماً على الأرض يكون ذلك القدم سبباً لغيظ الكفار ونغمهم وحزهم (ولا يذلون من عدو نيلاً) يعني أسراً وقتلاً أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلاً كان أو كثيراً (الا كتب لهم به عمل صالح) يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسناً من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على إحسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها احسانات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها سيئات إلا أن يغفرها الله بفضلها وكرمه واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزى بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه إلا بعدد ما غزاه من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه إذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد يقولون في هذه الآية انها لأول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلاً فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم وأمرهم قال هذا هو الصحيح لانه لا تميز الطاعة والابادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا إذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة قالوا لا بدوا أو عينوا الا نالوا سوغاً للمندوب أن يتقاعد ولم يخص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم ﷺ وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعني في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعني فساد دنياها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون وادياً) يعني ولا يجاوزون في مسيرهم وادياً مقبلين أو مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجز بهم الله) يعني يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه بأحسن ما كانوا يعملون وقال الامام نضر الدين الرازى فيه وجهان الأول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والباح فأنه سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى أن الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وأنه من أحسن أعمال العباد (ق) بن سهل بن سعد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة روحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها في رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضم من الله ان خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وإيماني وتصديقا برسلي فهو على من أن

وأخفاف رواحهم وأرجلهم (يغيظ الكفار) يفضهم ويضيق صدورهم (ولا يذلون من عدو نيلاً) ولا يصيبون منهم إصابة يقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضى الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه إذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطاء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابن عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب والموطئ امام صدر كالمورد وامكان فان كان مكاناً فغنى يغيظ الكفار يغيظهم ووطؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) في سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل

ما أفق عثمان رضى الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون وادياً) أى أرضاً في ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً للسبيل وهو في الاصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودى وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجز بهم الله) متعلق بكتب أى أنبت في صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم

(حتى اذا ضاقت عليهم

الارض بما رحبت)

برحبها أى مع سعتها

وهـ ومثل للحيرة في

أمرهم كأنهم لا يجدون

فيها مكانا يقيمون فيه قلقا

وجزعا (وضاقت عليهم

أنفسهم) أى قلوبهم لا

يسعها أنس ولا سرور لانها

خرجت من فرط الوحشة

والغم (وظنوا أن لا ملجأ

من الله الا اليه) وعلموا

أن لا ملجأ من سخط الله

الا الى استغفاره (ثم تاب

عليهم) بعد خمسين يوما

(ليتوبوا) ليكنوا من

جلة التوابين (ان الله هو

التواب الرحيم) عن أبى

بكر الوراق أنه قال التوبة

النصح أن تضيق على

التائب الارض بما رحبت

وتضيق عليه نفسه كتوبة

هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين) في إيمانهم

دون المنافقين أو مع الذين

لم يتخلفوا أو مع الذين

صدقوا في دين الله نية

وقولا وعملا والآية تدل

على أن الاجماع حجة لانه

أمر بالسكون مع الصادقين

فلزم قبول قولهم (ما كان

لاهل المدينة ومن حولهم

من الاعراب أن يتخلفوا

عن رسول الله) المراد

بهذا النفي النهي رخص

هؤلاء بالذكروا واستوى

بهم ملك غسان فاحرقتهافى التنور وسمع جبل بالمدينة معروفا وقوله وانطلقت أنامى عنى أقصد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور
قوله انخلع من مالى أى أخرج منه جميعه واتصدق به صكما يخلع الانسان قيصره قوله ما علمت أحد من
المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث أحسن مما أبلانى البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا أطلق
كان فى الشر غالبا فاذا أريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلانى أى أنعم على قوله أن لا يكون
كذبته وقوله هكذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظه لازادة ومعناه أن لا يكون
كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وار جاؤه أمرنا تأخير وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس أى
يطؤكم ويزدحجون عليكم وأصل الوطء الكسر وقوله سائر الليل عنى باقى الليل وقوله وأذن بتوبة الله
علينا أى اعلم والأذان الاعلام والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعنى
بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا (وضاقت عليهم أنفسهم)
يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعنى وأيقنوا وعلموا (أن لا ملجأ)
يعنى لا مفزع ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف
تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما أحسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه
وقوله ثم تاب عليهم تأكيده لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم
بياناه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين
خافوا ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم فى الماضى ليكون ذلك داعيا لهم
الى التوبة فى المستقبل فيرجعوا واولدوا موعلا بها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم
ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عادتهم فى الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو
التواب) يعنى على عبادده (الرحيم) بهم وفيه دليل على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل
والاحسان وانه لا يحب على الله تعالى شئ ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعنى فى مخالفة
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فى الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا فى البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن
حبير مع الصادقين يعنى مع أبى بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية
وقيل كونوا مع الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالا عذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل
على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد فى الحديث وقال ابن مسعود
الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيئا ثم لا يفي به اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين
وروى أن أبابكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار فى يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منأمر ومنكم
أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك
هم الصادقون من هم قالت الانصار انهم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وأتم الوزراء وقيل
مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ما كان لاهل
المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادي
من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفارة وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وحله على العموم أولى
(أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن

كل الناس فى ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه

ما تعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما
 بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى
 بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدى الى الاسلام أعظم في نفسى
 من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل
 قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا اقلبتم
 اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم
 ان تعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفناهم الثلاثة عن
 أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا
 وابس الذي ذكروا خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عن حلف له وانذار اليه فقبل
 منه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين
 غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا
 يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا
 يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وأنزل الله عز وجل تو بقنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين
 بقى الثالث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأنى
 معتنية بامرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه
 فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرج به البخارى ومسلم شرح غريب هذا
 الحديث قوله حين تواقنا على الاسلام التوافق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل والناقاة
 القويان على الجمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية
 الفقراء سميت بذلك تفاقولا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره
 لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فانا ايتها اصعروا بالعين المهملة أى اميل والصعر الميل قوله
 وتفاط الغزو أى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه
 بالعيب يقال فلان ينظر فى عطفه اذا كان مهجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان
 خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجة كانه ماء والمبيض بكسر الياء
 لابس البياض قوله كن أباحيثة معناه أنت أبوخيشمة وقيل معناه اللهم اجعله أباحيثة أى لتوجد بابهذا
 الشخص اباحيثة حقيقة قوله الذى لزمه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى
 وطنه قوله حضر فى بنى البث أشد الحزن كانه لشدة يظهريه قوله زاح غنى الباطل أى زال وذهب عني
 وأجعت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدا لى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث أخرج عن عهدة
 ما أردت بما أنشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد وهو الغضبان قوله قنار الوابؤنبوننى أى يلوموننى أشد
 اللوم قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فهاهى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض
 وتوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فاما صاحبائى فاستكبابى عنى خضعا وسكنا قوله تسورت
 حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سورته وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من الحجم والروم
 والضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتيمنت بها النور فسجرت به أى فقعدت بالصحيحة التى أرسل

القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكمنى أحدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قر يمانه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر إلى واذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا باقتادة أشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فنأشده فسكت فعدت فنأشده فقال الله ورسوله أعلم ففاصت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذ انبطى من نبط أهل الشام من قدم بالطعام ببيعته بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفي الناس يشيرون له إلى حتى جاءني فدفع إلى كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فاذا فيه أمابعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضية فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أضيامن البلاء فتيمنت بها التنوير فسجرت حتى اذا مضت أربعون من الخسین واستلبت الوحى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرك أن تعزل امرأتك قال فقلت أطلعه أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزله ولا تقر بها قال وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لا مرأتى الحق باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقر بنك فقالت انه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكملة لنا خسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل عناقداقت على نفسي وضافت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرسا وسمى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذى سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبى فكسوتهما اياه يبشرنه والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أنا ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلقاني الناس فوجافوا جباهن وثوبى بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله بهرول حتى صاحني وهناني والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا يسأها الا طلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قر قال وكان يعرف ذلك من قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي أن انخاع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذى تخير قال وقالت يا رسول الله ان الله انما أنجاني بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله والله

الغزوة والله ما جئت قبلها راحلتين قط حتى جهتم ما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حوشه يد واستقبل سفر ابعد او مفاز واستقبل عدوا كثيرا جلا للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فاخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاظن أن ذلك سيخفي له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فاما اليها أصغر فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدوا لكي أنجهز معهم فارجع ولم أقض شيئا فاقول في نفسي أيا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتحدى بي حتى استمر بالناس الجدا فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك ينادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ففهممت أن أرتحل فادرهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لأرى لى أسوة الارجل مغموصا عليه في الثفت أو رجلا ممن عذر الله من العفاء ولم يذكروني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سامة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ ابن جبل بشس ما قلت والله يا رسول الله ما لمنا عليه الا خير افسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبناها هو كذلك رأى رجلا مبيا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبأخيمة فاذا هو أبوخيمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لزمه المنافقون قال كعب فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرت في بني فطفقت أذكركم الكذب وأقول ثم أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادم اراح عني الباطل حتى عرفت اني ان أنجو منه بشئ أبدا فاجعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا وكان اذا قدم من سفره بدأ بالسجدة فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علاتيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال لي تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلقتك أليكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعد ذرا قد أعطيت جدلا ولا كني والله لقد علمت ان حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني لبوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقي الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقم وتار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أذنت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذرت اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لتي هذا أحد معي قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل قيل لك قلت من هما قالوا امرأة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي قال قد كروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرافيهما أسوة قال فضيت حين ذكروهما لي ونهني رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا بها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيبوا لاحتي تنكرت لي في نفسي الارض فهاهي بالارض التي أعرف قلبها على ذلك خمسين ليلة فاما صاحبى فاستكاثا وقعدا في بيوتهم ما يكيان وأما ما فكنيت أشب

العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن
كان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك
وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وماءهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا
بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا كها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها
جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فوضوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقهم و يقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لى تبوك في قيط شديد فترانا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينصر
بعبره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى
يظن ان رقبة ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خير افادع الله
قال أنحب ذلك قال نعم فرفع يده صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى أرسل الله سبحانه فطرت فلوأمامهم من
الاولعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد حاجوزت العسكر أسنده الطبري عن عمر رضي الله عنه قوله تعالى (من بعد ما كاد تزيغ
قلوب فريق منهم) يعني من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم
والزيف في اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم
لكنهم صبروا واحتسبوا واندموا على ما خطر في قلوبهم فلا جل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعني انه
سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق نوبتهم فرزقهم الابابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة أولا ثم
ذكرها ثانيا فافائدة التكرار قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى
قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله (انه بهم رؤوف رحيم) تأكيد لذلك ومعنى الرؤف في صفة الله
تعالى أنه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق اطياف وان
تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تنكاد الرأفة تكون مع الكراهة
وقوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن
مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون
مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لبيبة وأصحابه وذلك انه لم
يخضعوا كما خضع أبو لبيبة وأصحابه فتاب الله على أبي لبيبة وأصحابه وآخر أمرهم هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب
عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بني حنينة عمي قال وكان أعلم قومه
وأوعاهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب
يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط لاني غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا
تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم
وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على
الاسلام وما أحب أن لي بها مشاهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك

عسرة من الظهر يعتقب
العسرة على بعير واحد ومن
الزاد نزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة
الزئخة وبغت بهم الشدة
حتى اقسمت التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا
عليها الماء ومن الماء حتى
نحروا الابل وعصروا
كرشها وشربوه في شدة
زمان من حارة القيط
ومن الجذب والقحط (من
بعد ما كاد تزيغ قلوب
فريق منهم) عن الثبات
على الايمان وعن اتباع
الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير
الشأن والجملة بعده في
موضع النصب وهو كقولهم
ليس خلق الله مثله أي ليس
شأن خلق الله مثله يزيغ
جزرة وخفص (ثم تاب
عليهم) تكرر للتوكيد
(انه بهم رؤوف رحيم وعلى
الثلاثة) أي وتاب على
الثلاثة وهم كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال
ابن أمية وهو عطف على النبي
(الذين خلفوا) عن الغزو

(وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أى ما أمر الله باتباعه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بانه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من حاف المؤاخذه بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فلما ما يعلم بال عقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير اقد تاب الله على النبي) أى تاب عليه باذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيه بحث للمؤمنين على التوبة وانه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) فى غزوة تبوك ومعناه فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى

به أتم فى هذه الحالة أيضاً وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) يعنى وما كان الله ليقتضى عليكم بالضلال بسبب استغفاركم او تاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووقفكم للايمان به وبرسوله وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم أن ذلك ليس بضائرهم (حتى يبين لهم ما يتقون) يعنى ما يأتون وما يذرون وهو أن يقدم اليهم الهى عن ذلك الفعل فاما قبل النهى فلا حرج عليهم فى فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع فى قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤخذ بهم بعمل الابد ان يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين فى ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبما نهى لهم فى معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليغيب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا فى أمر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فخص على ضلال فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعنى وما كان الله ليبيطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من أوامره ونواهيه (ان الله له ملك السموات والارض) يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء (يحى ويميت) يعنى انه تعالى يحى من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحى من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه فى حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) يعنى انه تعالى هو ولىكم وناصركم ليس لكم غيره بمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذه باذنه للمنافقين بالتخلف فى غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لأنه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسة ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشرىف للمهاجرين والانصار فى ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله فى قوله فان لله خمسة والرسول فهو تشرىف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلا جمل ما وقع فى قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت فى وقت شديد وبما وقع فى قلوب بعضهم انا لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع فى قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات فى مدة عمره امان من باب الصغار واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التى حصلت لهم فى ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة فى تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيه على عظم مراتبهم فى الدين وانهم قد باغوا الى الرتبة التى لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) فى تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك فى سبعين ألفا مابين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (فى ساعة العسرة) يعنى فى وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة

الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربي لان النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يختلف وعده (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فعناه وما كان طلب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما نزل الله خبرا عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أنتستغفر لأبيوك وهما مشركان فتألم أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فأنبت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله الا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك يعني ان إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لأبيه وهو مشرك للمكان الموعد الذي وعده أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في آياه راجعة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان أبا إبراهيم وعدا إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا أسأمت وقيل ان الهاء راجعة إلى الاب وذلك ان إبراهيم وعدا أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالياء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبأن له ان أباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى إلى إبراهيم ان أباه عدو له ففترأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يابقي إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر فترة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فالיום لا أعصيك فيقول إبراهيم يارب انك وعدتني ان لا تخز بني يوم يبعثون فأى خزي أخزى من أبي فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ماتحت رجائك فينظر فإذا هو بذبح مطاطع فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره ففترأ منه والفترة غبرة يعولها سواد الذبح بذال مججمة ثم ياء مشناة من تحت ثم خاء مججمة هو ذكرا الضباع والائتي ذبحة وقوله تبارك وتعالى (ان إبراهيم لاواه حليم) جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه وقال عقبه بن عامر الاواه الكثير الذي كره الله عز وجل وقال سعيد بن جبيرة هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شقيا وفرقا للضرع اي قانا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويستدحرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض مابه من الحزن والشدة وأما الحليم فعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه أو أتاه بكروه ثم يقابله بالاحسان والالطف كما فعل إبراهيم بابيه حين قال له لئن لم تنته لارجنك فاجابه إبراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله اي بين سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا

وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر إبراهيم فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) أي وعدا أبوه إياه أن يسلم أو هو وعدا أباه أن يستغفر وهو قوله لا استغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الاسلام الذي به يغفر له (فلما تبين من جهة الوحي (له) لإبراهيم (أنه) ان أباه (عدو لله) بان يموت كافرا وانقطع رجاءه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره (ان إبراهيم لاواه) هو المتأوه شقيا وفرقا ومعناه انه لفطر ترجمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حليم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن اذى لانه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لا رجنك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرني وأُنزل الله في أبي طالب أنك لانهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى أنك لانهدي من أحببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فنع من الاستغفار والله أعلم مراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فابي فانزل الله أنك لانهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولانهدي في قبري فريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لا قررت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلي منه أم دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضحضاح وقال أبو هريرة بر بدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبره آمنه فوقف حتى حيت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فأنزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بر بدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال وأكثرتني انه قال قبره آمنه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبدا فقلنا يا رسول الله انارأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبره آمنه فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فمارؤى يا كيا كثر من يومئذ وحكي ابن الجوزي عن بر بدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبره آمنه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبره فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لبيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويملك العاني ويوفي بالذم أفلا تستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لبيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لبيه الا عن موعدة وعدها لايه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له أنتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لبيه الا عن موعدة وعدها لايه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى

(الأن تقطع قلوبهم) شامى وحزرة وحفص أى تقطع غيرهم تقطع أى الآن تقطع قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء فليفتد يسألون عنه وأما مادامت سائلة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصوير الحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أوفى (٢٨٤) القبور أوفى النار أومعناه الآن يتوبون أوبة تنقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على نفيهم

هدم بنيانهم ريبة أى حرارة وغىظاً في قلوبهم (الآن تقطع قلوبهم) أى تجعل قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء أما بالسيف وأما بالموت والمعنى أن هذه الريبة باقية في قلوبهم إلى أن يموتوا عليها (والله عليم) يعنى بأحوالهم وأحوال جميع عباد الله (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بيعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقيقة وكانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسى أن تمنعوني عما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فمالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فترأت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيئاً هو له في الحقيقة لان المشتري إنما يشتري ما لا يملك والاشياء ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا ياها لکن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء بما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدلاً واشترى فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون في سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبيعة وقيل فيه معنى الامر أى قاتلوا في سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعنى فيقتلون أعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله (وعدا عليه حقاً) يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقاً (في التوراة والانجيل والقرآن) يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أثبتته في التوراة والانجيل كما أثبتته في القرآن وفيه دليل على أن الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهده من الله) يعنى لا أحد أوفى بالعهده من الله (فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به) يعنى فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذى يبيعكم الله به (وذلك) يعنى هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه راجح في الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله يبيعك وجعل الصفتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعته يبيعه الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببيعها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (التائبون) قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتنام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضاً وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة لجميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للأول كان الوعد بالجنة خاصاً بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل بامور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضا الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته (العاقدون) يعنى الطيبين

(والله عليم) بعزائمهم (حكيم) في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل الله انابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم فاعلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابنى وهو يقرؤها فقال بيع والله مريح لا تقبله ولا نستقبله نخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أى نارة يقتلون العدو وطوراً يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حزمة وعلى (وعدا عليه) مصدر أى وعدهم بذلك وعدا (حقاً) صفة أخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبتته في التوراة والانجيل والقرآن وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا باقتال ووعدا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرم مناف كيف باكرم الاكرمين ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به) فافرحوا غاية الفرح فانكم تبيعون فانيباقي (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ايسر لابدا انكم تمنى الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العاقدون) أى الذين عبدوا الله

عليه الكرم مناف كيف باكرم الاكرمين ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به) فافرحوا غاية الفرح فانكم تبيعون فانيباقي (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ايسر لابدا انكم تمنى الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العاقدون) أى الذين عبدوا الله

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فإذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنامعهم فقال عليه السلام أنتم رضون بالقضاء قالوا نعم قال أنصرون على البلاء قالوا نعم قال أنشكروا في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد آتاني عليكم فالذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط ونتبع الاشجار الثلاثة ثم نتبع الاشجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر اهم يؤثره ويحرصون عليه حرص الحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل الحب

(٢٨٣)

بحبوه (أفن أسس بنيانه) وضع أساس ما بينه (على تقوى من الله) ورضوان خير أم من أسس بنيانه (على شفاعر جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفاعر جرف هار في قلة الثبات والاستمسك وضع شفاعر الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفاعر الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي ينحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشنى على التهدم والسقوط ووزنه فعيل قصر عن فاعل تخلف من خالف

الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لما أثر عنه الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضاع عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله سبحانه وتعالى (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاءه والمعنى أن الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفاعر جرف هار) الشفاعر هو الشفير وشفاء كل شيء حرقه ومنه يقال أشفى على كذا اذا دنا منه وقرب أن يقع فيه والجرف المكان الذي أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار أي هائر وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذي ندعى بعضه في أثر بعض كما بهار الرمل والشيء الرخو (فانهار به) يعني سقط بالباني (في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) والمعنى أن بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فهو ربا له فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفاعر جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد بنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والباني الثاني قصد بنيانه الكفر والنفاق وضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس سيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما ناهى بناؤهم حتى وقع في النار واقتد كرائنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة) يعني شكوا نفاقا (في قلوبهم) والمعنى أن ذلك البنيان صار سببا للحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وخزا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بناءه كما حجب العجل الى بني اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لا ي سبب أمر بتخريبه وقال السدي لا يزال

وألفه اس بانف فاعل انما هي عينه وأصله هو رقابت الفاتحة كرها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنهه أمره أفن أسس بنيانه أم من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وجزء ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وجزء في رواية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل لشرح المجاز في بلفظ الاهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفاعر جرف هار من أوديه جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قمرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يوفقهم للحيرة عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاقهم لشد على شكهم ونفاقهم لما غاظمهم من ذلك وعظم عليهم

شيء ولا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب إلا أنهم يتقربون إلى الله ولم أعلم ما في أنفسهم فهدره عمر فصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الأمصار أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأمرهم أن لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضاران أحدهما الآخر وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه لا تنصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في مسجد الضرار (المسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعني بني أصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل (من أول يوم) يعني من أول يوم بني ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (أحق أن تقوم فيه) يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمرو بن بد بن ثابت وأبو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة وبدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فاخذ كفما من حصي فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن قوائم منبري هذا روايت في الجنة أخرجه النسائي قوله روايت يعني ثوابت يقال رب بالمكان إذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبيرة وقادة أنه مسجد قباء وبدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وبدل على أنهم أهل قباء ما روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الأصول من رواية أبي داود والترمذي موقوفا على أبي هريرة وراه البغوي من طريق أبي داود مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية وبما يدل على فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكباً وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشيا وكان ابن عمر يقرئه له أخرج الرواية الأولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل ابن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن أسد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يعني من الأحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هل قباء أني أسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا إلا أن جيراننا ثمان اليهود رأيناهم يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسّلوا وعن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا هل قباء أن الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا أنا نغسل عنائنا الغائط والبول وقال الإمام جعفر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الأول أن التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد

(لا تقم فيه أبدا) للصلاة (المسجد أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسست له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيام مقامه بقاء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قبل القياس فيه مدلانه لابتداء الغاية في الزمان ومن لابتداء الغاية في المكان والجواب أن من عام في الزمان والمكان (أحق أن تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)

المنافقين بنوا مسجد يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق ودبعة بن ثابت وخدام
 ابن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد ونعابة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء مجمع وزيد ومعتب بن قشير
 وعبد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأذعر ونبيل بن الحرث وبنجاد بن عثمان وبن جرج بنوا
 هذا المسجد ضرار يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفرقوا بين المؤمنين)
 لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف
 وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شايبا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا
 من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله اننا قد بنينا مسجدا
 لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشامية واننا نحب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قد منان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه وقوله سبحانه
 وتعالى (وارصاد المن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوا رصادا يعني
 انتظارا واعداد المن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد
 حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد تهرب في الجاهلية ولبس السوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله
 عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم جئت بالحنيفية
 دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليه اقال أبو عامر بلى ولكنك
 أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو
 عامر أمت الله الكاذب منا يريد اوحيد اغريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس أبا عامر
 الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
 معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فاما انهمزمت هو ازن بشس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى
 المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجد افانني ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى
 بجند من الروم فاخرج محمد وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى
 وارصادا يعني انتظارا المن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق ليصلى فيه اذ ارجع من الشام من قبل
 يعني ان أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد
 (ان أردنا) يعني ما أردنا ببنائه (الا حسنى) يعني الا الفعلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة
 على أهل الضعف والمجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم
 الكاذبون) يعني في قلوبهم وحلفهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي
 أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان أتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه
 وبأنتهم فأنزل الله هذه الآية وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي ا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله
 فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك
 أنظروني حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فاخذ من سيف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتمون حتى دخلوا
 المسجد وفيه أهله فأحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك
 الموضع كناسة تاتي فيها الحيف والانتقام ومات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وروى ن بنى
 عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان
 يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونة عين أليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا أمير المؤمنين لا تجهل على
 فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما ضمروا عليه ولوعلمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا

(وتفرقوا بين المؤمنين)
 لانهم كانوا يصلون بمجتمعة
 في مسجد قباء فارادوا أن
 يتفرقوا عنه وتختلف كلهم
 (وارصاد المن) واعداد
 لاجل من (حارب الله
 ورسوله) وهو الراهب
 أعدوه ليصلي فيه ويظهر
 على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقيل كل مسجد بني
 مباهاة أو رياء أو سمعة أو
 لغرض سوى ابتغاء وجه
 الله أو جمال غير طيب فهو
 لاحق بمسجد الضرار (من
 قبل) متعلق بحارب أي من
 قبل بناء هذا المسجد يعني
 يوم الخندق (وليحلفن)
 كاذبين (ان أردنا الا
 الحسنى) ما أردنا ببناء هذا
 المسجد الا الخصلة الحسنى
 وهى الصلاة وذكر الله
 والتوسعة على المصائب
 (والله يشهد انهم كاذبون)
 في حلفهم

ووجوهه اليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) يعفو الحربة ٧ (وقل) هؤلاء الثائبين (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أي فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كإيمانهم وتبين لكم أو غير الثائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روى أنه لما تب عليه قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بلا مس معن لا يكامون ولا يجاسون فإلهم فيزات وقوله تعالى فيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون إلى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فنبشكم بما كنتم تعملون) نبتة تذكري ومجازاة عليه (وآخرون من جنون لا مر الله) بغيرهم مدي وكوفي غير أي بكر من جنون غيرهم من أرجيته وأرجائه إذا أخرته ومنه المرجئة أي وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم (أما بعد) أي ان أصرروا ولم يتوبوا (وأما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة (٢٨٠) كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا عن غزوة

تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليهم) برجائهم (حكيم) في أرجائهم وأما للشك وهو راجع إلى العباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السواري وأظهروا الجزع والغم فلما علموا أن أحد لا يظفر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت نوبتهم فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغبروا ومدني وشامي وهو مبتدأ خبره محذوف أي جازيهاهم روى أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول

السائل أخذ الصدقة بكفها ثمين فكان المتصدق قد رضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو أي تكبر يقال بالشيء يربو إذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها اعتان المهرأول ما يولد والفصيل ولد الناقة إلى أن يفصل عنها وقوله سبحانه وتعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) تأكيد لقوله سبحانه وتعالى لم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وينبشهم بأن الله هو التواب الرحيم وقوله عز وجل (وقل) أي قل يا محمد هؤلاء الثائبين (اعملوا) يعني لله بطاعته وأداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للطيعين ووعيد عظيم للذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا أما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله أياه على أعمالكم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) يعني وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سرهم وعلايتهم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم (فنبشكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خيرا وشرا فيجازيكم على أعمالكم وقوله سبحانه وتعالى (وآخرون من جنون) أي مؤخرون والارجاء التأخير (لامر الله) يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين مردوا على المفاق واستردوا عليه والقسم الثاني الثائبون وهم الذين سارعوا إلى التوبة بعد ما عتروا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون من جنون لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا إلى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فآخر الله أمرهم نزات هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالغوا في التلويح والاعتذار كإفعل أبو لبابة وأصحابه فوقعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويفرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أما بعد) أي ما يتوب عليهم) يعني أن أمرهم إلى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليهم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضى عليهم وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا) نزلت في جماعة من

الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم وصلى فيه فحسدتهم أخوانهم بوغثم ابن عوف وقالوا بنى مسجدًا ونزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قومًا يقانلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنيانا مسجد الذي العلة والحاجة ونحن نحب أن نصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر وإذا قد منامن ذلك ان شاء الله صلينا فيه فاما قفل من غزوة تبوك سألوه أيان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة ومعين بن عدى وغيرهما انطلقوا إلى هذا المسجد الطام أهل فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة بلقي فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضارا) منعول له وكذا ما بعد أي مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية لللفاق

الصدقة من أوساخ الناس فإذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جارا يا بحري
التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيتهم بها منقطعاً عن قوله تطهرهم ويكون التقدير
خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيتهم أنت بها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله
تطهرهم وتزكيتهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيتهم أنت بواسطة
تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من دنوسهم وتزكيتهم بمعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين إلى
منازل الأبرار المخلصين وقيل معنى وتزكيتهم أى تنهى أموالهم ببركة أخذها منهم الحكم الخالص قوله سبحانه
(وصل عليهم) أى ادع لهم واستغفر لهم لأن أصل الصلاة فى اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى
عنه السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول آجر الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت
وقال بعضهم يجب على الامام أن يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب فى صدقة الفرض
ويستحب فى صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطى وقال بعضهم يستحب
أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن أبى أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه أبى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبى
أوفى أخرجه فى الصحيحين وقوله سبحانه وتعالى (ان صلاتك) وقرئ صلواتك على الجمع (سكن لهم)
يعنى أن دعائك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة ثببت
لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى أن صلواتك توجب سكن نفوسهم اليها والمعنى ان
الله قد قبل توبتهم وقبل زكاتهم (والله سميع) يعنى لا قوا لهم وألدها لك لهم (عليم) يعنى بنياتهم
(ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام إلا أن المقصود منه التقرير فبشر الله
عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل
التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيباً لهم فى التوبة وبذل
الصدقات وذلك انه لما زلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معناباً لا مس
لا يكلمون ولا يجالسون فإباهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيباً لهم فى التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن
عباده قيل لا فرق بين عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين فولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما
فرق وأعل عن فى هذا الموضع أبلغ لان فيه بشيراً بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله سبحانه
وتعالى (و يأخذ الصدقات) يعنى يقبلها ويثب عليها وانما ذكر لفظ لاخذ ترغيباً فى بذل الصدقة واعطائها
الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضاعف منه الجزاء عليها ولما كان هو المجازى عليها والمثيب بها أسند
الاخذ إلى نفسه وان كان الفقير والسائل هو الآخذ لما وفى هذا اعظم أمر الصدقات وتشریفها وان الله
سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق
أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الاخذها الرحمن بجميعه وان كانت ثمرة
فتربوى كفى الرحمن حتى تكون أظلم من الجبل كابر فى أحدكم فلوه وأفضيله لفظ مسلم وفى البخارى
من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفى رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله
يقبلها بجميعه ثم يرهبها لصاحبها كابر فى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذى ولفظه
ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة وياخذها بجميعه فيرهبها لأحدكم كابر فى أحدكم فلوه حتى اللقمة
لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
وياخذ الصدقات ويعتق الله الرابوا فى الصدقات وقوله من كسب طيب أى حلال وذكر الخمين والكف
فى الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطى لان من عادة الفقير أو

(وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها (ان صلواتك) صلواتك كوفي غير أبي بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لانها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائكم أوسميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (وياخذ الصدقات) ويقبلها اذا صدرت على خلوص النية وهو لا تخصيص أى ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصده بها

خلط الماء بالماء وخاط الماء بالماء كما تقول جعت زيداً وعمراً ولو أوفى الآية أحسن من الباء لانه أريد
 معنى الجمع لا حقيقة الخلط ألا ترى أن العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء بالماء لكن قد يجمع
 بينهما ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (عسى الله أن يتوب عليهم) قال ابن عباس وجهه المفسر بن عسى من الله
 واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظه عسى
 هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه أبعاد من الاتكال والاهمال وقيل إن الله سبحانه وتعالى لا يحب عليه شيء بل
 كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون
 العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو إلى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله (إن الله غفور
 رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (خدم من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) قال
 ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبوابه وصاحبه انطلق أبو لبابة وصاحبه فأتوا بأموالهم
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ أموالنا وصدق بها غنا وصل علينا يارب دون استغفر لنا وطهرنا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخذ شيئاً منها حتى أومر به فانزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة
 الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه
 الصدقة فقال بعضهم هو راجع إلى هؤلاء الذين أتوا بذلك أنهم بذلوا أموالهم صدقة فوجب الله سبحانه
 وتعالى أخذها وصار ذلك معتبراً في كل تو بتهم لتسكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون
 ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم إن الزكاة كانت واجبة عليهم فلما أتوا من تخلفهم عن الغزو
 وحسن إسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال
 بعضهم إن الآية كلام مبتدأ والمقصود منها إيجاب أخذها من الأغنياء ودفعها إلى الفقراء وهذا قول أكثر
 الفقهاء واستدلوا بها على إيجاب أخذ الزكاة أماً حجة أصحاب القول الأول فأنهم قالوا إن الآيات لا بد وأن
 تكون منتظمة متناسقة فلو جلتها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بمقابلتها ولا بما بعدها
 ولأن جمهور المفسرين يذكروا في سبب نزولها أنها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الأخير فأنهم
 قالوا المناسبة حاصلة أيضاً على هذا التقدير وذلك أنهم لما أتوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف
 هو حب المال أمر وأباح أراج الزكاة التي هي طهرة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة تو بتهم ولا يمنع من
 خصوص السبب العموم الحكم فإن قالوا إن الزكاة قدر معلوم لا يباغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم
 قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لأنهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلان يكونوا راضين بأخراج الزكاة أولى ثم
 في هذه الآية أحكام الأول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أي
 خذ يا محمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة
 فيجوز للأمام وأئمة أن يأخذوا الزكاة من الأغنياء ويدفعوها إلى الفقراء الحكم الثاني قوله من أموالهم ولفظة
 من تقتضي التبعية وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق إلا الصدقة التي بين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها ووصفها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة
 يفيد العموم فوجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركا كالحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم
 إن الزكاة إنما وجبت لتكونها طهرة من الآثام وصد دور الآثام لا يمكن حصولها إلا من البالغ دون الصبي
 فوجب أن تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بأنه لا يلزم
 من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقاً ولا علماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الأول أن معناه
 خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم
 متعلقاً بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وإنما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء إن

(عسى الله أن يتوب عليهم)
 إن الله غفور رحيم) ولم
 يذكر تو بتهم لانه ذكر
 اعترافهم بذنوبهم وهو
 دليل على التوبة (خذ
 من أموالهم صدقة) كفارة
 لذنوبهم وقيل هي الزكاة
 (تطهرهم عن الذنوب
 وهو صفة لصدقة والتاء
 للخطاب أو أغنية المؤنث
 والتاء في (وتزكهم)
 للخطاب لا محالة (بها)
 بالصدقة والتركية مبالغة
 في التطهير وزيادة فيه
 أو بمعنى الانماء والبركة في
 المال

والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعد لنا
 فر بطوا أنفسهم في سوارى المجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم منهم فرأهم فقال من هؤلاء فقالوا
 هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى نطلقهم وترضى عنهم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أمر باطلاقهم رغبوا عني
 وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم
 فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا
 واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فانزل الله خذ من أموالهم
 صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزات هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد
 نزات في أبي لبابة حين قال لبي فر يطة ان نزاتهم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على ذلك ور بط
 نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فكت سبعة
 أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقبل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل
 نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمله بيده
 فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتي أن أهجردار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله
 صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا أبا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم
 لان افضلة من تقتضي التبعية وقال الحسن وقتادة وهو لا عسى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتي خبرهم وأما
 تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء
 ومعناه انهم أقروا بذنوبهم وفيه دقة وهي أنهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين
 ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة
 أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب
 والعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿١﴾ وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا
 عملا صالحا وآخر سيئا) قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم
 عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعبر عن جميع أعمال
 البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى
 وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن
 أبي عثمان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد
 جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا فالحلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق
 فاما قولك خلطته فانه يحسن في الموضع الذي يترج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته
 الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتتوب الوادع عن الباء فيكون معنى الآية على
 هذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وأسكره الامام غفر الدين الرازي وقال اللانقي بهذا
 الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصل معا في كل واحد منهما على حاله كما هو
 مذهبا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم
 والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالاحباط وانه بقي كل
 واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول

فاطلقهم فقالوا يا رسول الله
 هذه أموالنا التي خلفتنا
 عنك فتصدق بها وطهرنا
 فقال ما أمرت أن آخذ
 من أموالكم شيئا فنزل خذ
 من أموالهم صدقة
 (خلطوا عملا صالحا)
 خروجا الى الجهاد (وآخر
 سيئا) تخلفا عنه والتوبة
 والاثم وهو من قولهم بعث
 الشاة شاة ودرهماى شاة
 بدرهم قالوا بمعنى الباء
 لان الواو لا جمع والباء
 للاصاق فيتناسبان أو
 المعنى خلط كل واحد منهما
 بالآخر فكل واحد منهما
 مخلوط ومخلوط به كقولك
 خلطت الماء واللبن تريد
 خلطت كل واحد منهما
 بصاحبه بخلاف قولك
 خلطت الماء باللبن لانك
 جعلت الماء مخلوطا واللبن
 مخلوطا به واذا قلتم بالواو
 فقد جعلت الماء واللبن
 مخلوطين ومخلوطا بهما
 كانك قلت خلطت الماء
 باللبن واللبن بالماء

(ومن أهل المدينة) عطف على خبر المدينة الذي هو ممن حولكم والمبشدة منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت
ومن أهل المدينة قوة (مردوا) (٢٧٦) على النفاق) أي تمهر وافية على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول

على القليل لان افظة من التبعية ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاعراب وبهذا يمكن
الجمع بين قول المفسرين وعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما الطبري فانه أطلق القول ولم يعين أحدا من
القبائل المذكورة بل قال في تفسيره هذه الآية من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب
منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الاوس
والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) وفيه تقديم وتأخير تقديره ومن حولكم من الاعراب ومن أهل
المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني من نوا عليه يقال ترد فلان على ربه اذا عاتوا وتجبر ومنه الشيطان
المارد وتكرر في معصيته أي مر ن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوافيه وأبو غيره وقال
ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا معه (لا تعلمهم) يعني أنهم بلغوا في النفاق الى حيث أنك لا تعلمهم بما محمد مع صفاء
خاطر كواطلاءك على الاسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت
(سندهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على أن العذاب الثاني هو عذاب القبر
بدليل قوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا أنه سبحانه وتعالى يعذب
المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها
فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق اخرج من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان
صح هذا القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن
نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان أحكام
الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجويع
مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الديلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بأنها اخرج من نار تظهر في
أكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال
والاولاد في الدنيا والآخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحد ودعوتهم في الدنيا والآخرى عذاب
القبر وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والآخرى
عذاب القبر وقيل احداهم ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض ارواحهم والآخرى عذاب القبر
وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والآخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم
يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم بخلدون فيه قوله عز وجل (وآخرن اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان
أحدهما أنهم قوم من المنافقين نابوا من نفاقهم وأخلصوا وخجته هذا القول أن قوله تعالى وآخرن عطف
على قوله ومن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهم ويعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس أنه قال
هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلاف المفسرون في عددهم فروى
عن ابن عباس أنهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير
وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة
أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك أنهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أن نكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه في الجهاد والالاء فلم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا

لا يخجلون أن يكون كلاما
مبتدأ أو صفة لمنافقون
فصل بينهما وبينه بمعطوف
على خبره ودل على
مهارتهم فيه به بقوله
(لا تعلمهم) أي يخفون
عليك مع فطنتك وصدق
نحامي ما شكك في
أمرهم ثم قال (نحن
نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله
ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يبتغون الكفر في
سويداء قلوبهم ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر
الخاصين من المؤمنين
(سندهم مرتين) هما
القتل وعذاب القبر أو
الفضيحة وعذاب القبر أو
أخذ الصدقات من أموالهم
ونهلك أبدانهم (ثم يردون
الى عذاب عظيم) أي
عذاب النار (وآخرن)
أي قوم آخرون سوى
المدكورين (اعترفوا
بذنوبهم) أي لم يعتدروا
من تخلفهم بم بالمعاذير
الكاذبة كفرهم ولكن
اعترفوا على أنفسهم بأنهم
بش ما فعلوا نادمين وكانوا
عشرة فسبعة منهم لما
بلغهم منازل في المتخلفين
أو تقوا أنفسهم على سوارى
المسجد فقدم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر
لهم أنهم أقسموا أن لا يخجلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقالوا أن أقسم أن لا أحلهم حتى أمر فيهم فزلت

تعالى عنهم فهو لاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محببا - هلا وكان أنسب قریش لقریش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه وبالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبس الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطاحنة بن عبید الله فجاءهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده واصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن الجحلاان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رباحة فهو لاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فأسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقى اللفظ مجالا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف اللفظ المجمع اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا ان الهجرة طاعة عظيمة ومربية عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصر فانها مربية عالية ومنقبة شريفة لانهم نصر وارسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه واسووه وآووا أصحابه واسووه فذلك أنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذين اتبعوهم باحسان) قبلهم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلکوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدثكم أنفق مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا يصيفه أراذ بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلافوا في مدته من الزمان فقيل من عشرين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين بن سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصف نصفه والمعنى لو أن أحدا عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا بذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليه من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ومن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبلغوي والواحدى وابن الجوزي أنهم من اعراب من بنى وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون - وادبروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا هؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون

الاولى وكانوا - سبعة نفر
وأهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين (والذين اتبعوهم
باحسان) من المهاجرين
والانصار فكانوا سائر
الصحابة وقيل هم الذين
اتبعوهم بالايمان والطاعة
الى يوم القيامة والخير
(رضي الله عنهم) بأعمالهم
الحسنة (ورضوا عنه) بما
أفاض عليهم من نعمته
الدينية والدنيوية (وأعد
لهم) عطف على رضى
(جنات تجري تحتها
الانهار) من تحتها مكي
(خالدين فيها أبدا ذلك
الفوز العظيم ومن حولكم
يعنى حول بلدكم وهي
المدينة (من الاعراب
منافقون) وهم جهينة
وأسلم وأشجع وغفار كانوا
نازحين حولها

٢ قوله ستة نفر المعدود هنا
خسة والسادس عقبة بن
عامر كافي المواهب وقوله
في الطامش سبعة تباع فيه
الكشاف وهو مخاض لما
في المواهب وما هنا اه

لما بقى ولون اذا توجهت
عليهم الصدقة (عليهم) بما
يضمرونه (ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم
الآخر ويتخذ ما ينفق في
الجهاد والصدقات (قربات)
أسبابا للقرية (عند الله)
وهو مفعول ثان ليتخذ
(وصلوات الرسول) أى دعاءه
لانه عليه السلام كان
يدعو للمتصدقين بالخير
والبركة ويستغفر لهم
كقوله اللهم صل على آل
أبى أوفى (ألا انها) أى
النفقة أو صلوات الرسول
(قرية لهم) قرية نافع
وهذا شهادة من الله
للمتصدق بصحة ما اعتقد
من كون نفقته قربات
وصلوات وتصدق لرجائه
على طريق الاستئناس مع
حرفى التنبيه والتحقيق
المؤذين بثبات الامر ونمكنه
وكذلك (سيد خلهم الله فى
رحمته) جنته وما فى الدين
من تحقيق الوعد وما أدل
هذا الكلام على رضا الله
عن المتصدقين وان الصدقة
منه بمكان اذا خلصت النية
من صاحبها (ان الله غفور)
يسرعيب الخل (رحيم)
يقبل جهده المفضل
(والسابقون) مبتدأ
(الاولون) صفة لهم (من
المهاجرين) تبين لهم وهم
الذين صلوا الى القبليتين أو

محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الاما يسوءهم (والله سميع) يعنى لا قوا لهم (عليهم) يعنى بما يخفون فى
ضمايرهم من النفاق والغش وارادة السوء للذين يؤمنون بهذه الآية فى اعراب أسد وغطفان وتقيم ثم استثنى
الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن
من مزينة وقال السكبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرايتم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر
ابن صعصعة فقال رجل خابوا وخسر وا قال نعم هم خير من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى
عامر بن صعصعة وفى رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعتك سراق الحجيج من أسلم
وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ان كان أسلم وغفار ومزينة
وأحسبه قال وجهينة خيرا من بنى تميم وبنى عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسر وا قال نعم (ق) عن
أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم فى رواية له ما نأى لم
أقلها لكن الله قالها (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قرئش والانصار وجهينة
ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى لبس لهم مولى دون الله ورسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله) جمع قرية أى بطاب ما ينفق القرية الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعنى
ويرغبون فى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير
والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى (ألا انها قرية لهم) يحتمل أن
يعود الضمير فى انها الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الاتفاق وكلاهما قرية لهم عند الله وهذه شهادة
من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند
الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها
قرية لهم (سيد خلهم الله فى رحمته) وهذه النعمة هى أقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المنفقين فى
سبيله (رحيم) يعنى هم حيث وفقهم لهذه الطاعة ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار) اختلف العلماء فى السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجاعة هم الذين
صلوا الى القبليتين وقال عطاء بن أبى رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة
الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السابق بصحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال جريد بن زياد قلت يوم ما محمد بن كعب القرظي ألا تخبرنى عن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم وأوجب لهم الجنة فى كتابه
فقلت له فى أى موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحانه الله أن تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فأوجب
الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فى قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط فى
التابعين شرط وهى أن يتبعوهم فى أعمالهم الحسنة دون السيئة قال جريد فكأن لم أقرأ هذه الآية قط
واختلف العلماء فى أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة على بن أبى طالب وهذا قول جابر بن
عبد الله ثم اختلفوا فى سنة وقت اسلامه فقليل كان ابن عشرين سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان
بالغاو الصحيح أنه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول
ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن زبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم
من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان على بن أبى طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضى الله

(وسيرى الله عملكم ورسوله) أتمون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى تردون اليه وهو عالم كل سر وعلاية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) اتركوهم ولا تنوخواهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل اترك معانيتهم (٢٧٣) أى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصالحهم لانهم أرجاس لاسـ... بيل الى

(وسيرى الله عملكم ورسوله) يعنى فى المستأنف أتمون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل يحتمل أنهم وعدوا بان ينصروا المؤمنين فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم) يعنى فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما فى ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) يعنى اذا رجعتهم من سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعنى اتصفحو عنهم ولا تنوخواهم ولا توبخوهم بسبب تخافهم (فاعرضوا عنهم) يعنى فدعوهم وما اخاروا لانفسهم من النفاق وقيل ير يدترك الكلام يعنى لانكم موهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعنى أن بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة (ومأواهم) يعنى مسكنهم فى الآخرة (جهنم جزء بما كانوا يكسبون) يعنى من الاعمال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف انبى صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو أنه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية والتى بعدها (يحلفون لكم ان تعرضوا عنهم) يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون ان تعرضوا عنهم (فان تعرضوا عنهم) يعنى فان رضيت عنهم أي المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبداً وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبة فى العرب وجعه العرب ورجل أعرابى اذا كان بدوياً يطلب مساقط الغيث والكلاوي يجمع الاعرابى على الاعراب والاعراب يفرق استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابى اذا قيل له ياعربنى فرح بذلك والعربى اذا قيل له ياعررابى غضب والاعراب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواظع وهو قوله سبحانه وتعالى (وأجدر) يعنى وأخلق وأحرى (الاياموا) يعنى بان لا يامعوا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعنى بما فى قلوب عباده (حكيم) فمافرض من فرائض وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغما) يعنى لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقبا نأما ينفق فى خوف أو رياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد أن الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسكين أو مراعاة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه (ويتر بص) يعنى ويتنظر (بكم الدوائر) يعنى بالدوائر التى تقرب الزمان وصروفه التى تاتى مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعنى تقرب الزمان فيموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعنى بل يتقرب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون فى

أرجاس لاسـ... بيل الى
تطهيره (ومأواهم جهنم)
ومصيرهم... م النار يعنى
وكفتهم... م النار عتابا
وتوبىخا فلا تسكفوا
عتابهم (جزاء بما كانوا
يكسبون) أى يحجزون
جزاء كسبهم (يحلفون
لكم ان تعرضوا عنهم) أى
غرضهم بالخلف بالله طلب
رضاكم لينفعهم ذلك فى
دنياههم (فان تعرضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين) أى فان رضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كان
الله ساخطا عليهم وكانوا
عرضة لعاجل عقوبته
وأجلها وانما قيل ذلك
لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين
يقضى رضا الله عنهم
(الاعراب) أهل البدو
(أشد كفرا ونفاقا) من
أهل الحضر لحفاهم
وقسوتهم وبعدهم عن
العلم والعلماء (وأجدر
ان لا يامعوا) وأحق بان لا
يامعوا (حدود ما أنزل الله
على رسوله) يعنى حدود
الدين وما أنزل الله من
الشرائع والاحكام ومنه
قوله عليه السلام ان الحفاء

(٣٥ - (خازن) - ثانى) والقسوة فى الفئادين يعنى الاكره لانهم يفدون أى يصيحون فى حرثهم والقديد المباح (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب ما يتخذ ما ينفق) أى تصدق (مغما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا لثمة من المسلمين ورياء لوجه الله وانتفاء الثوبة عنده (ويتر بص حكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم دور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء

أى لا جاح عليهم ولا طر بق العتاب عليهم (والله غفور) يغفر تخلفهم (رحيم) بهم (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيمهم الحولة (قلت) حال من الكف في أتوك (٢٧٢) وقد قبله مضمرة أى إذا ما أتوك قال (لا أجد ما أحلكم عليه تولوا) هو جواب إذا

(وأعينهم - تفيض من الدمع) أى نسيلا كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من تفيض دمعاً لأن العين جعلت كأنها دمع فائض وممن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحمل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز أن يكون قلت لا أجد ما أحلكم عليه لأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيس ما لهم تولوا بأ كين فقيس قلت لا أجد ما أحلكم عليه لأنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حزناً) مفعول له (الأيحدا وما ينفقون) لا ييحدوا وما ينفقون ومحل نصب على أنه مفعول له ونصبه حزناً والمستهملون أبو موسى الأشعري وأصحابه أو البكاؤون وهم ستة نفر من الأنصار (أنما السبيل على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهـم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما لهم استأذنوا وهم أغنياء فقيس رضوا (بان يكونوا مع الخواف) أى بالانتظام فى جملة الخواف (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) يعتذرون

الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى أنه سدد بأحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل أن كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه ليس عليه سبيل فى نفسه وماله إلا ما أباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعنى لمن تخاف عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع (رحيم) يعنى أنه تعالى رحيم بجمعه مع عباده قال قتادة نزات هذه الآية فى عائدين عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزات فى عبد الله بن أم مكتوم وكان ضريباً البصر ^و وماذا كر الله عز وجل هذه الأقسام الثلاثة من المعتذرين أتبعه بذلك قسم رابع وهو قوله تعالى (ولا على الذين إذا ما أتوك) يعنى ولا حرج ولا إثم فى التخلف عنك على الذين إذا ما أتوك (لتحملهم) يعنى بسألتك الحلال إيمانهم إلى غزو وعدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزات فى البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحلكم عليه فأنزله الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمرو ومن بنى واقف حرمي بن عمير ومن بنى مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بنى المعلى سلمان بن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذى تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بنى سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو والمزني وقال البغوي هم سبعة نفر: والبكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الأنصاري وعلبة بن زيد الأنصاري وسالم بن عمير وعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزني قال أنور رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن الله عز وجل قد نبأنا إلى الخروج معك فاجلنا فقال لا أجد ما أحلكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة أخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزات فى العرباض بن سارية ويحتمل أنها نزات فى كل من ذكر قال ابن عباس سأله أن يحمله على الدواب وقيل بل سأله أن يحمله على الخفاف المرقوعة والنعال المصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحلكم عليه فولوأوهم يكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى (قلت لا أجد ما أحلكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من بفيض دمعاً لأن العين جعلت كأنها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل (حزناً) مفعول له (الأيحدا وما ينفقون) يعنى على أنفسهم فى الجهاد (أما السبيل) لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى فى حق من يعتذروا عذرله إنما السبيل يعنى إنما توجه الطريق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد فى التخلف عنك والجهاد معك (وهـم أغنياء) يعنى قادرين على الخروج معك (رضوا) بان يكونوا مع الخواف يعنى رضوا بالدناء والاضعة والانتظام فى جملة الخواف وهم النساء والصبيان والفقير دمعهم (وطبع الله على قلوبهم) يعنى ختم عليها (فهم لا يعلمون) مافى الجهاد من الخير فى الدنيا والآخرة مافى الدنيا فالقور بالغنمة والظفر بالعدو ومافى الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لا ينقطع ^و قوله سبحانه وتعالى (يعتذرون اليك إذا رجعت إليهم) يعنى يعتذروا لهؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا إليه وإلى المؤمنين فلذلك قال تعالى يعتذرون اليكم يعنى بالاعتذار الباطلة الكاذبة إذا رجعت إليهم يعنى من سفركم (قل) أى قل لهم يا محمد (لا تعتذروا) قال البغوي روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا (لن تؤمنكم) يعنى لن تصدقكم فيما اعتذرتكم به (قد نبأنا الله من أخباركم) يعنى قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم

اليكم) يقيمون لأنفسهم عاراً باطلاً (إذا رجعت إليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) (وسيرى) بالباطل (لن يؤمنكم) لن تصدقكم وهو غاية للنهى عن الاعتذار لأن الغرض أن المعتذر يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لا تتفاء تصدقهم لأنه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم ومافى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم

المعتذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني وجاء المعتذر ون من أعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو، قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلائلنا وأولادنا ومواسينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رخصة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخافوا باعتذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعتذر ون أى المقصرون يعني أنهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون أدغمت التاء في الذال اقرب مخرجهم ما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذر وافدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه و يقال اعتذرا اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذر الذي هو التقصير يقال عذر تعذرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بديل ان الله تعالى لماد كرههم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فلما فصل بينهم وبينهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قومنا كفوا عذرنا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذر ون وتختلف آخرون لا لعذر ولا شبهة عذر جرة على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ماجاؤا واعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وما تنو اعياه ﴿ قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا واعتذر باطلا عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخليفة ضعيفا نحيفا ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضي فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد ولا يجدون زاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو ومعتذر (حرج) أى ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أى أنهم في التخلف عن الغزو وقال الامام غفر الدين الرازي ليس في الآية أنه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة ما يحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كالدواب عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو بشرط معين وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا نصحوا لله ورسوله) ومعناه أنهم اذا أقاموا في البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقا وبإصلاح بيوتهم وأحاصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصيحة لله ورسوله (ما على الحسنين من سبيل) أى ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد عذر قد أمأحه

المعتذر ون من الاعراب
ايؤذن لهم) هو من عذر
في الامر اذا قصر فيه وتوانى
وحقيقته ان يوههم ان له
عذرا فيما فعل ولا عذر له أو
المعتذرون بادغام التاء في
الذال ونقل حركتها الى
العين وهم الذين يعتذرون
بالباطل قيل هم أسد
وغطفان قالوا ان ادعيا لا
وان بنا جهدا فاذن لنا في
التخلف (وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله)
منافقون الاعراب الذين لم
يحيثوا ولم يعتذروا وظهر
بذلك أنهم كذبوا الله
ورسوله في ادعائهم الايمان
(سيصيب الذين كفروا
منهم) من الاعراب (عذاب
أليم) في الدنيا بالقتل
وفي الآخرة بالسار (ليس
على الضعفاء) الهرمي
والزمنى (ولا على المرضى
ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون) هم الفقراء
من مريضة وجهينة و بنى
عذره (حرج) اثم وضيق
في التأخر (اذا نصحوا لله
ورسوله) بان آمنوا في
السروا العان وأطاعوا كما
يفعل الناصح اصاحبه (ما
على الحسنين) المعتدلين
الناصحين (من سبيل)

(واذا أنزلت سورة) يحوز أن يراد سورة بنائها وأن يراد بعضها كمتع القرآن والكتاب على كنه وعلى بعضه (أن آمنوا بالمد) بأن آمنوا وهي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الضول منهم) ذو والفضل والسعة (وقالوا ذرنا نحن مع الفاعدين) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالب) أى النساء جمع خالصة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون) مافى الجهاد من الفوز والسعادة ومافى التخلف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لا طلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم المنافحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء

من ذلك الشئ الذى وقع الاهتمام به وقيل ايضا تمام كره هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها والآية الاخرى أقواما آخرين منهم * المقام الثانى فى وجه بيان ما حصل من التفاوت فى الالفاظ فى هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للاتفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد فحسن العطف عليه بالفاء فى قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فهذا أى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيذ فيدل على أنهم كانوا مجبيين بكثرة الاموال والأولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفى اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا أن يعذبهم بحرف أن والقائدة فيه التنبيه على أن التعليل فى أحكام الله محال وانه أبناور دحرف اللام فغناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى فى الآية الاولى فى الحياة الدنيا وقال تعالى هنا فى الدنيا والقائدة فى اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى حيث انها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيه على كمال دناءتها فهذه جل فى ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل (واذا أنزلت سورة) يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمن والامر بالجهاد (أن) أى بان (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يامرهم بالايمن مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد فى المستقبل وقيل ان الامر بالايمن يتوجه على كل أحد فى كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهرا للعموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمن على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم أن تؤمنوا بالله وألا تجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها فى الدنيا والآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (استأذنك أولو الضول منهم) قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبرائهم وفى تخصيص أولى الضول بالذ كر قولان أحدهما ان الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الضول بالذ كر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى الضول (ذرنا نحن مع القاعدتين) يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالب) قيل الخوالب النساء اللواتى يتخلفن فى البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالب جمع خالصة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالصة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله فى الامر بالجهاد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هم خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المقادحون) أى الفائزون بالمطالب ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخرية ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وجاء

في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم وبجمله أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم ولا تستغفر لهم وهذا التاويلان فيه ما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقه هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لمات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاول وقوله صلى الله عليه وسلم سأز يد علي السبعين وعبدلزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن بن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت علي السبعين يغفر له لزدت وهذا تنقيد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضها ويقيد بعضها بعضها فلذلك قال لو أعلم أني ان زدت علي السبعين يغفر له لزدت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم أني خيرت مشكلا مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التحخير والجواب عن هذا الاشكال أن النهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطيبا للقلوب الاحياء من قراياتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من التحخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محيي الدين النووي انما أعطاه قيصه ليكنفه فيه تطيبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه اليه وقيل بل أعطاه مكافاة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسرى يوم بدر قيصا وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء وقابله بالحسنى وألبسه قيصه كفنا وصلّى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خاق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أن يكافئه بها وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كام فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قيصي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى أنه أسلم ألف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولانقم على قبره) يعني لا تنقف عليه ولا تنقل دونه من قوله قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحت الفسق وغيره فالفائدة في وصفه بكونه فاسقا به ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء لا غير وهذا أمر مستقيم عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر ﴿ قوله تعالى (ولانحبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه أن تجد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولا وتأييده واراادة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير

(ولانقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل لانهم أى أنهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولانحبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيّد وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى

يا عمر فلما سألت كثر عليه قال اني خيرت فاخترت لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليه اقال فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا سيرا حتى نزات الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فمجيبت بعد من جرائى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذى وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (و) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أبي بعد ما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبته ونفت فيه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم قال وكان كساعبا فيصافى سفيان وقال أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذى يلبى جلدك قال سفيان فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفى رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له فيصافى وجدوا قيص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذى ألبسه

فصل قد وقع فى هذه الاحاديث التى تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق صورة اختلاف فى الروايات فى حديث ابن عمر المتقدم أنه لما توفى عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فأعطاه قميصه وصلى عليه وفى حديث عمر ابن الخطاب من افراد البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفى حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبته ونفت عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وأيس فى حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم أنه صلى عليه أولا كما فى حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فاخرج منه ما نزع عنه القميص الذى أعطاه وكفن فيه لينفت عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكريمة فعلى هذا كانه بعد الله بن أبي تطيب القاب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا وما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه فى مرضه وأنه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قميصه وأن يصلى عليه فأعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفت فى جلد و دلالة فى حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفت فى جلد و دلالة فى قبره جملة منقطة عما قبلها يعنى أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي فى شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج فى آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداءة غير أن الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا فى المنافقين وأعظمهم نفقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرى احدثى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعنى ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرفهم صدرا وكان أبر الناس بآبائه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم أنى من أبر الناس بآبائي وان أمرتني أن أتيك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نغفو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام آبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبو سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فأعطاه وسأله أن يصلى عليه فضلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا قاله ولطلبته وقول عمر تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع

من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا في الحر) قال بعضهم لبعض اوقالوا المؤمنين تشديطا (قل نار جهنم اشد حر لو كانوا يفتقون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوق ع بسبب ذلك التصون في مشقة (٢٦٧) الابد كان اجهل من كل جاهل

ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفتقون) يعني قل يا محمد طهؤلاء الذين اخذوا الراحة والقعود خلافا لك عن الجهاد في الحر ان نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يفتقون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان يبتعدوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلان تنفروا في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفتقون فامر الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافا (وليبيكوا كثيرا) يعني مكان ضحككم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزء بما كانوا يكسبون) يعني ان ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابيكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتابوا فان أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلان سفنا أجريت فيها لجرت قوله سبحانه وتعالى (فان رجعت الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزائك هذه (الى طائفة منهم) يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعداد (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى (فقل ان تخرجوا معي أبدا) يعني فقل يا محمد طهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم ان تخرجوا معي أبدا لا الى غزوة ولا الى سفر (وان تقاتلوا معي عدوا انكم) يعني لانكم (رضيتم بالقعود أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتمه قال فيها عمر عن ذلك فانه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم يدخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤثني ولكن بعث اليك لتستغفر لي وسأله فيصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه في قيصه صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله سبحانه وتعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب اليه فقلت يا رسول الله أصلي على ابن أبي بن سلول وقد قال يوم كذا وكذا وكذا اعدد عليه قوله فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر عني

يومن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روى انه أسلم ألف من الخرج لما رآه يطلب التبرك بشوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظر في التصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعاه فقل

(سخر الله منهم) جازاهم على سخرتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابييه في مرضه نزل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم لمتكثير وليس على التحديد والغاية إذ لو استغفر لهم مدة حياته ان يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر ان كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلي يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذلك

(٢٦٦)

ذلك انثواب الموعود به وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخرتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جازا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكور لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان أحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم والسيارة تتبع فهدا انخص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكور للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر خص لي فسأز يدني على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سوا عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي سؤل جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قبضه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خير في الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأز يدني على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خاف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وأقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج الى الجهاد فاختر والاقعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب الخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى

السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاء غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الوتير ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجع الكثير من النوعين لان فيها أومارا ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو إضافة لأحد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر بها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاء جاز أن يكون تخصيص

السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) إشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله)

ولاعفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والظلم (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا المخالفة له وأخالفين له (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وكيف لا يكونونه وما فيهم في المؤمنين

إيثار

يتناجون به فيما بينهم - من
الطاعن في الدين وتسمية
الصدقة جزية وتدبير منعها
(وأن الله علام الغيوب)
فلا يخفى عليه شيء (الذين)
محله النصب أو الرفع على
الذم أو الجرح على البذل من
الضمير في سرهم ونجواهم
(بهم - زون المطوعين)
يعيبون المطوعين المتبرعين
(من المؤمنين في الصدقات)
متعلقين بياضون روى أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم حث على الصدقة
خفاء عبد الرحمن بن عوف
باربعة آلاف درهم وقال
كان لي ثمانية آلاف
فاقرضت ربي أربعة
وأمسكت أربعة لعمالي
فقال عليه السلام بارك
الله في ما أعطيت وفيما
أمسكت فبارك الله حتى
صولحت بما ضار امرأته
عن ربع الثمن على الثمانين
ألفاً وتصدق عاصم بمائة
وسق من تمر (والذين)
عطف على المطوعين
(لا يجحدون الاجهدهم)
طاعتهم وعن نافع جهدهم
وهما واحد وقيل الجهد
الطاقة والجهد المشقة وجاء
أبو عقيل بصاع من تمر فقال
بت لي ثلثي أجر بالجرير على
صاعين فتركت صاعاً لعمالي
وجئت بصاع فلمزهم
المنافقون وقالوا ما أعطى

وسلم كان منافقاً خالصاً معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن
كانت هذه الخصال غالباً عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلاً فيه وهذا هو المختار في معنى الحديث وقال
جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قانهم حدثوا في إيمانهم
فكذبوا أو أتموا على دينهم فخانوا أو وعدوا في أمر الدين ونصره فآخفوا وأخروا في خصوصاتهم وهذا قول
سعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعد أن كان على خلافه وهو مروي عن ابن
عباس وابن عمرو ورواه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال أكثر أئمتنا وحكي
الخطابي قولاً آخر أن معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال وحكي أيضاً عن بعضهم أن الحديث ورد في
رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وإنما يشير
إشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الإمام غفر الله له الرازي ظاهر هذه
الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم أن يبالي في الاحتراز عنه فإذا
عاهد الله في أمر فليجهد في الوفاء به وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين (أن الله يعلم
سرهم) يعني ما نطوى عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضاً فيما بينهم
والنجوى هو الخفي من الكلام يكون بين القوم والمعنى أنهم يعلمون أن الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شيء
منها (وأن الله علام الغيوب) وهذا مبالغة في العلم يعني أن الله عالم بجميع الأشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم
وقوله عز وجل (الذين يلتمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود البدرى
قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير ففعلوا ما جاء رجل فتصدق
بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلتمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين
لا يجحدون الاجهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على
الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك
باربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعمالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
الله في ما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله
لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العبلي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل
الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت لي ثلثي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت
أحداهما لعمالي وأنتك بالآخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون
فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكن أحب
أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلتمزون يعيبون المطوعين يعني المتبرعين
من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب
عليه (والذين لا يجحدون الاجهدهم) يعني بأبوعقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز
وبالفتح غيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيصدق
به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيصدق به لأن الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن
قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل إنما أخرجته عن ضعف وجهه وفد يؤثر المحتاج إلى المال غيره رجاء
ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعني
أن المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً وكانوا يهرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون أنه لفقير
محتاج إليه فكيف يتصدق به وجوابهم أن كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب ببذل الموجودات بل

فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فاننا لا قبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فأتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضاً بسنده قال بهض العلماء أنه لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لأن الله سبحانه وتعالى منه من قبولها منه بحجازة له على أخلافه بما عاهد الله عليه واهاقه على قوله أنما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له واعتبر غيره به فلا يمنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يثاب على اخراجها وبعاقب على منعها وقال ابن عباس أن ثعلبة أتى مجلساً من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وأصدقت منه ووصلت القرابة فأت ابن عم له فورث منه ما لم ينف بمعا عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن وبجاءه نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملاقعة فقتلا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلافه وقال ابن السائب ان حاطب ابن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه جهداً لذلك جهداً شديداً خلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه ولا صلن فلما آتاه ذلك المال لم ينف بمعا عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية حاصلة ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليمصدقن وليفعلن فيه أفعال الخير والبر والصلوة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم ينف بمعا عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهداً لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدق ولنتخرجن من ذلك المال صدقة (ولنسكون من الصالحين) يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وإيصالها إلى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنسكون من الصالحين اشارة إلى كل ما يعمله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلافه) يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئاً (وتولوا) يعني عما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعني عن العهد (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم) يعني فأعقبهم الله نفاقاً بان صيرهم منافقين يقال أعقب فلان دامة اذا صارت عاقبة أمره إلى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى أعقبهم بنفاق قلوبهم (إلى يوم يلقونه) يعني انه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما خلفوا الله ما وعدوه) يعني الصدقة والانفاق في سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعني في قولهم لنصدقن ولنسكون من الصالحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خصم جفر قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصداً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثر وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وواجبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا وجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه وعده وأتمنه وخاصة وعاهده من الناس لأنه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخادين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه

(ولنسكون من الصالحين) باخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال وتولوا منهاهم (بخلافه) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصررون على الاعراض (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم) فأورثهم البخل نفاقاً ممتكناً في قلوبهم لانه كان سبباً فيه (إلى يوم يلقونه) أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما خلفوا الله ما وعدوه) بما كانوا يكذبون (بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من الصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد نفاقاً)

(فان يتوبوا) عن النفاق (بك) الثواب (خير لهم) وهي الآية التي تاب عندها (٢٦٣) الجلاس (وان يتولوا) يصروا على النفاق

(يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) ينجمهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لن رزقني ما لا أعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنماً ففتت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثير ماله حتى لا يسمعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لآخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعاً حتى أرى رأيي فلما رجع قال لهم ارسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكاماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

النبي صلى الله عليه وسلم استغفوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاماً وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بدية فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دبة فاخرجهار رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى ابني عدى قتل رجلا من الانصار ف قضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه نزلات وما تقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا بك خيرا لهم) يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم بك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل (وان يتولوا) يعني وان يعرضوا عن الإيمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا) يعني بالخرى والاذلال (والآخرة) أي ويعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من عاهد الله ان آتانا من فضله لنصدقن) الآية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسانرت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا والذي بعثك بالحق لن رزقني الله ما لا أعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا قال فاتخذ غنماً فذهت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فنحنى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود فكان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد الجمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج فلياق الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسمعهها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بنى سليم فخذاهما فأتاهما فخرجتا حتى أتيا ثعلبة فسالاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية انطلقا حتى تفرغتما عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزها للصدقة ثم استقبلهما بما هما راياها قال ما هذه عليك قال خذاهما فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية اذ بها حتى أرى رأيي قال فاقبل لافلاما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكاهما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا السلمي بخير فاخبره بالذي صنع ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله ان آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك صدقتك فجعل يحشو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قدأمرتك فلم تطعني فلما أتى أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر فقال أقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأنا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولى عمر أنه فقال أقبل صدقتي

عابه وسلم فجاء بها الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهاك في زمن عثمان رضي الله عنه (لن آتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لنصدقن ولكن التاء أدغمت في الصادق بها منها

خفاة أن أخطأ بخطيئته أو تصيني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس قلت ما قال مصعب
 خلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لم جالساً في ظل شجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين الشيطان فإذا جاء فلا
 تكلموا به فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك
 فانطلق الرجل فجاء بأصحابه خلفه وبالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما
 قالوا ثم نعمتهم جميعاً إلى آخر الآية وقال قتادة ذكرنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار
 وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي بن سلول للادوس انصروا أخاكم
 فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمعك يا كلك وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها
 الاذل فدعى بهما رجل من المساميين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فامرسل إليه فسأله خلف بالله ما قاله فانزل الله
 هذه الآية هـ هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجساً وعابهم فقال الجلاس
 لئن كان محمد صادقاً لئن شرب من الخمر فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس
 فآخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفوا
 عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر خلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام
 عامر خلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده إلى السماء فقال اللهم أنزل علي
 نبيك تصديق الصادق منافقاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل
 أن يتفرق بهذه الآية حتى بلغ فان تبوءوا بك خيراً لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض
 علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قتله وأبأسستغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
 وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه
 وسلم فقبل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقاً لئن شرب من الخمر وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي
 ابن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل وستأتي القصص في موضعها في سورة المنافقين أن
 شاء الله تعالى ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وهو ما لم ينالوا) قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته
 خشية أن ينسبها عليه وقيل هم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا إلى المدينة فلم ينله وقيل
 هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من
 تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فآخبره وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوهه واحلهم فارسل
 حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون إذا رجعنا إلى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي ابن سلول تاجاً
 فلم يصلوا إليه (وما نقيموا الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما أنكرنا على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم شيئاً إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى أن المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر
 النبي صلى الله عليه وسلم أن نقيموا عليه وقيل أنهم بطروا النعمة فنقموا أشراً و بطروا وقال ابن قتيبة معناه
 ليس بنقمون شيئاً ولا يتعرفون إلا الصنع وهذا كقول الشاعر

مانقم الناس من أمية * لأنهم يحلمون أن غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

أي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل ذلك وم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش فلما قدم

(وهو ما لم ينالوا) من
 قتل محمد عليه السلام أو
 قتل عامر لده على الجلاس
 وقيل أرادوا أن يتوجوا
 ابن أبي وان لم يرض رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (وما
 نقيموا) وما أنكرنا وما
 عابوا (الآن أغناهم الله
 ورسوله من فضله) وذلك
 أنهم كانوا حين قدم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 المدينة في ضحك من العيش
 لا يركبون الخيل ولا
 يحوزون الغنيمة فأثروا
 بالغنائم وقتل للجلاس
 مولى فامر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بدينه اثني
 عشر ألفاً فاستغنى

(ورضوان من الله) وشي من رضوان الله (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعدوا الى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا (يا أيها النبي جاهد الكفار) (٢٦١) بالسيف (والمنافقين) بالحقبة (واغلظ عليهم)

عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحقبة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (وما أوهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسب مع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناه هم وهم ساداتنا فنحن شر من الجبر فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمد اصادق وأنت شر من الجبر وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره خلف بالله ما قال فرفع عامريده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (بحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الجبر أو هي استهزاؤهم فقال الجلاس يا رسول الله

نحت العرش فتدخل عليهم كشياب المسك الأبيض قال الامام نضر الدين الرازي حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الازهرى عدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به عدو نافي هذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أكبر) يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم أكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون ابيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطينا ما لم نعط أحد من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم أبدا فيقول الله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) يعني بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرقى عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبليكه فليكه في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابا وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا معنى بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان تعاطى أسباب الحدود فتنقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة أن الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحق عليهم تارة وترك الرقى بهم تارة وبالتهاينة تارة وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعني شدد عليهم بالجهاد والارهاب (وما أوهم جهنم وبئس المصير) يعني أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم البهاقان فت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمهم بهم وبما لهم قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كرامة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم بسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراه الاحكام على الظواهر فلذلك أجري النبي صلى الله عليه وسلم على المنافقين على ظواهرهم ووكّل سرّاثرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون في قوله عز وجل (بحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب بن قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا فنحن شر من جرائنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا رسول الله لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن وأن تصيبني قارعة وأن أخطأ بخطيئة فتأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أما والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا

والله لقد قلته وصدق عامر قناب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم

وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله ونوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (يا مرون بالمعروفون) يعنى بالايمن بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة (و ينهون عن المنكر) يعنى عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقومون الصلاة) يعنى الصلاة المفروضة وتقوم أركانها واحدا وها (ويؤتون الزكاة) يعنى الواجبة عليهم وهو في مقابلة و يقضون أيديهم (ويطهون الله ورسوله) يعنى فيما يامرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسبهم (أولئك) يعنى المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سيرهم الله) لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في قوله سيرهم الله للمبالغة والتوكيد (ان الله عزيز حكيم) وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شئ أراد فهو قادر على اصال الرحمة لمن أرادوا اصال العقوبة لمن أرادوا الحكيم هو الذي يدبر عبادته على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعده الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتحير في حسناتها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغاير للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الأخرى البساتين التي تنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعنى ومنازل يسكنونها طيبة (في جنات عدن) يعنى في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأنى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من أولوة في ذلك القصر سبعون دارا من باقوة جراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما ياتى على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أنى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار يعنى دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصدقيين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن دار يعنى دار الله وهو من أب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفياء الله التي أعدها لوليائه وأهل طاعته والمقر بين من عباده عن ابى موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتنهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتنهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الراءاء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها وقال عبد الله بن عمر وابن العاص ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والروج له خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتعرج طيبة من

(يا مرون بالمعروف) باطاعة والايمن (و ينهون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويقومون الصلاة) ويؤتون الزكاة ويطهون الله ورسوله أولئك سيرهم الله (السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في ساقتم منك بوما) (ان الله عزيز) على غالب كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضح كلا موضعه (وعده الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من الأولوة والياقوت الاحمر والزبرجد (في جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجل وهي مدينة في الجنة

كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافهم فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم) محلهما رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم (٢٥٩) استمتعتم بخلافكم كما استمتعوا بخلافهم أي تلذذوا بإسلاذ الدنيا

والخلاق النصيب مشفق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للإنسان بمعنى قدر من خير (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) كالغوج الذي خاضوا كالغوص الذي خاضوا والغوص الدخول في الباطل والهبوط وانما قدم فاستمتعوا بخلافهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم مغن عنه ليلزم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائم بشهواتهم الغانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بخلافهم (وأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة في مقابل قوله) وآتيناهم أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وعود قوم إبراهيم وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط واتفكهن انقلاب أحوالهن عن الخير

وأولاداً فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشاً ومنعة (وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضاً عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خاق الله للإنسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلافكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون بخلافكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم) فإن قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانياً أعادة ذكره في حق الأولين ثالثاً قلت فائدة أنه يلزم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع إلى ذكر حال الأولين ثالثاً وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فاتسكروا بهذا كيداً وتقييحاً فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند إليه يعني وسلكتكم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمؤمنين (وأولئك حبطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني أن أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى أنه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لا تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن ﴿ وقوله تعالى (ألم ياتهم) رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يات هؤلاء المنافقين والكفار وهو استهزاء بهم بمعنى التقدير أي قد أتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسولنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعني أنهم أهلكوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح العقيم (وعود) أهلكوا بالرجفة (وقوم إبراهيم) أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المنقلبات التي جعل الله عليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وإنما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يعرفون أخبارهم (أتتهم رسلاً بالبينات) يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتبطل أعمالكم النعمة كما عجلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعني بتبجيل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني أن الذين استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم ﴿ قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعدهم ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والحيات في الدنيا والآخرة فقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) يعني الموالات في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فإن قلت أنه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر

إلى الشر (أتتهم رسلاً بالبينات فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم بأهلاكمهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التناصر والتراحم

(ان نفع عن طائفة منكم) توهمهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه ان يعف نعذب طائفة غير (٢٥٨) عاصم (النافقون والمافتات) الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافات مائة

أظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد أظهرتم الايمان وذلك أن المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو ككفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان نفع عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنتان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني عنه رجل واحد وهو مخاشن بن جبر الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا زال أسـمع آية تقرأ أعني بها تشعرونها الجـلود ونجـب منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسـلت أنا كفنت أنا دفنت فاصيب يوم القيامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعته ^١ قوله سبحانه وتعالى (المنافقون والمافتات بعضهم من بعض) يعني انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخيثة كما يقول الانسان غيره أنا منك وأنا مت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه (يا مرون بالمتكر) يعني يا مرون بعضهم بعضا بالشرك والمعصية والكذب الرسول صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أيديهم) يعني عن الانفاق في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله فانسيتهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانه لو جئناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وأضافان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة الناسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فممن ذكرهم بالرحمة والاحسان لجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمة في العقبى (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعده بالخير وعداو وعده بالشر وعيدا قالو عديكون في الخير والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (واعنهم الله) يعني وأبعدهم من رحمة وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقبم) أي دائم لا ينقطع فإن قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقبم وهذا تكرار فإمعناه قلت ليس ذلك تكرار او بيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقبم سوى الصلي بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمنع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهر يرو نحووه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني أن العذاب المقبم هو العذاب المجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقبم ^٢ قوله سبحانه وتعالى (كالذين من قبلكم) هذا رجوع عن العيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمتكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طاب الدنيا من قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا

وسبعين (بعضهم من بعض) أي كأنهم نفس واحدة وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويخافون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يا مرون بالمتكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحبا لمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فانسيتهم) فتركهم من رحمة وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلجأ بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هي) أي النار (حسبهم) فيه دلالة على عذابها وانه بحيث لا يزداد عليه (واعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم من مذمومين ملحقين

بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقبم) دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر وأولاد الخائفين للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع علم الله ارهم السكاف في (كالذين من قبلكم

(واثن سألهم ليقولن انما
كننا نخوض ونلعب) يننا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير في غزوة تبوك وركب
من المنافقين يسرون بين
يديه فقالوا انظروا الى هذا
الرجل يريد أن يفتح
قصور الشام وحصونها
هيهات هيهات فاطلع الله نبيه
على ذلك فقال احبسوا
على الركبانهم فقال قاتم
كذا وكذا فقالوا يا نبي الله
لا والله ما كنا في شيء من
أمرك ولا من أمر أصحابك
ولكن كنا في شيء مما يخوض
فيه الركبان ليقصر بعضنا
على بعض السفر أي واثن
سألهم وقات لهم لم قاتم ذلك
اقلوا انما كنا نخوض
ونلعب (قل) يا محمد (أبالة
وآياته ورسوله كنتم
تستزرون) لم بعباً باعتذارهم
لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا
كانهم معترفون باستهزائهم
وبانه موجود فيهم - حتى
ونحو باخطائهم موقع
الاستهزاء حيث جعل
الاستهزاء به على حرف التقرير
وذلك انما يستقيم بعد
ثبوت الاستهزاء
(لا تعتذروا) لا تشتملوا
باعتذاركم الكاذبة فاهما
لا تنفعكم بعد ظهور سرهم
(قد كفرتم) قد أظهرتم
كفركم باستهزائكم (بعد
إيمانكم) بعد إظهاركم الإيمان

ناقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه واحلهم فضر بها حذيفة
حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحد يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عددهم كلهم فقال حذيفة هلا بعث اليهم من
يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهاهم الله بالدبيلة (م) عن
قيس بن عباد قال قلت لعمار أريت قتالكم أرايأرأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهد اعهد اليكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد الي الناس
كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يخرجون رجبها حتى يلبس
الجل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من الذاري يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم
﴿ قوله سبحانه وتعالى (واثن سألهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال
زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما قرأنا رغبنا بطونا وأكذبنا
السنة وأجبنا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولا خبرن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله
ابن عمر فظنرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنسكه بالحجارة يقول انما
كننا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالة وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ما يزيد قال
محمد بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو ودية بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال
قتادة ينار رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجوه هذا
الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال
نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركبانهم فقال قاتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض
ونلعب فانزل الله فيهم ما نسمعون وقال الكلابي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة
تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك فيسيل
كانوا يقولون ان محمد ابراهيم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما بعدهم من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد
يزعم انه أنزل في أصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا
على الركبانهم فقال قاتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد
هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض
في الكلام كما يفعله الركبان يقطعون الطريق باللبس والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع
الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلويث وأذى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء
المنافقين (أبالة وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) فيه توبيخ ونقارح للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف
تقدمون على إيقاع الاستهزاء بأبالة يعني بفرائض الله وحده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد
صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين
الله بعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعرون بالقدح في قدرة الله وانما ذكره وذلك على طريق
الاستهزاء ﴿ قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) يعني قل هؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل
ومعنى الاعتذار محو أثر المودة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى الاعتذار قطع اللاتمة عن الجاني قد كفرتم بعد
إيمانكم يعني أن الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا وقد
كفرتم بعد إيمانكم فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد إيمانكم قات معناه

الايمن ايها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنون حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان وشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب (٢٥٦) للمسلمين وكان المنافقون يشكمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم

الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد وديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فخره وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وأتم شر من الحير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فساءلهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والسكبي نزلت في رهط من المنافقين تخافون غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم ايها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوه هما قال كتنفي بذلك أحدهما عن الآخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (ان كانوا مؤمنين) يعني ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعدهم الله ووعيده في الآخرة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ألم يعلموا) قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نفسه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنه من يحاد الله ورسوله) يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحدي يقال حاد فلان فلانا إذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى يحاد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) أي خفي أن له نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة ﴿قوله عز وجل﴾ (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبيههم) يعني تخبر المؤمنين (بمافي قلوبهم) يعني بمافي قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاشحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثت عن أخبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذلك سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذلك كرايا لاسماء رجلة منهم على المؤمنين لئلا يعبر بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (فل استهزؤا) أمر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم (ان الله مخرج) أي مظهر (ما تحذرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفا رسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكر والى ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمره وأمره ان يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود

فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) أي ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضبتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما واحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شئ واحد كقوله احسان زيد واجاله رخصني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الامر والشان (من يحاد الله ورسوله) يجاوز الحسد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاققة من الشق (فان له) على حذف الخبر أي خفي أن له (نار جهنم) خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون خير بمعنى الامر أي ليعذر المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكي وبصري (تنبيههم) أي قلوبهم من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في

معناها فهي نازلة عليهم دليله قل استهزؤا أو الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه (قل استهزؤا) أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزأهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أني قدمت لجذات مائة وأنه لا ينزل فينا شئ فضعنا

(ومنهم الذين يؤذون النبي)

ويقولون هو أذن) الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالخارجة التي هي آلة السماع كأن جلته أذن سامعة واذا فهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والفرقة ففسره الله تعالى بما هو مدح له ونناء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن وبجوز أن يريد هو أذن في الخبر والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غيره ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخالص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدق كقولهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبي عن الباء (ورحمة) باعطف على أذن ورحمة

أن يضعها في صنف واحد وتفر يقها أولى وقال إبراهيم النخعي أن كان المال كثيراً يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلاً وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلعة والحاجة فان رأى الخلعة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئاً من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناؤه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغني فلا يعطى بعده شيئاً وان كان محترفاً لكان لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فلا اعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً وقال أبو حنيفة كره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أجزأ فان أعطى من يظنه فقيراً فبان انه غني فهل يحزى فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقته ان تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والد او ولد او ولد او ان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم اما آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا لقوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالى بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلافوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين وانفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض اما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردّها الى مكانها من خراسان والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزات في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا نفعوا لوفاءنا نخاف أن يباهه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس ابن سويد وهو من المنافقين بل نقول ماشئنا ثم نأتيهم وننكر ما قلنا ونخلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أزم ثأراً شعراً أجر العينين أسفع الحدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فليتنظر الى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقبل له لا نفع له ذلك فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقة فنقول ماشئنا ثم نأتيهم ونخلفه فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل أذن خير لكم) يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو تقيض الكفر فلا يتعدى الالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمستم له (ورحمة) أي هو رحمة (للذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين الخالصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجري أحكام

حزقة عطف على خير أي هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبل (للذين آمنوا منكم) أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم أي أظهرها

الديون (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة أو الحجاج المنة طع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن ادم الى في في الاربعة الاخيرة للابذان باتهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره لان في الوعاء فنبه على أنهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لـسـنـن علي الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليد وامنهم حسما لاطماعهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فمالهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها وان قاسمها وسهم المؤلفه قلوبهم سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضى الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكمة متى ثبت معن ولا معنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكدة لان قوله انما الصدقات للفقراء

فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه * الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسما ان ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذ لم يكن لهم مال بني ديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخصه لغازي في سبيل الله أو لاعمل عليها أو لغارم أو لرجل أسير اعانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين لغني أخرجه أبو داود ومرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه امام من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا * الصنف السابع قوله تعالى (وفي سبيل الله) يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فاهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسائح والحولة فيعطون ذلك وان كانوا أغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عندئذ كثير أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور وعليه * الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافرين السبيل للملازمة الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا * الى ان شئت واكتهلت لداتي

فكل مر يد سفر امباح ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع * وقوله تعالى (فريضة من الله) يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله اعلم) يعني بمصالح عباده (حكيم) يعني فيما فرض لم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل * المسئلة الرابعة في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلف في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى أنه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقيين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال يجب أن يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سباهم ثمانية اقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفه ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاة بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز أن تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحد ادفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقيين وذهب جماعة من العلماء الى أنه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمي هذه لاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا لاجابامنه اقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبيرة وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلحل لنا الصدقة وإن مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي في الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والافرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي هؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشرف قومهم مثل عدى بن حاتم والزرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألف القومهم وترغيب الامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والنبي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازاءهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء أبا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجي اسلامهم فيجوز للامام أن يعطي من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن أن يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك في الصنف الخامس في قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيه يدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعرق الرقاب فيشتري به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس أن يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعية القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب أن يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي أن الاصناف الاربعة المتقدمة ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذلك القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل

(والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشرف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريراهم على الاسلام (وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها

أُس فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير لم تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالاً من الفقير ولأن الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأنبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة لأن السفينة من سفن البحر تساوي دنائير كثيرة ولأن الغني والفقير ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين وخجة أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير قوله أو مسكيناً ذامراً بصفة وصف المسكين بكونه ذامراً وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة ولأن الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها واحتج أيضاً بقول الراعي أما الفقير الذي كانت حاله به وفق العيال فلم يترك له سبيل

واحتج أيضاً بقول الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل إن كل محتاج إلى شيء فهو مفقر إليه وإن كان غنياً عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء إلى الله فأثبت لهم اسم الفقر مع وجود المال والجواب عن هذه الخجة أمّا قوله أو مسكيناً ذامراً فهو حجة للذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لأنه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامراً فدل على أنه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة واللام يبقى لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين أنه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جازاً إطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة أن الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضاعت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسالاهما فرفع فينا النظر وخفضه فرائنا جلدنا فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لقوي مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه إن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاهما عن الصدقة فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال إلا كثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من مالك خسين درهماً أو قيمته لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئله في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يعني قال خسون درهماً أو قيمتهما من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خسين درهم من الزكاة وقيل أر بعين درهم لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة فدية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أر بعين درهماً * الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجرة عمل فتقدر بقدر العمل والصحيح أن الهاشمي والمطلب لا يجوز أن يكون عاملاً على الصدقات لما روى عن أبي رافع

أنهم قالوا في أي صنف منها وضعها أجرك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس (والعاملين عليها) هم السعاة الذين يقبضونها

جزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقل أخرجه أبو داود
 فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في إيجاب الزكاة على
 الأغنياء وصرفها إلى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول أن المال محبوب بالطبع وسببه
 ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال
 محبوبا بالطبع فاذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات
 المقربة إلى الله عز وجل فافتقدت الحكمة الالهية لإيجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله
 فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب
 وحب الدنيا والميل إلى شهواتها ولذاتها فواجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقول ذلك المال الذي هو سبب
 لقسوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكليف البدنية غير شاقة
 على العبد واخراج المال مشق على النفس فواجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة
 أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع الخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع أن المال
 مال الله والأغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزائنه الذين هم أغنياء بدفع طائفة
 من ماله إلى عياله فينصب العبد المؤمن المطيع المسارع إلى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد
 العاصي المانع عياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم
 الأمين الذي ينفذ ورع ما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه إلى الذي أمر له به
 أحد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء بما تعلق قلوبهم بالاموال التي بأيدي الأغنياء فواجب الله
 عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطيبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان
 الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة إلى الفقراء حتى لا يصير
 ذلك المال معطلا بالسكينة (المسئلة الثانية) الآية تدل على أنه لاحق لاحد في الصدقات الا هؤلاء
 الثمانية وذلك لجمع عليه لان كماله انما تفيد ان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما في كلمة ان للذات
 وكلمة ما للذات في فعد اجتماعهما يفيد ان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات
 لا تصرف الا إلى الاصناف الثمانية (المسئلة الثالثة) في بيان الاصناف الثمانية فاصنف الاول الفقراء
 والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير
 والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير لذي لا يسأل والمسكين السائل وقال
 ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة ولكن الفقير من اتقى نفسه وثيابه ولا يقدر
 على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زما كان أو غير زمن والمسكين من له
 مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا كفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير
 وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير
 والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات إلى هؤلاء الاصناف
 الثمانية دفعا لحاجتهم ونحسلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلهم فلو لم تكن حاجتهم أشد من
 حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال البيهقي

لم أر أبا عبد الله في بيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير انما يسمى فقيرا زمانته وحاجته

الشديدة وتغنى الزمانته من التقارب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال
 اللهم احبني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين يوم القيامة رواه البرهاني من حديث

(و يحلفون بالله أنهم لمنكم) ان جارة المسلمين (وما هم منكم) ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين في تظاهرون بالاسلام
 نقية (لويجدون ملجأ) مكانا ياجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيراها (أو مدخلا) أو نقيا يندسون
 فيه وهو مقتعل من الدخول (٢٥٠) (لولا اليه) لا قبلوا نحوه (وهم يجمعون) يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس

(و يحلفون بالله) يعني المنافقين (انهم لمنكم) يعني على دينكم وملتكم (وما هم منكم) يعني أنهم كاذبون
 في أيمانهم (واسكنهم قوم يفرقون) يعني أنهم يخافون أن تظهر راعا على ما هم عليه من النفاق (لويجدون
 ملجأ) يعني حروا وحصنا ومعقلا ياجئون اليه وقيل لوجودهم بالهربوا اليه وقيل لويجدون قوما يأمنون
 عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولما فرقوا (أو مغارات) يعني غيرا في الجبال جمع مغارة وهو
 الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر (أو مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في
 الارض كنفق البر بوع وقال الحسن وجهاب دخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا اليه)
 والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة وأضيقيها لولا اليه
 أي لرجعوا اليه وتحزروا فيه (وهم يجمعون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى أن المنافقين لشدة
 بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه
 لشدة بغضهم اياكم قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من يكتم في الصدقات) نزلت في ذي الخويصرة التميمي
 واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو يقسم فيأناه ذوالخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ذلك من يعدل اذ لم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
 انذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم
 وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤ القرآن لا يجاوز تراقيهم يرفقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما
 يمرق السهم من الرمية وقال السكبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه
 الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
 يقسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل فاعدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
 وبلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثر بها الا من يهواه
 فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يكتم في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات
 وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال حمزه ولزه بمعنى واحد أي عابه (فان أعطوا منها) يعني من
 الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذ هم يستخطون) يعني وان لم تعطهم منها
 عابوا عليك وسخطوا (ولأنهم رضوا) يعني ولأن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا
 (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعني ما يحتاج
 اليه (انا الى الله راغبون) يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا عن الصدقة وعن غيرهما من أموال الناس
 وجواب لو محذوف تقديره لكان خير لهم وأعوذ عليهم قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين)
 الآية اعلم أن المنافقين لما لزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في
 هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم منها شيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فليعلم زونه ويعيرون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات
 عن زيد بن الحارث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فأنا رجل فقال أعطني من
 الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو

الجوح (ومنهم) ومن
 المنافقين (من يمزك في
 الصدقات) يعيبك في
 قسمة الصدقات ويطعن
 عليك (فان أعطوا منها
 رضوا وان لم يعطوا منها اذ
 هم يستخطون) اذ للفتاجة
 أي وان لم يعطوا منها فاجوا
 السخط وصدفهم بان
 رضاهم وسخطهم لانفسهم
 لا للدين وما فيه صلاح أهله
 لانه عليه السلام استعطف
 قلوب أهل مكة يومئذ
 بتوفيز الغنائم عليهم
 فضجر المنافقون منه (ولو
 أنهم رضوا ما آتاهم الله
 ورسوله وقالوا حسبنا الله
 سيؤتينا الله من فضله
 ورسوله انا الى الله راغبون)
 جواب لو محذوف تقديره
 ولأنهم رضوا لكان خيرا
 لهم والمعنى ولأنهم رضوا ما
 أصابهم به الرسول من
 الغنيمة وطابت به نفوسهم
 وان قل نصيبهم وقالوا
 كفانا بفضل الله وصنعه
 وحسبنا ما قسم لنا سبرزقنا
 غنيمة أخرى فيؤتينا
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أكثر مما آتانا اليوم
 انا الى الله في أن يغفمنا
 ويخولنا فضله راغبون ثم

بين مواضعها التي توضع فيها افعال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) فصر جنس الصدقات على الاصناف
 المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم
 فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو منه بنوا عن حذيفة وان عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين

(ان يتقبل منكم) أنفق طوعاً وكرهاً ونحوه استغفر لهم ولا نستغفر لهم وقوله أسئلي بئناً واحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت أى ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت البئناً وأحسنه وقد جاز عكسه في قوله رحم الله زيداً ومعنى عدم القبول انه عليه السلام بردها عليهم ولا يقبلها ولا يبيها الله وقوله طوعاً أى من غير الزام من الله ورسوله وكرهاً أى ملزمين وسمى الزام اكرها لانهم منافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقا عليهم كالا كراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (٢٤٩) (كنتم قوما فاسقين) متبردين

عائين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالباء حزة وعلى (الا أنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم (بأنه ورسوله ولا يؤنون الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعاً وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم أنهم يبدلون من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الاعن كراهة واضطرار لاعن رغبة واختيار فلا نجيب أموالهم ولا أولادهم إنما الله يريد ليهذبهم بها في الحياة الدنيا) الاعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما أو توامن زينة الدنيا فان الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالاتفاق منه في أبواب الخير

نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال أنا أعطيكم مالى فانزل الله عز وجل رد عليه قل أى قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعاً وكرهاً يعنى أنفقوا طائعين من قبل أنفسهم أو مكرهين بالاتفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالاتفاق (ان يتقبل منكم) لان هذا الاتفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله بل أنفق ياء وسبعة فانه لا يقبل منه ﷺ ثم علل سبب منع القبول بقوله (انكم) أى لانكم (كنتم قوما فاسقين) والمراد بالفسق ههنا الكفر وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله) أى المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله (ولا يؤنون الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعنى متشاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون الاتفاق في سبيل الله مغرماً ومنع ذلك الاتفاق مغناً (فلا تنجيبك) يا محمد (أموالهم ولا أولادهم) هذا الخطاب وان كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم الا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تنجيبوا أموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغى للانسان أن لا يحب شيئاً من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثير ماله وولده فيكثر اعجابه به اله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) فان قلت كيف يكون المال والولد عذاباً في الدنيا وفيه ما للذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تنجيبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذاباً في الدنيا هو ما يحصل من المتاع والمشاق في تحصيلهما فاذا حصل ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما وازداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بنى آدم مؤمنهم وكافرهم فافانته تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو أن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة وأنه يشاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وأنه ليس فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم ههنا في الدنيا أخذ الزكاة منهم والتفقه في سبيل الله غير متباين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يشاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في تجعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمد ثم يقدم في الاحرة على ملك لا يعذره (وتزهد أنفسهم) يعنى وتخرج أنفسهم (وهم كافرون) والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة قوله عز وجل

(٢٢) - (خازن) - (ثاني) وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب وتزهد أنفسهم وهم كافرون وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على اعلان القول بالاصح لانه أخبر أن اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الامانة على الكفر

(وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكاييد وزوروا الآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهوتايبك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول أئذني ولا تفتني) ولا توفقني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك أئمت أولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدين قيس المنافق قد علمت الانصار اني مسنهر بالنساء فلا تفتني بينات (٢٤٨) الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركي (ألا في الفتنة سقطوا) يعني ان

الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان أسباب الاحاطة معهم أودى نحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن منقسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي الذي يتولانا وتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنون أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تر بصون بنا) نتظرون بنا (الا احدى الحسينين) وهما النصر والشهادة (ونحن نتر بصونكم) احدى السوأيين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو بعذاب (بايد بنا) وهو القتل على الكفر (فتر بصوا) بنماذ كرنا (انامكم متر بصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعا أو كرها) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الخبر ومعناه

أصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيّل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول يوم أحد حين انصرف باصحابه عنكم (وقلبوا لك الامور) يعني وأجالوا فيك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيّل الناس عنك وقصدهم نشيت أمرك (حتى جاء الحق) يعني النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعني ذلك قوله عز وجل (ومنهم من يقول أئذني ولا تفتني) نزلت في الجدين قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجدين قيس يا أبا وهب هل لك في جلا دني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراي ووصفاء فقال الجدي رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء واني أخشى ان رأيت بنات بني الاصفر ان لا أصبر عنهن أئذني في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجدين قيس ولم تكن له علة الا التناق في اعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني من المنافقين من يقول أئذني في التخاذل والقعود في المدينة ولا تفتني يعني بينات الاصفر وهم الروم (ألا في الفتنة سقطوا) يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي التناق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعني يوم القيامة تحيط بهم ونجمهم فيها قوله سبحانه وتعالى (ان تصبك حسنة تسؤهم) يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة) يعني من هزيمة أو شدة (يقولوا) يعني المنافقين (قد أخذنا أمرنا) يعني أخذنا أمرنا بالجهد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل) يعني من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعني مسرورين لما نالنا من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعني قل يا محمد هؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه ان يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكر وهانزل به أو يجاب لنفسه نفعا راد له لم يقدر له (هو مولانا) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في جميع أمورهم (قل هل تر بصون بنا) يعني قل يا محمد هؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون (الا احدى الحسينين) يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخرة واما أن يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه في سبيله وابانابي وتصدىقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا مانالا من أجر أو غنيمة أخرجاه في الصالحين وقوله سبحانه وتعالى (ونحن نتر بصونكم) يعني ونحن نتظر بكم احدى السوأيين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعني فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الخالية (أو بايد بنا) يعني أو يصيبكم بايدى المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهرنا عليكم (فتر بصوا) فتر بصوا (قال الحسن فتر بصوا مواعيد الشيطان انامتر بصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل أنفقوا طوعا أو كرها)

عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو بعذاب (بايد بنا) وهو القتل على الكفر (فتر بصوا) بنماذ كرنا (انامكم متر بصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعا أو كرها) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حزة وعلى وهو أمر في معنى الخبر ومعناه
٢ هكذا هو بالنصب فيما يابدين من النسخ ولعله بالرفع فلتنظر الرواية اه مصححه

(ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج أو للجهاد (عدة) أهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيهم معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن نبطوا عن الخروج لكره الله انبعاثهم (فنبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتنبيط التوقيف عن الامر بالتزهيدي فيه (وقيل اعدوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالسوسة (مع) (٢٤٧) (القاعدین) هو ذم لهم والحق بالنساء

والصبيان والزمنى اللذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم معكم (الا خبالا) الا فسادا وشرا والاستثناء متصل لان المعنى مازادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك مازادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذکر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه (ولا وضعوا اخلاصكم) واسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعه أنا والمعنى ولا وضعوا ركنائهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الرأكب أسرع من الماشي وخطفي المصحف ولا أوضعوها زيادة الاف لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من زول

صلى الله عليه وسلم مخبر في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف عن غير عذر فغيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) يعني الى الغزو معكم (لاعدوا له عدة) انه يئواله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعني خروجهم الى الغزو معكم (فنبطهم) يعني منعهم وجلسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم لم ياذن لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذن لهم فقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر في حالهم فلما السبب قال تعالى لم أذن لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه أذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم بالقعود (وقيل اعدوا مع القاعدین) معناه انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اعدوا مع القاعدین وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم البعض اعدوا مع القاعدین وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اعدوا مع القاعدین فاغتوا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان ألقى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو مازادوكم الا فسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بهوييل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولا وضعوا اخلاصكم) يعني ولا أسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النيمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعني يطلبون لكم ما تفتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستنهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تحجب وقيل معناه يطلبون العيب والشر (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجهة لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين النخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولار بما أئذ ذلك القول في قلوب صفة المؤمنين في بعض الاحوال (والله اعلم بالظالمين) وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين ياقول الفتن والشبهات بين المؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعني لقد طلبوا

القرآن وقد بقى من تلك الافأثر في الطباع فكاتبوا صورة لهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه ولا ذبحه (يبغونكم) حال من الضمير في أضعوا (الفتنة) أى يطلبون ان يفتنوك بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى غماون حديثكم فيقولونه اليهم (والله اعلم بالظالمين) بالمنافيقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس أو بان يفتكوا به عليه السلام ليله العقبة أو بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما
تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدءا بالعفو قبل أن يعيره بالذنب
﴿فصل﴾ استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيان من وجهين أحدهما انه
سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقا الذنب الوجه الثاني انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت
لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول اننا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك بوجوب صدور
الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل اغيره اذا كان معظماله عفا
الله عنك ماصـ نعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفرك كل هذه الالفاظ في
ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم مخاطب المتوكل
عفا الله عنك الاحزمة * تعود بفضلك ان أبعد * ألم تر عبادا عدا طوره
ومولى عفا ورشيد اهدى * أفلنى أقالك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى
والجواب عن الثانى أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما أن يكون قد صدر
عنه ذنب في هذه الواقعة أو لا فان كان قد صدر عنه ذنب فقد كر الذنب بعد العفو ولا يلقى فقوله عفا الله عنك
يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب
امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض في كتابه
الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى
نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهـ ل العلم معاتبه وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
نظوي به وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن ان شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من
سرهم أنه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لخرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم عفا الله عنكم عن صدقة الخيل والرفيق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقسيرى قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال
الدودى انها كرمه وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه
عافاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعنى في التخلف عنك وهـ ذابحمل على ترك الاول
والاكمل لاسباب هذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعنى في
اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف
المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان
يجاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره (وانه عليم بالمتقين)
يعنى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى في التخلف عن الجهاد معك يا محمد
من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتاب قلوبهم) يعنى شكك
قلوبهم في الايمان وانما أضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك
كان ذلك نفاقا (فهم في ريبهم يترددون) يعنى أن المنافقين متحبرون لامع الكفار ولا مع المؤمنين وقد
اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية ف قيل انها منسوخة بالآية التى في سورة النور وهى قوله
سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن
لن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون
الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن في التخلف فكان رسول الله

(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه وقيل شيان فعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوب مع ان له ذلك لتركه الا فضل وهم يعاتبون على ترك الفضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنونك في ان يجاهدوا (باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتاب قلوبهم) شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم (فهم في ريبهم) يترددون) يتحبرون لان التردد ديدن المتحبر كما أن النبات ديدن المستبهر

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر أى لو كان (٢٤٥) مادعوا اليه مغنا (قريبا) سهل المأخذ

(وسفرا قاصدا) وسطا
مقاربا والقاصد والقصد
المعتدل (لاتبعوك)
لوافقوك في الخروج
(ولكن بعدت عليهم
الشقة) المسافة الشاقة
الشاقة (وسيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم)
من دلائل النبوة لانه أخبر
بما سيكون بعد القبول
فقالوا كما أخبروا بالله
متعلق بسيحلفون أو
هو من جملة كلامهم والقول
مراد في الوجهين أى
سيحلفون بعنى المتخلفين
عند رجوعك من غزوة
تبوك معتذرين يقولون
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
أو سيحلفون بالله يقولون
لو استطعنا وقوله لخرجنا
سد مسد جوائى القسم ولو
جميعا ومعنى الاستطاعة
استطاعة العدة أو استطاعة
الابدان كأنهم تمارضوا
(يهلكون أنفسهم) بدل
من سيحلفون أو حال منه
أى مهلكين والمعنى أنهم
يهلكون بها بالخلف
الكاذب أو حال من خرجنا
أى خرجنا معكم وان
أهلكا أنفسنا وألقيناها

حتى المرض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فامعنى هذا الامر قلت من العلماء من حمله على الوجوب
ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدى
نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أبا
أيوب الأنصاري شهد بدر والمجاهد كالمجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخاف عن غزوة غزاها المسلمون
بعده فقليل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفر واخفاوا وقالوا لا أجدي الا خفيفا أو ثقيلًا وقال
الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت إحدى عينيه فقليل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله
الخفيف والثقل فان لم يكن الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو وكنت والياعلى
حصن فقلت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم أنت معذور
عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفا فوثق الا لانه من يحبه يقتليه والصحيح هو القول
الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك
وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد
من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس
سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني أن من كان له مال وهو مريض أو مقعد
أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بما له بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا
بماله دون نفسه (ذلكم) بعنى ذلكم الجهاد (خير لكم) بعنى من القعود والتناقل عنه وقيل معناه ان الجهاد
خير حاصل لكم ثوابه (ان كنتم تعلمون) بعنى ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه
اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا بعنى غنيمة سهلة قرب بية التناول والعرض ما عرض لك من منافع
الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر (وسفرا قاصدا) بعنى سهلا قريبا
(لاتبعوك) بعنى لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق
على الانسان سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعاً في تلك
المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا
السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو
قوله تعالى (وسيحلفون بالله) بعنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة
(لو استطعنا لخرجنا معكم) بعنى الى هذه الغزوة (يهلكون أنفسهم) بعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة
والنفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذب تهلك صاحبها (والله يعلم انهم لكانذبون) بعنى في ايمانهم وهو
قوله لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل (عفا الله عنك لم اذنت لهم)
قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عتاب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أى في اذنه لمن اذن له في
التخلف عنه من المنافقين حين تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك
لهؤلاء المنافقين استأذنونك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودى اثنتان فعلهما

في التهلكة بما نحمها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم لكانذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو مرادف لها
وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام
(لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنونك واعتلوا لك بعلمهم وهلا استأذنت بالاذن

الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك
 (فصل) في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
 منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر الصديق في سره
 وإعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المحلصين فاختر صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها
 أن هذه الهجرة كانت بأذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم لم أبكر دون غيره من أهله
 وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها أن الله سبحانه وتعالى عاب أهل
 الأرض بقوله تعالى الانصبر وه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها أن سيدنا
 أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازمه وهذا
 دليل على صدق محبته وصحة صحبته ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا
 دليل على فضله ومنها أن الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني
 اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لأبي بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء أن أبا بكر كان
 ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الأحوال ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق إلى الإيمان
 بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر إلى الإيمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير
 فآمنوا على يدى أبي بكر ثم حمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في
 موقف من غزواته إلا أبو بكر معه في ذلك الموقف ومنها أنه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الإمامة
 فكان ثانيه ومنها أنه ثانيه في تربيته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق ومنها أن الله
 سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها أن الله
 سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها أنزال السكينة على أبي بكر
 واختصاصه بهادليل على فضله والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وأبده بجنود لم تروها) يعنى وأبدا النبي صلى
 الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب في قلوب
 الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلابى أعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى أنه نصره وصرف
 عنه كيدا لاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا
 السفلى) يعنى كلمة الشرك فهي سفلى إلى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عز بز حكيم) قال ابن عباس
 هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية إلى يوم القيامة عابدة وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا فداها فيما
 بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقبضوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده
 الله سبحانه وتعالى حقا وصدق لقوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافا وثقالا) يعنى انفروا على الصفة التي يخف
 عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يتقل عليكم فيها وهذا ان الوصفان بدخل تحتها أقسام كثيرة فلهذا
 اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعنى شبابا وشيوخا وقال ابن
 عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعنى فقراء وثقالا
 يعنى أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لاضيعته والثقل الذي له الضيعة بكرة أن يدع ضعيفته ويروى عن
 ابن عباس قال خفافا أهل اليسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعنى من السلاح مقلين منه
 وثقالا يعنى مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل
 خفافا من الحاشية والانباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعنى مسرعين في الخروج إلى الفز وساعة
 سماع النفير وثقالا يعنى بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عالم لان هذه الأحوال كلها داخله
 تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعنى على أى حال كنتم فيها ما فإن قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد

(وأبده بجنود لم تروها) هم
 الملائكة صرّفوا وجوه
 الكفار وأبصارهم عن أن
 يروه وأبده بالملائكة يوم
 بدر والأحزاب وحسين
 (وجعل كلمة الذين
 كفروا) أى دعوتهم إلى
 الكفر (السفلى وكلمة
 الله) دعوته إلى الاسلام
 (هى) فصل (العليا)
 وكلمة الله بالنصب يعقوب
 بالعطف والرفع على
 الاستئناف أوجه اذهى
 لم تنزل كانت عالية (والله
 عز بز) يعز بنصره أهل
 كلمته (حكيم) بذل أهل
 الشرك بحكمته (انفروا
 خفافا) فى النصور
 لنشاطكم له (وثقالا) عنه
 لمشقة عليكم أو خفافا لقلّة
 عيالكم وثقالا لكثرتها
 أو خفافا من السلاح وثقالا
 منه أو ركبانا ومشاة أو
 شبابا وشيوخا أو مهازيل
 ومهانا أو صحاحا ومرضا

ويقول اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم الى قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخارى بطوله * شرح غريب ألفاظ الحديث قولها لم أعقل أبوى الا وهما يدينان الدين يعنى أنهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء ابني نعلبة قوله فكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعدة وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى المعدوم الذى يتعذر كسبه على غيره والقول الثانى انه يملك الشئ المعدوم المتعذر ان لا يقدر عليه فقصه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بأمر العيال واقراء الضيف ونواب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده أنالك جارأى حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفى وقوله فينفذ النساء عليه يعنى يزدجن عليه والذمة العهد والامان واخفاره انقضها والارابة الجبل والحرارة الارض التى تعلوها حجارة سود يقال افعل الشئ على رسلك بكسر الراء أى على هيفتك والراحلة البعير القوى على الجمل والسير والظهير وقت شدة الحر والنطاق حبلى أو نحوه تشدبه المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى أسفله لئلا يصل الى الارض وقولها نقف لقن يقال نقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير أول الليل وبتشديد هاء سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعى بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخرية تقدم شرحه فى الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمَس حلفا يقال غمَس فلان حلفا فى آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس بقرب تقرىبا اذا عدا ودون الاسراع والكنانة هى الجعبة التى تجعل فيها السهام والازلام القداح التى كانوا يستسمون بها عند طلب الخوايج كالقال والعنان الغبار يقال مارزأت فلانا شيا أى ما أصبت منه شيا والمراد أنهم لما أخذوا منه شيا وقوله أى فى أى أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أى هم ذو ثياب بياض والمريد الموضع يوضع فيه الثمر كالليدور وقوله هذا الجمال هو بالحاء المهمة يعنى هذا الجمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة فى الآخرة لاجمال خبير يعنى ما يحمل من خير من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الجمل الذى نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خير وقد روى هذا الجمال الجليم من التجمل والرواية الاولى أشهر وأكثروا الله أعلم قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا فى أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أنت بمامة على فم الغار وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعمأ بصارهم فجعل الطلب يضربون يميننا وشمالا حول الغار يقولون لودخلناه هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت فى بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبى ولم يجزع بوقرفى * ونحن فى سد فى ظلمة الغار

لا نخش شىء يا فان الله نالنا * وقد تكفل لي منه باظهار

وانما كيد من تخشى بواذره * كيد الشياطين قد كادت لكفار

والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فانزل الله سكينته عليه) يعنى فانزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى

فانزل الله سكينته) ما ألقى
فى قلبه من الامنة التى
سكن عندها وعلم أنهم
لا يصلون اليه (عليه) على
النبى صلى الله عليه وسلم لم
أوعلى أبى بكر لانه كان
بخاف وكان عليه
السلام ساكن القلب

فدفعاليه راحلتيهما واعداه غار ثور بعد ثلاث ليل فاتا عاصم صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخذ به في عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم ان اباؤه اخبروه انه سمع سراقه بن مالك بن جعشم يقول جاء نارسول كفار فريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهم المثل فقتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقه اني قد رأيت آتفا أسود بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقه فعرفت أنهم هم فقلت له أنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا اباعنا يتيغون ضالة لهم ثم ابشت في المجلس ساعة ثم قلت قد خلت فاصرت جاري بني أن تخرج بفرسي وهي من وراء الكمة فتحبسها على وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخط بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعمرت في فرسى فخررت عنها فقممت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازالام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسى وعصيت الازالام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت بد فرسى في الارض حتى بلغت الركبتين فخررت عنهما ثم زجرتها فنهضت فلم تسكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذ لا تريد ما عشان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازالام فخرج الذي أكره فناديهم بالايمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك لدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأ في ولم يسألني إلا أن قال لا تخف عنا ما استطعت فسلأته أن يكتب لي كتاب من فامر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال ابن شهاب فاخبر في عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجار اقافين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرا الظهيرة فانقلبوا يوم ما بعد ما طأوا انتظارهم فلما روا الى بيوتهم وفي رجل من يهود على ظهر أطم من أطامهم لا يرى ينظر اليه فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يامشركم العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فنار المسلمون الى السلاح فقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار من لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فصار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مر بد اللخ لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمر بدلية فخذنه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول هذا الجمال لاجل خير • هذا أبر ربنا وأطهر

العماد اقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال ابن نريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجنى قومي فإريد أن أسبح في الأرض فاعبدر بنى فقال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نواب الحق فانالك جار فارجع واعبدر بك بيلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشرف قر يش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أنخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نواب الحق فلم تكذب قر يش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قر يش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة صرأ أبا بكر فليعبدر به في داره وليصل فيه أو ليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فاننا نخشى ان يفتن نساءنا وبنائنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبدر به في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غيرة داره ثم بدال ابي بكر فابتنى مسجدا ببناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذ عليه نساء المشركين وأبناءؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بلاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشرف قر يش من المشركين فارساوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرةنا أبا بكر بجوارك على أن يعبدر به في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا ببناء داره فاعلن بالصلاة والقرأة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وبنائنا فانهم أحب أن يقتصر على أن يعبدر به في داره فعل وان أباي الآن يعلن بذلك فسله أن ير دالك ذمتك فاننا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فأتى لأحب أن نسمع العرب انى أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فأتى أردالك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بكه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى رأيت داره هجرتكم سبعة ذات نخل بين لابتين وهما الخرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فأتى أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك باي أنت وأمي قال نعم خبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعاف راحلتين كاتتا عنده من ورق السمرو هو الخطب أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يومافى بيت أبي بكر فى نحر الظهيرة قال قائل هذارسول الله صلى الله عليه وسلم متفعا فى ساعة لم يكن ياتين فيها فقال أبو بكر فداء له أبى وأمي والله ما جاء به فى هذه الساعة الا أمر قالت خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهالك باي أنت وأمي يارسول الله قال فأتى قدأذن لي فى الخروج قال أبو بكر الصحية باي أنت وأمي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ باي أنت وأمي يارسول الله احدى راحلتى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمن قالت عائشة تجهزناهما أحت الجهار وصنعناهما مسافرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بفار فى جبل نور فكمنا فيه ثلاث ايام ليبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قر يش بكه كبات فلا يسمع أمر ايكاد ان به الاوعاه حتى ياتيه ما يخبر بذلك حين يخطأ الظلام ويرعى عليهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهم ما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالى الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدى هادي خريتا والخر يت الماهر بالهداية قد غمس حلقافى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قر يش فامناه

(اذ أخرجه الذين كفروا)
أسند الإخراج إلى الكفار
لأنهم حين هموا بإخراجه
أذن الله له في الخروج
فكانهم أخرجه (ثاني
اثنين) أحداثنين كقوله
ثالث ثلاثة وهم رسول الله
وأبو بكر واتصابه على
الحال (اذهما) بدل من
اذ أخرجه (في الغار)
هو نقب في أعلى نور وهو
جبل في غنى مكة على مسيرة
ساعة مكنا فيه ثلاثا (اذ
يقول) بدل ثان (اصاحبه
لانحزن ان الله معنا)
بالنصرة والحفظ قيل طلع
المشركون فوق الغار
فاشفق أبو بكر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان تصب اليوم ذهب
دين الله فقال عليه السلام
ما ظنك باثنين الله ثالثهما
وقيل لما دخل الغار بعث
الله حامتين فباضتا في
أسفله والعنكبوت فنسجت
عليه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم أعم
أبصارهم فعملوا يترددون
حول الغار ولا يفتنون قد
أخذ الله بأبصارهم عنه وقولوا
من أنكر محبة أبي بكر
وقد كفر لا نكاره كلام
الله وليس ذلك لسائر
الصحابه

تأفل عن الخروج معه إلى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز
دينه واعلاء كামته أعانوه ولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو في
كثرة من العدد والعدد (اذ أخرجه الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه فيه كفار مكة
من مكة حين مكر وابيه وأرادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو
بكر (اذهما في الغار) يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في
الجبل وهذا الغار في جبل نور وهو قريب من مكة (اذ يقول اصاحبه لانحزن) يعني يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لانحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فزع من ذلك
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانحزن (ان الله معنا) يعني بالنصرة والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل
أهل الأرض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا نكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون
كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحب على الخوض وصاحب في الغار
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت إلى أقدام المشركين
ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا
بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثاينهما بالنصرة والمعونة والحفظ
والنسيب وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل
النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والنضلة من أوجه منها
اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقة أهله وماله وورثته في طاعة الله وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير
ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه
وليلة واحدة من ليلاته أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار فمما انتهى إليه قال والله
لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكف نفسه ووجد في جانبه نقبا فشق ازاره
وسد هابه وبقي منها ثقبان فالتمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسقط دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت
فذاك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتفض عليه وكان سبب موته
وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا تؤدوني الزكاة فقال لومنعوني عقالا
لجاهلهم عليه فقات يا خليفة رسول الله تأف الناس وارفق بهم فقال لي أجباني في الجاهلية خوار في
الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينما صرنا حتى أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال
البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة
خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال أذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد
فامشي بين يديك فلما انتهيا إلى الغار قال مالك يا رسول الله حتى استبرأ الغار فدخل فاستبرأ ثم قال انزل
يا رسول الله فنزل وقال له ان أقتل فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

هذا كرسياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري

عن عائشة قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر عليهما يوم الا ياتنا فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم طر في النهار بكرة وعش. يا فلما تبلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك

(والله لا يهدي القوم الكافرين) حال اختبارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم اخرجوا (في سبيل الله) أن تأتلفتم وهو أصله الآن التأءدغمت في التأء فصارت تأء ساكنة (٢٣٩) فدخلت ألف الوصل لتلايتندأ بالساكن أي

تباطأتم) إلى الأرض ضمن
معنى الميل والاخلاق
فعدى إلى أي ما تم إلى
الدنيا وشبهها وأمرها وكرهها
مشاق السفر ومتاعه أي
ملتزم إلى الإقامة بارضكم
ودياركم وكان ذلك في غزوة
تبوك واستنقروا في وقت
عسرة وخط وقيظ مع بعد
الشفقة وكثرة العدو وفشق
عليهم ذلك وقيل ما خرج
رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة الأورى عنها
غيرها إلا في غزوة تبوك
ليستعد الناس تمام العدة
(أرضيتهم بالحياة الدنيا من
الآخرة) بدل الآخرة (فما
متاع الحياة الدنيا في
الآخرة) في جنب الآخرة
(الاقليل الانتفروا) إلى
الحرب (يعذبكم عذابا
أليما ويستبدل قوما غيركم
ولا تضره شيئا) سخطا
عظيم على المتأقنين حيث
أوعدهم بعذاب أليم مطلق
يتناول عذاب الدارين
وأنه بها كهم ويستبدل
بهم قوما آخرين خير منهم
وأطوع وأنه غنى عنهم في
نصرة دينه لا يقدح ثقاتهم
فيها شيئا وقيل الضمير في
ولا تضره للرسول عليه
السلام لأن الله وعده أن
يعصمه من الناس وأن

(والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أي لم يسبق له في الأزل أنه
من أهل النار قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم اخرجوا في سبيل الله أن تأتلفتم إلى الأرض)
نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد
اغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريد غزوة الأورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر
شديد واستقبل سفره بعد أمطار ووعدا كثيرا واجلي للمسلمين أمرهم إيمانهم بأهبة عدوهم ففشق
عليهم الخروج وثاقبوا فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم يعني قال لكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا في سبيل الله أي اخرجوا إلى الجهاد يقال استنفر الامام الناس إذا حثهم على
الخروج إلى الجهاد ودعاهم إليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وإذا استنفرتم فأنفروا والأسم النفر التأقلم أي
تثاقلم وتباطأتم عن الخروج إلى الغزوة إلى الأرض يعني لزمت أرضكم ومساكنكم وإنما استنقل ذلك
الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدد وال زاد وكان
ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو وكثيرا فاستنقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم
الله تعالى بقوله (أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعني أرضيتهم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعوتهم من
نعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفذ عن قليل
ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة إلى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على
وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لأن الله سبحانه وتعالى نص على ان تثاقلمهم عن الجهاد أمر منكروا
لم يكن الجهاد واجبا لاعتابهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى
(الأنفروا) يعني ان لم تنفروا أيها المؤمنون إلى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه (يعذبكم عذابا
أليما) يعني في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال
نجد بن نفع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حياما من أحياء
العرب فثناقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) يعني خير منكم
وأطوع قال سعيد بن جبيرهم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على أنه قد تكفل
بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وأعزأزدينه فان سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفروا حصلت
النصرة بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصره بغيرهم وحصلت العتبي
لهم ثلاثا وهما ان اعزأز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضره
شيئا) قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعني ولا تضره الله شيئا لأنه غنى عن العالمين وإنما تضره أنفسهم
بتركهم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني ولا تضره محمد صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على أعدائه ولا يتخذله (والله على كل شيء قدير)
يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لأنها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل
(الأنصروه فقد نصره الله) يعني الانصروا محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن

ينصره وعده كائن لا محالة (والله على كل شيء قدير) من التبديل والتعذيب بغيرهما (قدير الانصروه فقد نصره الله) الانصروه فيه نصره
من نصره حين لم يكن معه الرجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت

الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملّة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متواليّة ور بما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال ففسّوا يعني آخر وأخيرهم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحرّم الحرم الى صفر فيستحلون الحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحرّم صفر آخر وه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فنجوا في ذي الحجة عامين ثم نجوا في المحرم عامين ثم نجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق نحر شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر يعني وأعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مسنة آلاف الايام واختالفوا في أول من نسا النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جندادة بن عوف بن أمية السكاني وقال الكلابي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس باصدر قام يخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت أنا الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له المشركون ابيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرًا يغبرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار وزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جندادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القامس قال شاعرهم

* وفي ناسي الشهر القامس * وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس ان أول من سـن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سبب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء عز زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخره الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فافقوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يُضَلُّ به الذين كفروا) قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم وحلوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا يتزبن ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد (يُحَلُّونَهُ عاماً ويحرمونه عاماً) يعني يحلون ذلك الانساء عاماً ويحرمونه عاماً والمعنى يحلون الشهر الحرم عام فيجعلونه حلالاً لا يغبر وافيهِ ويحرمونه عاماً فيجعلونه محرماً لا يغبرون فيه (ليواطوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني أنهم ما أحلوا شهراً من الحرم الا حرموا شهره من الحلال ولم يحرموا شهره من الحلال الا أحلوا مكانه شهراً من الحرم لاجل أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة للعدد لاني الحكم كذلك قوله سبحانه وتعالى (فَيُحَلُّوا ما حرم الله زَيْنَ لَهِمْ سِوَأَ عَمَالِهِمْ) قال ابن عباس زَيْنَ لَهِمْ الشيطان هذا العمل

(يُضَلُّ) كوفي غير أبي بكر
(به الذين كفروا) بالنسيء
(يُحَلُّونَهُ عاماً)
(ويحرمونه عاماً) بالنسيء
أي اذا أحلوا شهراً من
الاشهر الحرم عاماً رجعوا
حرمه في العام التالي
(ليواطوا عدة ما حرم
الله) ليوافقوا العدة التي
هي الاربعة ولا يتخالفوها
وقد خالفوا التخصيص
الذي هو أحد الواجبين
واللام تتعلق بيحلونه
ويحرمونه أو يبحرمونه
فحسب وهو الظاهر
(فيحلوا ما حرم الله) أي
فيحلوا بما أطاة العدة
وحدها من غير تخصيص
ما حرم الله من القتال
أو من ترك الاختصاص
للشهر بعينها (زَيْنَ لَهِمْ
سِوَأَ عَمَالِهِمْ) زَيْنَ
الشيطان لهم ذلك فحسبوا
أعمالهم القبيحة حسنة

وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهجه ولم اجاء الاسلام لم يرد هذا الحرم وتعليق مالان الحسنات والطاعات فيها تضاعف وكذلك السيئات أيضاً شدد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم ونجهم وأعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً ثلث متواليات ذوات القعدة وذو الحجة والمحرم وربح مضر الذي بين جمادى وشعبان أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمي به بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمي به بغير اسمه قال أليس التباد الحرام قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسمي به بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألو لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ألو لا يبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يباغض أن يكون أو عي على من بعض من سمعه ثم قال ألو لا هل بلغت ألو لا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر أى لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطاقاً في جميع الاوقات الى المعات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجراً في الاشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه في ما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيماً وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالاً حراماً ولا حراماً حلالاً كفعل أهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم أن الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر الحرم المعظمة سبباً لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذه اوجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضاً وقوله سبحانه وتعالى (وقالوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدبروا ولا تنفشلوا ولا تتجنبوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبير احرامهم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزاها وازن بحنين ونفياً فبالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن حريج حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا أن يقاتلوا فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة

واحد فرد وهو رجب لترجييب العرب اياه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية بمعنى أن تحريم الاربعه الاشهر هو الدين المستقيم ودين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء ففقدوا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم أو في الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصي (وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل والمفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعاً (واعلموا أن الله مع المتقين) أى ناصر لهم ختمهم على النقوى بضمان النصرة لاهلها (انما النسيء) بالهجرة مصدر نساء اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيجولونه ويحرمون مكانه شهر آخر حتى رفضوا وتخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة في الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم

يوم يحمى النار عليها فمنها
حذفت النار قيل يحمى
لانتقال الاستناد عن النار
الى عليها كما تقول رفعت
القصة الى الامير فان لم تذكر
القصة قلت رفع الى الامير
(فتكوى بها جباههم -
وجنوبهم - وظهورهم)
وخصت هذه الاعضاء لانهم
كانوا اذا ابصروا التقير
عبسوا واذا صدمهم وايه
مجلس ازوروا عنه وتولوا
باركانهم وولوه ظهورهم
أو معناه يكوون على
الجهات الاربع مقاديرهم
وما خبرهم وجنوبهم -
(هذا ما كنتم لانفسكم)
يقال لهم هذا ما كنتموه
اتمتنع به نفوسكم وما علمتم
أنكم كنتموه لتستضر به
أنفسكم وهو توبيخ
(فدقوا ما كنتم تكثرون)
أى وبال المال الذى كنتم
تكثرونه أو وبال كونكم
كاثرين (ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا)
من غير زيادة والمراد بيان
ان أحكام الشرع تبتنى على
اشهور القمرية المحسوبة
بالاهلة دون الشمسية (فى
كتاب) الله فيها أثبتته وأوجبها
من حكمه أو فى الموضع (يوم
حق السموات والارض
سبعة ايام - ثلاثة
سردوا بعد ما تقعد عند
القتال وذو الحجة لا يحج
من يومه قالوا

حتى جئت فلم أنقار حتى قتفت فقات يارسول الله فذاك أبى وأمى من هم قال هم الا كثرون أموالا الامن قال
هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم مامن صاحب ابل ولا بقرو ولا
غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمته تطاحه بقروها وتطوه باطلا فلها كلما نفدت
آخرها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا اللفظ مسلم وفرقه البخارى فى موضعين ﴿وقوله تعالى
(يوم يحمى عليها)﴾ يعنى على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (فى نار جهنم
فتكوى بها جباههم) يعنى بالكنوز جباه كاثريها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار
على دينار ولا درهم ولا سكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم فى موضع على حدته قال بعض العلماء انما
خص هذه الاعضاء بالكمى من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا أتاه السائل فطالب منه شيئا تبادر
منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكالح وتجمع أسارير وجهه فيتجمع جبينه ثم ان كرر
السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح فى السؤال ولاده ظهره
واعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهى النهاية فى الرد والغاية فى المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل
وهذا أب مانع البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكمى يوم القيامة ﴿وقوله
سبحانه وتعالى (هذا ما كنتم لانفسكم)﴾ أى يقال لهم ذلك يوم القيامة (فدقوا ما كنتم تكثرون) أى
فدقوا عذاب ما كنتم فى الدنيا من الاموال ومنعمت حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت
المدينة فبينما أنا فى حلاقة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم
فقال بشر الكاذبين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حافته ندى أحدهم حتى يخرج من الغض
كتفيه ويوضع على الغض كتفيه حتى يخرج من حلمة نديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فارأيت أحدا
منهم يرجع اليه شيئا قال فادبر فاتبعته حتى جالس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كروما ما قلت لهم
فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا اللفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخارى ١ قلت من هذا قالوا
أبو ذر قال فقلت اليه فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الاشياء سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم
﴿وقوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا)﴾ هى الحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر
وجادى الاول وجادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة
القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون فى صيامهم
ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثائة وخمسة وخمسون يوما والسنة
الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة مائة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما ربع يوم فتنقص
السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم
تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذى كانت العرب
تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقتهم وتارة فى الحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فأتى
الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو
قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح
المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه
آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذى أوجبه وأمر عباده بالاخذه (يوم
خلق السموات والارض) يعنى أن هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر
شهرا (منها) يعنى من الشهور (أربعة حرم) وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والحرم ثلاثة متوالية
وانما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي قاتل أبيه

الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الإسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجه لاحتياج غيره إليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فأنطلق فقال يابني الله أنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا تطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض الموارث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له ألا أخبرك بخير ما يكثر المرأة الصالحة إذا نظرت إليها سرتة وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شا كرو زوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الأول وهو ما ذكرناه عن ابن عمر إن كل مال أديت زكاته فليس يكثر ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثروا ن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وإن قل إذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الآن بفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه وبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحى عليها نار جهنم فيكوى بها جنبه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالأبل قال ولا صاحب أبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه وألاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقرة والغنم قال ولا صاحب بقرة ولا غنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه وألاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالياء وهذا هو الصواب والرواية الأولى هي رواية الجمهور قوله حلبها وبفتح اللام على المشهور وحكى أسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الأرض الواسع الملبس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وإنما استثنى أنها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعاً قرع له زيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ به من ذنبيه بعني شديقه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هـ خير لهم الآية الشجاع الحية والأقرع صفة له بطول العمر لأن من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة أخذت الحيات والزيبتان هما الذبدندان في الشدقين والهمزتان عظمان ناتئتان في اللحيين تحت الأذنين وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني ولا يؤدون زكاتها وإنما قال ولا ينفقونها لم يقل ينفقونها لانه رد الكفاية إلى المال المكسور وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية إلى الفضة لأنها أغلب أموال الناس (فبشرهم به نذاب أليم) يعني الكافر بن الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلهما آتى قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال فغث

(ولا ينفقونها في سبيل الله)

الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منها دنانير ودرهم فهو كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وأريد الكسور والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله

فاني وقيار بها الفسرب
وقيار كذلك وخصا بالذك
من بين سائر الاموال لانها
قانون القول وأثمان الاشياء
وذ كركنهما دليل على
ماسواهما (فبشرهم
بعذاب أليم) ومعنى قوله

(ولو كره المشركون بأنهم الذين آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس) استعار الاكل للاخذ (بالباطل) أي بالرشا في الاحكام (وبصدون) سفلتهم (عن سبيل الله) دينه (والذين يكتزون الذهب والفضة) يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميتين فيهم أخذ الرشوا وكنز الاموال والاضن بهما من الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكاذبون غير المنفقين وبقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة يفتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد من الاعراض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والافتناء مباح لا يذم صاحبه

حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليه حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثير دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا أموال الناس بالباطل واعلمهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشما من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساخطة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبيا يحرقونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وياخذون بها غنا قليلا وهي المال التي كانوا يصيدونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به ودفعوه لذهبت عنهم تلك المال كل وقيل ان التوراة كانت مشتتة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاولها وجوها فاسدة باطلة ويحرقون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (وبصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكتزون الذهب والفضة) أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزات في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر في حق طريفة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزات في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا باني ذر فقلت ما نزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت بأومعاوية في هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزات في أهل الكتاب فقلت نزات فينا وفيهم فكان بنى وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثرت على الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فقد كرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولما أمر على عبد حبشي سمعت وأطعت واختاف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد ذلك وروى عن ابن عمر أنه قال له اعراني أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدبت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا كل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فافوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى

حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله ونحريم ما أحل الله كإطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم (والمسيح ابن مريم) عطف على أحوالهم أي اتخذوه رباحاً حيث جعله الله ابن الله ومأمروا الأئمة عبدوا الله واحداً يجوز الوقوف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفاً لواحد (إلا الله) (الاهو سبحانه عما يشركون) تنزيهه عن الإشراك (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) مثل حالهم في طاعتهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيدوه ببلغه الغاية القصوى من الإشراق ليطلقه بنفسه أجرى ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والإيقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا (هو الذي أرسل رسوله) محمد عليه السلام (بالهدى) بالقرآن (ودين الحق) (عليه السلام) (ليظهره) (عليه السلام) (على أهل الأديان كلها) أو يظهر دين الحق على كل دين

دون الله يعني أنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالآرباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الإلهية عن علي بن حاتم قال أثبت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عني صليب من ذهب فإل ياعدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحوالهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال أمانهم لم يكونوا يعبدونهم وإن كنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله ابن المبارك وحل بدل الدين المالوك * وأحوالهم سوء ورهبانها

(والمسيح ابن مريم) يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه النبوة والحوال اعتقدوا فيه الإلهية (ومأمروا) يعني ومأمروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على أسننة أنبيائهم (الائمه عبدوا الها واحداً) لأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (إلا الله) (الاهو سبحانه عما يشركون) أي تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك في العبادة والأحكام وأن يكون له شريك في الإلهية يستحق التعظيم والجلال (يريدون) يعني يريدون رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفؤا نور الله بأفواههم) يعني يريدون أن يطفؤوا نور الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تكذيبهم بإدويل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجز دله باقية على الأبد دالة على صدقه وثالثها أن دينه الذي أمر به وهو دين الإسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والافتقار لأمره ونهييه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد بطلان ذلك بالكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم إن الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بزيادة النصرة وإلاء الكلمة وإظهار الدين بقوله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يعني ويأبى الله إلا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله) يعني أن الله الذي يأبى إلا أن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله يعني محمد صلى الله عليه وسلم (بالهدى) يعني بالقرآن الذي أنزل عليه وجعله هادياً إليه (ودين الحق) يعني دين الإسلام (ليظهره) يعني ليعلمه (على الدين كله) يعني على سائر الأديان وقال ابن عباس الها في أيظهره عائدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة إلى الدين الحق والمعنى أيظهر دين الإسلام على الأديان كلها وهو أن لا يعبد الله إلا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا الإسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وبه لك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا بر إلا دخله الله كلاً إلا سلاماً ما بعز عزير أو بذل دليل أماناً يعزهم فيجعلهم من أهل فيعزوا به وأما أن يدلم فيدينون له أخرجه البغوي غير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبدوا إلا بالله والعزى فقلت يا رسول الله إنى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله إن ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم بعث الله محمداً بطيبة تتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم قال الشافعي وفداً ظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الأديان كلها إبان إبان لكل من سمعه أنه الحق وما خافه من الأديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأميين

ذلك قولهم بافواههم) أى قول لا يعصده برهان ولا يستند الى بيان فإهو لا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهمة (يضاهون قول الذين كفر وأمن قبل) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فأنقلب مرفوعا يعنى ان الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدم قدامهم يعنى أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم يضاهون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واستتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بانها لانحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) أى هم أحقاء بان يقال لهم هذا (أتى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان (اتخذوا) أى أهل الكتاب (أحبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أربابا) آلهة (من دون الله

غادر حرافقة قالوا ان الله لم يهدف التوراة فى قلب عزير إلا أنه ابنه فمعد ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا فى اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فأخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وعثمانين سنة يصلون الى القسيلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فأتى ساحتهم وأصلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقا تل عليه فقر به وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عبدكم بولص فقد نوديت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تنصروا وقد ثبت وأثبتكم فادخلوا الكنيسة ونصروا وأدخلوه بيتا منهم الم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور أن عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فصارا يستمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس لماء امتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فقبه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام غفر الدين الرازى بعد أن حكى هذه الحكاية والاقرب عندي أن يقال اعلم ذلك لفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشرىف كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم على سبيل التشرىف فبالغو افسر والفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشا هذا المذهب الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بافواههم) يعنى انهم يقولون ذلك القول باستنهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعانى لم يذكروا الله قولهم بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهون) قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفر وأمن قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد أن من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قاله أولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقابلة ولكنه بمعنى التعجب أى حق أن يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما أعجب فعله (أتى يؤفكون) يعنى أتى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدلائل واقامة الحجج بان الله واحداً أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فأنه سبحانه وتعالى عجب بنبىه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والأحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من

وسلم لما وجهه الى اليمن امره أن يأخذ من كل عالم أى محتلم دينارا أو عدله من المعافرة ثياب تكون باليمن
أخرجه أبو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم امره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى
والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وإنما تؤخذ من الأحرار البالغين
وذهب قوم الى أن على كل موسر أر بعة دينار وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينار واحد وهو قول
أصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن أسلم أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أر بعة دينارين
وعلى أهل الورق أر بعين درهم ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال
أصحاب الشافعي أقل الجزية دينارين لا يزاد على الدينار إلا بالتراضي فإذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربه بناء على
المتوسط دينارين وعلى الغنى أر بعة دينارين قال العلماء إنما أقر أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل
الشرك حرمة لأبائهم الذين انقروا على الدين من شريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل وأيضا
فإن بأيديهم كتبهم القديمة فربما تنكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهالوا لهذا
المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب إقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن
دمائهم وامهالهم رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بأن يؤمنوا بصدقوا إذا رآوا محاسن الاسلام وقوة
دلالة وكثرة الداخلين فيه ﷺ قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)
الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمه أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين
الحق يدنه في هذه الآية فآخبر عنهم أنهم أثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لانه لا فرق بين
من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا أنهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب
أخذ الجزية منهم وإبقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلمهم بتفكيرهم
فيها ويرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
كيف ننبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير إنما
قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء فعلى
هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وإنما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا
على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وإنما يركب فرسا واحدا
منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعلمهم يجالس الواحد منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس
أنه قال إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزير كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا
التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا
الله عز وجل إلى الله أن يرد اليه التوراة فيبينها هو صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل
جوفه فعدت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله
ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فاماروا التابوت عرصوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه
مشله فقالوا ما أتى عزير بهذا إلا أنه ابن الله وقال السكابي إن نختصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني
اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير إذا كان صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت
المقدس وإيس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزير ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله
مائة سنة قال فاتى ملك ببناء فيه ماء فشرب منه فمات له التوراة في صدره فلما نأه قال أنا عزير فكذبوه وقالوا
إن كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم إن رجلا منهم قال إن أبى حدثني عن جدى إن
التوراة جعلت في خابية ودفت في كرم فأنطلقوا معه حتى أخرجوها فاعرضوها با كتب لهم عزير فلم يجدوه

(وقالت اليهود) كلهم
أو بعضهم (عزير بن الله)
مبتدأ وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم
عجيب ولجمته وتعريفه
امتنع صرفه ومن نون
وهم عاصم وعلى فقد جعله
عربيا (وقالت النصارى
المسيح ابن الله)

هو الحق يقال فلا يدن
 بكذا اذا اتخذ دينه ومعتقده
 (من الذين أوتوا الكتاب)
 بيان للذين قبله وأما
 المجوس فالحقون بأهل
 الكتاب في قبول الجزية
 وكذا الترك والهنود
 وغيرهما بخلاف مشركي
 العرب لما روى الزهري
 أن النبي عليه السلام
 صالح عبدة الاوثان على
 الجزية الامن كان من
 العرب (حتى يعطوا
 الجزية) الى أن يقبلوها
 وسميت جزية لانه يجب
 على أهلها أن يجزوه أى
 يقضوه وأهى جزاء على
 الكفر على التحميل في
 تذليل (عن بد) أى عن
 يد موالية غير متعنة ولذا
 قالوا أعطى بيده اذا انقاد
 وقالوا زرع يده عن الطاعة
 أوحى يعطوها عن بدالى
 يد نقدا غير نسيئة لامبعونا
 على يد أحد ولكن عن
 يد المعطى الى بدال أخذ
 (وهم صاغرون) أى
 تؤخذ منهم على الصغار
 والذل وهو أن يأتى بها
 بنفسه ماشيا غير راكب
 ويسلمها وهو قائم والمتسلم
 جالس وان يتلسل تلتلة
 ويؤخذ بتلابيبه ويقال
 له أذ الجزية ياذى وان كان
 يؤديها وبزخ في فقهه
 وتسقط بالاسلام

(الكتاب) يعنى أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يُعْطُوا الجزية) وهى ما يعطى المهاد من أهل
 الكتاب على عهده وهى الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجترأ بها فى حقن دماهم (عن بد)
 يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس
 يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقد الانسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بالانعام
 السماين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم أذلاء
 مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائلون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من
 أحدهم وتوطأ عنقه وقال السكلى اذا أعطى يصفع فقهه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب فى لحيته
 ويقال له ادحق الله يا عدو الله وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين
 عليهم

فصل فى بيان أحكام الآية * اجتمعت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود
 والنصارى اذ لم يكونوا عر باوختلفوا فى أهل الكتاب العرب وفى غير أهل الكتاب من كفار الجهم فذهب
 الشافعى الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجماء ولا تؤخذ
 من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر
 دومة فاخذه فأتوا به فخن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعى وهو رجل من العرب
 يقال انه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمين وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعى الى ان الجزية تؤخذ من
 جميع الكفار الا المردة وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي الجهم ولا
 تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من الجهمى
 كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روى عن بحالة بن
 عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لم أخذها من مجوس هجرا أخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب
 ذكر المجوس فقال ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول سنوابعهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك فى الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحر بن وان عمر أخذها من مجوس فارس وان
 عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك فى الموطأ وفى امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى
 شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ
 من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا فى أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن
 على بن أبى طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسون فيه فاصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم
 واتفقوا على تحريم ذبايحهم ومنا كحتمهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل فى دين اليهود والنصارى من
 غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحمل
 منا كحتمهم وذبايحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ بمجئ محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شرعهم بشرعته
 فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبايحهم ومنا كحتمهم ومن شك كفى فى أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله
 يقرون بالجزية تغلبا لحقن الدم ولا تحل ذبايحهم ومنا كحتمهم تغلبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من
 تؤخ وبهرا وبنى تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبايحهم وأما الصابئة والسامرة فسيبيلهم سبيل أهل
 الكتاب فهم فى أهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين وأما قدر الجزية فاقها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه
 ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه

يُحْجُوا وَلَا يَعْتَمِرُوا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (بَعْدَ مَا هُمْ هَذَا) وَهُوَ عَامٌ تَسَعُ مِنْ (٢٢٩) الْمُهْجَرَةُ حِينَ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَوْسِمِ وَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ نَهْيِ الْقُرْبَانِ النَّهْيُ عَنِ الْحُجِّ وَالْعُمْرَةِ وَهُوَ مَذْهَبُنَا وَلَا يَمْنَعُونَ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَسَائِرِ الْمَسَاجِدِ عِنْدَنَا وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَمْنَعُونَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ خَاصَّةً وَعِنْدَ مَالِكٍ يَمْنَعُونَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ وَقِيلَ نَهَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقْرَبُوا رَاجِعًا إِلَى نَهْيِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَيْفِيَّتِهِمْ مِنْهُ (وَأَنْ خَفَّتْ عِيْلَةُ) أَيْ قُضِرَ سَبَبُ مَنَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْحُجِّ وَمَا كَانَ لَكُمْ فِي قُدُومِهِمْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِرْفَاقِ وَالْمَكَاسِبِ (فَسَوْفَ يَغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) مِنْ الْغَنَاءِ وَالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ أَوْ مِنْ مَتَاجِرِ حَبْجِ الْإِسْلَامِ (إِنْ شَاءَ) هُوَ تَعْلِيمٌ لَتَعْلِيْقِ الْأُمُورِ بِشَيْئَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَتَنْقُطَ الْأَمَالُ إِلَيْهِ (إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ) بِأَحْوَالِكُمْ (حَكِيمٌ) فِي تَحْقِيقِ آمَالِكُمْ أَوْ عَلِيمٌ بِصَالِحِ الْعِبَادِ حَكِيمٌ فِي مَاحِكُمْ وَأَرَادَ وَزَلَّ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ (قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) لِأَنَّهُمْ الْيَهُودُ وَمَنْ ثَنِيَّةُ وَالنَّصَارَى مِثْلُهُ (وَالْيَوْمَ الْآخِرُ) لِأَنَّهُمْ فِيهِ عَلَى خِلَافٍ مَا يَجِبُ حَيْثُ يَزْعُمُونَ أَنَّ كُلَّ فِي الْجَنَّةِ وَلَا شَرْبَ (وَلَا يَحْرَمُونَ مَاحِرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ) لِأَنَّهُمْ

فِيهَا الْإِسْلَامُ أَرَادَ فِي رَوَايَةِ لُغِيٍّ مُسْلِمٌ وَأَوْصَى فَقَالَ أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَتَفَرَّغْ لَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَأَجْلَاهُمْ عَمْرًا فِي خِلَافَتِهِ وَأَجَلَ مَنْ يَتَقَدَّمُ نَاجِرًا ثَلَاثًا عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَجْتَمِعُ دِينَانٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ مَرْسَلًا (م) عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدِشَسَ أَنْ يَبْعِدَهُ الْمَصَالُونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ مَا بَيْنَ الْوَادِي إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ إِلَى نَحْوِ الْعِرَاقِ إِلَى الْبَحْرِ وَقَالَ غَيْرُهُ حَدَّثَنَا جَزِيرَةُ الْعَرَبِ مِنْ أَقْصَى دَنْ أَبِينَ إِلَى رِفَافِ الْعِرَاقِ فِي الطُّولِ وَمِنْ جَدَّةٍ وَمَا وَالَاهَمِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ عَرْضًا * وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ سَائِرُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ فِي جُزُورِ الْكَافِرِ أَنْ يَقِيمَ فِيهَا بَعْدَ هُدًى وَأَمَانٍ وَذِمَّةٍ وَلَكِنْ لَا يَدْخُلُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا بِالْإِذْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (بَعْدَ مَا هُمْ هَذَا) يَعْنِي الْعَامَ الَّذِي حُجِّجَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِالنَّاسِ وَفِيهِ نَادَى عَلَى بَهْرَاءَ وَأَنْ لَا يَحْجِجَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَهُوَ سَنَةٌ تَسَعُ مِنَ الْمُهْجَرَةِ (وَأَنْ خَفَّتْ عِيْلَةُ) يَعْنِي فَقَرَأُوا فَاقَةَ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانَتْ مَعَاشُهُمْ مِنَ التَّجَارَاتِ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْلِبُونَ إِلَى مَكَّةَ الطَّعَامَ وَيَتَجَرَّوْنَ فَلَمَّا مَنَعُوا مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ خَافَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْفَقْرِ وَضِيقِ الْعَيْشِ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْ خَفَّتْ عِيْلَةُ (فَسَوْفَ يَغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قَالَ عِكْرِمَةُ فَآغْنَاهُمْ اللَّهُ بِأَنْزَلِ الْمَطَرِ مَدْرَارًا وَكَثْرَةِ خَيْرِهِمْ وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ أَسْلَمٍ أَهْلُ جَدَّةٍ وَصَنَعَاءُ وَجَرَشُ مِنَ الْيَمَنِ وَجَلَبُوا الْمِيرَةَ الْكَثِيرَةَ إِلَى مَكَّةَ فَكَفَاهُمْ اللَّهُ مَا كَانُوا يَخَافُونَ وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَقَدَّادَةُ عَوْضَهُمُ اللَّهُ مِنْهَا الْجَزِيرَةُ فَآغْنَاهُمْ بِهَا (إِنْ شَاءَ) قِيلَ إِنَّمَا شَرَطَ الْمَشْيِئَةُ فِي الْغْنَى الْمَطْلُوبُ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ دَائِمًا مُتَضَرِّعًا وَالِابْتِهَالُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي طَلَبِ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعِ الْآفَاتِ وَإِنْ قَطَعَ الْعَبْدُ أَمْلَهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ الْأَمْنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَانْهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الشَّرْطِ تَعْلِيمُ رِعَايَةِ الْأَدَبِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَبَاوَكُ وَتَعَالَى لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) يَعْنِي بِمَا يَصْلُحُكُمْ (حَكِيمٌ) يَعْنِي أَنَّ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا عَنْ حِكْمَةٍ وَصَوَابٍ فَنَحْكُمُهُ أَنْ يَمْنَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ وَأَوْجِبَ الْجَزِيرَةَ وَالذَّلَّ وَالصَّغَارَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ تَعَالَى (قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) قَالَ مُجَاهِدٌ نَزَلَتْ الْآيَةُ حِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِتَالِ الزُّرُمِ فَغَزَاهُمْ بَعْدَ نَزْوِهِمَا غَزَاؤُهُ تَبُوكَ وَقَالَ السُّكِّيُّ نَزَلَتْ فِي قَرِيظَةَ وَالنَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ فَصَالِحُهُمْ فَكَانَتْ أَوَّلَ جَزِيرَةٍ أَصَابَهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَأَوَّلَ ذَلْ أَصَابَ أَهْلَ الْكِتَابِ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا خُطَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَعْنَى قَالُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِنَّ قُلْتَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَكَيْفَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ قُلْتَ إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ لَيْسَ كإِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ يَعْتَقِدُونَ التَّجْسِيمَ وَالتَّشْبِيهَ وَالنَّصَارَى يَعْتَقِدُونَ الْحُلُوفَ وَمَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَقِيلَ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ عِزَّ إِبْنِ اللَّهِ وَإِنَّ الْمَسِيحَ إِبْنُ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِاللَّهِ بَلْ هُوَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ وَقِيلَ مَنْ كَذَبَ رَسُولًا مِنْ رُسُلِ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَكْذِبُونَ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَأَمَّا إِيْمَانُهُمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيْسَ كإِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ بَعْثَ الْأَرْوَاحِ دُونَ الْأَجْسَادِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَأْكُلُونَ فِيهَا وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يَنْكِحُونَ وَمَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِإِيْمَانِهِ كإِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا يَحْرَمُونَ مَاحِرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ) يَعْنِي وَلَا يَحْرَمُونَ الْخُرُوجَ وَالْخَزِيرَ وَقِيلَ مَعْنَاهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَحْرَمُونَ مَاحِرَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ وَلَا مَاحِرَ رَسُولِهِ فِي السُّنَّةِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بَلْ حَرَفُوهُمَا وَأَتَوَّابُ احْكَامِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمَا (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) يَعْنِي وَلَا يَعْتَقِدُونَ مَحْمَدَ الْإِسْلَامَ الَّذِي هُوَ دِينَ الْحَقِّ وَقِيلَ الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَعْنَاهُ لَا يَدِينُونَ دِينَ اللَّهِ وَدِينَهُ الْإِسْلَامَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَدِينُونَ دِينَ أَهْلِ الْحَقِّ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ وَلَا يُطِيعُونَ اللَّهَ كطاعتهم (مَنْ الَّذِينَ أَوْتُوا

لَا يَحْرَمُونَ مَاحِرَ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) وَلَا يَعْتَقِدُونَ دِينَ الْإِسْلَامَ الَّذِي

(اذ) بدل من يوم (اعجبتمكم كثيرتمكم) فادرك المسامحة كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهم مواحي بلغ فاهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذ بالجمام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه أخذ بركابه فقال للعباس (٢٢٨) صح بالناس وكان صبة فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك

لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلقي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماه به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهمزوا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشكي وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تكن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدره يقول الباء بمعنى مع أى مع رجبها وحقيقته ملتبس بها على أن الجار والمجرور موضع الحال كقولك ملأت عليه بشباب السفر أى ملتبس بها والمعنى لم يجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم فكانها ضاقت عليكم (ثم وايتم مدبرين) انهمز منهم (ثم أنزل الله سكينته) رجبته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة وكانوا ثمانمائة آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفا (وعذب

مواطن كثيرة ويوم حنين) اذ اعجبتمكم كثيرتمكم) يعنى حين قاتم ان تغلب اليوم من قلة (فلم تكن عنكم) يعنى كثيرتمكم (شيئا) يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وفضاها (ثم وايتم مدبرين) يعنى منهزمين (ثم أنزل الله سكينته) يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيةلة من السكون وذلك أن الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحرجا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذييل المشركين وتجيئهم للقتال لان الملائكة لم تقابل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعنى بالاسر والقتل وسبي العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعنى في الدنيا ثم اذا أفوضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعنى فيهدى به الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أساءه واوقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم نائبين فن علمهم وأطلق سبيهم (والله غفور) ان تاب (رحيم) بعباده وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لاجتماع العيين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أتجاس العين كالكلاب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويرى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدون فلا يتوضئون (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكده هذا قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هاني قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأما الظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاذ دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين البصرة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهاجم ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن السكيت حجاز ما بين جبل طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسرارة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحرابي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر مقام من المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك

الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وهم الذين أساءوا منهم (والله غفور) يستركفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذو ونجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقد قدر الان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا

وقتل أبو عامر أمير المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصروهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمره وقدم بها غنائم حنين وأوطاس وتأنف أناساً منهم أبو سفيان ابن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك أن ناساً من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً من قريش المائة من الأبل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس حدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارس إلى الانصار فجمعهم في قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار أماذا رأينا يا رسول الله لم يقولوا شيئاً وأما أناس من أئمة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أعطى رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن تذهب الناس بالاموال وترجعوا إلى رجالكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر ضيقنا قال فانكم ستجدون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئاً فكأنهم وجدوا أذلهم يصيبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضاللاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله في وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أم قال فأنعمكم أن تجيئوا رسول الله كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أم قال لو شئتم قلتم جئنا كذا وكذا أن ترضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبي إلى الرجالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس وأدياً وشعباً لسلكت وأدى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة ابن حصن والقرع ابن حابس كل انسان مائة من الأبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس ابن مرداس

أنجعل نهبي ونهب العبيد * مد بين عيينة والقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن بخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفده هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم ما لهم وسيبهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث إلى أصدقه فاخاروا إحدى الطائفتين أما المال وأما السبي وقد كنت استأيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا إحدى الطائفتين قالوا اننا نختر سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأتى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين وإني قد رأيت ان أرد إليهم سببهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك اننا لا ندرى من أذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع اليينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في

وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهم ساءوا الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه
العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو أسامة بن زيد لأمه أمهم مبركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته
(م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ففرمت أنا وأبو سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له
بيضاء أهداها له فروة بن نفاعة الجزامي فلما التقي المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبر بن فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صابغا فقات باعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال
فوالله لكأن عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا البيك لبيك قال فاقتتلوا والكفار
والدعوة في الانصار بقولون يامعشر الانصار يامعشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج
فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته
كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال
على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته فزالوا أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً قوله حي
الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من
العرب وهي مما اقتضبه وأنشأه والوطيس في اللغة التنوير وقوله حدهم كليلاً يعني لا يقطع شياً (م) عن سلمة
ابن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم وقال شأهت الوجوه فما خلق الله منهم
انساناً الا ملا عينيه تراب تلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين
أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبيرة أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وروى أن رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال لأئمة من بعد القتال أين الخيل الباق والرجال عليهم
ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهية الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلاً من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا التحلب
شاة أن كشفناهم فيبيننا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فقلنا عندنا رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهم زمنوا
وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنهم لم تقابل الا
يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددوا وعونا وذكر البغوي أن الزهري قال بلغني أن شبة بن عثمان قال
استدبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطليحة بن عثمان وعثمان بن أبي طلحة وكانا
قد قتلنا يوم أحد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ماني نفسي فالتفت الي وتضرب في صدرى وقال
أعينك بالله يا شبة فارعدت فرانصى فنظرت اليه وهو أحب الي من سمعي وبصري فقات أشهد أنك رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ماني نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا
أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الاشعرين يقال له أبو عامر
وأمره على الجيش فسار الى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون
عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النهري فأتى الطائف فتمحصن بها وأخذ مالها وأهلها فحين أخذ

وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل (انقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن كثيرة) يعنى أما كن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد برودة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى انقد نصركم الله في مواطن كثيرة (وبوم حنين) يعنى ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذى يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم وادقرب من الطائف بينهما وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قاطن وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش ان تغلب اليوم من قلة فسأع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلامهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما ياتى من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون ودخلوا عن الذرارى ثم نادوا يا حياحة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكرونا ان الطلقاء انجذوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هرربوا (ق) عن ابى اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ماولى واسكنه انطلق اخفاء من الناس حسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفيان بن الحرث يقوده بغلته فنزل ودعاوا استنصرو وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس تنقبي به وان الشجاع منالذى يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم عن أبى اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررت يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسكنه خراج شبان أصحابه وأخفاءهم حسر البس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قومارماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقوده فنزل ودعاوا استنصرو وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبى اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قومارماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفرقه ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المشرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالوحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم

دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (انقد نصركم الله في مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقرينة والنضير والحبيبة وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التى نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنًا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقيعها (وبوم) أى واذا كروا يوم (حنين) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين ان تغلب اليوم من قلة فسأع رسول الله عليه الصلاة والسلام

والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لأنهم والمختصون بالفوز دونكم (يشرهم ربهم) يشرهم حمزة (برجة منه ورضوان وجنان) تكبير البشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدان الله عنده أجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه وأقربائه أنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويحببه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلائتي فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان) أي آثروه واختاروه (ومن يتولهم منهم) أي ومن يتول الكافرين (فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرابكم وعشيرتكم أبو بكر (وأموال اقترفوها) اكتسبتموها (ونحار غشون كساده) فوات وقت نقاتها (وساكن رضونها أحب إليكم من

أرى بنى عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النيدأ من حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنانا من حاجة ولا بخل إنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحته وخلفه أسامة فاستسقى فابناه بانه من نيدأ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجلتكم كذا فافضوا فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النيدأ يذق في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحض حرم قوله عز وجل (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بآموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني ان من كان موصوفاً بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وإنما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الإطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة (وأولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعني بسعادة الدين والآخر (يشرهم ربهم) يعني يخبرهم ربهم وبالبشارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان عند سماعه ويستبشر بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذي يشرهم به فقال تعالى (برجة منه ورضوان) وهذا أعظم الإشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنان لهم فيها نعيم مقيم) يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبداً (خالدين فيها) يعني في الجنان وفي النعيم (أبدان) يعني لا انقطاع له (ان الله عنده أجر عظيم) يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطاحته وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون نشدك الله أن لا تضعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في السدة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل بآيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء يعني بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزولاً والأقرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالهجرة كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فدكر الله أن يقاطع الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة فالأمر لا يوالى الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (ان استحبوا الكفر على الإيمان) يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الإيمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبنائكم وأزواجكم وعشيرتكم) وقرئ على الجمع وعشيرتكم العشرة هم الذين من أهل الإنسان الذين يعاشرونه دون غيرهم (وأموال اقترفتموها) يعني اكتسبتموها (وتجار غشون كساده) يعني بفراقكم لها (ومساكن رضونها) يعني تستوطنونها راضين بسكنها (أحب إليكم من الله ورسوله) يعني أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى انه يحب تحمل جميع المضار في الدنيا ليعيش الدين سليماً وأخبر انه ان كانت رعاية هذه الصالح الدنياوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله (فتربصوا) أي فانظروا (حتى ياتي الله بامر) يعني بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني الخارجين عن طاعته

الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامر) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبيل اليقين اذ لا يجد عند أروع الناس ما يستحب له

(ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف اذا لمؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد (٢٢٣) نفى تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن

يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الاتضاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدبا عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كاصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظاهرا بعد ظاهريهم بالكفر لانهم ونسوا المدح والنسب في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر

(ولم يخش الا الله) يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله الخشية الداس (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمن فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد وأراح أعداء الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح النزل ما يهيا للضيف عندن وله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عيسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه النسائي قوله سبحانه وتعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن الزعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فجزهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمل المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبرنا عمارة المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير عما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب وطلحة بن أبي شيبه افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليه او قال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أ جعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقى الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يهاج في الجاهلية فاما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشديده ومرمته (كن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كايمن من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أي وجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أ جعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لا يستون عند الله) يعني لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا لامع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال استسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال استسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا لزلت حتى أضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال مالي

وظلق على رضى الله عنه يوم نحه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعه الرحم نذ كرمساو يذا وتدع محاسنا فقبل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد وسقى الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيعة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

ولأن كل بقعة منه مسجد وأريد جنس المساجد وإذا لم يصاحوا لأن يعمرها وجنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمر والمسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو أكد اذ طرقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باعتبارهم بعبادة الاصنام وهو خال من الواد في يعمر والمعنى المستقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وعبادته (أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) دائمون (انما يعمر مساجد الله) عمارتها ما استمر منها وفيها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها ما لم يقبل له المساجد من أحاديث الدنيا لأنها بنيت للعبادة والدكر ومن الذكور درس العلم (من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينة الإيمان بالرسول لاقتراحهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها وأدل عليه بقوله (واقام الصورة وآتى الزكاة) وفي قوله

يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبرونهم بالشرك وجعل على بن أبي طالب يوجع العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكفون محاسنا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المساجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الأسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أى ما ينبغي للمشركين أن يعمر وامساجد الله أوجب الله على المسلمين منهم من ذلك لأن المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما أن المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشيدها ومرضها عند خرابها فممنع منه الكافر حتى لو وصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالعمارة دخول المسجد والوقوف فيه فممنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزروا أن دخل باذن لم يعزروا ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثيابه بن انا الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها ١٠ وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك أن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القه اعدوا وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرک يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهد بن علي رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم (أولئك حبطت أعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقى الحاج وفك العاني لانهم لم تكن لله فلم يكن لها ثاثير مع الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره ١١ قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط فيمن يعمر المساجد لان المساجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وأنه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجد فان قلت لم يذكر الايمان برسول الله مع أن الايمان به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعى الى الايمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (واقام الصلاة وآتى الزكاة) وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن الاعتبار باقامة الصلاة وآيتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤدبا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه ١٢ وقوله تعالى

(فأتلوهم) وروعههم النصر لينبت قلوبهم ووضح نياتهم بقوله (يعذبهم الله يا أيديكم) قتلا (ويجزهم) أسرا (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما القوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على) (٢٢١) من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان

بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعزلة قو لهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا) ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم (أم منقطعة والمهزاة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تكون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخاصوا دينهم لله يميز بينهم وبين الخاصين ولم يتخذوا معطوف على جاهد واداخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم

قوله سبحانه وتعالى (فأتلوهم يعذبهم الله يا أيديكم) يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله يا أيديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله يا أيديكم وبين قوله وما كان الله يا عذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله يا عذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله فأتلوهم يعني الذين تقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويجزهم) يعني ويذهب قلوبهم والاسرو ينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعني بان يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني ويرى داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذيه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا ثأرهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بكر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعاق بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فبين عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بالي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهو لاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فأسلموا (والله اعلم) يعني بسر ائمه عبادهم ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام (حكيم) يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل (أم حسبتم أن تتركوا) هذا من الاستفهام العترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظنتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام غفر الدين الرازي ونقل الواحدى عن الزجاج أى العلم الذى يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يقشون اليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة معنى خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء وأياء معنى لا تتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل شئ أدخلته في شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بخيلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذ الانسان معتمدا عليه وليس من قو لهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهى المؤمنين عن موالاته المشركين وان يقشوا اليهم أسرارهم (والله خير بما تعملون) يعني من موالاته المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مسجدا لله) يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبله المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا

والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنى العلم في المعلوم كقولك ما علم الله منى ما قيل في تريد ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خير بما تعملون) من خيرا أو شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما أصبح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجدا لله) مسجدا لله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع في القراءة بالجمع لانه قبله المساجد وامامها

من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أي نقضوا العهد المؤكدة بالإيمان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أوزعماء قریش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعننا ظاهرا جازا قتله لان العهد معقود معه على أن لا يظن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة همزتين كوفي (٢٢٠) وشامى الباقون همزة واحدة غير مدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أئمة

لا مهاجم مع امام كعباد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى فن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فكسرتها (انهم لا أيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون به لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لهم يتهون) متعلق بقاتلوا أئمة الكفر وما يمينها ما اعتراض أى ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاء هم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظام وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في

ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يترك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبابكر ما كان أفقهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لا يبرك كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه لاجل حقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها وفي رواية عقلا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرع صدرا بى بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا أيمانهم) يعني وان نقضوا عهدهم (من بعد عهدهم) يعني من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلواكم ولا يظهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) يعني وعابوا دينكم الذي أتمم عليه وقد حوا فيه وتلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبق له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قریش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قریش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة فقاتلهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية بعد ولم يأت أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا أيمان لهم) جمع بين أى لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهود وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا صديق وقيل هو من الامان أى اقتلواهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لهم يتهون) أى لكي يتهوا عن الظن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يعني نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بى بكر على خراعة (وهووا باخراج الرسول) يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعني بالقتال (أول مرة) يعني يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا نتصرف حتى نستأصل مجذوا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خراعة حافاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتخشونهم) يعني اتخافونهم أي المؤمنون فتتركون قتالهم (فأله أحق أن نخشوه) يعني في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده

المعاهدة (وهووا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادى قوله أظلم فابغى بكم من أن تقاتلوهم ويخونكم بترك مقاتلتهم وحضهم عابا ثم وصفهم بما يوجب الحظ عليهما من نكث العهد واخراج الرسول والبدة بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) تو بئخ على الخشية منهم (فأله أحق أن نخشوه) فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فآخشوه أى ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا رب ولا يبالي بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله

(ان الله يحب المتقين) يعنى ان الترابص بهم من أعمال المتقين (كيف وان يظهر واعليكم) تكرر الـ لا بعد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهر وا (٢١٩) عايكم أى يظفر وا بكم بعد ما سبق لهم من

تأكيد الإيمان والمواثيق
(لا يرقبوا فيكم إلا ليراعوا
حلفا ولا قرابة) (ولأزمة)
عهدا (يرضونكم
بافواههم) بالوعد بالإيمان
والوفاء بالعهد وهو كلام
مبتدأ في وصف حالهم من
مخالفة الظاهر الباطن
ومقرر لاستبعاد الثبات منهم
على العهد (وتاني
قلوبهم) الإيمان والوفاء
بالعهد (وأكثرهم
فاسقون) فناقضون العهد
أو متمردون في الكفر
لامرورة تمنعهم عن الكذب
ولاشتمال ترددهم عن
النكت كما يوجد ذلك في
بعض الكفرة من التفادي
عنهما (اشتروا) استبدلوا
(بآيات الله) بالقرآن
(فمننا قليلا) عرضا بسيرا
وهو اتباع الأهواء
والشهوات (فصدوا عن
سبيله) فعدلوا عنه وصرفوا
غيرهم (انهم ساء ما كانوا
يعملون) أي بش الصنيع
صنيعهم (لا يرقبون في
مؤمن الا لأزمة) ولا
تكرار لان الاول على
الخصوص حيث قال فيكم
والثاني على العموم لانه
قال في مؤمن (وأولئك هم
المعتدون) المجاوزون
الغاية في الظلم والشرارة

فَضْرِبْ لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْفَتْحِ أَرْبَعَةَ أَشْهُارٍ يَخْتَارُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَمَانًا يَسْلَمُوا وَأَمَانًا
بِحَقِّهِ وَأَبَايَ بِلَادِشَاؤًا فَاسْلَمُوا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُارِ وَالصَّوَابُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّهُمْ قَبَائِلُ مِنْ بَنِي
بَكْرِ وَهُمْ خَزْعَةٌ وَبَنُو مَدْلَجٍ مِنْ ضَمْرَةٍ وَبَنُو الدَّيْلِ وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ
نَقْضُ الْعَهْدِ الْأَقْرَبِشَ وَبَنُو الدَّيْلِ مِنْ بَنِي بَكْرِ فَامْرَأَتُهُمُ الْعَهْدُ لَمْ يَنْقُضْ وَهُمْ بَنُو ضَمْرَةٍ وَإِنَّمَا كَانَ الصَّوَابُ
هَذَا الْقَوْلُ لِأَنَّ هَذِهِ آيَاتُ نَزَاتٍ بَعْدَ نَقْضِ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ وَذَلِكَ قَبْلَ قِتْحِ مَكَّةَ لِأَنَّ بَعْدَ الْفَتْحِ كَيْفَ يَقُولُ لَشَيْءٍ
قَدْ مَضَى فَمَا اسْتَقَامُوا إِلَيْكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ وَإِنَّمَا هُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُواكُمْ شَيْئًا كَمَا نَقَضَكُمْ قُرَيْشٌ وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا كَمَا ظَهَرَتْ قُرَيْشٌ بِبَنِي بَكْرِ عَلَى خَزَاعَةِ وَهُمْ حُلَفَاءُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى﴾ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) يَعْنِي أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ الَّذِينَ يُؤْفُونَ
بِالْعَهْدِ إِذَا عَاهَدُوا وَهُمْ يَتَّقُونَ نَقَضَهُ (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) قِيلَ هَذَا مَرْدُودٌ عَلَى آيَةِ الْأَوَّلَى تَقْدِيرُهُ
كَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّتَهُ) وَقَالَ الْأَخْفَشُ مَعْنَاهُ كَيْفَ لَا تَقْتُلُونَهُمْ
وَهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَيْ يَظْفَرُوا بِكُمْ وَيَغْلِبُوكُمْ وَيَعْلَوُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا أَيْ لَا يَحْفَظُوا وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَنْتَظِرُوا
وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَرَاؤُكُمْ إِلَّا قَالِ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْنِي قَرَابَةً وَقِيلَ رَجَاؤُهُمَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَقَالَ قَتَادَةُ
إِلَّا الْخَلْفَ وَقَالَ السُّدِّيُّ هُوَ الْعَهْدُ وَكَذَلِكَ الذِّمَّةُ وَإِنَّمَا كَرَّرَ لَتَأْكِيدَ وَلَا خِلَافَ لِلْفُظْيَانِ وَقَالَ أَبُو جَلْزٍ
وَمَجَاهِدُ إِلَّا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - - - - - مَعَ كَلَامِ مَسِيئَةِ الْكَذَّابِ
إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ أَلْفِ يَعْنِي مِنَ اللَّهِ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ مَعْنَى آيَةِ لَا يَرْقُبُونَ اللَّهَ فِيكُمْ وَلَا
يَحْفَظُونَهُ وَلَا يَرَاؤُنَهُ وَلَا ذِمَّتَهُ يَعْنِي لَا يَحْفَظُونَهُ - - - (يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ) يَعْنِي يَطِيعُونَكُمْ
بِاسْتِنْهَامِهِمْ بِخِلَافِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ (وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) فَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الْمَوْصُوفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ كُفَرَاءُ وَالْكَافِرُ
أَخْبَثُ وَأَقْبَحُ مِنَ الْفَاسِقِ فَكَيْفَ وَصَفَهُمُ بِالْفَسَقِ فِي مَعْرِضِ الذِّمِّ وَمَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ مَعَ
إِنَّ الْكَافِرَ أَكْثَرُ فَاسِقُونَ قُلْتَ قَدْ يَكُونُ الْكَافِرُ عَدُوًّا فِي دِينِهِ وَقَدْ يَكُونُ فَاسِقًا خَبِثَ الْفَسَقُ فِي دِينِهِ فَلَمَّا رَدَّ
بِوَصْفِهِمْ بِكَوْنِهِمْ فَاسِقِينَ أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ بِالْفَوِّاقِ الْعِدَاؤُةَ فَوْصَفَهُمْ بِكَوْنِهِمْ فَاسِقِينَ مَعَ كُفْرِهِمْ فَيَكُونُ
أَبْلَغُ فِي الذِّمِّ وَإِنَّمَا قَالَ أَكْثَرُهُمْ وَلَمْ يَقُلْ كُلُّهُمْ فَاسِقُونَ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ وَفَّى بِالْعَهْدِ وَلَمْ يَنْقُضْهُ وَأَكْثَرُهُمْ نَقَضُوا
الْعَهْدَ فَلِهَذَا قَالَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى﴾ (اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) يَعْنِي اسْتَبَدَلُوا
بِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ بِهَذَا قَلِيلٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبَبِ أَكَاثِمِهِمْ أَيَاها أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ قَدْ مَهَّمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ قَالَ مَجَاهِدُ
أَطْعَمَ أَبُو سَفْيَانَ حُلَفَاءَهُ وَتَرَكَ حُلَفَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَصَدَّاعِنَ سَبِيلَهُ) يَعْنِي مَنَعُوا النَّاسَ
عَنِ الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الطَّاغُوتِ أَمَدَوْهُمْ بِالْأَمْوَالِ يَقُوتُ وَهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يَعْنِي مِنَ الشَّرِّ وَنَقَضَهُمُ الْعَهْدَ وَمَنَعَهُمُ النَّاسَ عَنِ
الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ (لَا يَرْقُبُونَ فِي مَوْتِهِمْ إِلَّا ذِمَّتَهُ) يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَرَاؤُنَهُ فِي مَوْتِهِمْ
عَهْدًا وَلَا ذِمَّةً إِذَا قَدَّرُوا عَلَيْهِ قَتْلَهُ فَلَا تَنْبَقُوا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ كَمَا لَمْ يَبْقُوا عَلَيْكُمْ إِذَا ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ (وَأُولَئِكَ هُمْ
الْمُعْتَدُونَ) يَعْنِي فِي نَقْضِ الْعَهْدِ ﴿وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ (فَإِنْ تَابُوا) يَعْنِي فَإِنْ رَجَعُوا عَنِ الشَّرِّ إِلَى الْإِيمَانِ وَعَنِ
نَقْضِ الْعَهْدِ إِلَى الْوَفَاءِ بِهِ (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يَعْنِي الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ بِجَمِيعِ حُدُودِهَا وَارْكَعُوا أَتَوَاتُوا
الزَّكَاةَ يَعْنِي وَبَذَلُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ طَبِيعَةً بِهَا أَنْفُسُهُمْ (فَأَخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ) يَعْنِي إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ
فَهُمْ أَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ لَهُمْ مَالُكُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ (وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يَعْنِي وَنَبِّئُكُمْ حَقِّجْ أَدَلَّتْنَا

(فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم) فهم إخوانكم على حذف المبتدأ (في الدين) لاني النسب (ونفصل الآيات) وبنيتها (اقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كأنه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحرر ضاعلي تأمل ما فصل

(ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبياتين يعنى (الاشهر الحرم) التى أبيع فيها لنا كثرين أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوا وعدهم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والخذ الأسر (واحصرهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل عمرو ومجتاز ترصدوهم به واتصابه على الظرف (فان تابوا) (٢١٨) عن الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد

تجعلوا الوفى كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين القبياتين يعنى الوافى بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هى شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء الحرم وذلك لخسوف بومار قيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخسوف بومابعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التى يكون معها انسلخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعنى فى الحبل والحرم وهذا أمر اطلاق يعنى اقتلوه فى أى وقت وأى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعنى وأسروهم (واحصرهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصوا وافحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد فيه للعدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رسدا حتى تاخذوهم من أى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) يعنى من الشرك ورجعوا الى الإيمان (وأقاموا الصلاة) يعنى وأنما أركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بأنفسهم (فخلوا سبيلهم) يعنى الى الدخول الى مكة والتصرف فى بلادهم (ان الله غفور) يعنى لمن تاب ورجع من الشرك الى الإيمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعنى بايوائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء قوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجر حتى يسمع كلام الله) يعنى وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذى أنزل عليك وهو القرآن فاجر حتى يسمع كلام الله ويعرف بالدين الثواب ان آمن وماعليه من العقاب ان أصر على الكفر (ثم أبلغه مامنه) يعنى ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذى يامن فيه وهو دار قومهم وان قالوا بعد ذلك وقد رت عليه فاقله (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) أى لا يعرفون دين الله وتوحيدهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التجب ومعناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدى ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزيمه وبنو مدلج وبنو الدليل قبائل من بني بكر كانوا داخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة (فاستقاموا السك) يعنى على العهد (فاستقبحوا لهم) يعنى ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خراعة

الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) يستألف الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجر) أحد مر تفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أى وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مامنه) داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم قاله ان شئت وفيه دلائل على ان المستأمن لا يؤذى ولا يس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذلك) أى الامر بالا جازة فى قوله فاجر (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى

يسمعوا ويفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استنهم فى معنى الاستنكار فضررب

أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تظنهم عوفى ذلك ولا تحذ ثوابه نفوسكم ولا تفكر رافى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبني ضمرة فتر بصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فاستقاموا السك) ولم يظهر منهم نكث أى فاستقاموا على وفاء العهد (فاستقبحوا لهم) على الوفاء وما من طرية أى فان استقاموا السك فاستقبحوا لهم

(ان الله يرى من المشركين) أي بان الله حذف صلة الاذان تخفيفاً (ورسوله) عطف على المنوى في يرى أو على الابتداء وحذف الخبر أي ورسوله يرى، وقرئ بالنصب عطفه على اسم ان والجر على الجوار أو على القسم (٢١٧) كقوله لعمر ك وحكى ان اعرابا سمع

رجلا يقرؤها فقال ان كان الله يرى منا من رسوله فانا منه يرى، فلبية الرجل الى عمر بن الخطاب قراءته فعند هذا امر عمر بن عبد الله بن الخطاب (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) أي التوبة (خير لكم) من الاصرار على الكفر (وان توليتهم) عن التوبة أو تبتم على التولي والاعراض عن الاسلام (فاعلموا انكم غير معجزى الله) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقبه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) مكان بشاره المؤمنين بنعيم مقيم (الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من قوله فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثم لم ينقضوكم شيئا) من شروط العهد أي وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرئ لم ينقضوكم أي عهدكم وهو أليق لكن المشهورة أبلغ لانه في مقابله الختام (ولم يظاهروا عليكم أحدا) ولم يهاونوا عليكم عدا (فأتوا بهم عهدهم) فادواهم بما كاملا (الى مدتهم) الى تمام مدتهم

الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الا كبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذي وقال يروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الا كبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الا كبر أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الا كبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجبل لان الحروب دامت في تلك الايام ويطلق عليهم ايوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الا كبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الا كبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الا كبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لانه قصان أعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الا كبر لوافقه حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار بأبطل النسئ وجميع أحكام الجاهلية وقوله سبحانه وتعالى (ان الله يرى من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله يرى من المشركين وانما حذف الباء لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمرة والتقدير ان الله يرى من المشركين ورسوله أيضا يرى الثاني تقديره يرى الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتداء ويرى خبره ورسوله عطف على المبتداء فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله يرى من المشركين ورسوله فافائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي نقيض الموااة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في أولها براءة من الله ورسوله الى يعني يرى اللههم وفي الثانية يرى منهم وقوله تعالى (فان تبتم) يعني فان رجعت عن شرككم وكفركم (فهو خير لكم) يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والافلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتهم) يعني أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا انكم غير معجزى الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه وتعالى قادر على ازالة العذاب بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعني في الآخرة ولفظ البشارة هنا ما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يعني الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كثافة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى (ثم لم ينقضوكم شيئا) يعني من عهدهم التي عاهدوهم عليها (ولم يظاهروا) يعني ولم يهاونوا (عليكم أحدا) يعني من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوكم (فأتوا بهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد ان أمروا في اننا كثرين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا بهم عهدهم ولا تجزهم مجراهم ولا

(٢٨ - (خازن) - ثاني) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا في اننا كثرين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا

بهم عهدهم ولا تجزهم مجراهم ولا تجزهم كالعادر

قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزبد بن تبع سالت عليا أبي شي بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله أربع أشهر ولا يدخل الجنة إلا بنفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حجة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلى بن أبي طالب فأمره أن يؤذن براءة قال أبو هريرة فاذن معناني أهل منى براءة أن لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية يوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأكبر الحجة التي قبل الحج الأكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الأصغر قال فيبدأ أبو بكر إلى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم لم تحج الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين يأبها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجدين الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل قد يتوهم متوهم أن في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عز ل أني بكر عن الامارة وتفضيله على أني بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على أن أبا بكر لم يزل أميراً على الموسم في تلك السنة أول حديث أني هريرة المتقدم أن أبا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ أني داود والنسائي قال بعثني أبو بكر فيمن يؤذن في يوم النحر يعني أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الأمير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعماهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ليؤذن في الناس براءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد وتفضله السيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم من أني بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة أراحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص علياً بتبليغ هذه الرسالة تطيباً لقلبه ورعاية لجانبه وقيل إنما بعث علياً في هذه الرسالة حتى يصلى خلف أني بكر ويكون جارياً مجرى التنبية على إمامة أني بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميراً على الحاج وولاه الموسم وبعث علياً خلفه ليقرا على الناس براءة فكان أبو بكر الإمام وعلي المؤمن وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر المتولى أمر الموسم والأمير على الناس ولم يكن ذلك لعل في ذلك على تقديم أني بكر على علي وفضله عليه وأنه أعلم وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزي الله) يعني أن هذا الامهال ليس المجز عنكم ولكن لمصاحبة واطف بكم ليتوب نائب وقيل معناه فسيحوا في الأرض أربع أشهر عالمين أنكم لا تجزون الله بل هو يجزكم وياخذكم لأنكم في ماله وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه إنما أمهالكم هذه المدة لانه لا يخاف الفتور ولا يجز شيء (وأن الله محزى الكافرين) يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل (وأذان من الله ورسوله) الأذان في اللغة الإعلام ومنه الأذان للصلاة لانه إعلام بدخول وقتها والمعنى والإعلام صادر من الله ورسوله واصل (إلى الناس يوم الحج الأكبر) اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروى عكرمة عن ابن عباس أنه يوم عرفة وروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول

(واعلموا أنكم غير معجزي الله) لا تفوتونه وإن أمهالكم (وأن الله محزى الكافرين) من الله ورسوله إلى الناس ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجلة معطوفة على مثلها والأذان بمعنى الإيدان وهو الإعلام كما كان الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء والفرق بين الجلة الأولى والثانية أن الأولى أخبار بثبوت البراءة والثانية أخبار بوجود الإعلام بما ثبت وإنما علفت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعانى الأذان بالناس لأن البراءة محتصة بالمعاهدين والناس كثير منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهدوا ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحاق والرمي ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر

أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه إلى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده باربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان وقيل أن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتمطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل فيصير هذا داعياً لهم إلى الدخول في الإسلام وإثلاً ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاءه إلى عشر من ربيع الآخر فامان لم يكن له عهد فأنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم وذلك خسون يوماً قال الزهري الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال والقول الأول أصوب وعليه لا كثرون وقال السككي إنما كانت الأربعة أشهر عهداً لمن كان له عهد دون الأربعة أشهر فأنما له الأربعة أشهر فامان كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بأتمام عهده بقوله تعالى فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل كان ابتداءه في العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقتلونكم فكان لا يقتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر إلا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الأجل وقال محمد بن سحوق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعانهم قريش بالسلاح فلما أظهروا بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم اني ناشد محمدا * حلف أينا وأبيه الا نلدا

كنت لنا أبا وكنا ولدا * ثم أسلمنا ولم نزع يدا

فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأثوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا * في فيلتي كالبحر يجري مزبدا

أبيض مثل الشمس يسمو صعدا * ان شيم خطب وجهه تربدا

ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وزعموا ان لست تنجي أحدا * وهم أذل وأقل عددا

هم يبتونا بالخطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم وتجهزوا إلى مكة ففتحه هامة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبابكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقراها على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومني وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله باني أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي أما ترضى يا أبابكر أنك كنت معي في الغار وأنت معي على الخوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان

لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وان يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا والله ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرمح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم وأعوشر من ذي الحجة والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرماً لأنهم آمنوا فيها وحرم قتلهم وقتلهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والحرم منها والجهور على إباحة القتال في الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) من لا بداء العاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كقوله (٢١٤) برئت من الدين أي هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول

كتاب من فلان إلى فلان أو مبتدأ التخصيص بها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كقوله رجل من بني تميم في الدار والمعنى إن الله ورسوله قد برئنا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبذ إليهم (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) فسير وإني الأرض كيف شئتم والسيح السير على مهل روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا لأناس منهم وهم بنو ضمرة وبنو كانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمر وأن يسبحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أي بن شاة لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فإذا انسح الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك أصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأب بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه علياً راكب العضباء ليقراها على أهل الموسم فقيل له لو بعث بها

الرحمن الرحيم ووضعتهم وهافي السبع الطوال ما حاكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور وذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوها هؤلاء الآيات في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية يقول ضعوها هذه الآية في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظنفت أنها من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرئت بينهما ولم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعت في السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لأبي يعني علي بن أبي طالب لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابني إن براءة نزلت بالسيف وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لا إن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتح هذه السورة الشريعة بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخبر وأول هذه السورة وعيد ونقض عهد فلذلك لم تفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال إنها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمري في كل سورة بكاتبه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمري في براءة بذلك فضمت إلى الانفال لشبهها بها وقيل إن الصحابة اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأنهم ما نزلتا في القتال ومجموعهما ما عايناهما وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تفيها على قول من يقول إنهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تفيها على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقولته تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك كان المنافقون يرحفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى وإما تخافون من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ إليهم عهودهم قال الزجاج أي قد برى الله ورسوله من أعطاهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم إلا أنه هو الذي عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى (فسيحوا في الأرض) أي فسبوا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المشركين وأصل السباحة الضرب في الأرض والانساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الأنباري قوله فسبحوا فيه ضمراً أي قل لهم فسبحوا وليس هذا من باب الأمر بل المقصود منه الإباحة والاطلاق والإعلام بحصول الأمان وزوال الخوف يعني سبوا في الأرض وأتم آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعني مدّة أربعة أشهر واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين يرى الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدّة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى

إلى أبي بكر فقال لا يؤذي عنى الرجل مني فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أميراً وأما مور قال مأموراً فلما كان قبيل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقالوا بماذا أفرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بربع أن

يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا واجاهدوا معكم فاولئك منكم) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولوا القربات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته وفي الواح وفي القرآن وهو آية الموارث وهو دليل لنا على تورث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) فيقضى بين عباده بما شاء

(٢١٣)

من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا

سورة التوبة مدينة وهي مائة وتسع وعشرون آية كوفي ومائة وثلاثون غيره

لها أسماء براءة التوبة المقتضية المبعثرة المشردة الخزية الفاضحة المثيرة الحافرة للثكلة المدممة

لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشش من النفاق أى تبرئ منه وتبعض عن أسرار المنافقين وتبعت عنها وتبهرها وتخفر عنها

وتفصحهم وتنكلمهم وتشردهم وتخزهم وتندمهم عليهم وفي ترك التسمية في ابتدائها أقوال فغن على

وابن عباس رضى الله عنهم ان بسم الله أمان وبراءة نزل لرفع الامان وعن عثمان رضى الله عنه ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه سورة الآية قال اجعلوا في

الموضع الذى يذكرك فيه كذا وكذا ونفى رسول

وهاجروا واجاهدوا معكم) اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة وبجواب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى (فاولئك منكم) يعنى انهم منكم وأتم منهم لکن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق وقوله تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أى في الميراث فينبه بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل أراد به في الواح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهى ان قسمة الموارث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتسمى أصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية في تورث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض وفروضهم وما بقى فللعصبات وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراد وأسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهى مدينة باجتماعهم قال ابن الجوزي سوى آيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من أنفسكم فانه ما نزلت بمكة وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف ونمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة ونمان وثمانون حرفا وهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذا ان الاسمان مشهوران وهى المقتضية قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشش من النفاق أى تبرئ منه وهى المبعثرة لانها تبعض عن أخبار المنافقين وتبعت عنها وتبهرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهى الخزية لان فيها خزي المنافقين وهى المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهى المشردة سميت بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهى المثيرة سميت بذلك لانها أثارت محازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة مازالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الا ذكرك فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بنى النضير أخرجاه في الصحيحين

فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهى من المثاني والى براءة وهى من المثين فقرتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العير رضى براءة تبارك الله ولذلك قرنت بينهما وكانت دعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان هتكت بينهما فارجع لقول من قال هما سورتان وترك اسم الله لقول من قال

بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوي القربى حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصر والمعاوية (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توابعهم في الميراث ولايتهم حزة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر من آمن وهاجر ولما بقي للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت (٢١٢) الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة

(بعضهم أولياء بعض) يعني في العون والنصرة دون أقر بابهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقر بابهم وذوي ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قر به المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حينما كانوا فصار ذلك منسوخاً بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﷻ وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) يعني إلى المدينة (وان استنصروكم في الدين) يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعني فعليكم نصرهم واعانتهم (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير) والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعني في النصر والمعونة وذلك أن كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعاً قال ابن عباس يعني في الميراث وهو أن يرث الكفار بعضهم من بعض (الأنفـعلوه تكن فتنـة في الأرض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما أمر نكم به وقال ابن جرير لا تتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى لا تتفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنـة في الأرض وفساد كبير فالفتنة في الأرض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) يعني لا تشك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (ورزق كريم) يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه الآية ما آمن به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقاً وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقاً يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمناً حقاً النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتشكيـر لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة سائرة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في بابيه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقاً لا يلحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولاً إلى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة فهم أصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى أصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده ﷻ وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد

لا يخرج من الايمان) وان استنصروكم) أي من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم وهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباعدهم ومصارمتهم وان كانوا أقرب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال (الا تفعلوه) أي لا تتفعلوه ما أمر نكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يجعلوا قرابة الكفار كقرابة (تكن فتنـة في الأرض وفساد كبير)

تحصل فتنـة في الأرض ومفسدة عظيمة لان المسلمين مالم يصيروا يد واحدة على الشرك كان الشرك (واهاجروا) ظاهره الفساد زائداً (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقصديته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامتنة فيه ولا تنفيس ولا نكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للاصر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد

(واتقوا الله) فلا تقصدوا على شيء لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسيرين (٢١١) الاسارى أبو عمر وجمع أسرى

(ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص إيمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما أن يخلفكم في الدنيا أضعافا أو يثيبكم في الآخرة (ويعفو لكم) والله غفور رحيم روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذتني وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أدناهم لينجر في عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أي الاسرى (خياتك) نكت ما يبيعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ماضيه من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) في كفرهم به وتقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) فأمكنك منهم أي أظفرك بهم كإرانيهم يوم بدر فسيتمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله عليم) بالمآل (حكيم) فيما أمر في الحال (ان الذين آمنوا

حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكفوا عما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحل لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فلما لنا ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعني وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعملوا أن الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أمسرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقييل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أنسكفقر يشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابن الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة وقات لها اني لأدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقم يعني بفيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد انك اصادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فاساموا ذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني إيماننا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعني من الفداء (ويعفو لكم) يعني ماسلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني باهل طاعته قال العباس فابداني الله خيرا مما أخذتني عشيرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كبير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعني الاسارى (خياتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله عليم) يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكمه بأنه يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب ﷺ وقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بآموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا أنفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا وانصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أتباعه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم وانصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعني المهاجرين والانصار

وهاجروا) من مكة حبا لله ورسوله (وجاهدوا بآموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا وانصروا) أي آووه الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك)

في عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) أن لا يعذب أحد على العمل بالاجتهاد وكان هذا الاجتهاد منهم لانهم نظر وا
في ان استبقاءهم وربما كان (٢١٠) سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفي عليهم ان قتلهم أعز للاسلام

واما فداء جعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوههم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا
فادوهم وان شاؤا عتقوهم قال الامام غز الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فادوا منا بعد واما فداء يزيل حكم
الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاها حاتلان على أنه لا بد
من تقديم الانحان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاقية أربعون
درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم
﴿فصل﴾ قداسة تدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء ويأبى بكر فداءهم بل أسرى ما كان لنبي
أن تكون له أسرى صريح في النهي عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه
وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلهذا لم يقتلوا من أسرى وهم دل ذلك على
صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه
الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر قعدا يبيكان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله
والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يشحن في الارض يدل
على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الانحان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم
قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الانحان في
الارض قتل جميع الناس فدلّت الآية على جواز الاسر بعد الانحان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني
ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال
الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله
عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول
لانسلم ان أخذ الفداء كان محرما ما قبله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة فقيه عتاب
لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم
من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر قعدا يبيكان يحتمل
أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكي
النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء
والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (لولا كتاب من الله سبق لما أخذتم مسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت
الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا غنائم جعلوها للقران فكانت النار تنزل من السماء
فتأكلهم فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق
يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم مسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن
ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحد من شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابن جرير لولا كتاب من الله سبق انه لا يفضل قوم ما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ
قوم فداء لو اجماله مسكم يعني لاصحابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمر بانه عذاب عظيم قال محمد بن
اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدر الا وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الانحان في القتل أحب الى من
استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجاهم غير عمر وسعد بن معاذ
﴿قوله تعالى﴾ (فكروا ما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقدأتم حل لكم الغنائم وأخذ الفداء فكروا ما غنمتم

وأهيب لمن وراءهم أم أو
ما كتب الله في اللوح أن
لا يعذب أهل بدر أو كان
لا يؤخذ قبل البيان
والاعذار وفيما ذكر من
الاستشارة دلالة على جواز
الاجتهاد فيكون حجة على
منكرى القياس كتاب
مبتدأ ومن الله صفته أي لولا
كتاب ثابت من الله وسبق
صفة أخرى له وخبر المبتدأ
محدوف أي لولا كتاب بهذه
الصفة في الوجود وسبق
لا يجوز أن يكون خبرا
لان لولا لا يظهر خبرها أبدا
(مسكم) لناكم وأصابكم
(فيما أخذتم) من فداء
الاسرى (عذاب عظيم)
روى أن عمر رضى الله
عنه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وأبو بكر يبيكان فقال
يا رسول الله اخبرني فان
وجدت بكاء بكيت وان لم
أجد بكاء تبأكيت فقال
أبكي على أصحابك في أخذهم
الفداء ولقد عرض على
عذابهم أدنى من هذه
الشجرة لشجرة قريية منه
وروى انه عليه السلام قال
لو نزل عذاب من السماء
نجاهم غير عمر وسعد بن
معاذ لقوله كان الانحان في

القتل أحب الى (فكروا ما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء حلالا
لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيح والسبب محدوف ومعناه قدأتم حل لكم الغنائم فكروا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقاب
وهو نصب على الحال من المفعول أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا (طيبا) لذبا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطعم

(٢٠٩) (حني بسخن في الارض) الانحنا كثرة القتل والمبالغة فيه من الشجاعة وهي الغلظ والكثافة

القتل في أهله ويعز الاسلام
بالاستيلاء والقهر ثم الاسر
بعد ذلك روى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أتى
بسبعين أسيراً فيهم العباس
عمه وعقيل فاستشار النبي
عليه السلام أبا بكر فيهم
فقال قومك وأهلك
استبقهم لعل الله يتوب
عليهم وخدمهم فدية تقوى
بها أصحابك وقال عمر رضي
الله عنه كذبوك وأخرجوك
فقدمهم واضرب أعناقهم
فان هؤلاء أئمة الكفر وان
الله أغناك عن الفداء
مكن علياً من عقيل وحزة
من العباس ومكنى من
فلان لنسب له فلنضرب
أعناقهم فقال عليه السلام
مثلك يا أبا بكر كمثل
إبراهيم حيث قال ومن
عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر كمثل نوح
حيث قال رب لا تذر على
الأرض من الكافر ين
دياراً ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم ان
شتمت قتلتموهم وان شتم
فادجموهم واستشهد منكم
بعدتهم فقالوا بلى ناخذ
الفداء فاستشهدوا بأحد
فلما أخذوا الفداء نزلت
الآية (تريدون عرض
الدنيا) متاعها يعني الفداء
سما عرضاً لبقاءه وسرعته
فنانه (والله يريد الآخرة)

من الحجارة وان مثلك يا أبابكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبابكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم اتم عالة فلا يغلقن احد منهم الابواب وضرب عنق قال عبد الله بن مسعود والاسهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال فارأيتني في يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فاعدان يبيكان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء نبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأ كيت لباكان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لثـ شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يشخن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في أفراد من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابني بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العلم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن نمنكنهم فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حنظلة من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبيكان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء نبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأ كيت لباكان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لثـ شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض الى قوله فكأولما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الجيـ في مسنده عن عمر بن الخطاب من أفراد مسلم بن زياد فيه أمات تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معنائه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي أن يحبس كافر اقدر عليه وصار في يده أسير للفداء والممن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى يشخن في الارض) الانحان في كل شيء عبارة عن قوته وشدة يقال انحنته المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تر بدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تر بدون أيها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فمكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله يريد الآخرة) يعني انه سبحانه وتعالى يريدكم نواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانهاد أئمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عز بن) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعني في تدبيره مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى في الاسارى قواما ما بعد

أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلات (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) (٢٠٨) التعريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرص وهو أن ينهكه المرض

حتى يشرف على الموت
ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا
ألفا من الذين كفروا وهذه
عدة من الله وبشارة بان
الجماعة من المؤمنين ان
صبروا غلبوا عشرة أمثالهم
من الكفار بعون الله
وتأييده (بانهم قوم
لا يفقهون) بسبب ان
الكفار قوم جهلة يقاتلون
على غير احتساب وطلب
نواب كالبهايم فيقتل ثباتهم
ويعدمون لجهلهم بالله
نصرته بخلاف من يقاتل
على بصيرة وهو رجو
النصر من الله قيل كان
عليهم م أن لا يفر واويشت
الواحد للعشرة ثم نقل
عليهم ذلك فنسخ وخفف
عنهم بمقاومة الواحد الاثنين
بقوله (الآن خفف الله عنكم
وعلم أن فيكم ضعفا) ضعفا
عاصم وحزة (فان يكن
منكم مائة صابرة) بالياء فيهما
كوفي وافقه البصري في
الاولى والمراد الضعف في
البدن (يغلبوا مائتين وان
يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين باذن الله والله مع
الصابرين) ونكرر مقاومة
الجماعة لاكثر من مائتين
قبل التخفيف وبعده

في غزوة بدر وقيل القتال على هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل
أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين
والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله
ومتبعوك من المؤمنين قوله عز وجل (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال
عدوهم والتعريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير ونهيل الخطب فيه كأنه في الأصل ازالة الحرص
وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محمسين أنفسهم يغلبوا
مائتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الأمر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فيصابروا
وايجتهوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على أن المراد بهذا الخبر الأمر قوله الآن خفف الله عنكم
لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الأمر فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى أوجب ألا على
المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله بالنصر سهل عليه
الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) لخاصة وجوب
ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بانهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا
يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الآن
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين
باذن الله (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم أن
لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب أن لا يفر مائة من
مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على
المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فمما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر
ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان
هذا الأمر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين
فنقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أي المؤمنين وعلم أن فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد
للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة محمسين يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من
العشرة الى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر واقياما رجل فر من
ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة
وأرى الأمر بالعرف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى (ما كان لنبي أن تكون له امري) روى
عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر ورجى بالامري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا لولون
في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وخدمهم
فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن
عليهم من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ومكن من فلان نسيب لعمر فاضرب
عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الخطب فادخلهم فيه ثم
أضرهم عليهم نار فقال له العباس قطعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ثم دخل فقال
ناس ياخذ بقول أبي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان الله ليأين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد

للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذا الحال قد تفاوتت بين مقاومة العشرين والمائتين والمائة
لأنه وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالافين (ما نأسي) ما صح له ولا استقام (أن تكون له امري) ان تكون بصري

عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره (بوف اليكم) يعني أجره في الآخرة ويحمل لكم عوضه في الدنيا (وَأَتَمَّ لَا تَنْظَمُونَ) يعني وَأَتَمَّ لَا تَنْقُصُونَ من ثواب أعمالكم شيئاً قوله تبارك وتعالى (وَأَنْ جَنَحُوا) أَيْ جَنَحُوا لَهَا) لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِاعْدَادِ الْقُوَّةِ وَمَا يَرْهَبُ الْعَدُوَّ أَمْرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ الصَّلَاحَ إِنْ مَالُوا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ فَقَالَ تَعَالَى وَأَنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ بِعَنْ مَالِ الْوَالِي السَّلَامِ بِعَنْ الْمَصَالِحَةِ فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ الصَّلَاحَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَاجْنَحْ لَهَا أَيْ مَلِ الْيَمِينُ بِعَنْ الْمَصَالِحَةِ رَوَى عَنْ الْحَسَنِ وَتَقَادَرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَفْسُوخَةٌ بِأَيِّ السِّيفِ وَقِيلَ إِنَّهَا غَيْرُ مَفْسُوخَةٍ لَكُنْهَا تَنْصَحُ مِنَ الْأَمْرِ بِالصَّلَاحِ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ ظَاهِرَةٌ فَإِنْ رَأَى الْإِمَامُ أَنْ يَصَالِحَ أَعْدَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ وَفِيهِ قُوَّةٌ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَهَادِنَهُمْ سَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ كَانَتْ الْقُوَّةُ لِلشَّرْكِينَ جَازًا أَنْ يَهَادِنَهُمْ عَشْرَ سَنِينَ وَلَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ صَالِحُ أَهْلِ مَكَّةَ مَدَّةَ عَشْرَ سَنِينَ ثُمَّ أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْمَدَّةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) بِعَنْ فَوْضِ أَمْرِكَ إِلَى اللَّهِ فِي مَعَاذِهِ مَدَّةً مَعَهُمْ لِيَكُونَ عَوْنًا لَكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ (أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) يَعْنِي لَا قُوْلَهُمْ (الْعَلِيمُ) بِعَنْ بَاحْوَالِهِمْ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) يَعْنِي يَغْدُرُوا بِكَ قَالَ مَجَاهِدٌ يَعْنِي بَنِي قُرَيْظَةَ وَالْمَعْنَى وَإِنْ أَرَادُوا بِإِظْهَارِ الصَّلَاحِ خَدِيعَتَكَ لَتَكْفِ عَنْهُمْ (فَإِنْ حَسِبْتَ أَنَّ اللَّهَ) يَعْنِي فَإِنْ كَانَ اللَّهُ كَافِيكَ بِنَصْرِهِ وَمَعُونَتِهِ (هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ) يَعْنِي هُوَ الَّذِي قَوَّاهُ وَأَعَانَكَ بِنَصْرِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَفِي سَائِرِ أَيَّامِكَ (وَبِالْمُؤْمِنِينَ) يَعْنِي وَأَيْدِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ بِعَنْ الْأَنْصَارِ فَإِنْ قُلْتَ إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدِ أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ فَإِنَّ حَاجَةَ إِلَى نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَقُولَ وَبِالْمُؤْمِنِينَ قُلْتَ التَّائِيْدُ وَالنَّصْرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَكِنَّهُ يَكُونُ بِأَسْبَابٍ بَاطِنَةٍ غَيْرِ مَعْلُومَةٍ وَأَسْبَابٍ ظَاهِرَةٍ مَعْلُومَةٍ فَمَا الَّذِي يَكُونُ بِالسَّبَبِ الْبَاطِنَةِ فَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ لِأَنَّ سَبَابَهُ بَاطِنَةٌ بِغَيْرِ وَسَائِطٍ مَعْلُومَةٍ وَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ بِالسَّبَبِ الظَّاهِرَةِ فَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ سَبَابَهُ ظَاهِرَةٌ بِوَسَائِطٍ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ وَهُوَ الَّذِي أَقَامَهُمْ أَنْصَرَهُ ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفَ أَيْدَى بِالْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ تَعَالَى (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) لَوْ نَفَقَتْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنْ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ) وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ فِيهِمْ الْحِمَةُ الشَّدِيدَةُ وَالْإِنْفَاقُ الْعَظِيمَةُ وَالْأَنْفُسُ الْقَوِيَّةُ وَالْعَصَبِيَّةُ وَالْأَنْطَوَاءُ عَلَى الضَّغِينَةِ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَةٍ أَطْمَ لَطَمَتْ وَاحِدَةً قَاتِلًا عَنْهُ أَهْلَ قَبِيلَتِهِ حَتَّى يَدْرُكُوا ثَارَهُمْ لَا يَكْدِيَانِ أَلْفَ مِنْهُمْ قَابِلَانِ فَلَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ وَأَمْنُوهُ وَاتَّبَعُوهُ انْقَابَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ فَاتَّمَلَقَتْ قُلُوبُهُمْ وَاسْتَجْمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ وَزَالَتْ حِمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَأَبْدَلَتْ تِلْكَ الضَّغَائِنَ وَالتَّحَاسُدَ بِالْمُودَةِ وَالْحُبَّةِ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ وَاتَّفَقُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَصَارُوا أَنْصَارًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْوَانًا يَقَاتِلُونَ عَنْهُ وَيَحْمُونَهُ وَهُمْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ وَمَعَادَا شَدِيدَةٌ ثُمَّ زَالَتْ تِلْكَ الْحُرُوبُ وَحَصَلَتِ الْحُبَّةُ وَالْإِلْفَةُ وَهَذَا مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَصَارَ ذَلِكَ مَجْزَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرَةٌ بَاهِرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْيُنِ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَذَا كَمْ اللَّهُ فِي وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَالْفُكْمُ اللَّهُ فِي وَعَالَةً فَآغْنَاكُمْ كَمْ اللَّهُ فِي وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُلُوبَ يَبْدَأُ اللَّهُ بِصَرْفِهَا كَيْفَ شَاءَ وَأَرَادَ ذَلِكَ لِأَنَّ تِلْكَ الْإِلْفَةَ وَالْحُبَّةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِسَبَبِ الْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ (أَنَّهُ) عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ) يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ فَارَقَهُ بِكُنْهُ التَّصَرُّفِ فِي الْقُلُوبِ فَيَقْلِبُهَا مِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى الْحُبَّةِ وَمِنَ الْبُغْضِ إِلَى الْإِلْفَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) رَوَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا وَسِتْ نِسْوَةٌ ثُمَّ أَسْلَمَ عُمَرُ فَتَزَاتِ هَذِهِ الْآيَةُ فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ نَكُونُ الْآيَةُ مَكِّيَّةً كَتَبْتُ فِي سُورَةِ مَدَنِيَّةٍ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ بِالْبَيْدَاءِ

جَنَحَ لَهُ وَآلِهِ مَالٌ (لِلسَّلَامِ) لِلصَّلَاحِ وَبِكِسْرِ السَّيْنِ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ مُؤْتَى ثَانِيَتْ ضَدُّهَا وَهُوَ الْحَرْبُ (فَاجْنَحْ لَهَا) فَـلِ الْيَمِينِ (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) وَلَا تَخَفْ مِنْ إِبْطَانِهِمْ الْمَكْرِفِي جَنُوحَهُمْ إِلَى السَّلَامِ فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَعَاصِمُكَ مِنْ مَكْرِهِمْ (أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لَا قَوْلًا لَكَ (الْعَلِيمُ) بِأَحْوَالِكَ (وَأَنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) بِمَكْرِهِمْ وَيَغْدُرُوا (فَإِنْ حَسِبْتَ أَنَّ اللَّهَ) كَافِيكَ اللَّهُ (هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ) قَوَّاهُ (بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) جَمِيعًا أَوْ بِالْأَنْصَارِ (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) قُلُوبُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْدَ تَعَادِيهِمْ مِائَةً وَعَشْرِينَ سَنَةً (لَوْ نَفَقَتْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) أَيْ بَلَّغَتْ عِدَاوَتَهُمْ مَبْلَغًا لَوْ اتَّفَقَتْ مُنْفَقِي فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ مَافِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَمْوَالِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ (وَلَكِنْ اللَّهُ) أَلْفَ بَيْنَهُمْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجَمْعُ بَيْنِ كَلِمَتِهِمْ بِقُدْرَتِهِ فَاحْدَثَ بَيْنَهُمْ التَّوَادُدَ وَالتَّحَابَّ وَأَمَّا طَعْنُهُمُ الْبَغْضَ وَالتَّمَقُّقَ (أَنَّهُ) عَزَّ وَجَلَّ يَهْرَمُ مِنْ يَخْدَعُونَكَ (حَكِيمٌ) يَنْصُرُ مَنْ يَتَّبَعُونَكَ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) كَفَاكَ وَكَفَى أُنَاسَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ تَعَالَى وَنَحْنُ نَكُونُ فِي مَحَلِّ الرِّفْعِ

رجلا قال لابن سبر بن ان فلانا وصى بثلاث ماله للحصون فقال ابن سبر بن يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسب وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لثقل صهيلها وعن ابن حجر بن زقال كانت الصحابة يستحبون ذكر الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الشنات والغارات وقبل رباط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت الحاربة عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والنعمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرس في سبيل الله ايمان الله وتصديق بوعده فان شعبه وورثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج أو روضة فاصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا وشرفين كانت له آثارها وارواها حسنات ولو انها صرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها خرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحر فقال ما أنزل على قبيش الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الجبل الذي يشد به الفرس وقت الرعى والاستنان الجري والشرف الشوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعاً إلى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الاحسان البها وقيل أراد به الجل عليها فغير بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعادة يقال ناوت الرجل مناواة اذا عاينته ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تحزنون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متاهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصبر ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين ﴿ وقوله تعالى ﴾ (وأخربن من دونهم) يعني وترهبون آخر من من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسنن لاله الا الله (الله يعلمهم) يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لظاهرهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا الابراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأساحنتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عاقلين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأما كنهم دونكم وبعض هذا القول ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخجل أحد في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

وميكال (ترهبون به) بما استمتعتم (عدو الله وعدوكم) أي أهل مكة (وأخربن من دونهم) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دار فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعينهم (الله يعلمهم) وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

و بالتاء وكسر السين غيرهم
 (الذين كفروا سبقوا)
 فاتوا وأفلتوا من أن يظفر
 بهم (انهم لا يجيزون) انهم
 لا يفوتون ولا يجدون طالهم
 عاجزا عن ادراكهم انهم
 شامى أى لانهم وكل واحدة
 من المكسورة والمفتوحة
 تعليل غير ان المكسورة
 على طريقة الاستئناف
 والمفتوحة تعليل صريح
 فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا
 مفعول أول والثاني سبقوا
 ومن قرأ بالياء فالذين
 كفروا فاعل وسبقوا
 مفعول تقديره ان سبقوا
 خذف ان وان مخففة من
 الثقيلة أى انهم سبقوا قسدا
 مسددا للمفعولين أو يكون
 الفاعل مضمرا أى ولا
 يحسبن محمد الكافرين
 سابقين ومن ادعى تفرد
 حزة بالقراءة ففيه نظرا
 ينمان عدم تفرده بها وعن
 الزهرى انها زلات فيمن
 أفلت من فعل المشركون
 (وأعدوا) أيها المؤمنون
 (لهم) لنا قضى العهد أو
 لجميع الكفار (ما استطعتم
 من قوة) من كل ما يتقوى
 به في الحرب من عددها
 وفي الحديث ألا ان القوة
 الرمي إقالتها ثلاثا على المنبر
 وقيل هي الحصون (ومن
 رباط الخيل) هو اسم
 للخيال التي تربط في سبيل
 الله أو هو - وجع ربيط

حاجة لإمام الى نيل العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة
 وه في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بم الظهران
 وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى (ولا تحسبن) قرى بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
 والمعنى ولا تحسبن يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعنى فاتوا وانهم موا يوم بدر (انهم لا يجيزون) يعنى انهم بهذا
 السبق لا يجيزون الله من الانتقام منهم ما في الدنيا بالقتل وما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى
 الله عليه وسلم فيمن قاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يجيزونه ﴿وقوله عز وجل﴾ (وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخذوا الشيء لوقت الحاجة اليه وفي الراد بالقدوة أقوال أحدها أنها جميع
 أنواع الأسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثاني انها الحصون والمعقل
 الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيأرواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم
 (خ) عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففتنا القرش اذا كسبوكم يعنى
 غشوكم وفي رواية أكثركم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا كسبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة
 ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يجزأ أحدكم
 ان يلهو باسمهم (م) عن فقيم اللخمي قال قات لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير
 يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذلك قال
 سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منأ وقد عصي عن أبي نجيج السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرراً أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال
 عدل رقية محررة وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ان الله عز وجل ليد خان بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه محتسب في عمله الخبير الراي به والممد به
 وفي رواية ومن نبهه فارمواوا ركبا أو أن ترموا أحب الى من أن تركبا كل هو باطل ليس من الله محمود الا
 ثلاثة ناديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أى نبهه فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد
 ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا الى نبه (خ) عن
 سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم ارموا بنى اسمعيل فان أياكم كان راميا رموا أو انا مع بنى فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا
 وأنا معكم كلكم * القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة
 يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة للمأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي
 لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقول صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينبغي اعتباره
 غيره بل يدل على ان هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذا هو بما يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال
 في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيوف والدرع وتعليم الفرسية
 كل ذلك مأمور به الا به من فروض الكفاية ﴿وقوله تعالى﴾ (ومن رباط الخيل) يعنى اقتناء هاور بطها
 للغزو في سبيل الله والربط شد الغرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذي يخص باقامة حفظه فيه
 رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهد من أعظم ما يستعان به روى ان

الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصربن الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) في كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يباليون بما فيه من العار والنار (فاما تنقظهم في الحرب) فاما تصادفهم وتظفرن بهم (فشردهم من خلفهم) فغسرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شرفلة والنكابة فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحدا اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم. وقال الزجاج افعل بهم ماتفرق به جمعهم ونظر دبه من عداهم (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من وراءهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكتنا بامارات تلوح لك (فانذروهم) فاطح اليهم العهد (على سواء) على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم

يعني الاولين والآخرين فان فوات ما اعانده في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى في هذا ذكر أخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسيرا لدولي الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كفروا بآيات ربهم في الآية الاولى اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وحججهم وهاوي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيدي وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالنوب ﴿قوله تعالى﴾ (ان شر الدواب عند الله) يعني في علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل من صلح يعني الذين عاهدتهم وقل هي للتبعض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهدا يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قالوا اننا بناؤا خطأ فاعاهدكم الثانية فنقضوا العهد أيضا وما لؤ الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاما تنقظهم في الحرب) يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم في الحرب (فشردهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فذكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت هؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يعني اهل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني وامانع من يا محمد (من قوم) معني معاهدين (خيانة) يعني نقض العهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانذروهم) أي فاطرح (اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستور يعني أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون أنك نقضت العهد ولا ينصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حبر قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقترب حتى اذا انتضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو رذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبد الله فابسل اليه معاوية فساءله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يجلحه حتى ينتقض أمدها أو يذبذبه اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حبر وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد من هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبيذ العهد والامامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتوضح له من غير أمر مستفيض فينبذ يجب على الامام ان يذبذبه اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأسفان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه فهي نايجب على الامام ان يذبذبه اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد وهو رما مقطوعا به فلا

(وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب الآخرة بشارته لهم به أو يقال لهم يوم القيامة ذوقوا جواب لم يحذوف أي رأيت أمر افطعيا (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير (٢٠٣) لاجل العبيد ولتفي أنواع الظلم

الكافي (كذاب
آل فرعون) في محل
الرفع أي دأب هؤلاء
مثل دأب آل فرعون
ودأبهم عادنهم وعملهم الذي
دأبوا فيه أي داوموا عليه
(والذين من قبلهم) من
قبل قريش أو من قبل آل
فرعون (كفروا) تفسير
لدأب آل فرعون (بآيات
الله فأخذهم الله بذنوبهم
إن الله قوي شديد العقاب)
والعني جروا على عادنهم في
التكذيب فاجرى عليهم
مثل ما فعل بهم في التعذيب
(ذلك) العذاب أو الانتقام
(بأن الله لم يك مغفيرا
نعمته أنعمها على قوم حتى
يغير وأما بانفسهم) بسبب
أن الله لم يصح في حكمته
أن يغير نعمته عند قوم
حتى يغير وأما بهم من الحال
نعم لم يكن لآل فرعون
ومشركي مكة حال مرضية
فيغيروها إلى حال
مسخوطة لكن لما
تغيرت الحال المرضية إلى
المسخوطة تغيرت الحال
المسخوطة إلى أسخط

أجسادهم وأدير يعني يضربون جميع أجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعني ونقول لهم الملائكة عند
القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب
النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم
الزبانية ذوقوا عذاب الحريق (ذلك) يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق (بما قدمت أيديكم)
يعني إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فإن قلت اليد ليست محلل للكفر وإنما
محلل القلب لأن الكفر اعتقاد والاعتقاد محل القلب وظاهر الآية يقتضي أن فاعل هذا الكفر هي اليد
وذلك ممنوع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لأن اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن
القدرة ﴿وقوله تعالى﴾ (وإن الله ليس بظلام للعبيد) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه إلا بحرم
اجترمه لأنه لا يظلم أحدا من خلقه وإنما في الظلم عن نفسه مع أنه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على
عصيانه لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم إليه فلا يتوهم متوهم أنه سبحانه
وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلماذا قال الله سبحانه وتعالى وإن الله ليس بظلام للعبيد لا هم
في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء ﴿وقوله تعالى﴾ (كذاب آل فرعون) يعني أن عادة هؤلاء
الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والأسير يوم بدر كما جوزي آل فرعون
بالاغراق وأصل الدأب في اللغة أدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا يدوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم
سميت العادة دأبا لأن الإنسان يدوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه أن آل فرعون أيقنوا
أن موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم باصدق
كذبوه فأنزل الله بهم عقوبته كما نزل بالفرعون (والذين من قبلهم) يعني من قبل آل فرعون (كفروا
بآيات الله) يعني أن عادة الأمم السالفة هو كفرهم بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) يعني بسبب كفرهم
وذنوبهم (إن الله قوي) يعني في أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسوله (شديد العقاب) يعني لمن كفر به
وكذب رسوله (ذلك بأن الله لم يك مغفرا نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وأما بانفسهم) يعني أن الله سبحانه
وتعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم
فقبلوا هذه النعمة بأن تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله
سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدي نعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش
فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى إلى الأنصار (وأن الله سميع) يعني لأقوال خلقه لا يخفى عليه شيء
من كلامهم (عليم) يعني بما في صدورهم من خير وشر فيجازي كل واحد على عمله (كذاب آل فرعون)
يعني أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر وغيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم) كذبوا
بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم) يعني أهلكنا بعضهم بالرفقة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم
بالرجم وبعضهم بالمسخ فكذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقتنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين)

منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في إراقة دمه وغيروا حالهم إلى أسوأ
مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبوا الرسل (عليم) بما يفعلون (كذاب آل
فرعون) تكرر لئلا كيدا ولأن في الأولى الإخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين أن ذلك هو الأهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم
كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجود الحق (فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقتنا آل فرعون) بما
البحر (وكل) وكلهم من غرق القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي

وانه ما شعرت بمسيركم حتى
 بلة تنى هزمكم فلما سلموا
 عادوا أنه الشيطان (انى
 أخاف الله) أى عقوبته
 (والله شديد العقاب)
 اذكروا (اذ يقول
 المنافقون) بالمدينة (والذين
 فى قلوبهم مرض) هو من
 صفة المنافقين أو أريد
 والذين هم على حرف ليسوا
 بشائى الاقدام فى الاسلام
 (غرهؤلاء دينهم) يعنون
 ان المسلمين اغتروا بدينهم
 فخرجوا وهم ثلثائة وبضعة
 عشر الى زهاء ألف ثم قال
 جوابا لهم (ومن يتوكل
 على الله) بكل اليه أمره
 (فان الله عزيز) غالب
 يسلط القليل الضعيف على
 الكثير القوى (حكيم)
 لا يسوى بين وليه وعدوه
 (ولو نرى) ولو عاينته
 وشاهدته لان لو ترد
 المضارع الى معنى الماضى
 كما ترد ان الماضى الى معنى
 الاستقبال (اذ) نصب على
 الظرف (يتوفى الذين
 كفروا) يقبض أرواحهم
 (الملائكة) فاعل
 (يضر بون) حال منهم
 (وجوههم) اذا أقبلوا
 (وأدبارهم) ظهورهم
 وأستاههم اذا أدبروا أو
 وجوههم عند الاقدام
 وأدبارهم عند الانهزام

افرار من غير قتال وجعل يسكه فندفع فى صدره وانطلق فانهم زم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس
 سراقه فبلغ ذلك سراقه فقال بلغنى أنكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزمتكم
 فقالوا أما نيقن انى يوم كذا وكذا خلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله (انى
 أرى مالاترون) قال رأى ابليس جبريل عليه السلام معجرا يريد بمشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفى
 يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس انى أرى مالاترون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب
 ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة فأوردتهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس انى أطاعه اذا
 التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فيمن هلك وقيل خاف أن يأخذه جبريل
 فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (انى أخاف الله) أعلم صدق وعده لا ويا أنه لانه كان على نعمة من أمر به
 وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة (والله شديد العقاب) فيسل معناه انى
 أخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل ثم كلامه عند قوله انى أخاف الله
 وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله
 وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روى الشيطان يوما هو فيه
 أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أعظم منه فى يوم عرفه وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب
 العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل يزعم الملائكة أخرجه مالك فى الموطأ قوله ولا أدر هو بالمال
 والحاء المهملتين من الدحور وهو الابداع والطرء مع الاهانة وقوله يزعم الملائكة أى يكفهم ويحبسهم لثلاث
 يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصاحبه فان قلت كيف يقدر ابليس
 على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاه
 قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن ينشكروا بصورة البشر لكن النفس الباطنة
 لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون) يعنى من أهل المدينة
 (والذين فى قلوبهم مرض) أى شك وارتياب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقولوا بالاسلام فى
 قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما
 نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غرهؤلاء دينهم) يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقايلون أضعافهم
 فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحلهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقد خدعوا جميعا يوم بدر
 وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبوقيس بن الفاكة بن المغيرة والحارث بن
 زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خاف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة
 وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما ساروا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غرهؤلاء دينهم ثم
 قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه (فان الله)
 حافظه وناصره لانه (عزيز) لا يغلبه شئ (حكيم) فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى
 أعدائه قوله عز وجل (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعنى ولو عاينته يا محمد وشاهدته اذ
 تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا وعند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظنوا عذابا يشددا ينادونهم فى
 ذلك الوقت (يضر بون وجوههم وأدبارهم) اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب
 الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسيطا من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة
 تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت
 الملائكة وجوههم بالسيف واذا أولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جرير يبريد ما قبل من

ورثاء الناس) هاء أهل مكة حين نقر والحماية العبر فاتهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرنا ونشرب بها الخمر وتنتحر الجزور وتعزف علينا القيان ونظم بها العرب فذلك (٢٠١) بطرهم - م و ر ياؤها الناس باطعاهم

فوافوها فسقوا كؤوس
الذبا مكان الخمر وناحت
عليهم النوائح مكان القيان
فنهاهم - م أن يكونوا مثلهم
بطين طربين مرانين
بأعمالهم وأن يكونوا من
أهل التقوى والكتابة
والحزن من خشية الله
مخلصين أعمالهم لله وبالطبر
ان تشغله كثرة النعمة عن
شكرها (و يصدون عن
سبيل الله) دين الله (والله
بما يعملون محيط) عالم
وهو وعبد (واذ زين لهم
الشیطان أعمالهم وقال
لأغلب لكم اليوم من
الناس) واذا كراذ زين
لهم الشيطان أعمالهم
التي عملوها في معاداة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ووسوس اليهم انهم
لا يغابون وغالب مبنى نحو
لارجل وانكم في موضع رفح
خبر لا تقديره لأغلب كان
لكم (واني جار لكم) أى
يحيركم وهمهم ان طاعة
الشیطان مما يحيرهم - م
(فلما نراة الفثنان) فلما
تلاقى الفريقان (نكص)
الشیطان هاربا (على
عقبیه) أى رجع القهقري
(وقال انى برى منكم) أى
رجعت عما ضمت لكم
من الامان روى ان ابليس

عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتنوا لقاء العدو وفاداة بتموهم فاصبروا
فوله عز وجل (ولانك ونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعنى غرا وأشرأوقيل البطر الطغيان
في النعمة وذلك أن النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفه في المفارقة على الاقران وكان بها
أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء
مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (ورثاء الناس)
الرياء اظهار الجليل لرياء الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والتفاق ان التفاق اظهار الايمان مع
ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية (و يصدون عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس
عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولم يغروا بغنى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وغرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى
وعدتني به قال ابن عباس ان أباسفيان لما رأى انه قد أحرز غيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا
غيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجها الله فارجعوا فقال أبو جهل - ل والله لا نرجع حتى نرد بدر او كالم في بدر
موسم من مواسم العرب يجتمع لهم - م بها سوق في كل عام قال فتقيم عليها ثلاثا وتنتحر الجزور ونظم الطعام
ونسق الخمر وتعزف علينا القيان ونسمع بنا العرب فلا يزالون بها وننا أبدأ فامضوا زاد غيره قال فلما وافوا
بدر اسقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم - م النوائح مكان القيان فهى الله عبادته المؤمنين أن
يكونوا مثلهم والمعنى لا يكون أمركم أيها المؤمنون رياء وسوسة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن أخلصوا
لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لئلا ولا تطلبوا
غيره (وقوله تعالى) (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن
علمه شيء لانه محيط بأعمال العباد كما هي جازى المحسنين ويعاقب المسيئين (وقوله سبحانه وتعالى) (واذ زين
لهم الشيطان أعمالهم) يعنى اذ كروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين
أعمالهم الخبيثة (وقال لأغلب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) قال بعضهم كان تز بينه وسوسة ألقاها
في قلوبهم من غير أن يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقه بن
مالك بن جعشم وكان تز بينه أن قر يشالما أجمعت على المسير الى بدر ذلك الذى بينها وبين بنى بكر بن
الحرث من الحرث فكد ذلك أن يشبههم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى
وكان من أشرف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من أن ياتيكم من كنانة شيء تكروهونه فخرجوا سراعا وقال ابن
عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين مع رايته في صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقه بن مالك
ابن جعشم فقال للمشركين لأغلب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى
ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في بدر جل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال
الرجل يا سراقه أنزع منك جار لنا فقال انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى
الملائكة وقوله انى جار لكم يعنى يحيركم من كنانة (فلما نراة الفثنان) أى التقي الجمعان رأى ابليس الملائكة
قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس أنه لا طاقة له بهم (نكص على عقبية وقال انى برى منكم) يعنى رجع
القهقري وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال السكبي لما التقي الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة
سراقه بن مالك بن جعشم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فكص عدو الله ابليس على عقبية فقال له الحرث

آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا
حاربتم جماعة من الكفار
وترك وصفها لان المؤمنين
ما كانوا بالمقون الا الكفار
واللقاء اسم غالب للقتال
(فانبتوا) لقتالهم ولا نفروا
(واذكروا الله كثيرا)
في مواطن الحرب
مستظهرين بذكره
مستنصرين به داعين له
على عدوكم اللهم اخذهم
اللهم اقطع دابرهم (اعلمكم
تفلحون) تظفرون بمرادكم
من النصر والثوبة وفيه
اشعار بان على العبد أن
لا يفترعن ذكره اكرهه اشغل
ما يكون قلبا واكثر
ما يكون هما وان تكون
نفسه مجتمعة لذلك وان
كانت متوزعة عن غيره
(وأطيعوا الله ورسوله) في
الامر بالجهاد والثبيت مع
العدو وغيرهما (ولا تنازعوا
فتفشلوا) فتجبنوا واهو
منصوب باضماران وبدل
عليه (وتذهب ربحكم)
أي دولتكم يقال هبت رياح
فلان اذا دالت له الدولة ونفذ
أمره شبت في نفوذ أمره
وتشبت بالريح وهبوبها
وقيل لم يكن نصر قط الا
بريح يبعث الله وفي الحديث
نصرت بالصبا وأهلك
عاد بالدبور (واصبروا) في
القتال مع العدو وغيره

ان العبر قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصاهم انما
محمد وأصحابه أكلة جزور يعني لقائمهم في عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقول من القدرة التي
في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وانتقوى بذلك
قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين
لثلايهم يواو اذا استقلوا عدد المسلمين لم يبلغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور
المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله
سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك مجزأة للنبي صلى الله عليه وسلم والمجزة من خوارق العادات
فلا ينكر ذلك (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعني أمرا كنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصرا أهله واذلال
كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال
في هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا فامعنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة
ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه الفهر والغلبة ليكون ذلك مجزأة دالة على صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفر يقين في أعين بعضهم بعضا
للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعني في الآخرة
فيجازى كل عامل على قدر عمله بالحقن باحسانه والى الله ترجع الامور (يا أيها الذين آمنوا
اذ لقيتم فئة) يعني جماعة كافرة (فانبتوا) يعني لقتالهم وهوان بوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتله ولا
يحدثوا بالتولي (واذكروا الله كثيرا) يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكر كثيرا بقلوبكم
وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بأن يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو
وقتله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكرو
الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر
على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى (اعلمكم تفلحون) يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت
ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يومهم أنها ناسخة لآية التحريف والتحيز قلت المراد من الثبات
هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجلة وآية التحريف والتحيز لا تنقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل
ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحريف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (وأطيعوا الله ورسوله) يعني
في أمر الجهاد والثبيت عند لقاء العدو (ولا تنازعوا فتفشلوا) يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف
يوجب الفشل والضعف والجبن ﴿وقوله تعالى﴾ (وتذهب ربحكم) يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال
وذهب ربح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي جراتكم وجدكم وقال
مقاتل حدثكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتكم والربح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول
العرب هبت ربح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ربح النصر ولم يكن نصر قط الا
بريح يبعث الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك عاد
بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من أول النهار آخر
القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعني
عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي اتى فيها العدو وانتظر حتى اذا مالت الشمس قام فبهم فقال ايها
الناس لا تتنصروا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا قيسمهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرهم

من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمحذوف أي ليقضى الله أمرا كان ينبغي أن يفعل وهو نصر أولياءه وقهر أعدائه بذكر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أي ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا أوليت أمرا كان قد أراد وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وخزبه ويتعلق بيقضى (إهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) حي نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثاليين والاظهار لان حركة الثاني غير لازمة لانك تقول في المستقبل يحيا والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعتن محالفة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطها ولهذا ذكر فيها أمرا كثر العريقين وان العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كما مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدو القصوى التي أناخ

(١٩٩)

وبها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يعيش فيها الا تبعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لاقوالهم (عليهم) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن ونوابه (اذيريكهم الله) نصب باضمار اذ كرا وهو متعلق بقوله لسميع عليهم أي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك (في منامك قليلا) أي في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكم) كثير الفشلتم) لجنتهم وهبتم

دينه (إهلك من هلك عن بينة) يعني لم يوت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (ويحيى من حي عن بينة) يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدتها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليلضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة (وان الله لسميع عليم) يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز وجل (اذيريكهم الله) يعني واذا كر يا محمد نعمة الله عليك اذيريك المشركين (في منامك) يعني في نومك (قليلا) قال مجاهد أراه الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان ذلك تنبيها وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بها مخوف عليهم من ضعفهم لعلمهم بما فيهم وقيل لما أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤى بالنبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة قلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو أراكم) كثير الفشلتم) يعني لجنتهم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراكم كثير افقد كرت ذلك لأصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم (ولتنازعتم في الامر) يعني اختلفتم في امر الاقدام عليهم أو الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي تكون معه محاصرة ومجادلة ومجازاة كل واحد الى ناحية والمعنى لا اضطرب أمركم واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (انه عليم بذات الصدور) يعني أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه أنه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل (واذيريكهم الله) اذ التقيتم في أعينكم قليلا يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال أيتا كد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبره أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراه مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كئنا ألفا (ويقلاكم في أعينهم) يعني ويقلاكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين

الاقدام ولتنازعتم في الامر أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيهم من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذيريكهم الله) اذ يصرركم اياهم (اذا التقيتم) وقت اللقاء (في أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقاً لآرؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعائنا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا وقال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراه مائة وكانوا ألفا (ويقلاكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزر قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليحتجروا عليهم قلة بمالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا وبهاوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بان يسترا الله بعضهم باستراؤ ويحدث في عيونهم ما يستدلون به الكثير كما حدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالي لأرى هذين الديكين اربعة

معطوف على بآية أى
ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل
(على عبدنا يوم الفرقان)
يوم بدر (يوم التسيى
الجمعان) الفرقان من
المسلمين والكافرين
والمراد ما أنزل عليه من
الآيات والملائكة والفتح
يومئذ وهو بدل من يوم
الفرقان (والله على كل
شئ قدير) يقدر على أن
ينصر القليل على الكثير
كفعل بكم يوم بدر (اذ
أنتم) بدل من يوم الفرقان
والتقدير اذ كروا اذ
أنتم (بالعدوة) شط الوادى
وبالكسر فهما مكي وأبو
عمرو (الدنيا) القربى الى
جهة المدينة تأنيث الادنى
(وهم بالعدوة القصوى)
البعدي عن المدينة تأنيث
الاقصى وكلتاها مفلى من
بنات الواو والقياس قاب
الواو ياء كالعليا تأنيث
الاعلى وأما القصوى
فكافود فى مجيئه على
الاصل (والركب) أى العبر
وهو جمع راكب فى المعنى
(أسفل منكم) نصب على
الظرف أى مكانا أسفل
من مكانكم بمعنى فى أسفل
الوادى بثلاثة أميال وهو
مرفوع المحل لانه خبر
المبتدا (ولو تواعدتم) أنتم
وأهل مكة ونواضعكم بينكم
على موعد تلقون فيه للقتال

أحمد واسحاق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنيمة قبيل التخميس كالسلب للقاتل وأما الذى وهو ما
أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب بأن صالحهم على مال يؤدون وكذلك الجزية
وما أخذ من أموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحد منهم فى دار الاسلام ولا وراثته فهذا
كاه فى مال الذى كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة حياته وقال عمران الله سبحانه وتعالى قد
خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الذى بشئ لم يخص به أحد غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله
منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنهم من هذا
المال ثم ما بقى يجعله يجعل مال الله فى الكراع والسلاح واختلف أهل العلم فى مصرف الذى بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأئمة بعده وللأمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما أنه
للمقاتلة الذين أثبتت أسماؤهم فى ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى إرهاب العدو
والقول الثانى انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف
أهل العلم فى تخميس الذى فذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الى أنه يتخمس وخمسه لأهل الخس من
الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا يتخمس بل يصرف
جميعه مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق * عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوم ما أتى فقلت ما أنا حق
بهذا الذى منكم وما أحد منا حق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرجل وقدمه الرجل وبلاؤه الرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوى
بسند عنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له فى هذا الذى حق الاما ملكت أيمانكم
وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعنى واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصرف
الى من ذكر فى هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بأربعة أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم
بالله وصدقتم بوحدانيته (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
إضافة تشرىف وتعظيم للنبى صلى الله عليه وسلم والذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن
الانفال الآية (يوم الفرقان) يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر ففرق الله عز وجل فيه بين
الحق والباطل (يوم التقي الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد
شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة
أو سبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثة مائة وبضعة عشر رجلا
والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك
(والله على كل شئ قدير) يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قلتكم وكثرة أعدائكم * قوله سبحانه وتعالى
(اذ أنتم) أى اذ كروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ أنتم (بالعدوة الدنيا) يعنى بشفير الوادى
الادنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الادنى (وهم) يعنى المشركين (بالعدوة القصوى) يعنى بشفير الوادى
الاقصى من المدينة عما يلى مكة والقصوى تأنيث الاقصى (والركب أسفل منكم) يعنى أباسميان وأصحابه
وهم غير فريرش التى خرجوا لاجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة
أميال من بدر (ولو تواعدتم) يعنى أنتم والمشركون (لاختلفتم فى الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا
ليأخذوا العير وخرج الكفار لينعوهام من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم
والكفار على القتال لاختلفتم أنتم وهم اقلتكم وكثرة عدوكم (ولكن) يعنى ولكن الله جمعكم على
غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى من نصر أوليائه وأعز أدينه واهلاك أعدائه وأعداء

(لاختلفتم فى الميعاد) خالف بعضهم بعضا فنبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد ونبطهم ما فى قلوبهم من نهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق ائكم من التلاقى ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا)

و بنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى في بني هاشم و بنى المطلب وترك بنى نوفل و بنى عبد شمس فانطلقت أنا و عثمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا و بنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا اسلام و انما نحن و هم شيء واحد و شبك بين أصابعه و اختلف أهل العلم في سهم ذوى القربى هل هو ثابت اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقراؤهم و أغنياءهم من خمس الخمس للذ كرمثل حظ الاثنين و هو قول مالك و الشافعى و ذهب أبو حنيفة و أصحاب الرأى الى أنه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم و سهم ذوى القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى و المساكين و ابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم و حجة الجمهور ان الكتاب و السنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى و كذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى و لا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله و كذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه و أحقه الشافعى بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير أنهم يعطون القريب و البعيد قال و يفضل الذ كرم على الانثى فيعطى الذ كرم سهمين و الانثى سهمًا و قوله سبحانه و تعالى (و اليتامى) جمع يتيم يعنى و يعطى من خمس الخمس لليتامى و اليتيم الذى له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذى لأب له فيعطى مع الحاجة اليه (و المساكين) و هم أهل الفاقة و الحاجة من المسلمين (و ابن السبيل) و هو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة و يقسم أربعة أخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة و حازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له و سهمان لفرسه و يعطى الرجل سهمًا واحدًا الماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم في النفل للفارس سهمين و للرجل سهمًا و في رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى و مسلم و في رواية أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل و افرسه ثلاثة أسهم سهم ماله و سهمين لفرسه و هذا قول أكثر أهل العلم و اليه ذهب الثورى و الاوزاعى و مالك و ابن المبارك و الشافعى و احمد و اسحق و قال أبو حنيفة للفارس سهمان و للرجل سهم و يرضخ للعبيد و النسوان و الصبيان اذا حضروا القتال و يقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالنقل و عند أبى حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم و بين ان يجعله وقفًا على المصالح و ظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار و المنقول و من قتل من المسلمين مشركا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن أبى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلًا له عليه بيعة فله سلبه أخرجه الترمذى و أخرجه البخارى و مسلم في حديث طويل و السلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس و سلاح و الفرس الذى كان راكبه و يجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناه و بلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من سرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سامة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداة و الثلث في الرجعة أخرجه أبو داود و اختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو قول سعيد بن المسيب و به قال الشافعى و هذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر و برة من جنب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الاكس و الخمس مردود عليكم أخرجه النسائي و قال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افرار الخمس كسهم الغزاة و هو قول

و اليتامى و المساكين و ابن السبيل) فالخمس كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم على خمسة أسهم سهمهم لرسول الله و سهم لذوى قرابته من بنى هاشم و بنى المطلب دون بنى عبد شمس و بنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان و جبير بن مطعم و ثلاثة أسهم لليتامى و المساكين و ابن السبيل و أما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمة ساقط بموته و كذلك سهم ذوى القربى و انما يعطون لفقرهم و لا يعطى أغنياءهم فيقسم على اليتامى و المساكين و ابن السبيل و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان على ستة لله و الرسول سهمًا و سهم لاقاربه فاجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة و كذا عمر و من بعده من الخلفاء رضى الله عنهم و معنى لله و الرسول لرسول الله كقوله و الله و رسوله أحق أن يرضوه

لله خالص ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء (فان اتهموا) يعني عن الشرك وافتنان المؤمنين وايدأهم (فان الله بما يعملون بصير) يعني فان الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم نوابهم (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عن الإيمان وأصرروا على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايدأهم (فاعلموا) يعني أيها المؤمنون (ان الله مولاكم) يعني ان الله وائتكم وناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلايته فهو له نعم المولى ونعم النصير ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول) الغنم الفوز بالشيء يقال غنم غنم غنما فهو غنم واختلف العلماء هل الغنيمة والفيء اسمان لشيء واحد أم يختلفان في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر للمسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الأرض فهي في وقال سفيان الثوري الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهد الواقعة والفيء ما صولحو عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمي الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على الجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفيء والغنيمة معناه ما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح أنهما يختلفان فالفيء ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بإيجاب خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا أن ما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسة وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء أن قوله الله افتتاح كلام على سبيل التبرك وإنما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهامه لله مفردة لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقي خمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول أصح أي ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم للرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي وأحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والصلاح وقال قتادة هو لا يخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين في الآية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (ولذي القربى) يعني ان سهمهما من خمس الخمس لذوي القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقات يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية أعطيت بنى المطلب من خمس الخمس وتركنا وفي رواية قال جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان بكلمان يارسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يارسول الله قسمت لآخواتنا بنى المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم

(فان اتهموا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على اسلامهم (وان تولوا) أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فتقوا بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره والمخصوص بالمدح محذوف (واعلموا أن ما غنمتم) ما بمعنى الذي ولا يجوز أن يكتب المنفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذي غنمتموه (من شيء) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فان لله خمسة) والفاء انما دخلت لما في الذي من معنى المجازاة وان وما عملت فيه في موضع رفع على أنه خبر مبني تدويره فالحكم أن لله خمسة (والرسول ولذي القربى

وتنقلب حسرة (ثم يغلبون)

آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أى من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حزة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجعله (فيجعل في جهنم) أى الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى أبى سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سفت الاولين) بالهلاك في الدنيا والعذاب في العقبي أو معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من

لأجدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبى بن خلف وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الخيش في كل يوم عشر جزراً وأسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتبة نزلت في أبى سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالاً وقال ابن أبى سفيان بن حرب يوم أحد أربعين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعبره الى مكة مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان ابن أمية في رجال من قريش قد أصيب آبائهم وأبناءؤهم وأخوانهم يوم بدر فكلما أبو سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ففك الوابيع عشر قريش ان محمد اقد وتركه وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه اعلنا ندرك منه ناراً ان أصيب منا ففهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أى ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين لينة ووابيعهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسيبقونها) أى أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) أى ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) أى من منهم لان فهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعنى من المنافقين أموالهم (الى جهنم يحشرون) يعنى يساقون الى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعنى يفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجأزى على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعنى بعضه فوق بعض (فيركمه جميعا) يعنى فيجعله جميعاً ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعنى الخبيث (أولئك) اشارة الى المنافقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث (هم الخاسرون) يعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله سبحانه وتعالى (قل) يعنى قل يا محمد (للذين كفروا ان ينتهوا) يعنى عن الشرك (يغفر لهم ما قد سلف) يعنى ما قدم من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين) يعنى في اهلاك أعدائهم ونصر أوليائهم ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتزموا شرائع غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصرواعليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائهم ونصر أوليائهم وأجمع العلماء على أن الاسلام يجب ما قبله وإذا أسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعاة اسلامه كيوم ولدته أمه يعنى بذلك أنه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفره فارجو أن لا يجز عن هدم ما بعده من ذنب (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال ابن عباس يعنى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين كله لله يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عابها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليه دعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (ويكون الدين كله لله) يعنى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد

الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المراد اذا أسلم يلزمه قضاء العبادات المتركة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الدان لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده

(وما لهم ألا يعذبهم الله) أى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالمهم أنهم (١٩٤) يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وأخرجهم رسول

الله وأؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولادة البيت والحرم فصد من نشاء وتدخل من نشاء فقتل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع انشرا كههم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولادة أمر الحرم (ان أولياءه الا المتقون) من المسلمين وقيل الضمير ان راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثر الجيع كما أراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء صغيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكاء مكاء وإذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخطون عليه (فدوقوا العذاب) عذاب القتل والامر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل في المطعين يوم بدر وكانوا

الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل على آمانين لآمنى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله) يعنى أى شئ منعهم من أن يعذبهم يعنى بعد خروجه من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين في الآية الاولى أنه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين في هذه الآية أنه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والامر يوم بدر وقيل أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب الثانى العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون عن المسجد الحرام) يعنى وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعنى ليسوا أولياء المسجد الحرام (ان أولياءه الا المتقون) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم) يعنى المشركين (لا يعلمون) ذلك قوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب في ذلك وهو أن صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء في اللغة الصغير يقال مكاء الطير بمكاء إذا صفر والمكاء اسم طيرا أبيض يكون بالحجاز له صغير وقيل هو طائر يألف للر يفسمى بذلك لكثرة مكانه يعنى صغيره والتصدية التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالجبب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال أبو عبيدة أصله تصددة فأبدت الياء من الدال قال الأزهري والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التى أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدى والمكاء * قال ابن عباس كانت قرش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بنى عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهنون به ويدخلون أصابعهم فى أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع فى الشدق والتصدية الصغير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيها صفرًا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليجلوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بنى عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت أنهم يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صد هم المؤمنيين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله سبحانه وتعالى (فدوقوا العذاب) يعنى عذاب القتل والامر فى الدنيا وقيل يقال لهم فى الآخرة فدوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعنى بسبب كفركم فى الدنيا قوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهى المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التى

اثنى عشر رجلا وكلهم من قرش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى كان غرضهم فى الاتفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله

كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق أمطر علينا حجارة من السماء يعني كأما مطرنا على قوم لوط أو ثلثنا بعذاب أليم يعني مثل ما عندت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبراطيعة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجه نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴿قوله عز وجل﴾ (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية المتصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمة ونبينا معه ا فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يدكره جهالهم وغرهم واستفتحهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى رداعليهم وما لهم ألا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبار عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة ناوليها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقیم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقیم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ولم يفتح بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقیم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا اندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولو انكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقروا بالذنوب واستغفروا والله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسمون يعني لو أسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن خزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي اصلاهم من يستغفر وقيل في معنى الآية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محققا في قوله فامطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمد احمق في قوله وانه مع ذلك لا يمتطير على أعدائه ومنكرى نبوته حجارة من السماء مادام بين أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الآية فأنزلهم بعذبهم الله بايدكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بايدكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دات هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول

بنوع آخر من جنس العذاب الايم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا الرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مردون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه في الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفروهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين

الله سبحانه وافتصوا أثره
فاطل الله مكرهم (ايبتوك)
ليحبسوك ويوثقوك (أو
يقتهلوك) بسببهم (أو
يخرجوك) من مكة
(ويكرو) ويخفون المكابد
له (ويكرو الله) ويخفي الله
ما أعد لهم حتى ياتيهم بغتة
(والله خير الماكرين)
أي مكره أنفذ من مكر
غيره وأبلغ تأثيرا كان
عليه السلام يقرأ القرآن
ويذكر أخبار القرون
الماضية في قراءته فقال
النضر بن الحرث لو شئت
لقلت مثل هذا وهو الذي
جاء من بلاد فارس بنسخة
حديث رسنم وأحاديث
الحجم فزل (وإذا تتلى
عليهم آياتنا) أي القرآن
(قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا
مثل هذا ان هذا الأساطير
الاولين) وهذا صاف منهم
وواقحة لانهم دعوا الى أن
ياتوا بسورة واحدة من
مثل هذا القرآن فلم يأتوا به
(واذ قالوا اللهم ان كان
هذا) أي القرآن (هو
الحق من عندك) هذا اسم
كان وهو فصل والحق خبر
كان روي ان النضر لما قال
ان هذا الأساطير الاولين
قال له النبي عليه السلام
وبارك هذا كلام الله فرفع
النضر رأسه الى السماء
وقال ان كان هذا هو الحق
من عندك (فامطر علينا
سحابة من السماء) أي ان كان

من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لا شبرن عليكم رأي ما أرى غيره اني أرى ان
تأخذوا من كل بطن من قريش شابا بسيوا وسطافيتهم نعلوني كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة
رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا ظن هذا الحى من بني هاشم يقوون على حرب قريش
كاهوا منهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتودى قريش ديتة فقال ابليس الاعين صدق هذا الفتى هو أجدكم
رأيا والقول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل صلى الله عليه
وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فآخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله عز
وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب أن يبيت في
مضجعه وقال له انشع يبردني فانه ان بخاص اليك منهم أمر نكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا
جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر وخاف عليا بمكة حتى
يؤدى عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده اصدقه وأمانته قالوا بات المشركون بحرسون عليا
وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا اناروا اليه
ليقتلوه فأروه عليا فقيل له أين صاحبك قال لا أدري فاقتفوا أثره وأرسلوا في طابه فلما بلغوا الغار راوا على
بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه أثر فكتف في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة
فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا يكر بك الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية (ايبتوك) أي ليحبسوك
ويوثقوك لان كل من شد شيئا وثقه فقد أثبتته لانه لا يقدر على الحركة (أو يقتهلوك) يعني كما أشار اليهم أبو
جهل (أو يخرجوك) يعني من مكة (ويكرو) يعني ويحتالون ويبدرون في أمرك (ويكرو الله) يعني ويجازيهم
الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكر لانه في مقابلة وقيل معناه يعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير
وهو من الله تعالى الى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى
أظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره (والله خير الماكرين) فان قلت كيف
قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خبر في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين
فوضع خبر موضع أقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم
فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى في مقابله والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله
خير مطلقا ﴿قوله عز وجل﴾ (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا مثل هذا) نزلت في النضر بن
الحرث بن عاقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رسنم
واسفديار وأحاديث الحجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والانجيل
ويركعون ويسجدون ويكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ أو صلى
فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لولنا لقلنا مثل هذا فقدم الله بدفعهم الحق
الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لولنا لقلنا مثل هذا بعد التحدي وأبان عجزهم عن ذلك ولوقدر وا
ما تخلفوا عنه وهم أهل فصاحة وفرنسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لولنا لقلنا مثل هذا (ان
هذا الأساطير الاولين) يعني أخبار الماضين ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا سحابة من السماء) نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس
لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا فقال
له عثمان بن مظعون أتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأما أقول الحق قال فان محمدا صلى
الله عليه وسلم لم يقول لاله الا الله قال وأنا أقول لاله الا الله وان كان هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان

(وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصر الله يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بالذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر أمركم وينت صيتكم وأناركم في أفطار الارض من قولهم سطع الفرقان أي طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا لدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة (وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ) سيا (تكم) أي الصغائر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم أي الكبائر (وَاللَّهُ

ذو الفضل العظيم) على عباده (وَأَذِكرْ بَكِ الَّذِينَ كَفَرُوا) لما فتح الله عليه ذكركه مكر قريش به حين كان بمكة ليذكر نعمته الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يذكرون بك وذلك ان قريشا لما سمعت الانصار فرقوا ان يتفاهم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم وان تعمدوا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيت ان تجلسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابا غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتر بصوابه ريب المنون فقال ابليس بنس الرأي بأتيسكم من يقاتلكم من قومه وبخلصكم من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيت ان نحملوه على جمل

الله أي لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يعني لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد وقوله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ان تتقوا الله) يعني بطاعته وترك معاصيه (يجعل لكم فرقانا) يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشيئين لكنه أبغ من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطنى باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعلمه ويطل الكفر ويوهنه (وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يعني ويمح عنكم ما سلف من ذنوبكم (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يعني ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليه بكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفي به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه ان يده الفضل العظيم فلا يطلب من عنده غيره وقوله سبحانه وتعالى (وَأَذِكرْ بَكِ الَّذِينَ كَفَرُوا) لماذا ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذا تم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكروا يا محمد اذ يذكركم الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل النفس بقرالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما سمعت الانصار ان يتفاهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبوسفيان وطعيمة بن عدى والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأميه بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فاماروه وقالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم وان تعمدوا مني رأيا ونصحا فقلوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما نأفأرى ان تأخذوا محمد وتجلسوه في بيت مقيدوا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتر بصوابه ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ التجدي وقال بنس الرأي رأيت ان حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يشبوا عليكم فيقتالوكم ويأخذوه من أيديكم فتألفوا صدق الشيخ التجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال أما نأفأرى ان نحملوه على بعير ونخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنعوا وبأن وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا لكم برأى تعمدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم نروا الى حلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذنا قلوبنا بما سمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم

ونخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنعوا واسترحتم فقال ابليس بنس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا نأفأرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتطووه سيفا فيضربوه ضربا رجلا واحدا فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه رأذن الله له في الهجرة فامر عايفا فام في مضجعه وقال له انتسح

الله على نعمه عليكم ﷺ قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله والرسول) قال الزهري والسكبي
 نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على
 ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على أن يسيروا الى اخوانهم الى أذرعات وأرض بجاء من أرض الشام فابى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل اليينا أبا
 لبابة بن عبد المنذر وكان منا صحابهم لأن له ولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاتاهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أن نزل على حكم سعد بن معاذ فاشأر أبو لبابة بيده الى حلقه يعني أنه الذبح فلا
 تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه
 ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما
 ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ما لوجاءني
 لاستغفرت له أما ذفعل ما فعل فاني لأطاقه حتى يتوب الله عليه فكثرت سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا
 حتى خرمه شيئا عليه ثم تاب الله عليه فقبل لها يا لبابة قد تيب عليك فقال والله لأحل نفسي حتى يصكون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه خلفه بيده ثم قال أبو لبابة إن تمام تو بتي أن أهجر دار قومي
 التي أصبت فيها الذنب وان الخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثالث أن تصدق به
 فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي صلى الله عليه
 وسلم فيفتشونه حتى يباغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله أن أباسفيان خرج من مكة فاني
 جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أباسفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
 ان أباسفيان في موضع كذا وكذا فخرجوا اليه واكتفوا وقال فيكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا
 يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا أماناتكم) ومعنى الآية لا تخونوا
 الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم (وأيتم تعلمون) يعني انها أمانة وقيل معناه وأتم تعلمون ان ما فعلتم من
 الإشارة الى الخيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد
 الامانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال ابن عباس
 معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي
 ما يخفي عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة أعلموا أن دين الله
 أمانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها الى من ائتمن عليها ومنه
 الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك
 أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﷺ وقوله عز وجل (واعلموا أن أموالكم وأولادكم
 فتنة) قيل هذا مما نزل في أبي لبابة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فاندلك قال ما قال خوفاء عليهم
 وقيل انه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة هو حب المال والولد لله والله
 سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة على انه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة
 من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصير محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى
 البغوي بسنده عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة بحبنة وانهم
 ريحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم تبخلون وتجنون
 وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا تعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة لمن ريحان

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بان تعطلوا فرائضه
 (والرسول) بان لا تستنوا
 به (وتخونوا) جزم عطف
 على لا تخونوا أي ولا تخونوا
 (أماناتكم) فيما بينكم بان
 لا تحفظوها (وأيتم تعلمون)
 تبعة ذلك ووباله أو أتم
 تعلمون انكم تخونون يعني
 ان الخيانة توجد منكم عن
 نعمة لا عن سهو أو أتم
 علماء تعلمون حسن
 الحسن وقبح التبيح ومعنى
 الخون النقص كما ان معنى
 الايقاء التمام ومنه تخونه
 اذا انتقصه ثم استعمل في
 ضد الامانة والوفاء لانك
 اذا خنت الرجل في شيء فقد
 أدخلت عليه النقصان فيه
 (واعلموا أن أموالكم
 وأولادكم فتنة) أي سبب
 الوقوع في الفتنة وهي الانم
 والعذاب أو محنة من الله
 ليبسلكم كيف تحفظون
 فيهم على حدوده

قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمننا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم أن يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتزويده الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآية أن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئاً وقيل إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضقت صدورهم فقبل لهم قائلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والحب جراً وقوله تعالى (وأنه إليه تحشرون) يعني في الآخرة فيجزى كل عامل به عمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة) لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحد وفتنة أن نزلت بكم تقتصر على الظالم خاصة بل تعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاحتبار وقيل تقديره واتقوا فتنة أن لم تقوها أصابكم جميعاً الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمرار وطاحمة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما نرى أماناً أهلها فإذا نحن المعتبرون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي ومجاهد والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقرروا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعباد فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى ير والمنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي بن عميرة الكندي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عمت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كن غاب عنها ومن غاب عنها فرفضها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولم يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زبدار إذا بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من أشرف لها شتر فرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه فإن قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة إلى من لم يذنب فإت الله تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يستل عماً يفعل وهم يستلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية ولأنه تعالى علم اشتمال ذلك على أنواع من أنواع المصاحبة والله أعلم بمراده وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا أن الله شديد العقاب) فيه تحذير وعيد لمن واقع الفتنة التي حذر الله منها وقوله عز وجل (واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض) لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم به عليهم فقال تعالى واذكروا أيام مشر المؤمنين المهاجرين إذا أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الأرض يعني في أرض مكة في ابتداء الإسلام (تحفون أن يتخطفكم الناس) يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب ابن منبه يعني فارس والروم (فاؤمكم) يعني إلى المدينة (وأيدكم بنصره) يعني وقواكم بالانصار وقال السكيت وقواكم يوم بدر باللائكة (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أهلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم (اعلمكم تشكرون) معنى تشكرون هذه النعم

(وأنه إليه تحشرون)
واعلموا أنكم تحشرون
فينيبكم على حسب سلامة
القلوب وإخلاص الطاعة
(واتقوا فتنة) عذاباً
(لا تصيب الذين ظلموا)
منكم خاصة) هو جواب
للامر أي إن أصابكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة
ولسكنها تعصمكم وجاز أن
تدخل الزون المؤكدة في
جواب الأمر لأن فيه معنى
انتهى كما إذا قلت أنزل عن
الدابة لا تنظر حرك وجاز
لا تنظر حرك ومن في منكم
للتبعض (واعلموا أن
الله شديد العقاب) إذا
عاقب (واذكروا إذا أنتم
قليل) إذا مفعول به لا ظرف
أي وذكروا وقت كونكم
أقله أدلة (مستضعفون
في الأرض) أرض مكة
قبل الهجرة تستضعفكم
قريش (تحفون أن
يتخطفكم الناس) لأن
الناس كانوا لهم أعداء
مضادين (فاؤمكم) إلى
المدينة (وأيدكم بنصره)
بظاهرة الانصار وبإمداد
اللائكة يوم بدر (ورزقكم
من الطيبات) من الغنائم
ولم يحل لأحد قبلكم (اعلمكم
تشكرون) هذه النعم

لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لا سمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين (ولو أسمعهم لتولوا) عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وخذ الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالبدء والبعث والتحرى (لما يحبيكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر لا تنجبن الجهول حلة فذاك ميت وثوبه كفن أو لمجاهدة الكفار لانهم لورفضواها لقلوبهم وقتلواهم أول الشهادته لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من

(الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيهم ولا يقبلونه وانما ساءهم دواب لقلة اتقاعهم يعقلونهم قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) يعنى سماع تفهم وانقاع وقبول للحق ومعنى (ولو علم الله قال الامام غفر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب أن يعلمه الله فعند علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لاسمعهم الله الحجيح والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو أسمعهم) يعنى بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون) يعنى لتولوا وهم معرضون عنه اعنادهم ونجودهم الحق بعد ظهو ره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احيى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله سبحانه وتعالى ولوا أحياءهم قصيا وسمعوا كلامه انه لو اعنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) يعنى أجبوا بالطاعة والانقياد لامرهما (اذا دعاكم) يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكروا أحد هما مع الآخر للتوكيد واستدلوا كثير الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر لا وجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا لله ورسوله اليه (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيت فقلت يا رسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أي فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا أبى أن تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله انى كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله الى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد أن يقطع صلاته لبداء أحد آخر وقيل لودعاه أحد الامر مهم لا يحتمل التأخير فله أن يقطع صلاته ﴿ وقوله تعالى ﴾ (لما يحبيكم) يعنى اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحبيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعزه به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبيرة والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت

(نعد) لنصرته عليكم
 (وان تغني عنكم فتكم)
 جمعكم (شيئاً ولو كثرت)
 عدداً (وان الله مع المؤمنين)
 بالفتح مدني وشامي
 وحفص أي ولان الله مع
 المؤمنين بالنصر كان ذلك
 وبالكسر غيرهم ويؤيده
 قراءة عبد الله وان الله مع
 المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله ولا
 تولوا عنه) عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لان
 المعنى وأطيعوا الله ورسول
 الله كقوله والله ورسوله
 أحق أن يرضوه ولان طاعة
 الرسول وطاعة الله شيء
 واحد من يطع الرسول
 فقد أطاع الله فكان
 رجوع الضمير إلى أحدهما
 كرجوعه إليهما كقولك
 الاحسان والاجال لا ينفع
 في فلان أو يرجع الضمير إلى
 الامر بالطاعة أي ولا تولوا
 عن هذا الامر وامتناله
 وأصله ولا تتولوا خذف
 إحدى التاءين تخفيفاً
 (وأتم تسمعون) أي وأتم
 تسمعون أو ولا تتولوا عن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولا تخالفوه وأنتم
 تسمعون أي تصدقون
 لانكم مؤمنون لستم كالصم
 المكذبين من الكفرة (ولا
 تكونوا كالذين قالوا
 سمعنا) أي ادعوا السماع

وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن أسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن
 الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلبس في القتي فقال
 اللهم لا يهزك فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضرته طيرت قدمه بنصف ساقه قال
 وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح بدى فتعلقت بجلده وأجهضني القتال عنه فلقد قالت عامية يومى واني
 لاسحبها اخلفي فلما أذنتني جعلت عليها قدحى ثم تطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معاذ بن
 عفراء فضر به حتى أنبتة وتركه بدرمق فرب به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخرمق فمرفته
 فوضعت رجلى على عنقه فقلت هل أخذك الله يا عبد الله قال وبماذا أخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني
 ان الدولة قالت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت ياربى الغنم مرتقى صعبا
 سم احتزرت رأسه ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عداوة الله أبي جهل
 فقال آلله الذي لا اله غيره فقات نعم والذي لا اله غيره ثم ألقيته بين بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله
 وقال أبي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا
 أي تستنصروا فقد جاءكم الفتح أي النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعولنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ
 الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط
 الحديد مادون الحذو وعظمه ما يصد ذلك عن دينه والله ليمتن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء
 الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوى بهذا الحديث
 على ما فسر به أبي بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية
 فلا تعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز
 ما وعده من إحدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيباً له ان
 تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم
 فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم
 الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم
 لم يتسع ان يراد به الكفار أو قوله سبحانه وتعالى (وان تنتهوا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعني
 وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بان
 تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص
 من القتل والاسر (وان تعودوا نعد) يعني وان تعودوا القتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم
 ونصره عليكم (وان تغني عنكم فتكم) يعني جماعتكم (شيئاً) يعني لا تغني عنكم شيئاً (ولو كثرت) يعني
 جماعتكم (وان الله مع المؤمنين) يعني بالنصر لهم عليكم بامر عشر الكفار ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولا تولوا عنه) يعني عن الرسول صلى
 الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه
 وعن معوته ونصرته في الجهاد (وأتم تسمعون) يعني القرآن يتلى عليكم (ولا تكونوا كالذين قالوا)
 بالسمهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعني وهم لا يتفطنون ولا يتفقهون بما سمعوا من القرآن والمواظ هذه
 صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعني ان شر من دب على وجه الارض من خالق الله عند الله

وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم
 عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله

(وليبيلى المؤمنين)
 وايه عليهم (منه بلاء حسنا)
 عطاء جيلا والمعنى
 وللاحسان الى المؤمنين
 فعل ما فعل وما فعل الا ذلك
 (ان الله سميع) لدعائهم
 (عليم) باحوالهم (ذاكم)
 اشارة الى البلاء الحسن
 ومحل الرفع أى الامر ذاكم
 (وان الله موهن كيد
 الكافرين) معطوف على
 ذاكم أى المبراد بلاء
 المؤمنين ونوهين كيد
 الكافرين موهن كيد
 شامى وكوفى غير حفص
 موهن كيد حفص موهن
 غيرهم (ان سفتحو افتحوا
 جاءكم الفتح) ان تستنصروا
 فقد جاءكم النصر عليكم
 وهو خطاب لاهل مكة
 لانهم حين أرادوا ان
 ينفروا تعلقوا باستار
 الكعبة وقالوا اللهم ان
 كان محمد على حق فانصره
 وان كنا على الحق فانصرنا
 وقيل ان تستفتحو
 خطاب للمؤمنين وان
 تنهوا للكافرين أى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى مينة القوم وبحصاة فى ميسرة القوم
 وبحصاة بين أظهرهم وقال شأهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
 اذ ليس فى وسع أحد من البشر ان يرمى كذا من الحصى فى وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من
 ذلك شئ فصورة الرمى صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى
 صح التنبي والاثبات وقيل فى معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب فى
 قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم حتى انهزموا (وليبيلى المؤمنين منه بلاء حسنا)
 يعنى ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء
 هنا بمعنى النعمة (ان الله سميع) يعنى لدعائكم (عليم) يعنى باحوالكم ﴿وقوله تعالى﴾ (ذلكم) يعنى الذى
 ذكرت من أمر القتل والرمى والبلاء الحسن من الظفرهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذى فعلنا (وان الله)
 يعنى واعلموا ان الله مع ذلك (موهن) أى مضعف (كيد الكافرين) يعنى مكرهم وكيدهم ﴿وقوله عز وجل﴾
 (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
 وذلك ان أباجهال قال يوم بدر لما اتقى الجمعان اللهم أينما كان أنجر يعنى نفسه ومحمد صلى الله عليه وسلم قاطعا
 للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينما كان خير عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر أهدي الفشتين
 وخير الفرقتين وأفضل الجمعين اللهم من كان أنجر وأقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا
 ومعنى الآية ان تستفتحوا الله على أقطع الفرقتين للرحم وأظلم الفشتين فينصر المظلوم على الظالم فقد
 جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق)
 عن عبد الرحمن بن عوف قال اتى لواقف فى الصف يوم بدر فنظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بعلمين من
 الانصار حديثة أسنانهما ففتيت أن أكون بين أضلاع منهما فغمزنى أحد هما فقال أى عم هل تعرف أباجهال
 جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخى قال أخبرته انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسى
 بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منافته فجمعت لذلك قال وغمزنى الآخر فقال لى مثلها
 فلم أنشب أن نظرت الى أبى جهل بجول فى الناس فقلت لا ترى ان هذا صاحبكم الذى تسألون عنه قال
 فابتدراه بسيقيهما فضر به حتى قتلاه ثم انصره فالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أبكم قتله
 فقال كل واحد منهما أنا قتله فقال هل مسحتما سيفيك كما فقال لا فانظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
 السيفين فقال كلاهما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجوح
 ومعاذ بن عفراء (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر انما صنع أبوجهل
 فانطلق ابن مسعود فوجه قد ضرب به ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال أنت أبوجهل وفى كتاب
 البخارى أنت أباجهال هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه وقال قتله قومه وفى رواية فقال أبوجهل فلو
 غيرا كارقتنى عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبوجهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أباجهال
 جهل قد أخزى الله الاخر قال ولأهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضر به بسيف غير طائل فلم
 يغن شئ حتى سقط عليه من يده فضر به حتى برد آخرجه أبو داود وآخرجه البخارى مختصر قال انه أتى أباجهال
 جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتله قومه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به
 محمد فاقع بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستفتحو فقد جاءكم
 القضاء وقال السدى والكلبى كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار
 الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندى وأهدى الفشتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين ففیه نزلت ان
 تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لاهدى الفشتين

(فصل في حكم هذه الآية) اختلف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدري - هـ - في أهل بدر خاصة لأنه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولوانحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشد الله عليهم أمر الانهزام وحرمة عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم ولينم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر ككنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لخاص الناس حيصة فانهز منا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل أنتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله لخاص الناس حيصة يعني جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الحرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحازوا الى كنت له فئة انا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولي ظهره منهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فلينس لقوم أن يفر وامن مثلهم فندخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر وامنهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المؤمنين جاز لهم أن يفر وامنهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل يقول انا قتل فلانا يقول الآخر انا قتل فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بمقتولكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقوى بكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداد اياكم باللائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم اتم ولكن الله قتلهم (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) قال أهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتجابه انطلقوا حتى نزلوا بدر او ردت عليهم روايا قر يش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد فاخذوهما وتواهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ارسول الله صلى الله عليه وسلم أين قر يش قالاهم وراء الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا ندرى قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوم عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهم امن فيهم من أشرف قر يش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن خزام والحارث بن عامر وطعمة ابن عدي والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألت اليكم فلاذ كبد هافما أقبلت قر يش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكتيب الرمل جاء الى الوادي فقال اللهم هذه قر يش قد أقبلت بخيلائها وغرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتى الجمع انناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفما من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شأهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينه وفيه ومخبره من ذلك التراب شيء فانهزموا ونبههم المؤمنون بقتلوهم وبأسروهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فاتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا قيل (وما رميت) يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أنزل ذلك الانزل العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه وأثبت لله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله رمى الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحزرة على

(ذلك) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقمتهم أي مخالفتهم. وهي مشتقة من الشق لأن كلالته دين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعادة والمخاصمة لأن هـ ذافي عدوة وخصم أي جانب وذافي (١٨٤) عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)

والكاف في ذلك الخطاب الرسول أو لكل أحد وفي ذلك لكم المكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) والواو في (وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى أكثرته كأنه يزحف أي يدب ديبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالاصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قابلين ولا تنصرفوا لأن تدانوا في العدو وتساووا من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم منازحين هم وأنهم (ومن يولهم يومئذ دبره) ومن يولهم ظهره ودبره (الامتحن بالقتال) يعني الامتحن بالقتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها ومكايدها (أو متحيزا إلى فئة) أي أو متحيزا وصار إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال (فقدباء بغضب من الله) يعني من الهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في حالتين وهما التحرف بالقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (وما أوه جهنم وبئس المصير)

هو جالس إذا قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب يا ابن أخي فعدك الخبر اليقين فجلس إليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت أحوال الناس قال لا شيء والله إن كان الآن لقيناهم فذبحناهم كذنا فبأيقنونا وإياسر ونا كيف شأنا وأيم الله ما لمت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل تلقى بين السماء والأرض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقوم لهم شيء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله للملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فزاورته فاحتماي فضرب بي الأرض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا قامت إليه أم الفضل بعدمود من عمد الحجر فضر بته ضربة فلفت رأسه شجرة منكسرة وقالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا والله ما عاش الأسبوع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمر وأخو بني سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعني الذي وقع من القتل والأسير يوم بدر (بانهم شاقوا الله ورسوله) يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقفة المخالفة وأصلها المجانية كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) يعني أن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسير شيء قليل فيما وعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ثم قل تعالى (ذلكم) إشارة إلى القتل والأسير الذي نزل بهم (فذوقوه) يعني عاجلا في الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله (وأن للكافرين عذاب النار) يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعير ليس من دنوئنا شيء قال فزاده العباس من وثاقه لا يصلحك لك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) يعني مجتمعين متزاحفين بعضهم إلى بعض والتزاحف التداني في القتال وأصل الزحف مشي مع جر الرجل كأنه يمشي على مشي الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفا لأنها تشي كل طائفة إلى صاحبها مشيا ويبدأ ذلك قبل التداني للقتال وقال تعالى (ولعل الزحف المشي قليلا قليلا إلى الشيء) (فلا تولوهم الادبار) يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب وانتقال (الامتحن بالقتال) يعني الامتحن بالقتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها ومكايدها (أو متحيزا إلى فئة) أي أو متحيزا وصار إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال (فقدباء بغضب من الله) يعني من الهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في حالتين وهما التحرف بالقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (وما أوه جهنم وبئس المصير)

فصل

منهزم ثم عطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضمنا (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهم أحوال من ضمير الفاعل في يولهم (فقدباء بغضب من الله وما أوه جهنم وبئس المصير) ووزن متحيز مفتعل لا متعجل لأنه من حازم يحوز فبئس ما متعجل منه متحوز وما كسر وأهل مكث فقولوا أو أسروا وكان القتال منهم يقول تفاخرنا فقتلنا - رت قيل لهم

(وذهب عنكم رجز)

(الشيطان) وسوسه اليهم

وتخويفه اياهم من العرش

أو الجحابة من الاحتلام

لانه من الشيطان وقد

وسوس اليهم ان لانصرة

مع الجحابة (وايربط على

قلوبكم) بالصبر (ويثبت

به الاقدام) أى بالماء اذ

الاقدام كانت تسوخ في

الرمال أو بالباطلان القاب

اذا تمكن فيه الصبر ثبتت

القدم في مواطن القتال

(اذ يوحى) بدل ثالث من

اذ يعدكم أو منصوب بيشيت

(ربك الى الملائكة أى

معكم) بالنصر (فتثبتوا

الذين آمنوا) بالبشرى

وكان الملك يسير امام الصف

في صورة رجل ويقول

أبشروا فان الله ناصركم

(سأق في قلوب الذين

كفروا الرعب) هو امتلاء

القلب من الخوف والرعب

شامى وعلى (فاضربوا)

أمر للمؤمنين أو للملائكة

وفيه دليل على أنهم قاتلوا

(فوق الاعناق) أى أعلى

الاعناق التى هى المذاج

نظار السرزس أو أراد

الرزس لانها فوق الاعناق

يعنى ضرب الغمام

(واضربوا منهم كل مان)

هى الاصابع يريد الاطراف

والمعنى فاضربوا المعامل

والشوى لان الضرب ما

أن يقع على مقتل أو غير مقتل فاضربهم أن يجرعوا عليهم السوء

عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعنى من الاحداث والجحابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعنى وسوسته التى ألقاها في قلوبكم (وايربط على قلوبكم) يعنى بالنصر واليقين والربط فى اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وايربط قلوبكم بالصبر وما وقع فيهم من اليقين وقيل ان لفظة على است بصلة لانها تفيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به الاقدام) يعنى ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفرو بهرب عند اللقاء وقوله سبحانه وتعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة أى معكم) يعنى ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى الملائكة الذين أمدهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اناي معكم بالنصر والمعونة (فتثبتوا الذين آمنوا) أى قوا قلوبهم واختلجوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقبل كما أن للشيطان قوة فى القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشرف كذلك للملك قوة فى القاء الاهلام في قلب ابن آدم بالخبر ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقى الملك اهلاما فهذه التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعاونتهم لهم أى يمتهم بقتالهم معهم المشركين وقيل معناه بشرهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى في صورة رجل امام الصف ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم (سأق في قلوب الذين كفروا الرعب) يعنى الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الاعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانبارى ما كانت الملائكة تعرف تقابل بنى آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعنى الرزس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل مان) يعنى كل مفصل وقال ابن عباس يعنى الاطراف وهى جمع بنانه وهى أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التى يمكن الانسان أن يدين ما يريد أن يعمل به يديه وأما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل أن الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان البنان يمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كما روى عن أبي داود المازنى وكان شهيد بدر قال انى لاتبع رجلا من المشركين لا يضرب به اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت أنه قد قتل غيرى وعن سهل بن حنيف قال اقدر أيتنا يوم يدروا أحدنا يبشر بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا أهل البيت فاسلمت أم الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذامال كثير متفرق في قومه وكان عدوا لله أبو طرب قد تخاف عن يدرو بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فاما جاء الخبر عن مقتل أصحاب بدر كبتهم الله وأخزاهم وجدنا في أنفسنا قوة وعز قال أبو رافع وكنت رجلا ضعيفا أعمل القداح وأنتحمتها في حجره زمزم فوالله انى لجالس أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة اذا قبل الفاسق أبو طرب يحرق رجليه حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهري الى طهرى فبينما

(وما جعله الله) أي الامداد الذي دل عليه مدكم (الابشري) البشارة بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم بكم) يعني انكم استغنتم ونصرتكم لقتلكم فكان الامداد باللائكة

(١٨٢)

عند الله) أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم والملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الامن عند الله والمنصور من نصره الله واختاف في قتال الملائكة يوم بدر فقل نزل جبريل عليه السلام في خمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمائة على الميسرة وفيها علي رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمارهم بيض قد أرخوها أذنانها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لأنهم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثر ون السواد ويشبهون المؤمنين والافلاك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عز يز) بنصر أوليائه (حكيم) يقهر أعدائه (اذ يغشاكم) يدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذ كره يغشاكم مدني (النعاس) النوم والفاعل

خمائة وميكائيل عليه السلام في خمائة في صور الرجال على خيل باق عليهم ثياب بيض وعمارهم بيض قد أرخوها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما شدر به وقال أبو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العرش ثم انبى فقال يا أبا بكر أذاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثيابه النقع (خ) بن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سما الملائكة يوم بدر عمارهم بيض ويوم حنين عمارهم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عدد امداد وروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدر انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لارى بكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فظم أنفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مداد وروى قيل انهم لم يقاتلوا وانما زلوا ليكثر اسواد المسلمين ويشبهوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله الابشري) يعني وما جعل الله الاراداف بالملائكة الابشري (وانطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق انهم انما زلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام ﴿وقوله تعالى﴾ (وما النصر الا من عند الله) يعني ان الله هو ينصركم بها المؤمنون فنصروا بنصره ولا تذكروا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (ان الله عز يز) يعني انه تعالى قوى منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه (حكيم) يعني في نديره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه) أي واذا كروا اذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أي أمنامن الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعدهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدره على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المجهز لانه أمر خارج للعادة ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (وينزل عليكم من السماء ماء) يعني المطر (ليظهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبوا وهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محذرين ومجذبين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وماؤا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت (النعاس) النوم والفاعل

هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أي اذ تنعسون أمنة بمعنى أمانة عنهم

أي لا مكم أو مصدر أي فامتنم أمنة فالتوضؤ يريح الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله (و ينزل) بالتخفيف

مكي وبصري وبان شدد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليظهركم به) بالماء من الحدث والجنابة

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العبر وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفر بعد دهم وغدتهم أى تمنون أن تكون لكم العبر لانها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (و يريد الله أن يحق الحق) أى يستهو يعايه (بكلماته) بآياته المنزلة في محاربه ذات الشوكة وما أمر الملائكة من نزولهم للمصرة وما قضى من (١٨١) قتلهم وطرحهم في قلب بدر

(ويقطع دابر الكافرين) والدابر الآخر قاعـل من دبر اذا أدبر و قطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة عاجلة وسفاف الامور والله تعالى يريد معالي الامور ونصرة الحق وعلا الكلمة وستان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أى ما فعله الالهما وهو اثبات الاسلام واطهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غير هالهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك (اذ يستغيثون ربكم) بدل من اذ يمدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا

بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا قال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساد الأرواح فيها فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شيئا فذلك قوله سبحانه وتعالى وأذيعدكم الله احدى الطائفتين أنهما لكم يعنى طائفة أى سفيان مع العبر وطائفة أى جهل مع النفر (وتودون) أى تريدون وتمنون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) والمعنى وتمنون أن العبر التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح (و يريد الله أن يحق الحق) أى يظهر الحق ويعليه (بكلماته) يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه (ويقطع دابر الكافرين) أى ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعنى اثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعنى وينفي الكفر (ولو كره المجرمون) يعنى المشركون وفي الآية سؤالان * الاول ان قوله و يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فامعناه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعدني هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واطهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قاتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذي هو الشرك * السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كونه ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كونه ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته ووقع رؤساء الباطل وقهرهم ﴿ قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم) أى واذا ذكر بالحمد اذ تستجيرون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فخلل يهتف ربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آمنى ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبدني الارض فازال يهتف بربه ما دايد به حتى سقط رداؤه عن منكبيه فانا أبو بكر فاخذ رداءه فلقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يابني الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى مدمكم بالف من الملائكة مردفين) فامده الله بالملائكة قال سماك اخذني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خرم مستلقيا فظفر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجع وجاء فخذت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسر واسبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى فاجاب دعاءكم أى مدمكم أصله باني مدمكم أى مرسل اليكم مدد اوردكم بالكم بالف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا وحتى انه نزل جبريل عليه السلام في

يدعون الله يقولون أى ر بنا النصر ناعلى عدوك يا غياث المستغيثين أغشنا وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه (فاستجاب لكم) فاجاب وأصل (أنى مدمكم) باني مدمكم خذف الجار و ساط عليه استجاب فصب محله (بالف من الملائكة مردفين) مدنى غيره بكسر الدال وفتحها فالكسر على أنهم أوردوا غيرهم والفتح على أنه أرفد كل ملك ملكا آخر يقال ردفا اذا نبعه وأردفته اياه اذا اتبعته

يقع في رجالكم حتى تناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غدة الشئ مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شئ وأيم الله لا تعرض له فإن عادلا كف يكفه قال فعدوت في اليوم الثالث من رؤيا عائشة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني شئ أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت فوالله أني لأمر نحوه أن تعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقات في نفسي ما له اعننه الله كل هذا فرقاني أن أشأه قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ يبطن الوادي واقفعا على بعيره وقد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أم والكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغاني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من أشراف قريش أحد إلا أن أباهل قد تخاف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للسيرة ذكرت الذي بينهما وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكد ذلك أن يشبههم فتبدى لهم ابليس في صورة سراق ابن مالك بن جعشم وكان من أشراف بني بكر فقال أنا جاركم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ليلال مضت من شهر رمضان حتى باغ واديا يقال له ذافر دفاته الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء أخذ عينا القوم فأخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه من جهينة حليفا لئلا نصار يدعي أن يقط فاتاه خبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرل جبريل عليه السلام وقال إن الله وعدكم إحدى الطائفتين أنها لكم أما العير وأما قريش وكانت العير أحب إليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحب النفي فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فمحن معك والله ما تقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا هنا قاعدون ولكن تقول اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لومرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجأنا معك من دونه حتى نبأه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خير أو دعاله بخبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وأنما يريد الانصار وذلك لأنهم عدد الناس وأنهم حين يابعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله أنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إليها فانت في ذمامنا فمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرتة الا من دهمهم بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسبروا معه إلى عدوهم بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريد يا رسول الله قال أجل قال قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدا وناوينا واثقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أوردت فوالذي بعثك بالحق لو استعزضت بنا هذا البحر غطت به لخصناه معك ما يتخلف منا أحد وما نكره أن تأتي بنا عدونا وعدوك أنا نصير عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم (م) عن أنس ابن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرثى مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في

والنفي والتقدير واذ بعدكم
الله أن إحدى الطائفتين
لكم

أبوجهـ ل قد أقبل فقالوا عليك بالعيود والعدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسبنا ثم قام سعد ابن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فانامعك حيث أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك

(١٧٩)

اذهب أنت وربك فقد لا انامعكم مقاتلون مادامت عين منا طرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله أبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا مخلصين وأن يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهين له (بجاد لوندك في الحق) الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نافي النفي لا يشارهم عليه

وسلاحهم (بجاد لوندك في الحق) وذلك ان المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا أن نلقى العدو فاستعداقتناهم وانما سخرنا الطاب العير فذلك جدالهم (بعد ما تبين) يعني تبين لهم أنك لا تصنع شيئا الا باصر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد (كأنما يساقون الى الموت) يعني لشدة كراهتهم القتال (وهم ينظرون) يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فرغهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) يعني الفرقتين فرقة أبي سفيان مع العير وفرقة أبي جهل مع النفيير (أنها لكم) يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدي أقبل أبو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهي الطليعة يريد بالطليعة الجال التي تحمل العطر والبر غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموه اذ تدب الناس خيف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صل الله عليه وسلم ياتي حرا فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره أن ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم أن محمد اتي أصحابه قد عرض اعيرهم فخرج ضمضم سرا الى مكة وكانت عائكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا يا فرعتني وخشيت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعده على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارتسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاود خلها منها فلقه فقال العباس والله ان هذه الرؤيا فاطية فاكتبها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عائكة له واستكتمها اياها فذكرها الوليد لابي عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عائكة فعدت أطوف فلما رآني أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي أبوجهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وماذا قال الرؤيا التي رأت عائكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيت أن تنتبأ رجالكم حتى تنبأ نسائك لقد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بانكم كذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا أني سجدت ذلك وأنكرت أن تكون عائكة رأت شيئا ثم نفر قنفا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني فقلن أقررتن لهذا الفاسق الخبيث أن

تأتي العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرفون وجدا لهم قوطم ما كان خروجا لالاعير وهلافت للنسبة وذلك لكرههم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم في فرط فرغهم بهم يسارهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها الا يشك فيها و قيل كان خوفهم اقله العدو وانهم كانوا رجالا وما كان نهم الافارسان (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذ كروا حدى مفعول ثان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير

(لهم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) ونجا ولسيا تهم (ورزق كريم) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب الكافي (كما أخرجك) (١٧٨) ربك في محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال

استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجرة وممكنه فهي في اختصاصها كاختصاص البيت لساكنه (بالحق) اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب (وان فرقا من المؤمنين لكارهون) في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عيسى بن مريم أقبلت من الشام بها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر أصحابه فاعجبهم تلقى العير أكثر الخبير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو الغفير في المثل السائر لافي العير ولا في الغفير فقبل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فاني وسار بمن معه الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماني السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم

لغيرنا عبد الله بن مسعود فاخبرناهم قالوا قال فارددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم أمن أهل الجنة أتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر * الوجه الرابع ان قولنا أنا مؤمن ان شاء الله لله برك لالشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور * الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقول أنا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم أصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول أنا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا لله تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا بتلك الاوصاف الخمسة ولا يقدر أحد ان ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من أتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى (لهم درجات عند ربهم) يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم (ومغفرة) يعني ولهم مغفرة لذنوبهم (ورزق كريم) يعني ما أعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه حاصله لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله سبحانه وتعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا قيل معناه امض لا مرس ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لا مرس ربك في الخروج من البيت اطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خيرا لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعده تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أي امض على الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى ادعته وادكر يا محمد اذا أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة لهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحى اطاب المشركين (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم

وسلاحهم

احدى الطائفتين اما العير واما فر يشافه شار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال العير أحب اليكم أم

الغفير قالوا بل العير أحب اليك لان لقاء العدو فروع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا

(الذين يقيمون الصلاة ويمارزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لصدور محذوف أى أولئك هم المؤمنون (١٧٧) إيماناً حقيقياً وهو مصدر مؤكد

للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقاً أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله إن رجلاً سأله أمؤمن أنت قال إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا مؤمنون وإن كنت تسألني عن قوله إيماناً المؤمنون الآية فلا أدري أمؤمنهم أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقاً لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً وهذا يشبه من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة لا يقول ذلك وقال لقنادة لم تستثن في إيمانك قال أتباع إبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له لا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى وعن إبراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقاً فان صدقت أنت عليه وإن كذبت فكفرك أنت من كذبك وعن ابن عباس رضى

يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أموره إلا على الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلاة ويمارزقناهم ينفقون) يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحمد ودها وأركانها في أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر والقربات ثم قال تعالى (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم المؤمنون حقا) يعنى يقينا لا شك في إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الإيمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحدهم نفسه بكونه مؤمناً حقاً إلا أن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعاقب بمسئلة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلافوا في أنه يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقاً أم لا فقال أصحاب الإمام أبي حنيفة الأولى أن يقول أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين * الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد كذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمناً حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله * الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقاً فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقاً وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الإمام الشافعي رضى الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله واحتجوا بالصحة هذا القول بوجهين * الأول أن الإيمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والقرار والعمل وكون الإنسان آتياً بالأعمال الصالحة المتقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وإن كان اعتقاده وإقراره صحيحاً وعنده أصحاب أبي حنيفة أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الإيمان فلم يلزم حصول الشك * الوجه الثاني أن قولاً أنا مؤمن إن شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن إذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فإذا قال إن شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الاستكبار روى أن أبا حنيفة قال لقنادة لم تستثن في إيمانك فقال لقنادة أتباع إبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى فانتقطع لقنادة قال بعضهم كان لقنادة أن يقول إن إبراهيم قال بعد قوله إيماناً من قلبي فطاب مزيد الطمأنينة * الوجه الثالث أن الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية إيماناً ومؤمنون وانظروا إيماناً تفيد الحصر يعنى إيماناً المؤمنين الذين هم كذا وكذا وذكر الله سبحانه وتعالى أوصافاً خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والإيمان بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقاً يعنى أن من أتى بجميع هذه الأوصاف كان مؤمناً حقاً ولا يمكن لأحد أن يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الأولى له أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وقال ابن أبي نجيع سأل رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن إن كنت سألتني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا بها مؤمنون وإن كنت سألتني عن قوله إيماناً المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجأت قلوبهم الآية فلا أدري أمؤمنهم أم لا وقال عائشة كفا في سفر فاقمنا قوم فقامنا من القوم فقامنا نحن المؤمنون حقاً ولم ندر ما نجيبهم حتى

(٢٣ - حزن - ثانی) الله عزهم ما من لم يكن مصادفة فهو مؤمن حقاً - احتج عبد الله بن أحمد فقال إيش اسمك فقال أحمد فقال أنت قول أنا أحد حقاً أو أنا أحد إن شاء الله فقل أنا أحد فقل حيث مماك والدك لا تستثنى وقد سمك الله في القرآن مؤمنان تستثنى

مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انتقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لان منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من تلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمع في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى تقشعرون منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقولهم الى ذكر الله والمعنى تقشعرون منه جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقولهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمنين ﷻ ثم قال تعالى (واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقه قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتسكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار بتصديقا و ايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شئين كان أكبر ممن يصدق في شئ واحد فقوله تعالى واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناها انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلاف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق التلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثانى انه ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلا لزيادة والنقص قال عمر بن حبيب وكان له صحبة ان للايمان زيادة ونقصا قيل له فزادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا ونقصا فلذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرائض وشرائط وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ﷻ وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم أن المؤمن اذا كان واثقا بوعده الله ووعده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان

استعظامه وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (واذا نلت عليهم آياته) أى القرآن (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لان تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم ايمانا بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا باحكامها قبل (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الاياه

في غنائم بدر وفي قسمتها
فسألوا رسول الله كيف
تقسم ولما الحكم في قسمتها
للمهاجرين أم للانصار أم
لهم جميعا فقيل له قل لهم هي
لرسول الله وهو الحاكم
فيها خاصة بحكم فيها ما يشاء
ليس لاحد غيره فيها حكم
ومعنى الجمع بين ذكر الله
والرسول أن حكمهما مختص
بالله ورسوله بامر الله
بقسمتها على ما تقتضيه
حكمته ويمثل الرسول أمر
الله فيها وليس الامر في
قسمتها مفوضا الى رأى
أحد (فانقوا الله) في
الاختلاف والتخاصم
وكونوا متآخين في الله
(وأصلحوا ذات بينكم)
أحوال بينكم يعني ما بينكم
من الاحوال حتى تكون
أحوال ألفة ومحبة واتفاق
وقال الزجاج معنى ذات
بينكم حقيقة وصلكم
والبين الوصل أى فانقوا
الله وكونوا مجتمعين على
ما أمر الله ورسوله به قال
عبادة بن الصامت رضى الله
عنه نزلت فينا بامعشر
أصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساءت فيه
أخلاقنا ففرعه الله من
أيدينا فجعله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قسمه
بين المسلمين على السواء
(وأطيعوا الله ورسوله)
فيما أمرتم به في الغنائم

صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولولا نحن ما أصبتموه وقال الذين
بحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا بقدر أن نقاتل العدو ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم غرة العدو وفقمنا دونه فأنتم باحق منافرات هذه الآية وروى مكحول عن أبي امامة الباهلي قال
سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلات حين اختلفنا في النفل وساءت فيه
أخلاقنا ففرعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين
وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر رجعت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدرى من
المشركين وأنحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولالك فقلت عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائى
فجاءني الرسول فقال انك سألتني وإيس لي وأنه قد صار لي وهولك فزلت يستلونك عن الانفال الآية أخرجه
أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد
ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة وإذا فيها سيف فأخذته فأنبت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت تغلني هذا السيف فأنما من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فأنطاقت به
حتى أردت أن ألقيه في القبر لا تمتنى نفسي فرجعت اليه فقلت أعطينيه قال فشد على صوته رده من حيث
أخذته فانزل الله عز وجل يستلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة ليس لاحد فيها شيء وما أصاب سرايا المسلمين من سبي أو توبة فغن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول وأما
التفسير فله سبحانه وتعالى يستلونك عن الانفال استفتاء يعني يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الانفال
وعلمها وهو سؤال استفتاء لاسؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال أى من
الانفال وعن معنى من وقيل عن صلة أى يستلونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص
وأكثر المفسرين على انها نزلات في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من
عبد أو امرأة أو متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء (قل الانفال لله والرسول) أى قل لهم يا محمد
ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمها كيف شاء أو اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة
والسدي هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله
خسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها
الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم
الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت
بآية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدي الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا
القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من
شيء فإن الله خسه وللرسول الآية وصرح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا وقلنا بغير بعير أخر جاد في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية
محكمة وللامام أن ينفل من شاء من الجيش ماشاء قبل التحميس (فانقوا الله) يعني انقوا الله بطاعته واتقوا
مخالفته واركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة
والمخالفة بتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فيما يأمركم به وينهيككم عنه (ان
كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله سبحانه وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم) لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المقدمة ثم قال بعد ذلك ان كنتم

وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كالملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكامنون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فرغت لذكركه

ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر
مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقاته مشغولاً بما يقرب به الى الله
عز وجل من صلاة أو ذكر ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقر بين لما أمر الله
عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبر ان الملائكة الذين عنده
مع علوم ربهم وشر فهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته
وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون)
لاغيره فان قلت التسبيح والسجود اخلاق في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهم من جملة العباد
فكيف أفردهما بالذكر قلت أخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن
عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال
القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله
و يسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب
للقارئ والمستمع أن يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقر بين في عباداتهم (ق) عن عبد
الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ويسجد معه حتى
ما يجد بعضاً موضع المكان جبهة في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة
وأمرت بالسجود فايت في النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك
بها خطيئة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الانفال﴾

مدنية كلها الاسبع آيات منها نزات بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذا بكمز بك الذين كفروا الى آخر سبع
آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون
كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (يسئلونك عن الانفال) (ق) عن سعيد بن جبيرة قال سألت ابن عباس عن سورة
الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل
قتيلاً فله كذا ففسر الشبان وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دونوا ولا تستأثروا به عليه افا نكنا رد لكم ولو
انكسفتهم انكسفتهم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو
اليسر بن عمر والانصارى أحو بنى سامة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلاً فله كذا وكذا وان انا قد
قتلنا سبعين وأسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة
ولاجين عن العدو لكان كرهنا ان نرى مضافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض
عنهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء
الذين ذكرت لا يبق لأصحابك كبير شيء فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسامعون فيه فقال من جمعه هولنا وكان رسول الله

(ان الذين عند ربك)
مكانة ومنزلة لا مكاناً ومنزلاً
يعني الملائكة (لا يستكبرون
عن عبادته) لا يعظمون
عنها (ويسبحونه)
وينزهونه عما لا يليق به
(وله يسجدون) ويخضعونه
بالعبادة لا يشركون به
غيره والله أعلم
﴿سورة الانفال مدنية
وهي خمس أو ست أو سبع
وسبعون آية﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يسئلونك عن الانفال)

لا يقرأ سواء أقرأ الإمام أو جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال إن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام خلفنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جميعاً بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا وإذا قرأ الفاتحة خلف الإمام تتبع سكتاته ولا يباذعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روى عن عباد بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فقلت عليه القراءة فلما انصرف قال أراكم تقرأون وراء أمامكم قال قلنا يا رسول الله أي والله قال لا تفعلوا إلا بما القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها أخرجه الترمذي بطوله وأخرجه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثاً غير تمام فليل لابي هريرة أنا نكون وراء الإمام قال أقرأها في نفسك وذكر الحديث وقوله سبحانه وتعالى (اعلمكم ترجون) يعني الحكيم برحمة ربكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه وقوله عز وجل (واذ كر ربك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأنه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يريد أقرأ أسراً في نفسك والفائدة فيه أن ارتفاع الإنسان بالذكر إنما يكمل إذا وقع الذكر بهذه الصفة لأن ذكر النفس أقرب إلى الإخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس أن يستحضر في قلبه عظمة المذكور وجل جلاله وإذا كان الذكر باللسان عارياً عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لأن فائدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور عز وجل (تضرعاً) يقال ضرع الرجل يضرع إذا خضع وخف عند أبي وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع والاستسكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي أن قوله سبحانه وتعالى واذا كر ربك في نفسك فيه إشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لأن لفظ الرب مشعر بالترتبة والرحمة والفضل والاحسان فإذا تذكر العبد أنعم الله عليه واحسانه إليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعاً وخيفة وهذا مقام الخوف فإذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوى إيمانه والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فإذا قرب الموت ودنا آخر أجله فيستحب أن يغلب رجاءه على خوفه عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو منه وأمنه عما يخاف أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والآصال) جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر إلى المغرب والمعنى إذا كر ربك بالبكر والعشيات وأما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أحوال الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الآصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أحوال الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لأنها حالة تشبه الموت وأوله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تكن من الغافلين) يعني عما يقر بك إلى الله عز وجل وقيل إن أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين

اعلمكم ترجون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجهور الصحابة رضوا الله عنهم على أنه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الأصح (واذ كر ربك في نفسك) هو عام في الإذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعاً وخيفة) متضرعاً وخائفاً (ودون الجهر من القول) ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأن لاختفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير (بالغدو والآصال) أفضل هذين الوقتين وقيل المراد أدامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو وأوقات الغدو وهي الغدوات والآصال جمع أصل والآصال جمع أصيل وهو العنق (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه

قوله عز وجل (واذا لم تأتكم بآية) يعني واذا لم تأتكم بآية يا محمد بآية ومجزة باهرة (قالوا) يعني قال المشركون (لولا اجتبتينها) يعني افتعلنها وأنشأتهما من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال السكبي كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تمناً فاذا تأخرت عنهم وقالوا لولا اجتبتينها يعني هلا أخذتهما وأنشأتهما من عندك (قل) أي قل يا محمد طو لاء المشركين الذين سألوا الآيات (انما أتبع ما يوحى الى من ربي) يعني القرآن الذي أنزل على وليس لي أن أقترح الآيات والمجرات (هذا بصائر من ربكم) يعني هذا القرآن حجة وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سبب البصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدي) يعني وهو هدي (ورحة) يعني وهو رحمة من الله (انقوم يؤمنون) وهنا لطيفة وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من باغ درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدي وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة (قوله تعالى) (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدي ورحة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعني أصغوا اليه ماسمعاكم لفهموا معانيه وتدبروا مواضعه وأنصتوا يعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت وانصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرأ لأن قوله فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فقطناه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك أقوال القول الاول وهو قول الحسن وأهل الظاهر أن تجرى هذه الآيات على العموم في أي وقت وأي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت والقول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله وقال السكبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على أنه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت اصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد اغوت أخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى إيجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى أنه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهر الامام فيه يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحد واسحق وذهب قوم الى انه

وانما جمع الضمير في اخوانهم والشية طان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتكم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبتينها) هلا اخترعتها أي اختلقتها كما اختافت ما قبلها (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدي ورحة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا

كانه ينخس الناس حين
يغريهم على المعاصي وجعل
النزع نازعا كما قيل جد جده
أو أريد بنزع الشيطان
اعتراء الغضب كقول أبي
بكر رضى الله عنه أن لى
شيطانا يعترينى (انه سميع)
لنزع (عليه) بدفعه (ان
الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان)
طيف مكى وبصرى وعلى
أى لمة منه مصدر من قولهم
طاف به الخيال يطيف
طيفا وعن أبي عمر وهما
واحد وهى الوسوسة وهذا
نا كيد لما تقدم من
وجوب الاستعاذة بالله
عند نزع الشيطان وان
عادة المتقين اذا أصابهم
أذى نزع من الشيطان
والمام بوسوسته (نذكروا)
ما أمر الله به ونهى عنه
(فاذا هم مبصرون)
فابصروا السداد ودفعوا
وسوسته وحقيقته أن
يفروا منه الى الله فيزدادوا
بصيرة من الله بالله
(واخوانهم) وأما اخوان
الشياطين من شياطين
الانس فان الشياطين
(يمدونهم فى النى) أى
يكونون مدد لهم فيه
ويعضدونهم ويمدونهم
من الامداد مدنى (ثم
لا يقصرون) ثم لا يسكون
عن اغوائهم حتى يبصروا

الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فانزل الله عز وجل واما ينزغك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه
سميع عليم ونزع الشيطان عبارة عن وسوسه ونخسه فى القلب وقيل النزع الانزعاج وأ كثر ما يكون عند
الغضب وأصله الانزعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزعته بين القوم اذا أفسدت بينهم وقال الزجاج
النزع أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة والمعنى واما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان
وسوسة أو نخسة (فاستعذ بالله) (يعنى فاستعذ بالله والجا الىه فى دفعه عنك) (انه سميع) (يعنى لدعائك) (عليه)
بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا فى حل الانسان على ما لا ينبغى فى حالة الغضب والغيط فامر الله بالالتجاء
اليه والتعوذ به فى تلك الحالة فهى تجرى مجرى العلاج لذلك المرض

فصل واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه الآية فقالوا لو كان النبى معصوما لم يكن للشيطان
عليه سبيل حتى ينزع فى قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل
فى قلبك نزع من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك له ألبتة فهو كقوله ائن أثمرت وهو برى من
الشرك البتة والوجه الثانى على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى
الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها فى قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الآن الله
أعاني عليه فأسلم فلا يامر فى الاجباج قال الشيخ محيى الدين النووى ويروى فاسلم بفتح الميم وضمها فى رفع قال
معناه فاسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعنى صار مؤمنا لا يامر فى الاجباج
قال الخطابى الصحيح المختار الرفع ورجح القاضى عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامر فى
الاجباج قال القاضى عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان فى جسمه
وخاطره ولسانه وفى هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه أعلمنا انه معنا العترة
عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره
ومعناه واما ينزعك أيها الانسان من الشيطان نزع فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف (من الشيطان) وهما لقطان ومعناه
الشيء يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف
ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف المم والمس وقال الازهرى الطيف فى كلام العرب الجنون وقيل
للاغضب طيف لان الغضب ان يشبه الجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان
تشبه لمة الخبال فذكر فى الآية الاولى النزع وهو أخف من الطيف المذكور فى هذه الآية لان حالة الشيطان
مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم (نذكروا) يعنى عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيد
قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر
الله فيقوم ويدعه (فاذا هم مبصرون) يعنى انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكير وقال السدى
اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه نزع من الشيطان نذركروا عرف انه معصية فابصروا نزع عن
مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعنى واخوان الشياطين من المشركين (يمدونهم) أى يمددهم الشياطين
(فى النى) قال الكلبى اسكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أى يطيلون لهم فى الاغواء حتى يستمروا عليه
وقيل يزبدونهم فى الضلالة (ثم لا يقصرون) يعنى لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال
المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان نذركروا عرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر
والكافر مسقر فى ضلالته لا يتذكر ولا يرعوى وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات
ولا الشياطين بمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون عن فعل الانس والشياطين جميعا

اجتهدتم في كيدى لم تصلا الى ضرى لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتفهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فلاتنظرون) أى لانهم لم ينجحوا في كيدى أتم وشركاؤكم (ان ولي الله) يعنى ان الذى يتولى حفظى وينصرنى عليكم هو الله (الذى نزل الكتاب) يعنى القرآن والمعنى كما يدنى بانزال القرآن على كيدى يتولى حفظى وينصرنى (وهو يتولى الصالحين) يعنى يتولاهم بنصره وحفظه فلانصرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء وأكادهم بشركال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدون بالله شيأ ولا يعصونه وفى هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شئ قوله عز وجل (والذين ندعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها أن الآية الاولى مذكورة على جهة التقرير والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى لا يسמעوا تراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسמעوا دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعنى يبصرون فلو بهم وذهب أكثر المفسرين الى أن هذه الآية أيضا وردة في صفات الاصنام لانها جاد لا تنصرف ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل المبسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو التسهيل في كل شئ (خ) عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف وأمر بالعرف الناس وفي رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا في جامع الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدى قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وأكافأ وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفاك من أموالهم فأتواك به من شئ نخذه وكان هذا اقبل أن تنزل براءة بقرائض الصدقات وتفضيلها وما انتهت اليه وقال السدى خذ العفو أى الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفاك من أموالهم وهذا اقبل أن تفرض الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعنى وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحى من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخير يل ماخذ قال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال ان ربك يا مارك أن تصل من قناعتك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوى بعير سند وقال جعفر الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى لتمايم مكارم الاخلاق وتمايم محاسن الافعال قوله عز وجل (واما ينزعك من الشيطان نزع) قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى

الله عليهم فامر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان ولي) ناصرى عليكم (الله الذى نزل الكتاب) أوحى الى وأعزنى برسائه (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وان تدعوهم الى الهدى لا يسמעوا تراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حذفته الى الشئ ينظر اليه (وهم لا يبصرون) المرئى (خذ العفو) هو ضد الجهد أى ما عفاك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجميل من الافعال وأهول خصلة يرتضيها العقل وبقيلها الشرع (وعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرهما جبريل عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك وأعف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه

وهم يخلقون الله فليعبدوا خالقهم اسم أول العابدین والمعبودین وجعهم كأولى العلم تغليبا للعابدين (ولا يستطيعون لهم لعبدهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعترضها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ما هو هدى ورشاد والى أن يهدوكم أى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع (سواء عليكم أذعو تموهم أم أتم صامتون) عن دعائهم فى أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والامدول عن الجلة الفعلية الى الاسمية لرؤس الآى (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أى مخلوقون مملوكون أمثالكم (فادعوه) جلب نفع أو دفع ضرر (فليستجيبوا لكم) فليجيبوا (ان كنتم صادقين) فى انهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا

مالا يخلق رعية لحكم ظاهر اللفظ وجع قوله وهم يخلقون رعية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو والذون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام أنها تعقل وتميز وردها هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم نصرا) يعنى أن الاصنام لا تقدر على نصر من أطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعاونة على الاعداء والمعنى أن المعبود الذى نجب عبادته يكون قادر على اىصال النفع ودفع الضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها ثم قال تعالى (ولا أنفسهم ينصرون) يعنى ولا يقدرّون على أن يدفعوا عن أنفسهم مكر وهما فان من أراد كسرها فقدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى) يعنى وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى (لا يتبعوكم) لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم أذعو تموهم) الى الدين والهداية (أم أتم صامتون) أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلا الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين فى الآية المتقدمة عجز الاصنام بين فى هذه أنه لا علم لها بشئ البتة والمعنى أن هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع من دعاها الى خير وهى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى سواء عليكم أذعو تموهم أم أتم صامتون وذلك أن المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدة وبلاء نضروا لاصنامهم فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقبل لهم لافرق بين دعائكم للاصنام أو سكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال وقوله سبحانه وتعالى (ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم) يعنى ان الاصنام التى يعبدوها هؤلاء المشركون انما هى مملوكة لله أمثالهم وقيل انها مسخرة من الله مثل ما أتم مسخرون من الله قال مقاتل فى قوله سبحانه وتعالى عبادا أمثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو أنه وصفها بانها عباد مع أنها جاد والجواب أن المشركين لما ادعوا أن الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم بتكيتها لهم وتوحيها ولذلك قال عز وجل (فادعوههم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة وجواب آخر وهو أن هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى أن قصارى هذه الاصنام التى تعبدونها آحياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم آلهة وجعلتم أنفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالهجز فقال تعالى (ألهم أرجل يشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) يعنى ان قدرة الانسان الخلق انما تكون بهذه الجوارح الاربع فانها آلات يستعين بها الانسان فى جميع أموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضلون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية أفضل من الرجل العاجزة عن المشى وكذلك اليد الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة أفضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة أفضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان أن الانسان أفضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها بخارجة وجاد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل أن يشتغل بعبادة الاخص الادون الارذل الذى لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجّة كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى (قل ادعوا شركاءكم) أى قل يا مجسم هؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التى تعبدونها حتى يتبين عجزها (ثم كيدون) يعنى أتم وشركاؤكم وهى لم تمتص بما قبله فى استكمال الحجّة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرر ولا نفع اقبل لحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودى بملك الضر والنفع فلو

السوى (جعلاه شركاء) أى جعل أولادهم شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك (فيما آتاها) أى آتى أولادهم دليله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بر بئان من الشرك وهنى اشراكهم فيما آتاها الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى أى هو الذى خاتمكم من نفس واحدة قصى وجعل من جنسها زوجها عريسة قرشية ليسكن اليها فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلاه شركاء فيما آتاها حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى أى شركون لهم ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك شركامدى وأبو بكر أى ذوى شرك وهم الشركاء (أيشركون مالا يخلق شيئا) يعنى الادنام (وهم يخلقون) أجرى تالاصنام محرى أولى العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أى شركون مالا يقدر

من وحى الشيطان يعنى من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعهم امرتين مرة فى الجنة ومرة فى الارض قال ابن عباس لما ولد له أول ولد آتاه ابليس فقال انى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث وكان اسمه فى السماء الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلان أطيعك فبات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعنى والامات كما مات الاول فعصاه فبات ولده فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فقال ذلك قوله تعالى (فلما آتاها ماصالحا جعلاه شركاء فيما آتاها) قال ابن عباس اشركاه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشرك بالله ولا كن أطاعاه وقال قتادة اشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان شركاؤا ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله تعالى جعلاه شركاء فيما آتاها قرى شركاء بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال أبو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرى شركاء بضم الشين مع المد جمع شرك بك يعنى ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعلاه شركا اذ سميا ولدهما عبد الحرث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولأن الحرث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر

وإني لعبد الضيف نادام ناويا * أخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اعز بزمصر انه ربى أحسن مثواى أراد به التربية ولم يرده انه رب به ومعبوده فكذلك هنا وانما أخبر عن آدم عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه وتعالى جعلاه شركاء فيما آتاها لان حسنات الابراسيات المقر بين ولان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فاعتابه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم تنظر الى المسبب والله أعلم براده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاها ثم ابتدأ فى الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لاعلى الجمع وقال بعض أهل المعانى ولو أراد به ما سبق فى معنى الآية فستقيم أيضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعل ما أتياه من الاشراك فى التسمية فكان الاولى أن يسمياه عبد الله لعبد الحرث وفى معنى الآية قول آخر وهو أنه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل أولادهم شركاء خذف ذكر الاولاد وأقامهم مقامهم كأضاف فعل الآباء الى البناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذا قتلتم نفسا فبهم به عن اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة أى خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجا أى وجعل من جنسها زوجا آدمية مثله وهذا قول حسن لأن القول الاول أصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادافه وودهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله سبحانه وتعالى (أيشركون) قرى بالياء على خطاب الكفار وقرى بالياء على الغيبة (مالا يخلق شيئا) يعنى ابليس والاصنام (وهم يخلقون) أى وهم يخلقون فان قلت كيف وحدهم يخلقون قلت ان لفظه ما تقع على الواحد والاثنتين والجمع فهى من صيغ الواحد ان بحسب ظاهر اللفظ ومحملة للجمع بحسب المعنى فوحده قوله

وقدر (ان انا الانذير وبشير)

ان انا الاعبد أرسلت نذيرا
وبشيرا وامن شأني أن
أعلم الغيب واللام في
(اقوم يؤمنون) يتعلق
بأنذير والبشير لان النذارة
والبشارة آتيا ينفعان فيهم
أو بالبشير وحده والمتعلق
بأنذير محذوف أى الا
نذير للكافرين وبشير
لقوم يؤمنون (هو الذى
خلقكم من نفس واحدة)
هى نفس آدم عليه السلام
(وجعل منها زوجا) حواء
خلقها من جسد آدم من
ضلع من أضلاع (ليكن
الهما) ليطمئن ويحبل لان
الجنس الى الجنس أميل
خصوصا اذا كان بعضا منه
كايكن الانسان الى ولده
ورجبه عجة نفسه لكونه
بضعة من جسد آدم
بعد ما أتت في قوله واحدة
وخلق منها زوجا هذا بالي
معنى النفس ليبين أن
المراد بها آدم (فلما نفاها)
جامعها (جئت حلا خفيفا)
خف عليها ولم تلق منها ما
يأتى بعض الحبالي من
جاهل من الكرب والاذى
ولم تستثقله كما يستثقله
(فرت به) فاضت به الى
وقت ميلاده من غير
اخذاج ولا زلاق أو جئت
حلا خفيفا يعنى النطفة
فرت به فقامت به وقعت

يعنى الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه لا أملك لنفسى نقدا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت
أعلم الغيب بد وقت الموت لاستكثر من الخير يعنى من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه أنا لأدعى علم الغيب
حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طابوه بالخبر عن الغيوب فذكر أن قدرته قاصرة عن علم
الغيب فان قلت قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك وهو من
أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من الخير
قلت يحتتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب الا أن يطلعنى
الله عليه ويقدريه ويحتتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلع الله عز وجل على الغيب فلما أطلع الله
عز وجل أخبر به كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول أو يسكون خراج هذا
الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فاخبر عنها
ليكون ذلك معجزته ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسنى السوء يعنى الجنون وذلك
أنهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من تحصيل الخير واحترزت عن الشر
حتى أصير بحيث لا يمسنى السوء وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما
مسنى السوء يعنى قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (ان انا الانذير) يعنى ما أنا الا رسول أرسلنى
الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا (وبشير) يعنى وأبشركم بوابه (اقوم يؤمنون) يعنى يصدقون
فوقوله عز وجل (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم عليه السلام (وجعل منها زوجا) يعنى
وخلق منها زوجا حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء من ضلع آدم فى أول سورة النساء (ليكن الهما)
ليأنس بها ويأوى (فلما نفاها) يعنى واقعا وجامعا كنى به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان آتيان
الرجل المرأة وقد غشيها ونفاها اذا علاها وتجالها (جئت حلا خفيفا) يعنى النطفة والمنى لان أول ما تحمّل
النطفة وهى خفيفة عليها (فرت به) يعنى انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما
انثقلت) أى صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت مدة ولادتها (دعوا الله ربهما) يعنى ان آدم وحواء
دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعنى لئن أعطيتنا بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) يعنى لك
على انعامك علينا قال المفسرون لما أهبط آدم وحواء الى الارض أقيت الشهوة فى نفس آدم فاصاب حواء
فحملت من ساعته فلما انثقل الحمل وكبر الولد أنها بالبليس فقال لها ما الذى فى بطنك قالت ما أدرى قال انى
أخاف أن يكون بهيمة أو كلب أو خنزير أو ثور فى الارض الابهيمة وأنحوها قالت انى أخاف بعض ذلك قال
وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك أو من فيك أو يشق بطنك فيقتل لك تخافت حواء من ذلك وذكرته
لآدم فلم يزلا فى غم من ذلك ثم عاد اليها البليس فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم البليس فى الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء
لآدم عليه السلام فقال له صاحبنا الذى قد علمت فعاودها البليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه
عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت
قانا هما بالبليس فقال ان سر كما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن
سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جئت حواء طاف بها البليس وكان لا يعيش لها ولد
فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره أخرجه الترمذى وقال حديث
حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قدر رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك

(فلما انثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعاء آدم وحواء ربهما والذى هو الحقيق بان يدعى ويلجأ اليه فقالا
(لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكر الان الذكور من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير فى

كل من أهلها من الملائكة والنقائين أهمه شأن الساعة وبتنى أن ينجلي له علمها ويشق عليه حفاؤها وتقل عليه أو تفلت فيها لأن أهلها يخافون شدائد هاؤها والها (لأننا نيكم الابغته) خاة على غفلة منكم (يسئلونك) كانك حفي عنها) كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسئلة عن الشيء والتفكير عنه استحكم عامه فيها وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب أو عنهما متعلق يسئلونك أي يسئلونك عنها كانك حفي أي عالم بها (قل انما علمها عند الله) وكرر يسئلونك وانما علمها عند الله لالتا كيد ولزيادة كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يتخلون المكر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله (ولكن أكر الناس لا يعلمون) انه المختص بالعلم بها قل لأملك انفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله) هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لأملك انفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كما مالك الا ماشاء ماله من النفع والى والدفع عنى

فمن بطلع عليه أحد أمر حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال فاجبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال الحقون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليسكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك أدعى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجر لهم عن المعصية (لا يجلبها الوقتها الا هو) قال مجاهد لا يأتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها الوقتها الا هو والتجلية اظهر الشئ بعد خفائه والمعنى لا يظهرها لوقت المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره (ثقلت في السموات والارض) يعنى ثقل أمرها وخفي علمها على أهل السموات والارض فكل شئ خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لأننا نيكم الابغته) يعنى خاة على حين غفلة من الخلق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه وتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه وتقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقى فيه وتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها * اللقحة بفتح اللام وكسر ها الناقاة القرية العهد بالنجاح قوله يلبط حوضه ويروى يلو ط حوضه يعنى يطينه ويصلحه يقال لا ط حوضه يلبطه أو يلو طه اذا طينه وأصله من الصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله سبحانه وتعالى (يسئلونك كانك حفي عنها) يعنى يسألك قومك عن الساعة كانك حفي بهم يعنى بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسئلونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون ان محمد صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاحسب الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بها أي عالم بها من قولهم أحفيت في المسئلة اذا باغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعنى قل يا محمد (انما علمها عند الله) يعنى استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة أيان مر ساها وقوله سبحانه وتعالى ثانيا يسئلونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثانى سؤال عن أحوالها من ثقلها وسدائد ها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عندى وعن الجواب في السؤال الثانى بقوله تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عندى ولما كان السؤال الثانى واقعا عن أحوالها وسدائد ها وتقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى عند الله لانه أعظم الاسماء (ولكن أكر الناس لا يعلمون) يعنى لا يعلمون أن علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وفيه دلالة على أن أكثر الناس لا يعلمون السبب الذى من أجله أخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق وقوله سبحانه وتعالى (قل لأملك انفسى نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلفنفسه ترى به فترج فيه عند الغلاء وبالارض التى يريد ان يجذب فترحل عنها الى ما قد أخذت فأنزل الله عز وجل قل لأملك أى قل يا محمد لا أملك ولا أقدر لنفسي نفعا أى اجتلاب نفع بان أربح فيما أشتريه ولا ضرا يعنى ولا أقدر ان أدفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارنحل الى الارض الخصبه وأترك الجدبة (الا ماشاء الله) يعنى ان أملكه وأقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) يعنى ولو كنت أعلم وقت الخصب والجذب لاستكثرت من المال (وما منى السوء)

(ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما منى السوء) أى لكانت حالى على خلاف ما هى عليه يعنى
من استكثر الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير

(أولم يتفكروا ما يصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أي أولم يتفكروا في قولهم ثم نفي عنه الجنون بقوله ما يصاحبهم (من جنة) جنون (إن هو إلا نذير مبين) منذر من الله موضح إنذاره (أولم ينظروا) نظر استدلالات (في ملكوت السموات والأرض) الملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله ما ينفع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد (وأن عسى) إن مخففة من التثنية وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا (١٦٥) في إن الشأن والحديث عسى

(أن يكون قد اقترب أجلكم) ولعلهم يموتون عما قرئ فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينسحبهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب (فبأي حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) إذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلكم كأنه قيل لعل أجلكم قد اقترب فما لهم لا يبادرون لإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به (من يضل الله فلا هادي له) أي يضل الله (ويذرهم) بالباء عراقى وبالجرم حزة وعلى عطف على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم الباقون بالنون (في طغيانهم) كفرهم (يعمهمون) يتحجبون ولما سالت اليهود أو فريش عن الساعة متى تكون نزل

سبحانه وتعالى بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم يستلون قوله سبحانه وتعالى (أولم يتفكروا ما يصاحبهم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) يعني من جنون قال قتادة ذكرنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا لئلا يجعل يدعو قريشا فخذلوا بني فلان يابني فلان أتى اسم نذير مبين وكان يحذرهم بأسماء الله ووقائعهم فقال قائلهم إن صاحبكم هذا الجنون بات يصوت إلى الصباح فأنزل الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكير التأمل وأعمال الخاطر في عاقبة الأمر والمعنى أولم يتفكروا في فعلهم ما يصاحبهم يعني محمد صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وإذا خال لفظه من في قوله من جنة بوجوب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون وإنما نسبوه إلى الجنون وهو يرى عنه لأنهم رأوا أنه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الأقوال والأفعال لأنه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها مستغلا بالدعاء إلى الله عز وجل وإنذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعد ذلك نسبوه إلى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (إن هو) يعني ما هو (الأنذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى إلى العلم بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى (أولم ينظروا) يعني نظرا اعتبارا واستدلالا (في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) والمقصود التنبيه على أن الدلالة على الوحدانية وجود الصانع القديم غير متصور ردة على ملك السموات والأرض بل كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلكم) والمعنى ولعل أجلكم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل أن يؤمنوا فيصيروا إلى النار وإذا كان الأمر كذلك وجب على العاقل المبادرة إلى التفكير والاعتبار والنظر المؤدى إلى الفوز بالنعيم المقيم (فبأي حديث بعده) يعني بعد القرآن (يؤمنون) يعني يصدقون والمعنى فبأي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب لأنه خاتم الأنبياء وكتابه خاتم الكتب لا نقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر آياتهم عن الإيمان فقال سبحانه وتعالى (من يضل الله فلا هادي له) يعني إن أعراض هؤلاء عن الإيمان لا ضلال الله إياهم فلو هدهم لآمنوا (ويذرهم في طغيانهم يعمهون) يعني ويتركهم في ضلالهم وتماديهم في الكفر يترددون متحجبين لا يهتدون سبيلا قوله عز وجل (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن بيننا وبينك قرابة فالمر باليأس متى الساعة فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قال جبل بن أبي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى الساعة فأنزل الله عز وجل يسألونك عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لأنها تقوم في ساعة غفلة وبقعة أولان حساب الخلائق ينقض في ساعه واحدة أيان سؤال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهائها أي متى وقوعها قال والساعة الوقت الذي يموت فيه الخلائق وأصل الأرساء الثبات يقال رسا رسوا إذا ثبت (قل) أي قل لهم يا محمد (إنما علمها عند ربّي) أي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه إلا الله استأثر الله بعلمها

(يسألونك عن الساعة) وهي من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها ولأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) متى واشتقاقه من أي فعلا من منه لأن معناه أي وقت (مرساها) أرساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الإدخال أو وقت أرسائها أي أثنائها والمعنى متى يرسبها الله (قل إنما علمها عند ربّي) أي علم وقت أرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك

(وذروا الذين يلحدون في

(١٦٤)

أسمائه)

واتركوا أسماء الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء

الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخى يارفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك ومن الألحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حزة لحده وألحد مال سيجزون ما كانوا يعملون (ومن خلقنا) للجنة لأنه في مقابلة ولقد زرأنا لهم (أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) في أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة إلى الدين وفيه دلالة على أن اجتمع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدرجهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يوارى الله نعمه عنهم مع أنهم معهم في الغي فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددا ومعصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثره من الله تعالى وتقريباً ما هو خذلان منه وتباعد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستعداد والاستئصال درجة بعد درجة (وأملئهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السنين أي أمهلهم (ان كيدى متين) أخذى شديد سماه كيداً لأنه

سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فإذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) معنى الألحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال ألحد في الدين إلحاداً إذا عدل عنه ومال إلى غير ذلك المحققون الألحاد يقع في أسماء الله تعالى على وجود أحد لها إطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك أن المشركين سمووا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس وبجهد الوجه الثاني وهو قول أهل المعاني أن الألحاد في أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله باسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الأدب في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الأنفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي يا خالق الوجه الرابع أن يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه به باسم لا يليق اطبأسماء الألقاب على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به ما فيه من الغرابة وقوله سبحانه وتعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) يعني في الآخرة وفيه وعيد وتهديد لمن ألحد في أسماء الله عز وجل وقوله عز وجل (ومن خلقنا أمة) يعني جماعة وعصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخاطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي الآية دليل على أنه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدي إليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والاولى لأن صيغة العموم تتناول الكل الاما دل الديل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك أن الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغفلون به ويركون اليه ثم يأخذهم على غرهم أغفل ما يكونون وقيل معناه سننقر بهم إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا إذا أتوا بحرم أو أقدموا على ذنب ففتح الله عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فزادون بذلك تمادي في الغي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله أخذة واحدة أغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبع عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما حبل إليه كنوز كسرى قال اللهم اني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشيء إلى الشيء في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب إذا طوأه شيئا بعد شيء (وأملئهم) يعني وأمهلهم وأطيل مدة أعمارهم والاملاء في اللغة الامهال وإطالة المدة والمعنى اني أطيل مدة أعمارهم لئلا دووا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعني ان أخذى شديد والمتين من كل شيء هو القوى الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزات هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دلائل على مسئلة القضاء والقدر وأن الله

شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجنون نزل

سبحانه

الحسب الجليل الكريم الرقيب المحيى الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحى
الوكيل القوى المتين الولى المجيد المحصى المبدئ المعبد المحيى المميت الحى القيوم الواجد
الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى
المتعالى ابر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذوالجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى
المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال
الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا يعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند
أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أنى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلاقوه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذر والذين يلحدون فى اسمائه سيحزون
ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه
الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له
اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسماء من أحصاها دخل
الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة بأحصائها لا الاخبار بمحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر
أسألك بكل اسم سميت به نفسك وأستأثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربى
المالكى عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربى وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل
الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حقهظا وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدداى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من أطاها وأحسن المراعاة لها
والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بها ما فيها وعمل بقتضاها دخل الجنة وقيل معنى أحصاها حضر بياله عند
ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متذبرا اذا كرر اخبارها بمعظمها ولمساها ومقدسات الله
سبحانه وتعالى وأن يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله وترى حب الوتر الفرد
ومعناه فى وصف الله تعالى أنه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر فى الاعمال لان أكثر
إطاعات وتر وفيه دليل على أن أشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم
واللطيف من أسماء الله ولا يقل من أسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم
الاعظم قال أبو القاسم القشبرى فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد
قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام نضر الدين الرازى دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها
تدل على ان اسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها ثبت ان اسماء الله
كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى
يقتضى اضافة الاسماء الى الله واطافة الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ
المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم
لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه اسمائه ايضا وقوله سبحانه
وتعالى (فادعوه بها) يعنى ادعوا الله باسمائه التى سمي بها نفسه أو سمها به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله تعالى توفيقية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكد انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان
يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال
يا طبيب وللدعاء أثر منها ان يعرف الداعي معانى الاسماء التى يدعوا بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو

معان حسنة فمنها ما يستحقه
بحقاقته كالقديم قبل كل
شئ والباقي بعد كل شئ
والقادر على كل شئ والعالم
بكل شئ والواحد الذى
ليس كمثله شئ ومنها ما
تستحسنه النفس لآثارها
كالغفور والرحيم والشكور
والحليم ومنها ما يوجب
التخلق به كالفضل والعفو
ومنها ما يوجب مراقبة
الاحوال كالسميع والبصير
والمقتدر ومنها ما يوجب
الاجلال كالعظيم والجليل
والمتكبر (فادعوه بها)
فسموه بتلك الاسماء

فقال تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) يعني لا يفقهون بها ولا يعقلون بها وأصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علماً على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله (ولهم أعين لا يبصرون بها) يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في آيات الله وادلة توحيده (ولهم آذان لا يسمعون بها) يعني لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال أهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها الرغبات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الداركة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا يتفقهون بها فيما ينفعهم في أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * واني ان أشاء بها سميع

فانه أثبت له صمم مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيء من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلاً فقال سبحانه وتعالى (أولئك كالانعام) يعني ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم السكامة الازلية كالانعام وهي البهائم التي لاتفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لاتدرك شيئاً ثم قال تعالى (بل هم أضل) يعني بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد أعطىها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالاً من الانعام وفي ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام أفضل منه ثم قال الله تعالى (أولئك هم الغافلون) يعني عن ضرب هذه الامثال لهم قوله سبحانه وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو أبو جهل ان محمداً وأصحابه يزعمون انهم يعبدون رباً واحداً فافاً بالهذين عوائدين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء ألقاها دالة على معانيها فهي انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفت الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين أحدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من أحصاها وفي رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسماً مائة الا واحد لا يحفظها أحد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري أحصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت

انما خلقت منهم للعبادة من علم انه يعبده وأما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون منه فالخاصل ان من علم منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك وكمن علم برأيه الخسوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرار عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكير (بل هم أضل) من الانعام لانهم كبروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمي روحاني شهواني مسموي أرضي فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم الارض (أولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) التي هي أحسن الاسماء لانها تدل على

العتش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبهة بحالة الكلب الذي أدلع لسانه من اللث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أى ان شددت عليه وأهيجته لث وان تركته على حاله لث لان الالهة طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحر يص على الدنيا وان وعظته فهو حر يص لا يقبل الوعظ ولا يندفع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حر يص أيضا لان الحر يص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كمان الالهة طبيعة لازمة للكلاب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى ان المثل الذي ضربناه للذى آتينا بآياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلاب الالهة انهم اذا جاءتهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فاقصص القصص) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاقصص القصص يا محمد على قومك أى اخبار من كفر بآيات الله (لعلهم يتفكرون) يعنى فيتمفظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يمتحنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل فاما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى (ساء مثلاً اقوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى بس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا (وأنفسهم كانوا يظلمون) يعنى يتكذبونهم بآياتنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (من يهد الله فهو المهتدى) يعنى من يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدى (ومن يضل) يعنى ومن يتولى ضلاله (فأولئك هم الخاسرون) يعنى فى الآخرة وفى الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادى المضل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (ولقد ذرأنا) يعنى خلقنا (لجهنم كثير من الجن والانس) أخبر الله سبحانه وتعالى انه خلق كثير من الجن والانس لل نار وهم الذين حققت عليهم الكرامة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له فى الخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقات يارسول الله طوبى لى هذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة لخلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق النار لخلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النوروى فى شرح مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به الحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما نكر على سعد بن أبى وقاص لفظه انى لراه مؤمنا فقال أو مسلم الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان أطفال المسلمين فى الجنة فاما علم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون هم فى النار تبعه الآباءهم وتوقف طائفة فيهم - والثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون اهم من أهل الجنة ويستدل له باشيء منها خبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله أولاد الناس فقالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخارى فى صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله أعلم وفى الآية دليل وحجة واضحة مذهب أهل السنة فى ان الله خالق أعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بعصرح اللفظ انه خلق كثير من الجن والانس للنار ولا تزد يدعى بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام فى جهنم للعاقبة أى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم

القرآن المجيز وما فيه و بشروا الناس باقتراب مبعثه (فاقصص القصص) أى قصص بلم الذى هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبتهم اذا ساروا نحو سيرته (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى مثلاً القوم غدق المضاف وفاعل ساء مضمراً أى ساء المثل مثلاً واتصاب مثلاً على التمييز (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أى وما ظلموا لأنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أى وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها (من يهد الله فهو المهتدى) جل على اللفظ (ومن يضل) أى ومن يضلهم (فأولئك هم الخاسرون) جل على المعنى ولو كان الهادى من الله البيان كما قالت المعتزلة لا ستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت فى حق الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعصية ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم

وادرکه وصار قريضا له
(فكان من الغاوين) فصار
من الضالين الكافرين
روى ان قومه طلبوا منه
ان يدعو على موسى ومن
معه فاني فلم يزالوا به حتى
فعل وكان عنده اسم الله
الاعظم (ولوشنار فعناه)
الى منازل الابرار من العلماء
(بها) بتلك الآيات (ولكنه
أخلد الى الارض) مال الى
الدينا ورغب فيها (واتبع
هواه) في اثار الدينا لذاتها
على الآخرة ونعيمها (فله
كمثل الكلب ان تحمل
عليه) أي تزجره ونظرده
(يلهث أو تتركه) غير
مطروود (يلهث) والمعنى
فصفته التي هي مثل في
الخسة والضعفة كصفة
الكلب في أخس أحواله
وأذلها وهي حال دوام
اللاهث به سواء حل عليه أي
شد عليه وهيج فطرد أو ترك
غير متعرض له بالحن عليه
وذلك ان سائر الحيوان
لا يكون منه اللاهث الا اذا
حرك أما الكلب فيلهث في
الحالين فيكون مقتضى
الكلام ان يقال ولكنه
أخلد الى الارض فخططناه
ووضعنا منزله فوضع هذا
التمثيل موضع فخططناه أبلغ
حط ومحل الجملة الشرطية
النصب على الحال كما نه قيل

وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات
مستجابات وكانت له امرأة له منها أولاد فقال له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تريد بنى قالت
ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت أجمل النساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني
اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها الى أبيهم
وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار فدصارت أمنا كلبة نباحة والناس تعبر بنا بذلك فادع الله أن يرد هالي حالها
الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان أشهر وقال الحسن وابن
كيسان نزلت في منافق أهمل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون
أبناءهم ثم أنكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتينا آياتنا
قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الأكبر وقال ابن زيد كان لا يزال الله شيئا إلا أعطاه وقال السدي كان يعلم
اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أوتي كتابا وقيل ان الله آتاه حجة وأدلة وهي الآيات التي
أوتيناها (فانسلخ منها) يعني فخرج من الآيات التي كان الله آتاه إياها كما نسلخ الحية من جلدها وقال ابن
عباس نزع منه العلم (فاتبعه الشيطان) يعني لحقه وأدرکه وصبره الشيطان تابعا لنفسه في معصية الله يخاف
أمرربه ويطيع الشيطان وهواه ﴿قوله تعالى﴾ (فكان من الغاوين) يعني من الهالكين الضالين بما
خالف به وأطاع هواه وشيطانه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولوشنار فعناه بها) يعني رفعنا رجزه ومنزلته
بتلك الآيات التي أوتيناها وقال ابن عباس لرفعناه بعملها وقال مجاهد وعطاء معناه ولوشنار فعناه الكفر
وعصمناه بالآيات (ولكنه أخلد الى الارض) يعني ولكنه سكن الى الدينا و مال اليها ورضي بها وأصله من
الخلود وهو الدوام والبقاء والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المقاور والقفار وفيها المدن
والضيايع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدينا كلها هي الارض (واتبع هواه) يعني
انه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى غسردنياه وآخرته و وقع في هوى الردى
والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدينا وشهوات النفس ويتبعون
الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجابا
ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدينا ورضي بها وعوضا عن الآخرة نزع منه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين
خسر الدينا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدينا واتباع الهوى الامن عصمه الله بالورع وثبته بالعلم
وبصره بمحبوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذنبان جاعلان
أرسلا في غنم بافند لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي ﴿ثم ضرب الله عز وجل
مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى﴾ (فمثل الكلب ان تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث) يقال لهث الكلب يلهث اذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء
والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فقره او عدل عنها واتبع هواه وترك آخرته
وأثردنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللاهث لان الكلب في حال لهته لا يقدر على
نفع نفسه ولا ضررها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضررها في الآخرة لان التمسك به
على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهنا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبته على اللاهث
دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن النعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها
كانت حاله كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا اتصل بعلمه الى طلب الدينا فانه يظهر علومه عند أهلها
وبدل لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة

أخذ الحربة بذراعه واعتمد برمقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم
هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بني إسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين
الذين أساب ذلك الرجل المرأة إلى أن قتله فنجح فوجدوه قد هلك سبعون ألفاً في ساعة واحدة من النهار
فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل لولد فنجح من كل ذبيحة يذبحونها الفضة والذراع واللعج لا اعتماداً بالحربة
على خاصرته وأخذها ياها بذراعه وأسنداه إياها إلى لحيته ويعطوهم البكر من كل أموالهم لأنه كان بكر العيزار
وفي بلعام أنزل الله عز وجل وإنل عليهم نبي الذي آتينا آياته وقال مقاتل إن ملك البلقاء قال بلعام ادع
الله على موسى فقال بلعام أنه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنصب له خشبة ايصلبه عليها فلما رأى ذلك
خرج على أنان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاثان فضر بها فقالت لم تضرب بني وأت
مأمورة وهذه نار ما حى قد منعني أن أمشي فرجع إلى الملك فأخبره بذلك فقال لتدعون عليه أو لا صلبك
فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني إسرائيل في
التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يارب باي ذنب وقعت في التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على
فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمن فتزع الله سبحانه وتعالى منه
المعرفة وسالحه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتينا آياتنا فانسخ منها فان
قلت هذه التصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم
الاعظم والايمن وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة أن يدعو على انسان بالكفر بعد
لايمان أو يرضى له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانهم من الاسرائيليات
ولا يلتفت إلى ما سطره أهل الاخبار إذا خالف الأصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني إسرائيل في التيه هو
عبادتهم الجبل أو قوهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الهاف كان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعاء بلعام
عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام وان موسى عليه السلام
لم يدع عليه الا بعد أن ثبت عنده أن بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وإشارته الحياة الدنيا
فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيهه منصب النبوة
عما يقره أصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظريه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمر بن العاص
وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ
الكتب القديمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى مرسل رسولاً فرجأ أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد
صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد
بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيـل له قتلهم محمد فقال لو كان نبياً ما قتل أقرباءه
فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
وفاة أخيه افقتات بينا هورا فداناه اثنان فكشف فاسقف البيت ونزل فقعداً أحدهما عند رأسه والآخر عند
رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال أوعى قال أذكى قال أذكى قالت فسأله عن ذلك فقال
خير أريدني فصرف عني ثم غشى عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهره * صائر مرء الى أن يزولا

ليفتي كنت قبل ما قد بدالى * في قلال الجبال أوعى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوم أثقيل

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدني من شعرا خيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل وإنل عليهم نبي الذي آتينا آياتنا فانسخ منها الآية

ذلك التفصيل البليغ
(نفس الآيات) لهم
(واعلمهم يرجعون) عن
شركهم نفسا الى هذا
ذهب المحققون من أهل
التفسير منهم الشيخ أبو
منصور والزجاج والزمخشري
وذهب جمهور المفسرين
الى ان الله تعالى أخرج ذرية
آدم من ظهر آدم مثل الذر
وأخذ عليهم الميثاق أنه
ر بهم بقوله ألتستبركهم
فاجابوه ببلى قالوا وهى
القطرة التى فطر الله الناس
عليها وقال ابن عباس رضى
الله عنهما أخرج الله من
ظهر آدم ذريته وأراه آياهم
كهيئة الذر وأعطاهم العقل
وقال هؤلاء ولدك أخذ
عليهم الميثاق ان يعبدونى
فيل كان ذلك قبل دخول
الجنة بين مكة والطائف
وقيل بعد النزول من الجنة
وقيل فى الجنة والجنة للاولين
انه قال من بنى آدم من
ظهورهم ولم يقل من ظهر
آدم ولانا لا تذكر ذلك
فانى بصير حجة ذرياتهم
مدنى وبصرى وشامى أن
تقولوا أو تقولوا أبو عمرو
(وانزل عليهم على اليهود
نبا الذى آتينا آياتنا)
هو عالم من علماء بنى
اسرائيل وقيل هو بلعم بن
باعوراء أوفى علم بعض
كتب الله

أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهرها للعقول لئلا يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد
لآبائنا لان نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء فى
الشرك وقوله تعالى (وكذلك نفس الآيات) يعنى ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والایمان ويعرضوا
عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (واعلمهم يرجعون) يعنى عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه
واعلمهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه وقوله عز وجل (وانزل عليهم)
يعنى وافرأ على قومك يا محمد (نبا) يعنى خبر (الذى آتينا آياتنا) اخلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعم بن
باعوراء وقال مجاهد بلعم بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بنى
اسرائيل وفى رواية أخرى عنه أنه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء
وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدى وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان
موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه وكان
عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء بخرجنا من بلادنا
ويقتلنا ويحلبنا بنى اسرائيل وأنت رجل محاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله
ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم ان الله ما أعلم والى ان فعلت هذا ذهبت دنياى
وأخرى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤمر ربي وكان لا يدعوه حتى تؤمر ربه فى المنام فأتى فى المنام
فقال له لا تدع عليهم فقال اقومه فى قد أمرت ربي فنهأى أن أدعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه
فقال حتى أؤمر ربي فأمر فلم يوح اليه شئ فقال قد أمرت ربي فلم يوح الى شئ فقالوا له لو كره ربك أن
تدعوا عليهم ان هناك كنانهاك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتتوه فافتتن فركب أناناه متوجها الى جبل
يطالعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل حسان فلما سار على أناناه غير بعيد ربض فتزل عنها
وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربض فضر بها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت
فضر بها حتى أذلقتها فاذن الله عز وجل لطفى الكلام وأنطقها له فكلمته بحجة عليه فقالت ويحك يا بلعام
أندرى أين تذهب أما ترى الملائكة أمامى بردونى عن وجهى هذا ويحك أذهب الى نبي الله والمؤمنين
فتدعوا عليهم فلم ينزع خلفي الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل
يدعوا فلم يدع بشئ الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعوه ولومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل
فقال له قومه يا بلعام أندرى ما صنعت انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا مالا ملكه هذا شئ قد غلب الله عليه
وانداع لسانه فوقع على صدره فقال اقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق لى الا المكرو والحيلة فأسألكم
اكنتم وأحتالتم قالوا جلوا النساء وزيهن وأعطوهن السلعة ثم أرسلوهن الى عسكر بنى اسرائيل ليعبثن
عليهن ومروهن أن لا تمتنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهم كفيتهم وهم
ففعلا وذلك فلما دخل النساء على العسكر مررت امرأة من الكنعانيين اسمها كسنى بنت صور على رجل من
عظماء بنى اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها
حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال انى لا طيسك أنك تقول هذه حرام
عليك فقال أجل هى حرام عليك لا تنقر بها قال والله انى لا أطيعك فى هذا ثم قام ودخل بها الى قبته فوقع
عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بنى اسرائيل فى ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون
وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فظا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع
زمري بن شلوم ما صنع فجاء الطاعون بجوس فى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربه وكانت من حديد كلها
ثم دخل عليهم القبة وهما متناجعا ففطن ما بجر به فأتته فظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد

جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذيأ خذر بك من
 نبي آدم وبشهم على أنفسهم بمأركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يرتب
 على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت
 المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف ورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه
 وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وأن الله تعالى أخرج الذرية من
 ظهر آدم لاختلاف الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أيضا فكيف يحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول
 قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فأخرج ذرية ته وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث
 كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما
 في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث اذ
 ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير
 اليه والاختاره جمعا بين الآية والحديث وحكي الواحدى عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله عليه الصلاة
 والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذرية ته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا أخرجهم من
 ظهر آدم فتداخرجهم من ظهور ذرية ته لان ذرية آدم ذرية كذرية بهضهم من بعض قال ونحصل الفائدة
 بهذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجلة على كل منفوس من باغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم وزاد على من
 بلغ منهم الحجلة بالآيات والدلائل التي نصبها بالرسول المنفذة بهم بمشرى ومنذر بن والمواعظ وقال غيره
 فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أن من مات منهم صغيرا أدخل الجنة بأقراره بالميثاق الاول وهذا على قول
 من يقول ان أطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول هم من كان
 من أهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما أقر وبالمرقة كره فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم
 يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله به وخالقه ويصدق رسوله
 فيما جازاه من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا من هذا الميثاق أو الايمان بان الله ربنا غافلين
 أو لئلا تقولوا خلافتهم انما أشرك آباؤنا ونحن نسبى على آثارهم ظنا منهم أن الحق ما كانوا عليه فان قلت ان
 ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج
 عليهم به قلت لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب
 آدم بطل مأركب فيهم فتوالدوا مناسين لتلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتدأهم
 بالخطاب على السنة بالرسول عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكرا والداردار
 تكليف وامتحان ولولم ينسوه لانتفت الحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجلة عليهم لامتدادهم بالرسول
 واعلامهم بحجى ان أخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجلة عليهم أيضا يوم القيامة لاخبار الرسول اياهم بذلك
 الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معاندا لقضالعه ولزمتهم الحجلة ولم تسقط الحجلة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم
 بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمجترات الباهرات وقوله تعالى (أو يقولوا) يعنى الذرية (انما أشرك
 آباؤنا من قبل) يعنى انما أخذ الميثاق عليهم لثلاث يقول المشركون انما أشرك آباؤنا من قبل (وكناذرية من
 بعدهم) يعنى وكناذرية ما علمهم فاقند ينابهم في الشرك (أفهلكننا) يعنى أفعدبنا (بما فعل المبطلون) قال
 المفسرون هذا قطع اعذار الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة انما أشرك آباؤنا من قبلنا
 ونقضوا العهد والميثاق وكنانحن الذرية من بعدهم ففادناهم واقتديناهم وكننا في غفلة عن هذا الميثاق
 فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت
 الحجلة عليهم بذلك يوم القيامة وأما الذين حملوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب

(أو يقولوا) أو كراهة ان
 يقولوا (انما أشرك آباؤنا
 من قبل وكناذرية من
 بعدهم) فاقند ينابهم
 لان نصب الادلة على
 التوحيد وما نهوا عليه
 قائم معهم فلا عذر لهم في
 الاعراض عنه والافتداء
 بالآباء كما لا عذر لآبائهم في
 الشرك وأدلة التوحيد
 منصوبة لهم (أفهلكننا
 بما فعل المبطلون) أى
 كانوا السبب في شركنا
 لتأسيسهم الشرك وتركه

كهيمته الذرى بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحتى ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيمته الذرى سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب البمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألسنت بر بكم قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبعية زادنى رواية وذلك حيث يقول وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظى أقرله باليمان والمعرفة الارواح قبل خلق أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم المني فأخرج منها ذرية بيضاء كهيمته الذرى يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيمته الذرى يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذرتك ثم قال لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة برحتى وهم أصحاب البمين وقال للسود هؤلاء فى النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا فى صلب آدم فأهل القبور محبوبون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروى ان الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا علموا أنه لا اله الاكم غيرى وأنا ربكم لارب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فاني سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن بى واني مرسل اليكم رسلا يدركونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبيا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لارب لنا غيرك فأخذ بذلك موافقتهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منكم الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى أحب أن أشكر فلما أقرهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد لكل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز أن يكون الله سبحانه وتعالى جعل لامثال الذرى عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى فى التلوة قالت نساء يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخر ناعم داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانبارى مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم فى هذه الآية ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفت فوابعادهم ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى حوطبوا بوابه وله اجبال اقربى معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة سمعت لامردها نقاد ومعى قوله ألسنت بر بكم على هذا التفسير قال الله سبحانه وتعالى للذرية ألسنت بر بكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرىة بلى أنت ربنا فهو جواب منهم له واقرار له بالربوبية واعتراف على أنفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه قولان أحدهما أنهم لما أقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا وقالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى الى بأن كلام الذرىة ثم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثانى أن قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرىة والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله سبحانه وتعالى (أن يقولوا) وقرى بالياء على خطاب الذرىة ومعناه ثلاثا تقولوا أيها الذرىة (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) يعنى الميثاق (غافلين) وقرى أن يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه ثلاثا يقولوا أى الذرىة انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثانى فى معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرىة وأنشأهم بعد ان كانوا انطفا فى أصلاب الآباء وهم أولاد بنى آدم فأخرج الذرىة الى الدنيا على تربيتهم فى الوجود وأشهدهم على أنفسهم بمارك فيهم من العقول وأراهم عجائب خاتمه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التى تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على أنفسنا أنك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على أنفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما

(شهدنا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك انه صب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكانه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألسنت بر بكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك (ان يقولوا) مفعول له أى فعلمنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على محنتها العقول كراهة أن يقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) لم نأبه عليه

الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة اسما عمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار اسما عمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار أخرجه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه ببص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زد من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نقضى عمر آدم الأربعين جاءه ملك الموت فقال آدم ألم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحد ذريته ونسي آدم فاكل من الشجرة فسقطت ذريته وخطي خطت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية فخرج ذرية من ظهره بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء فذلك قال سبحانه وتعالى من بني آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم اسما تغنى ثم للعساء في تفسير هذه الآية مذهبان أحدهما وهو مذهب أهل التفسير والأثر وظاهر ما جاء به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري بإسناد فيها عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنوعمان يعني عرفة فخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فمنهم بين يديه كالذر ثم كلهم قبلا وقال ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنوعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا قال ان أول ما أهبط الله آدم الى الأرض أهبطه بدهناء أرض الهند فمسح ظهره فخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية عنه جفف القلب بما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصابه واستخرج ذريته كالذر وكتب أرزاقهم وأجالهم ومصابهم وفي رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فن أدرك منهم الميثاق الآخر وفيه نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا لم يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألتستبر بكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس أخرج ذرية آدم من ظهره فكاهم الله وأنطقهم فقال ألتستبر بكم قالوا بلى ثم أعادها في صلبه فليس أحد من الخلق الا وقد تسكاهم فقال ربنا الله وان القيامة ان تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاستخرج منه

(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (أن لا يقولوا على الله الا الحق) أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرأوا ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالله (١٥٤) مدني وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبو بكر والامساك والتمسك

سيغفر لي فيطمن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجعل مكانه آخر فن كان يطعن عليه ارتدى أيضا يقول الله عز وجل وان يات الآخرون عرض الدنيا ياخذوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم العهد والمواثيق في الكتاب وهو التوراة (أن لا يقولوا على الله الا الحق) يعني انا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقالوا الباطل وخافوا أمر الله وهو قوهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من العهد والمواثيق في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعني وما في الدار الآخرة مما أعد الله لا وائمه وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام (خير للذين يتقون) يعني يتقون الله ويخافون عقابه (أفلا يعقلون) يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن ما في الآخرة خير وأبقى انهادار المتقين (والذين يمسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرّفوه ولم يغيروه فاذا هم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن (وأقاموا الصلاة) يعني واداموا على اقامتها في مواقيتها وانما أفرد هذا بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله (انا لانضيع أجر المصلحين) قوله عز وجل (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) يعني واذا كرى بما حذا فقعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كأنه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما على الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أي وعلموا وايقنوا (انه واقع بهم) يعني الجبل (خذوا) يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب (ما آتيناكم) يعني التوراة (بقوة) يعني بمجد واجتهاد (واذا كروا ما فيه) يعني واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل برفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الا يسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسمجد اليهود الا على شق وجوههم الا يسر قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر ابن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (وأقاموا الصلاة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (انا لانضيع أجر المصلحين) انا لانضيع أجرهم وجاز أن يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لانضيع اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذا كراذ قلنا ورفعنا فوقكم الطور (كأنه ظلة) هي كل ما تظلك من سقيفة أو سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فرسخ وقيل لهم ان قبلقوها بما فيها والايقن عليكم فلما نظروا الى الجبل خروا كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الا يسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى

يهود يأسجد الا على حاجبه الا يسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) الله من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذا كروا ما فيه) من الاوامر والنواهي ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما تم عليه (واذا أخذ ربك من بني آدم) أي واذا كراذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بني آدم والتقدير واذا أخذ ربك من ظهور بني آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذريتهم من ظهورهم ما خراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)

وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف منحوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلواناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم والخصب والجذب (لعلهم يرجعون) ينتهون فينبون (خلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتعريم ولم يعملوا بها (ياخذون عرض هذا الادنى) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشافي الاحكام وعلى تحريف الكلام وفي قوله هذا الادنى تخسيس (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا

قوله تعالى (وقطعناهم في الارض أمة) يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم برهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد نخاف من بعدهم خالف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلواناهم) يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبارا ومتحان (بالحسنات) يعني الخصب والعافية (والسيئات) يعني الجذب والشدّة (لعلهم يرجعون) يعني لكي يرجعوا الى طاعتهم ويتوبوا اليه قال أهل المعاني كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسدت بالنعم والشدّة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة وأما الشدّة فيخاف سوء عاقبتها فيهرب منها ﴿قوله تعالى﴾ (خلف من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعني خاف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال البيهقي في الذم

ذهب الذين يعاس في أ كذا فهم * و بقيت في خلف كجد الاجرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للردى من لقول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلوف فم الاصم والمعنى جاء من بعده هؤلاء الذين وصفناهم خاف والخلف القرن الذي يحى بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعني انتقل اليهم الكتاب عن آباءهم والمراد بالكتاب التوراة (ياخذون عرض هذا الادنى) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى أنهم كانوا ياخذون الرشافي الاحكام على تبدل الكلام وتغيره وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشيء للتافه الخسيس الخبير لان الدنيا باسرها فانية متيرة والراغب فيها أحقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوها وأخذوا الرشافي الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم اتهمهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه (ويقولون سيغفر لنا) يعني ذنوبنا فيقننوا على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني أخرجه الترمذي وقال في قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الاماني لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني وقوله تعالى (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم اذا أتاهم شيء من الدنيا أخذوه حالا كان أحرأما يمتنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستتضون قاضي الارثشي في الحكم فيقال له ما بالك ترتشي فيقول

ينهون عن سوء) عن العذاب الشديد (وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للذكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فمن الحسن نجت فرقتان وهلك فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بثيس) شديد يقال بؤس يبؤس ما إذا اشتد فهو بثيس بثس شامى يس مدنى يئس على وزن فيعل أبو بكر غير حاد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا ما نهوا عنه فلما هم كونوا قردة خاسئين) أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ قيل صار النشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويكونون ولا يتكلمون والجمهور على اتهامات بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (واذا ناذر بك) أى أعلم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أى كتب على نفسه إبسلطن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم) من ابهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى الجوس الى أن بعث محمد صلى الله

وقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا أو منزل بنا عذابه والقول الاول أصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى (فلما نسوا ما ذكرناه) أى فلما تركوا ما وعظوا به (أنجيئنا الذين ينهون عن سوء) وهم الفرقة الناهية (وأخذنا الذين ظلموا) يعنى الفرقة المعتدية المعاصية (بعذاب بثيس) أى شديد وجيع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعنى أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا وروى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول أنجيئنا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بثيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداء لك ألا تراهم قد أنكروا وكروا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيئهم لم يقل أهلكتهم قال فاعجبني قولي ورضي به وأمر لي يردن فكسا بينهم ما وقال نجت الساكتة وقال يعنى بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى (فلما عتوا ما نهوا عنه) قال ابن عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن لباة والعصيان والمعنى فلما عتوا عما نهوا يعنى عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلوا حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكله (فلما هم كونوا قردة خاسئين) يعنى صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصورهم قردة تنعوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير ففرغ من ابن شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير بقليل انهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا وقوله تعالى (واذا ناذر بك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى نأذن أذن والاذن الاعلام يعنى أعلم ر بك وقيل معناه قال ر بك وقيل حكم ر بك وقيل آلى ر بك بمعنى أقسم ر بك (ليبعثن عليهم) اللام في قوله ليعثن جواب القسم لان قوله واذا ناذر بك جار مجرى القسم لكونه جزا وجواب القسم ليعثن عليهم واختلوا في الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الدل بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود هو ويختصر وسنجر يب ومولوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمة فالزم من لم يسلم منهم الصغار والدلة والخوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة وأورد على هذا بان في آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال أهلكتهم المسامون وقتلهم جميعا فذلك هو الدلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليعثن عليهم (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص في أن العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستقرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة وأخذ الجزية منهم فاذا أفضوا الى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى (ان ر بك لسريع العقاب) يعنى لمن أقام على الكفر ففيه دلائل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وانه لغفور رحيم) يعنى لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام

(اذيعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجرب بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من (١٥١) بدل الاشتغال (اذ تأتيتهم) منصوب بيعدن

أو بدل بعد بدل
(حيثانهم) جمع حوت
أبدلت الواو ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها (يوم
سبتهم شرعا) ظاهرة على
وجه الماء جمع شارع حال
من الحيتان والسبت
مصدر سبت اليهود اذا
عظمت سبتها بترك الصيد
والاشتغال بالتعبد والمعنى
اذ يعدون في تعظيم هذا
اليوم وكذا قوله يوم
سبتهم معناه يوم تعظيمهم
أمر السبت ويدل عليه
(ويوم لا يسبتون
لأتأتيتهم) ويوم ظرف
للأتأتيتهم) كذلك نبأهم
بما كانوا يفسقون) مثل
ذلك البلاء الشديد
نبأهم بفسقهم (واذ
قالت) معطوف على اذ
يعدون وحكمه حكمه في
الاعراب (أمة منهم)
جماعة من صلحاء القرية
الذين أيسوا من وعظهم
بعد ما ركبوا الصعب
والذل في موعظتهم
لآخرين لا يقلعون عن
وعظهم (لم تعظون قوما
الله مهلكهم أو معذبهم
عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك
لعلمهم ان الوعظ لا ينفع
فيهم (قالوا معذرة الى ربكم)
أي موعظتنا بالبلاء عذرا الى

بهذه القصة مجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الاولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوا قرده وخنزير واختلقوا في هذه القرية فقال ابن عباس ٢ هي قرية بين مصر والمدينة والغرب وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي ما بين مدين وعيوني يعني القرية التي كانت على ساحل البحر وقرية منه (اذ يعدون في السبت) يعني يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك (اذ تأتيتهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا) يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيتهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأتيتهم يوم السبت مثل السكبش البيض السماء (ويوم لا يسبتون لأتأتيتهم) يعني الحيتان (كذلك نبأهم) يعني مثل هذا الاختبار الشديد تختبرهم ونحن أعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخرجهم عن طاعة الله وما أمره به قال أهل التفسير ان اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو أن الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تزل في السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتهم عن الاخذ فاختدوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم أتتهم تجردا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا باعوا وصار أهل القرية أخرايا ثلاثة وكانوا نحو من سبعين ألفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهيين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وأكلوا باعوا فلما لم ينهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لانسأ كنكم في قرية واحدة فقسموها القرية بينهم بحدار للناهيين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب وانهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لشأننا لعل الخرقه غلبتهم ففعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخوا قرده ففتحو عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القرده يعرفون أنسابهم من الناس ولم يعرف الناس أنسابهم من القرده فعملت القرده تأتي أنسابهم من الناس فنسب ثيابها فيقول لهم أهلوهم ألم تنهكم فتقول القرده برأسها نعم فنجبا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم) واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان أهل القرية افترقوا ثلاث فرق فاعتدت وأصاب الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة أمسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهيين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعني انهم لا موهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير متعظين ولا منجزين فقالت الفرقة الناهية للذين لا موهم معذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فوعظتنا اهملوا عذرنا عند الله (واعلمهم يتقون) أي وجائز عندنا أن يتقوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انهم اقبل أن ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنهوا عما أتم فيه

الله لئلا ينسب في النهي عن المسكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفهول له أي وعظناهم للمعذرة (واعلمهم يتقون) واطمعنا في أن يتقوا ٢ (قوله هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب) في نسخة هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري الخ اه

(وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه (وأزلنا) (عليهم المن والسوى) وقلنا لهم (كأولئك طيبات مارزقنا كم وما ظلمونا) أي وما رجع اليها ضرر ظلمهم (١٥٠) بكفر انهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع

وبال ظلمهم اليهم) (واذ قيل لهم) (واذ كراذ قيل لهم) (اسكنوا هذه القرية) (بيت المقدس) (وكلاهما) (حيث شئتم) (وقولوا حطة) (وادخلوا الباب سجدا) (نغفر لكم خطاياكم) (تغفر لكم مدني وشامي) (خطيئاتكم مدني خطاياكم) (أبو عمر وخطيئتمكم شامي) (سنزبد المحسنين فبدل) (الذين ظلموا منهم قولوا غير) (الذي قيل لهم) (فارسنا) (عليهم رجز من السماء) (بما كانوا يظلمون) (ولاننا قض بين قـ وـ له) (اسكنوا هذه القرية وكلاهما) (منها في هذه السورة بين) (قوله في سورة البقرة) (ادخلوا هذه القرية) (فكلوا الموجود الدخول) (والسكنى وسواء قدموا) (الحطه على دخول الباب) (أو أخروها فهم جامعون) (بينهما وترك ذكر الرعد) (لانيقض اثباته وقوله) (نغفر لكم خطاياكم سنزبد) (المحسنين موعده بشيئين) (بالغفران وبالزيادة وطرح) (الاول لا يخل بذلك لانه) (استثناف مرتب على قول) (القائل وماذا بعد الغفران) (فقل له سنزبد المحسنين) (وكذلك زيادة منهم

يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقبهم حر الشمس (وأزلنا) (عليهم المن) هو الترنجيبين (والسوى) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كأولئك طيبات مارزقنا كم) أي وقلنا كلا (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلاً من طيبات مارزقنا كم فاجوا ذلك وشموه وقالوا لنصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكاف اذا أمر بشي فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهم اقال وما ظلمونا يعني وما أدخلوا علينا في ما كنا ولسطاننا نقصا بمسئلتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني مع الخلفهم ما أمر وابه وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى (واذ قيل لهم) يعني واذا كر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني ابني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكلاهما منها حيث شئتم) يعني وكلاهما من ثمار القرية وزروعها وحبوها وبقولها حيث شئتم وأين شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهذا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للدخول فكلوا بالفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصل امتني شأوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول اذ لا يكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظه رغدا هنا بخلافه هنا (وقولوا حطة) أي حط عند انوبنا (وادخلوا الباب سجدا) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم أمر الله واطهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (نغفر لكم خطيئاتكم) يعني نغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة اذا أتوا بالدعاء والتضرع (سنزبد المحسنين) وقال في سورة البقرة وسنزيده بالواو ومعناه أنه قد وعد المسبيين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى لانه استثناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقل له سنزبد المحسنين (فبدل الذين ظلموا منهم قولوا غير الذي قيل لهم) يعني فغير الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة أمرنا من بني اسرائيل فقالوا قولوا غير الذي قيل لهم وأمر وابه وذلك انهم أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حطة في شعيرة فكان ذلك تبديلا لهم وتغييرهم (فارسنا عليهم رجز من السماء) يعني بعنا عليهم عذابا من السماء أهلكتهم ولا منافاة بين قوله تعالى هذا أرسلناو بين قوله في سورة البقرة أنزلنا لانهما لا يكونان الا من أعلى الى أسفل وقيل بينهما فرق وهو أن الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكأنه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا (بما كانوا يظلمون) يعني أن ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما أنهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضا في تفسير سورة البقرة وقوله عز وجل (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توخي ويخبرهم عن حال أهل القرية لانهم كانوا يفسقون بالفساد والفساد هو الكفر والكفر هو المعصي قديما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومجزاته ليس شيئا قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصله لاسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار

بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعنى واقبلوا به أيها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة فى الافعال أما المتابعة فى الاقوال فبان بمتثل التابع جميع أماره المتبوع على طريق الامر والنهى والترغيب والترهيب وأما المتابعة فى الافعال فبان يقتدى به فى جميع أفعاله وآدابه الاما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه ﴿وقوله تعالى﴾ (اعلمكم تهتدون) يعنى لى تهتدوا وترشدوا وتصبوا الحق والصواب فى متابعتكم اياه ﴿وقوله عز وجل﴾ (ومن قوم موسى) يعنى من بنى اسرائيل (أمة) أى جماعة (يهدون بالحق) يعنى يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه (وبه يعدلون) يعنى وبالحق يحكمون وبالعدل يخذلون ويعطون ويتصفون واختلفوا فى هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بنى اسرائيل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعتضدوا على هذا بانهم كانوا قليلا من لفظ الامة يقتضى الكثرة وأجيب عنه بانهم لما كانوا مختصين فى الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كفى قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذى جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدى وابن جرير وجاعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسالمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا فى السرب سنة ونصف اراه الطبرى وحكى البغوى عن السكبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خاف الصين باقصى الشرق على نهر يسمى نهر الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يعطرون بالليل ويصحنون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم أحد منا ولا يصل اليهم على الحق وذلك اننا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أو صانا أن من أدرك منكم أحد فليقرأ منى عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يستنون فامرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان أحدنا لا يصل اليهم واذا كان كذلك فن ذا الذى أوصل خبرهم اليه الوجه الثانى قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص فى ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح فى حديث المعراج أنه سلم عليه فى السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالتحتمل فى تفسير هذه الآية أنها اما أن تكون نزلت فى قوم كانوا متسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما أن تكون قد نزلت فى من أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم بمراده ﴿وقوله تعالى﴾ (وقطعناهم) يعنى وفرقنا بنى اسرائيل (اثنتى عشرة أسباطا) يعنى من أولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل وأولاده الأسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أما) يعنى جماعات وقبائل (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) يعنى فى التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانجست) يعنى فأنفجرت وقيل عرفت وهو الانجاس (منه) أى من الحجر (اثنتا عشرة عينا) يعنى لكل سبط عين (قد علم كل أناس مشر بهم)

عليه ولد فى الالتفات من منزلة البلاغة وليعلم ان الذى وجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كانوا من كان أنا أو غيرى اظهار النصفة ونفاذا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أى يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذى هم عليه (وبه يعدلون) وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجوزون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام واضرا به (وقطعناهم) وصبرناهم قطعنا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثنتى عشرة أسباطا) كقولك اثنتى عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام نعم يميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغى أن يقال اثنتى عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أما) بدل من اثنتى

عشرة أى وقطعناهم أما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ماتوهم الاخرى (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فأنفجرت (منه) اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشر بهم (هو اسم جمع غير تكسير

شرع الديّة وقرض موضع
النجاسة من الجلد
والثوب واحراق الغنائم
وظهور الذنوب على أبواب
البيوت وشبهت بالغل لازومها
لزوم الغل (فالذين آمنوا به)
بمحمد صلى الله عليه وسلم
(وعزروه) وعظه موه أو
منعوه من العدو وحتى لا
يقوى عليه عدو وأصل
العز المنع ومنه التعزير
لانه منع عن معاودة
القبح كالحمد فهو المنع
(ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل معه) أي القرآن
ومع متعاقب باتبعوا أي
واتبعوا القرآن المنزل مع
اتباع النبي والعمل بسنته
(أولئك هم المفلحون)
الفائزون بكل حبيب
والناجون من كل شر (قل
يأيها الناس اني رسول الله
اليكم) بعث كل رسول الى
قومه خاصة وبعث محمد
صلى الله عليه وسلم الى كافة
الانس وكافة الجن (جميعا)
حال من اليكم (الذي له
ملك السموات والارض)
في محل النصب باضمار أعني
وهو نصب على المدح (لا
اله الا هو) بدل من الصلة
وهي له ملك السموات
والارض وكذلك (بحجي
ويعيت) وفي لاله الا هو
بيان للجملة قبلها لان من

أن يعموا بما في التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التي كانت عليهم) يعني ويضع الاتقال
والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الديّة وترك العمل
في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتنبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت
على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت
بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت
عنه وكانت هذه الاتقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك
كاه وبدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) يعني بمحمد
عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقروه وعظه وه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله
عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على أعدائه (واتبعوا النور الذي
أنزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلوب المؤمنين فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة
الى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية ﴿قوله تعالى﴾ (قل يأيها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم
جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دلائل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يأيها الناس خطاب
عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه
مبعوثا الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد
قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أمة وأصولاً واحدة لم تحل لأحد قبلي
وجعلت لي الارض طيبة وطهوراً ومسجداً فإيما رجل أدر كنه الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على
العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فإيما رجل من أمتي أدر كنه الصلاة فليصل
وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى
الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أمة وأصولاً واحدة بالاجم وبالاصول والعرب
وقيل أراد بالاجم الانس وبالاصول الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من
الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة
أعطيت جوامع الكلام ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً وأرسلت الى
الخلق كافة وختم بي النبيون ﴿قوله تعالى﴾ (الذي له ملك السموات والارض) لما أمر الله عز وجل رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً أرفده بما يدل على صحة دعواه يعني أن
الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما وملك أمرهما هو الذي أرسلني اليكم وأمرني بان أقول لكم
اني رسول الله اليكم جميعاً (لا اله الا هو يحيي ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وأنه لا شريك له فيها وأنه القادر
على احياء خلقه واماتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله)
لما أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعاً أمر الله جميع خلقه
بالايمان به ورسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلهذا ابدأ بالايمان بالله ثم ثنى
بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى (النبي الامي) تقدم معناهما (الذي يؤمن
بالله وكلامه) قال قتادة يعني آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدي أراد بكلمانه عيسى بن مريم لانه خلق

ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي بحجي ويعيت بيان لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والامانة غيره بقوله
(فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته) أي الكتب المنزلة

وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم لم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامى هو الذى على صفة أمة العرب لان العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال النبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلماذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وضح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذى أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل إنه لو كان يحسن الكتابة ثم أنه أتى بهذا القرآن العظيم لكان منهم ما فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمعجزات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم أنه أتى بهذه الشريعة الشريفة والأدب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامى الذى هو منسوب الى أمة كأنه لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمي أميا لانه منسوب الى أم القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يعنى يجدون صفته وفتته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماءهم وأخبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل أنه موصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يأياها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحزرا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسينة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعين عمييا وأذنا صما وقلوبا غلفا

✽ شرح غريب ألفاظ الحديث ✽

(يا أمرهم بالمعروف) بخلع الانداد وانصاف العباد (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعه الارحام (ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب فى الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل غير الله به أو ما خبث فى الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم) هو الثقل الذى ياصر صاحبه أى يحبس عنه الحراك لثقله والمراد التكليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم

الفظ السيء الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كأنه فى غلاف وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار قال أتى أجدى التوراة مكتوبا بمحمد رسول الله لافظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسينة ولكن يعفوا ويصفح أمته الحامدون ويحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على أنصافهم ويغضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء منادىهم بنادى فى جوار السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى التحلل مولده بمكة ومهاجرة بطيبة وملكه بالشام وقوله تعالى (يا أمرهم بالمعروف) يعنى بالايمان وتوحيد الله (وينهاهم عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يا أمرهم بالمعروف بخلع الانداد وبكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاولين وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعنى بذلك ما كان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم فى الجاهلية من البجائر والسواب والوصائل والحوامى وقيل هى المستلذات التى تستطيعها النفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الميتة والهلم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستهزئه النفس فان الاصل فى المضار الحرمه الاماله دليل متصل بالحلل (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقاهم وأصل الاصر الثقل الذى ياصر صاحبه أى يحبس عنه الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى أخذ على بنى اسرائيل

إليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل اليهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعني قال الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام (عذابي أصيب به من أشاء) يعني من خاقي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحتى وسعت كل شيء) يعني ان رحمة سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام أريد به الخاص فرحة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل هي للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر برزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحتى وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشيء فنزعها الله تعالى من ابليس فقال تعالى (فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فابس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتق ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود وأثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين يتقون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الأرض مسجدا واطهروا تصلون حيث أدركتكم الصلاة الا عند مرحاض أو حمام أو قبر واجعل السكنية في قلوبكم واجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد أن نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حل السكنية في قلوبنا ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد أن نقرأها الا نقرأها الانظر اقال الله تعالى فسأ كتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن ندركهم قال موسى يارب أتينك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى أمال التفسير بقوله الذين يتقون يعني الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها والاحترار عنها ولا يقر بها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثاني الافعال المأمور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية فالهيا الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت في حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالإيمان والمعرفة واليهما الاشارة بقوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴿١﴾ وقوله عز وجل (الذين يتقون الرسول النبي الامي الذي يحدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) ذكر الامام غفر الدين الرازي في معنى هذه التبعة وجهين أحدهما أن المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا وصفته في التوراة اذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يبعث الى الخلق وفي قوله والانجيل أن المراد وسجده مكتوباً في الانجيل لان من المحال أن يحدوه فيه قبل ما نزل الله الانجيل الوجه الثاني أن المراد من الحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول أقرب لان اتباعه قبل أن يبعث لا يمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحلة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتقون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع أمة الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك بدل على انه رفيع الدرجات عند الله المخبر عنه ثم

(قال عذابي) من صفته اني (أصيب به من أشاء) أي لا أعفو عنه (ورحتى وسعت كل شيء) أي من صفة رحمتي أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر الا وعليه أثر رحمتي في الدنيا (فسأ كتبها) أي هذه الرحمة (للذين يتقون) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكاة) المفروضة (والذين هم بآياتنا) بجميع كتبنا (يؤمنون) لا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحى اليه كتابا يختص به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الامي الذي يحدونه) أي يحدونه أولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل (مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل)

(فلما أخذتهم الرجفة)
الزلزلة الشديدة (قال رب
لو شئت أهلكتهم من
قبل) بما كان منهم من
عبادة الجبل (واباى)
لقتلى القبطى (أنه لكانا
بما فعل السفهاء منا)
أنه لكانا عقوبة بما فعل
الجهال منا وهم أصحاب
الجبل (إنه لافتنك)
ابتلاؤك وهو راجع الى
قوله انافدفتنا قومك من
بعدك فقال موسى هي
تلك الفتنة التى أخبرتنى
بها وهى ابتلاء الله تعالى
عباده بما شاء ونبلوكم
بالشر والخير فتنة (تفضل
بها) بالفتنة (من تشاء) من
علمت منهم اختيار الضلالة
(وتهدى) بها (من تشاء)
من علمت منهم اختيار
الهدى (أنت ولينا) مولانا
القائم بأمورنا (فاغفر لنا
وارحنا) وأنت خير الغافر بن
واكتب لنا) وأثبت لنا
وأقسم (فى هذه الدنيا
حسنة) عافية وحياة طيبة
أوتوفيقاى الطاعة (وفى
الآخرة) الجنة (انا هدنا
اليك) تبنا اليك وهاد
اليك يهودا ذار جع وتاب
والهود جمع هائد وهو
التائب

بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختروا سبعين رجلا فلما اتهموا اليه قالوا يا هرون من قتلك
قال ما قتلتى أحدا ولكن الله توفانى فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يجمع يميناً وشمالاً ويقول رب لو شئت
أهلكهم من قبل واباى الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة الجبل
لأنهم كانوا من عبدة قال ابن عباس انما تنازلهم الرجفة لأنهم لم يزالوا القوم حين نصبوا الجبل وما كرهوا
أن يجامعهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله أماتهم ثم أحياهم. وقال مجاهد واختار موسى قومه
سبعين رجلا ليقتلوا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله
ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال
محمد بن كعب القرظى لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوا عن المنكر ولم يأمرهم بالمعروف فاخذتهم
الرجفة فماتوا ثم أحياهم الله ﷻ وقوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة) أصل الرجف الاضطراب الشديد الذى
يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا فى تلك الرجفة التى حصلت لهؤلاء هل كان معهم موت أم لا فعظم
الروايات التى تقدمت أنهم ماتوا بسبب تلك الرجفة. وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن
القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجعوا حتى كادت أن تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك
رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقد هم وكانوا له وزرا على الخير ساء لهم له مطيعين فعند ذلك دعا
موسى وبكى وناشده به فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما
أخذتهم الرجفة (قال) يعنى موسى (رب) أى يارب (لو شئت أهلكتهم من قبل) يعنى من قبل عبادتهم
الجبل (واباى) وذلك أنه خاف أن يهيم بنو اسرائيل على السبعين اذ رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه
بانهم ماتوا فقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل يعنى قبل خروجهم الى الميقات واباى معهم فكان بنو اسرائيل
يعانيون ذلك ولا يهتمون (أنه لكانا بما فعل السفهاء منا) قال الفراء ظن موسى أنهم أهلكوا باختيار أصحاب
الجبل فقال أنه لكانا بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة الجبل وانما أهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهى
قولهم أرنا الله جهرة وهذا قول السكبي وجاعة وقال جماعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى أن الله
تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله أنه لكانا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الحمد أى لست تفعل
ذلك وهذا قول ابن الانبارى وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أى لانه لكانا (إنه لافتنك) قال
الواحدى السكبية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا يزيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء
لم تكن لافتنك أى اختبارك وابتلاءك وهذا كيد لقوله أنه لكانا بما فعل السفهاء منا لان معناه
لانه لكانا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء أضلت بها قومنا فافتقدوا هديت قوما فقصمتهم
حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بهما من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدى وهذه الآية
من الحجج الظاهرة على القدرة التى لا يبق لهم معها عذر (أنت ولينا) يعنى أنت يارب بنانا صرنا وحافظنا وهذا
يفيد الحصر أى لاولى لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت (فاغفر لنا) سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه
ولقومه الغفران أما لنفسه فاقوله ان هى لافتنك وهذا فيه اقدم على الحضرة المقدسة وأما لقومه فلقوله
أرنا الله جهرة وفى هذا اقدم على الحضرة المقدسة فلماذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له
ولقومه (وارحنا) أى واشملنا برحمتك التى وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) يعنى ان كل من سواك انما
يغفر الذنوب طلبا للثناء الجميل أو لدفع ضرر أو أمأنت يارب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض
بل لمحض الفضل والكرام فان خير الغافرين ﷻ قوله تعالى (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة)
يعنى قال موسى فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة أى واجعل لنا من كتبت له حسنة وهى ثواب الاعمال
الصالحة وفى الآخرة أى واكتب لنا فى الآخرة مغفرة لذنوبنا (انا هدنا اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا

شيء (وفي نسختها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت ما في الأصل الى الفرع فعلى هذا قيل أراد بها الألواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل أراد بها النسخة المكتوبة من الألواح التي أخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما ألقى موسى الألواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الأولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينها بعد ما ألقاها ليكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها (هدى ورجة) قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورجة من العذاب (للذين هم لهم ربهون) يعني للخائفين من ربه ﴿قوله عز وجل﴾ (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افعال من لفظ الخيار يقال اختار الشيء اذا أخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه خذف كلمة من وذلك سائق في العربية للدلالة الكلام عليه قال أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا ثنتين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلا نقتلوا فقال لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقه يوشع بن نون وكاب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاجى الله اليه أن يختار من الشباب عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخا فأمروهم أن يصوموا ويظهروا ويظهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسأل فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء خدمه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى بأمره وينهاه ففعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي المرام من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتدرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختر موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتدروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهره فانك قد كلمته فارنا فخذتهم الصاعقة فأتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول ابني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكك خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخبير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وظهروا واثابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكرى حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطلب لنا سمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضربه دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى بأمره وينهاه ففعل كذا لا تفعل فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فأتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختر سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا بهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم نعطه أحد اقبلنا ولا نعطه أحد ابعدنا فذكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقيل انما أخذتهم الرجفة من أجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هرون قال علي بن أبي طالب اطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سريره فوافاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له انت قتلت هرون حسدا تنال على خلقه واياه وكان هرون حسن الخلق محببا في

التي ألقاها (وفي نسختها) وفيما نسخ منها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هدى ورجه للذين هم لهم ربهون) دخات اللام لتقديم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (واختار موسى قومه) أي من قومه لخدمته الجار وأصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلا نقتل فقه يوشع وكاب بن يوقنا (لميقاتنا) لا اعتذارهم عن عبادة العجل

من ربه وذلة في الحياة الدنيا) يعني سينالهم عقوبة من ربه وهو ان يسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للفسرين في هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باثروا عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهو أن أولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما أمر الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعترا فهم على أنفسهم بالضلال والخطأ فان قتل السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربه وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جرير في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأباؤهم هم الذين عبدوا العجل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقيل عطية العوفى سينال أولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاول ان العرب تعير الابناء بقبح أفعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلمتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من آبائهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربه في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا لوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباثروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه ﴿﴾ وقوله تعالى (وكذلك نجزي المقتربين) يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها نجزي كل من افترى على الله كذبا وعبد غيره وقال أبو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من مبتدع الا هو يجذف فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مفتر في دين الله (والذين عملوا السيئات) يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فسادونه (ثم تابوا من بعده) يعني ثم رجعوا الى الله من بعد عما لهم السيئة (وآمنوا) يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب (ان ربك) يا حمداً ويا أيها الانسان التائب (من بعدها) يعني من بعد توبتهم (اغفور رحيم) يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات باثروا غيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضلها ورحمته وتقدير الآية ان من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله وأخلص التوبة فإن الله يغفرها له ويتقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للذين التائبين ﴿﴾ قوله تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب) يعني سكن لان السكوت أصله الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتسكاه السكته لما كان بغو ربه داعي ما في نفس الم غضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلماً به وقيل معناه ولما سكنت موسى عن الغضب فهو من القلوب كما تقول أدخات القاموسة في رأسى والمعنى أدخات رأسى في القاموسة والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير (أخذ الاواح) يعني التي ألقاها قال الامام غفر الدين وظاهر هذا يدل على ان الاواح لم تنكسر ولم يرفع من التوراة

من ربه) هو أمر وابه من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحياة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالعبرة نذلة الاعناق أو ضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزي المقتربين) الكاذبين على الله ولا فرجة أعظم من قول السامري هذا الحكم واله موسى (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الإيمان (ان ربك من بعدها) أي السيئات أو التوبة (اغفور) استور عليهم محاملاً كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل وغيرهم عظم جنايتهم أو لا ثم أردفها بعظم رحمة الله اعلم أن الذنوب وان عظمت فغفوه أعظم ولما كان الغضب لشده كان شوا الأمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكنت عن موسى الغضب) وقال الزجاج معناه سكن وقرئ به (أخذ الاواح)

والمخصوص بالذي محذوف اسمه من خلافة خلفه ونحوه من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خالفتكم من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه ومن مما كنت أحل بنى اسرائيل على التوحيد وكفهم عن عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما طمأنتهم من حق الخلفاء أن يسيروا (١٤٢) بسيرة المستخاف (أعجلتم) أسبقتم بعبادة العجل (أمرر بكم) وهو آتياى لكم

بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طاب النسي قبل حينه وقيل عجالتهم بمعنى تركتم (وألقى الألواح) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضب الله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بنى اسرائيل من موسى فمكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقى سبع واحد وكان فيمبارفع تفصيل كل شئ وفيما بقي هدى ورجة (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يجره إليه) عتابا عليه لاهوانابه وهو حال من موسى (قال ابن أم) بنى الان مع الام على الفتح خمسة عشر وبكسر الميم حزة وعلى وشامى لان أصله أسمى مخذف الياء اجتزأ عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى) أى انى لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم

أى نفس الفاعل فعلتم بعد فراقى اياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عبدة العجل من السامري وأتباعه أو هرون والمؤمنين من بنى اسرائيل فعلى الاحتمال الاول فى انه خطاب عبدة العجل يكون المعنى بسما خالفتكم منى حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثانى وهو أن يكون الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بسما خالفتكم منى حيث لم تمنعهم من عبادة غير الله تعالى وقد رأيتم منى الامر بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له ونفى الشركاء عنه وحل بنى اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفهم وقوله (أعجلتم أمرر بكم) معنى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشئ فى أول وقته وانما قيل أن يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الآية أعجلتم ميعادكم بكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلتم وعدكم بكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك انهم قد بدروا انه ان لم يأت على رأس الثلاثين فقد دامت وقيل معناه أعجلتم سخطكم بكم بعبادة العجل وقال الكلبى معناه أعجلتم بعبادة العجل قبل أن ياتى بكم أمرر بكم * ولما ذكر الله تعالى أن موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى (وألقى الألواح) يعنى التى فيها التوراة وكان حاملا لها فلقاها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى أن الله تعالى أخبر موسى عليه الصلاة والسلام بقتله قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعابن ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كما يابنه (وأخذ برأس أخيه) يجره إليه قيل انه أخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمى على المعصية كبر ذلك واستعظمه فاقبل على أخيه هرون بلومه ومد يده الى رأسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون عليه السلام انه انما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعنى هرون (ابن أم) انما قال هرون لموسى ابن أم وان كانا لآب وأم ليرققه ويستعطفه عليه (ان القوم) يعنى الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أى استذلوني وقهرونى (وكادوا يقتلونى) أى وقاربوا أو هموا أن يقتلونى (فلا تسمت بى الاعداء) أصل السمات الفرح ببلىة من تعاديه ويعاديك يقال سميت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال منى من مكروه (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) يعنى الذين عبدوا العجل (قال رب اغفرلى) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يبين له عذرا أخيه هرون قال رب اغفرلى ما صنعت الى أخى هرون يريد ما أظهر من المودة عليه فى وقت الغضب (ولاخى) يعنى واغفر لآخى هرون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة العجل (وأدخلنا) يعنى جميعا (فى رحمتك) يعنى فى سعة رحمتك (وأنت أرحم الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته (ان الذين اتخذوا العجل) يعنى الها عبدوه من دون الله (سينالهم غضب

من استضعفوني وهو وابقتلى (فلا تسمت بى لاعداء) الذين عبدوا العجل أى لا تفعل بى ما هو أمانيتم من الاستهانة بى والاساءة الى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى قريبناهم بغضبك على فلما انضح له عذرا أخيه (قال رب اغفرلى ولاخى) ليرضى أخاه وبنى السمات عنه باشرا كه مع فى الدعاء والمعنى اغفرلى ما فرط منى فى حق أخى ولاخى ان كان فرط فى حسن الخلافة (وأدخلنا فى رحمتك) عصمتك فى الدنيا وجنتك فى الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) الها سينالهم غضب

(عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أى بدنا ذالحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثانى محذوف أى الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (ألم يروا) حين اتخذوه الها (انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لفد البحر قبل أن تنفذ (١٤١) كآماته وهو الذى هدا الخلق

الى سبيل الحق بما
أركز في العقول من الادلة
وبما أنزل في الكتب ثم
ابتدا فقال (اتخذوه) الها
فأقدموا على هذا الامر
المسكر (وكانوا ظالمين واما
سقط في أيديهم) ولما اشتد
ندمهم على عبادة العجل
وأصله أن من اشتد ندمه
أن بعض يده غماقتصير
يده مسقوطا فيها لان فاء
وقع فيها وسقط مسندالى
في أيديهم -م وهو من باب
الكنية وقال الزجاج معناه
سقط الندم في أيديهم أى
في قلوبهم وأنفسهم كما يقال
حصل في يده مكره وان
استحال أن يكون في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب
وفي النفس بما يحصل في
اليد ويرى بالعين (ورأوا
انهم قد ضلوا) وتبينوا
ضلالهم تبينا كأنهم
أبصروه بعيونهم (قالوا لئن
لم يرجعنا ربنا وغفر لنا
لم يرجعنا ربنا وغفر لنا
وعلى واتصا ربنا على
النداء (انك كون من
الخاسرين) المغبونين في
الدنيا والآخرة (ولما
رجع موسى) من

فبقى الحلى ابني اسرائيل ملكا لهم فاندلك قال الله تعالى من حابهم فلما أبطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك
الحلى وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فاندلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل
الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم أجمعوا عليه وكان السامري رجلا صاعقا فصاغ لهم (عجلا جسدا)
يعنى من ذلك الحلى وهو الذهب والفضة وأتى في ذلك العجل من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحوّل
عجلا جسدا لما دما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجهه وأهل
التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيق الريح
وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه أنابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب
فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول أصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه
كان يخور كثيرا وكما خار سجدوا له واذا سكّت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك
وقال السدي كان يخور ويمشي (ألم يروا) يعنى الذين عبدوا العجل وقيل أن بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل
الا هرون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان
بعضهم عبدوا العجل وهو الصحيح وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله ألم
يروا (انه) يعنى العجل الذى عبدوه (لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) يعنى ان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم
بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جادا أو حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا
التقديرين لا يصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعنى لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى
الذى يضرون وينفعوا واشتغلوا بعبادة العجل الذى لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله
عز وجل (ولما سقط في أيديهم) يعنى ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر سقط
في يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على أمر ان بعض على يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة
لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل (ورأوا أنهم قد ضلوا) يعنى وتيقنوا انهم على الضلالة في
عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرجعنا ربنا وغفر لنا) يعنى يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين)
يعنى الذين خسروا أنفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه
من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على أنفسهم بالخسران ان لم
يغفر لهم ر - م ويرجعهم - م كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة
والسلام اليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا) يعنى ولما رجع موسى عليه الصلاة
والسلام من مناجاة ربه الى قومه في بني اسرائيل رجع غضبان أسفا لان الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن
قومه وان السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الاسف أشد
الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف الحزن قال الواحدى والقولان متقاربان لان
الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره من هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكره من هو
فوقك خرت فتسمى احدي هاتين الحالتين حزنا والآخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة
والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل أسفا حزين لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد أعلمه
بذلك فحزن لاجل ذلك (قال) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام لقومه (بشما خلفتموني من بعدى)

الطور (الى قومه) بنى اسرائيل (غضببان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا أى حزينا (قال بشما خلفتموني) فتم مقامي
وكنتم خلفائي (من بعدى) والخطاب لعبدة العجل من السامري وأشياعه وأهلهم ومن معه من المؤمنين وبدل عليه قوله خلفني في
قومي والمعنى بشما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله وأحيث لم تأنفوا عن عبادة غير الله وفاعل بشس مضمير يفسره ما خلفتموني

(سأرىكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل عاد وثمود والقرن المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبر وافلاتفسه قوامثل
فسههم فينكل بكم مثل سكاظم أوجههم (سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أي الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون
حكمة القرآن (الذين يتكبرون) (١٤٠) يتناولون عن قبول الحق وحقيقته التكف للكبريات التي اختصت بالبارى عزت

قدرته (في الأرض بغير
الحق) هو حال أي يتكبرون
غير محققين لأن التكبر
بالحق لله وحده (وان يروا
كل آية) من الآيات المنزلة
عليهم (لا يؤمنوا بها وان
يروا سبيل الرشـد) طريق
صلاح الامر أو طريق
الهدى الرشـد حزة وعلى
وهما كالسقم والسقم
(لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل النـي) الضلال
(يتخذوه سبيلا) ومحل
(ذلك) الرفع أي ذلك
الصرف (بانهم كذبوا
بآياتنا) بسبب تكذيبهم
(وكانوا عنها غافلين) غفلة
عناد واعراض لا غفلة سهو
وجهل (والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة)
هو من اضافة المصدر الى
المفعول به أي ولقاءهم
الآخرة ومشاهدتهم
أحوالها (حبطت أعمالهم)
خبر والذين (هل يجزون
الاما كانوا يعملون) وهو
تكذيب الاحوال بتكذيب
الارسال (وانخذ قوم
موسى من بعده) من بعد
ذهابه الى الطـور (من
حلبهم) وانما نسب اليهم

وكالاتصار حسن والصبر أحسن منه فامروا أن ياخذوا بالاشـد على أنفسهم ليكون ذلك أعظم في الثواب
فهو كقوله اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل ان
الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشـد والاشق على النفس وقيل معناه
باحسنها بحسنها وكأها حسن وقوله تعالى (سأرىكم دار الفاسقين) قال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة
وقال الحسن وعطاءير يدجهم يحذركم أن تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فاربكم منازل القرون
الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال
السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرن الذين هلكوا فـ كانوا يرون عليها
اذا سافروا وقوله عز وجل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال ابن عباس
يريد الذين يتجبرون على عبادي وبحارون أوليائي سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا
بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم
عن التفكير في خلق السموات والأرض وما فيها من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد
بالآيات الآيات التسع التي أعطها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثر من على ان الآية عامة
وفيه دليل للذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول
الحق من يشاء ويوفق بالتفكير في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يستل عما يفعل وهم
يستلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون أنهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر
على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في
حق الله عز وجل صفة مدح وفي حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار
كبر النفس على غير هافه صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر أي يفتعلون
التكبر ويرون أنهم أفضل من غيرهم فلذلك قال يتكبرون في لارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشـد) يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب (لا يتخذوه
سبيلا) يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية (وان يروا سبيل النـي) يعني طريق الضلال
(يتخذوه سبيلا) ذلك بانهم كذبوا بآياتنا) يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشـد واتباع النـي
بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده (وكانوا عنها غافلين) يعني عن التفكير فيها والاعتاظ بها
(والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت
أعمالهم) يعني بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بآيات الله من يعمل البر
والاحسان والخير فيبين الله تعالى به هذه الآية ان ذلك ليس بنفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله
وانكارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون الاما كانوا يعملون) يعني هل يجزون في العقبي الاجزاء
العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا وقوله تعالى (وانخذ قوم موسى من بعده) يعني من بعد اطلاق موسى
الى الجبل لما جارة به عز وجل (من حلبهم) يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل
كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقى عندهم الى أن اهلك الله فرعون وقومه

مع انها كانت عواري في أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملاسة وفيه دليل على ان من حلف أن لا يدخل دار فلان
فدخل دار استعارها بحث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كاملا كواغيرها من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار
نوجب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاسند الفعل اليهم والحلي جمع حلي وهو اسم ما يتحسـن به من الذهب والفضة
حلبهم حزة وعلى بالانباع

انها كانت سبعة ألواح وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جعت على عادة العرب في اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهـ كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعبراً يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها او يقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية في التوراة بالف آية يعني قوله (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) يعني يحتاج اليه من أمر ونهي (موعظة) يعني نهيها عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتعذير بما يخاف عاقبته (وتفصيلاً لكل شيء) يعني وتبيننا لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهـ بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض فان كل ذلك خالق ولا تخاف باسمي كاذباً فلا أزيكه وقر والدبك وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة فقال اني أجد أمة خير الامم أخرجت للناس يا مرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقانون أهل الضلالة حتى يقانون الاعور والدجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى فقال رب اني لأجد أمة هم الحماة ورعاة الشمس المحكمون اذا أراد امرأ قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد في التوراة أمة يا كلون كفارتهم وصدقاتهم وكان الاولون بحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفعون لهم فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واذا جدد الله الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحداً منهم الامر حوماً فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبداً الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد فلما سجد موسى من الخير الذي اعطاه الله عز وجل محمد صلى الله عليه وسلم وأمنته قال يا ليتني من أصحاب محمد فإوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا ❶ وقوله تعالى (خذها بقوة) يعني وقل للموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له في الألواح من كل شيء خذها بحمد واجتهاد وقيل معناه خذها بقوة قلب وصحة عزيمته ونية صادقة لان من أخذ شيئاً بضعف نية أداه الى الفتور (وأمر قومك ياخذوا باحسنها) قال ابن عباس يحلوا حلها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة من قومه فأمرهم بما يؤمرون به وقيل ظاهر قوله وأمر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص غيره من قومه فان قلت ظاهر قوله تعالى ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به أحد فامعنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كاتقصاص حسن ولكن العفو أحسن

السلام (وكتبنا له في الألواح) الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمردوقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (من كل شيء) في محل النصب على انه مفعول كتبنا (موعظة وتفصيلاً لكل شيء) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعبراً لم يقرأها كلها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (خذها) فقلنا له خذها عطفاً على كتبنا والضمير للألواح ولكل شيء لانه في معنى الاشياء (بقوة) بحمد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل (وأمر قومك ياخذوا باحسنها) أي فيها ما هو حس وأحسن كاتقصاص والعفو والانتصار والصبر فرهم أن ياخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم

اخترتك واتخذتك صفوة واصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتماع والمعنى انى فضلتك واجتبتك على الناس وفي هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام من منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عده عليه نعمه التي انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيعن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها وهى الاصطفاء على الناس برسالاتي وبكلامي يعنى من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد شارك غيره اذ لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيا وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالاته محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الثاني ذكره الامام غفر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل اغيرة فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالاته وكلمة ليله المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد بدل عليه قوله فأوحى الى عبده ما أوحى ورفعته الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزبذ الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالاته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك انه لم يكن في ذلك الوقت أعلى منصبا ولا أشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذ كروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعنى على عالمي زمانهم وقوله تعالى (نفسا آتيتك) يعنى ما فضلتك وأكرمته به (وكن من الشاكرين) يعنى على انعمي عليك وفي القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعدما كثر به لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من الدور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت زوجته انا لم أرك منذ كلك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجمعاني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدى فان المرأة لا تخرج من زوجها ^١ قوله تعالى (وكتبنا له في الألواح) قال ابن عباس يريد الألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الألواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من صدر الجنة طول الألواح اثنا عشر ذراعا وجاء في الحديث خالق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيد وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الألواح من خشب وقال السكبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبيرة من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالزلم الذي كتب به الذكروا وابتدأ من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الألواح من زبرجدة وقال وهب أمره الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينهاه فقطعها بيده ثم شقها بأصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلية العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذى الحجة وكان طول الألواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعبا يوم عرفة فاعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا أقرب الى الصحيح واختلقوا في عدد الألواح فروى عن ابن عباس

(نفسا آتيتك) أعطيتك
من شرف النبوة والحكمة
(وكن من الشاكرين)
على النعمة في ذلك فهي
من أجل النعم قبل خر
موسى صعبا يوم عرفة
وأعطى التوراة يوم النحر
ولما كان هرون وزيرا
وتابعا لموسى فخصص
الاصطفاء بموسى عليه

للجبل) أي ظهوره بان ظهوره بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله لا شعري أنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلمه ورؤيته حتى رأى به وهذا نص في إثبات كونه مرئيا وبه - هذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم - به كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن تؤمن لك حتى نرى الله جهره فطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرى بابل اذ لو كان كما زعموا لقال أرفعهم بنظر واليك ثم يقول له ان يروني (١٣٧) ولا نهالو لم تكن جائزة لما أخر

موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان برد عليهم وقت قرع كلام سمعهم لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره للتقريره ألا ترى أنهم لما قالوا له اجعل لنا الها كلهم آلهة لم يعملهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم نجعلون (جعل له دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير والدق والدك اخوان دكاء جزء وعلى أي مستوية بالارض لأكمة فيها وناقة دكاء لاسنام لها (وخر موسى صعقا) حال أي سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لاتعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله أرني أنظر اليك أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كاني أنظر اليك لن تراني لن تطابق معرفتي به - هذه

للجبل جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور به للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور الجبل مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلي للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلي الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضعه الالهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغیر سند وأخرجه الترمذي أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وأمسك بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى عليه السلام صعقا وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة و يروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نور اقدر درهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار ملاءا وقال السكبي جعله دكا يعني كسر اجبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة أجبل فوق ثلثة بالمدنية وهي أحد وورقان ورضوى ووقع ثلثة بمكة وهي نور ونبير وحراء وقال تعالى (وخر موسى صعقا) قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول أصح أقوله (فلما أفاق) والميت لا افاقة له انما يقال أفاق من غشيته قال السكبي صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفه وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم الذبح وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركونه ويقولون يا ابن النساء الخيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل أمر اعظما لا ينبغي له (قال سبحانك) يعني تنزهالك من النقائص كلها (تبت اليك) يعني من مسئلتى الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤالى ما ليس لى وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابار سياآت المقر بين (وأنا أول المؤمنين) يعني بانك لاترى في الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعني من بنى اسرائيل بقي في الآية سوالات الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال أرني أنظر اليك وعلى هذا يكون التقدير أرني حتى أراك والجواب عنه ان معنى قوله أرني اجعلنى متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك السؤال الثانى كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الى حتى يكون مطابقا لقوله أنظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذى لا رؤية معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وان أحد الاقوي على رؤيته تعالى الا من قواه الله تعالى بموته وتأنيده لا ترى انه لما ظهر أثر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) يعني قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ياموسى انى

الصفة ولكن انظر الى الجبل فانى أظهر له آية فان تبت الجبل لتجاليها واستقر مكانه فسوف تبت لها وتطيق - وهذا فاسد لانه قال أرني أنظر اليك ولم يقل اليها وقال ان تراني ولم يقل ان ترأيتى وكيف يكون معناه ان ترأيتى وقد أراد أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (رسالاتى) هي أسفار التوراة برساتى محجازى (وبكلامى) وبكلامي اياك

ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى عاقب رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترائي) وهو امر جائز الوجود في نفسه واذ كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام به عز وجل الرؤية أرسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى أهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثران البقر تنبع أفواهم بالتسبيح والتقدیس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم الحب بالتسبيح والتقدیس ففرغ العبد الضعيف موسى بن عمران عماري وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مشيتي فهل ينجيني مما أنا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النور لهم قصف ورصف وحب شديد وأفواهم تنبع بالتسبيح والتقدیس لهم حلب كحلب الجيش العظيم ألوانهم كاهب النار ففرغ موسى واشتد فزع وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم ألوانهم كاهب النار وسائر خلقتهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقدیس لا يقر بهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصططكت ركبته وأرعد قلبه واشتد بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بهرهم ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد خزنه وكثر بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا صبر عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضوءا من الشمس ولباسهم كاهب النار اذا سبحوها وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا أدري أنفأت مما أنا فيه أم لا ان خرجت احترقت وان أفت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قدأ وشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فامد انوار العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جيا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الآبوت فارتحل الجبل لشدة أصواتهم وان ذلك وانك كل شجرة كانت فيب وخز العبد الضعيف موسى صقاعا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جالس عليه موسى فصار عليه كهيفة اقية لا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فاما أفاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت أنه لا يراك أحد فبعيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما عظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك الملوكة والاله العظيم لا يعد لك شيء ولا يقوم لك شيء رب ثبت اليك الحمد لك لا شيء لك ما أعظمك وما أجلك يارب العالمين فذلك ﴿ قوله تعالى (فلما نحيى ربه

بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا انه لم يقل ان أرى ايكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بانه ليس بمرئي اذ الحالة حالة لحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقى على حاله (فسوف ترائي) وهو دليل لنا أيضا لانه عاقب الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعلق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كاتعلق بالمتنع يدل على امتناعه والدليل على انه يمكن قوله جده لا كما لم يقل انك وما أوجده تعالى كان جائز أن لا يوجد لولم يوجد لانه مختار في فعله ولانه تعالى آسسه عن ذلك ولا عاقبه عليه ولو كان ذلك محال لعاقبه كما عاقب نوحا عليه السلام بقوله اني أعظك أن تكون من الجاهلین حيث سأل انجاء ابنه من الفرق (فلما نحيى ربه

(ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتناه ان يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله (وكلمه به) وفي هذه الآية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلاف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه به عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الاواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساد لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لئلا كرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب الخنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله تعالى حروف واصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة لازية والمائلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليس جسم ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال أهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر ثيابه وصام ثم أتى طوره سيناء وفي القصة ان الله تعالى أنزل ظلة نغشت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه المالكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وأدنا به حتى سمع صريف الافلام على الاواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه وأسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلامه به عز وجل واشتاق الى رؤيته (قال رب أرني أنظر اليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني أنظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما حاج به من الشوق وفاض عليه من أنواع الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية نظما منه بانه تعالى يرى في الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن تراني) يعني ليس ابشر ان يراني في الدنيا ولا يطبق النظر الى في الدنيا ومن نظر الى في الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الى من أن أعيش ولا أراك وقال السدي لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام به الرؤية فقال رب أرني أنظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن تراني

فصل وقد نمسك من نفي الرؤية من أهل البدع والخرارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا لن نكون للتأييد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في أن لن نكون للتأييد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود وان يمتنوه أبدا مع انهم يمتنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله باليتها كانت القاضية فان قالوا ان معناها تكيد النفي كالاتي تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا أي لن تراني في الدنيا جميعا بين دلالات الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وأيضاً فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفاً بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية متمنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام حيث سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وأيضاً فان الله عز وجل خلق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من

يعني مكى من رؤيتك بان تتجلى لي حتى أراك أرني مكى وبكسر الراء مختلصة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كقوله (قال لن تراني)

(ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ماهم فيه) أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على بدى وفي ايفاع هؤلاء اسمالان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرها واسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعبدوهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون) أي ما عملوا من عبادة الاصنام (١٣٤) باطل مضمحل (قال غير الله أفيكم اها) أي غير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا

(وهو فضلكم على العالمين) حال أي على عالمي زمانكم (واذ أنجبناكم من آل فرعون) أنجناكم شامي (يسومونكم سوء العذاب) يبقونكم شدة العذاب من سام الساعة اذ اطلبها وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع (وفي دلائكم) أي في الانحاء وفي العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدا موسى ثلاثين ليلة) لاعطاء التوراة (وأتأمناها بعشر) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم وأنهم يكتبون من عباد الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهي ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلو في نفسه فسوكت فأسحى الله اليه أمعت أن خلو في الصائم طيب عدي من ربح المسك فأمر أن يز بدعيها عشرة

الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الهة كما لهم آلهة والذي نفسى بيده لتركبن من من كان قبلكم أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ما هم فيه) أي مهلك والتبر الاهلاك (وباطل ما كانوا يعملون) البطالان عبارة عن عدم الشيء اما بعد ذاته أو بعدم فائدتها ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر لانه عمل غير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال غير الله أفيكم اها) لما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الهة كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التجب والانسكار عليهم غير الله أفيكم اها يعني أطلب لكم وأبني لكم الهة (وهو فضلكم على العالمين) والمعنى أن الاله ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافعال وهذا هو الذي يستحق أن يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل (واذ أنجبناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك لعلكم تتقون) هذه الآية تعدد تفسيرا في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع أنه تعالى أتم عليكم هذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غير حتى تقولوا اجعل لنا الهة كما لهم آلهة قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يعني وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لئلا يجأتنا ثلاثين ليلة وهي ذى القعدة (وأتأمناها بعشر) يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأثمهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده به بنو اسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فأمعت أنكر خلو في نفسه فسوكت فأسحى الله بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلو في الصائم طيب عدي من ربح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام ان يصوم ثلاثين يوما يعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كله وأعطاه الألواح في العشر التي زادها فلما قال وأتأمناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي) يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدى حتى أرجع اليك (وأصلح) يعني وأصلح أمور بني اسرائيل واحلهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ربه الرقيق بهم والاحسان اليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الامر التأكيدي لان هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن من يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ابطمن قلبي

أيام من ذي الحجة لذلك (فتم ميقات ربه) ما وقت له من الوقت وضر به له (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغداة العدة ولقد أجل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لأخيه هرون) هو عظم بيان لأخيه (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعم

اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة لارزاق وكثرة الانهار والاشجار (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو يزيد أن نعم على الذين استضعفوا في الارض (١٣٣)

ثابت الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أى مضت عالمهم واستقرت من قولك تمت على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حائثا على الصبر ودال على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (ودمرنا) اهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات و بناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وضم الراء شامى وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم أتبعه قصة بنى اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاباتهم الآيات العظام ومجاد زهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمראה من بنى اسرائيل بالدينه (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر)

فقتلوا بناؤهم واستخدموهم فصيروهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشاركها مع غارها ونواحيها وقيل أراد بمشارك الارض ومغارها لارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقدم ملكا لارض وقوله عز وجل (التي باركنا فيها) يدل على أنها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزرع والخصب والسعة (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) يعني وتمت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على عدوهم وانتم كنتم في لارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله يزيد أن نعم على الذين استضعفوا في الارض والآية والحسنى صفة للكلمة وهي تأنيث الاحسن وتعالى بها انجاز ما وعدهم به من تمكنه في الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعني انما حصل لهم ذلك النجاة وهو ما انعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم (ودمرنا) يعني وأهلكنا ودمارنا اهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من العمارات والبنيان (وما كانوا يعرشون) يعني يسقمون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب وقوله عز وجل (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) هي وقطعنا بينى اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغرقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراه ظهره وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلاك فرعون وقومه فصامه شكر الله تعالى (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) يعني فر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يقيمون ويواظبون على أصنام لهم يعني تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جرير كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن الجبل وقال قتادة كان أولئك انقوم من لحم وكانوا زولا بالرقعة يعني بالرقعة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم (قالوا) يعني قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال (يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) يعني كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا آلهة تعبدونها وعظمها قال البغوي رحمه الله ولم يكن ذلك شكاً بنى اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه وتتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهالهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهّموا أنه يجوز عبادة غيره الله تعالى بعدما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وهي الآيات التي توات على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فخلعهم جهلهم على أن قالوا لنبينهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعني تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يستحق أن يعبد سواه لانه هو الذى أنجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وأنجاكم منه عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة لاشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان

يوم عاشوراء بعدما هلك الله فرعون وقومه فصاموا مشكرا لله (فأتوا على قوم) فرادى عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقربك سركاف حزة وعلى (قالوا يا موسى اجعل لنا الها) صمانعكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعد هذا قال يهودى اعلى رضى الله عنه اختلقت بعد نبيكم قبل أن يحرق ماؤه فقال قلتم اجعل لنا ه ولم تجف أنفسكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أن مراراً من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده

(والجراد) فاكلت زرعهم وثماره، وسخوف بيوتهم، وثيابهم ولم يدخل موت بني اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجمعها والبراغيث و (١٣٢) كبار القردان (والضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى

سبعة أيام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم بن الدم الذي ساط الله عز وجل عليهم كان الرعاف فاتوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلحقون وقالوا ادع لنار بك يكشف عنا هذا الدم ففطن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام به فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يعني يذبح بعضها بعضا وتفصل لهما ان كل عذاب كان يقوم عليهم أسبوعا أو بين كل عذابين مدة شهر (فاستكبروا) يعني عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قوما مجرمين) يعني آل فرعون ﴿قوله تعالى﴾ (ولما وقع عليهم الرجز) يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون ألفا فامسوا وهم لا يتدافعون (ق) عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض أو أتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ﴿وقوله تعالى﴾ (قالوا يا موسى ادع لنار بك بماعهد عندك) يعني بما أوصاك وقيل بما نبأك وقيل بماعهد عندك من اجابة دعوتك (انك كشفت عن الرجز) يعني العذاب الذي وقع بنا (لئلا نؤمن لك وانرسا) معك بني اسرائيل) يعني لصدقن بما جئت به وان يخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا (فلما كشفنا عنهم الرجز) يعني بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام (الى أجل لهم بالغوه) يعني الى الوقت الذي أجل لهم وهو وقت اهلاكم بالغرق في اليم (اذا هم ينكثون) يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يغبوا به واعلم أن ما ذكره الله تعالى في هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك أن العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل فاخصاه بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في أمان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز أيضا فان أعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وأما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده ﴿قوله عز وجل﴾ (فانتقمنا منهم) يعني كفأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب (فاغرقناهم في اليم) والمعنى أنه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا أجل الذي أجل لهم انتقم منهم بأن أهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعني في البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الأزهرى اليم معروف لنظرة سر يانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاود فيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب (بانهم كذبوا بآياتنا) يعني أهلكناهم وأغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا عنها) يعني عن آياتنا (غافلين) يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النعمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموها غافلين تجوز الان الغفلة ليست من فعل الانسان ﴿قوله عز وجل﴾ (وأورثنا القوم الذين كانوا يستعففون) يعني ومكننا القوم الذين كانوا يتفكرون ويغالبون على أنفسهم وهو أن فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل

اذا تكلم الرجل تقع في فيه (والدم) أى الرعاف وقيل مياههم انقلب دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعوا على ماء فيكون ما يلى الاسرائيلي ماء وما يلى القبطي دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مبيدات ظاهرات لا يشك على عاقل أهم من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قوما مجرمين) ولم وقع عليهم الرجز) العذاب الاخبر وهو الدم والعذاب المذكور واحد بعد واحد (قالوا يا موسى ادع لنار بك بماعهد عندك) ماء صديرة أى بهمه عندك وهو النوبة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لتأموسلا اليه بعهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن وانرسا معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل من الزمان (هم بالغوه) لاحالة فعدون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم ينكثون) جواب لما

فلما كشفنا عنهم فاجوا السكت ولم يؤخروه (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كما ان العقاب هو ضد الثواب (فاغرقناهم في قتلوا اليم) هو البحر الذي لا يدرك قعره وهو لجة البحر ومعظم مائه واستغفاه من التيمم لان المتفيعين به قصدونه (بانهم كذبوا بآياتنا) كانوا عنها غافلين أى كان اغرافهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكريهم فيها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستعففون) هم بنو

فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وفي الخبر
مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم ويقال إن موسى عليه السلام خرج إلى القضاء فإشار بعصاه
نحو الشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم ونمازهم بقية فقالوا قد بقي لنا
ما هو كافينا فما نحن بتاركين ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا إلى أعمالهم الخبيثة فافادوا شهرًا
في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل ومثل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما إن القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكلي القمل الذي وهو
صفار الجراد الذي لأجنحة له وقال أبو عبيدة هو الجنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني هو
القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب الأخبار أمر الله عز وجل موسى عليه
الصلاة والسلام أن يمضي إلى كتيب رمل أعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فشئى إلى ذلك
الكتيب فصر به بعصاه فانها لم عليهم القمل فتبع ما بقي من حرثهم وزروعهم ونمازهم فاكلها كلها وحس
الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه فاذا أكل أحدهم طعاما امتلأ قلا قال سعيد بن
المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة أجرة إلى الرحي فلا يرد
منها ثلاثة أفقره فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم وحواجرهم وأشجار
عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى أناتوب فادع النار بك
يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى
السبت فنكنوا بعد ذلك ورجعوا إلى أخبت ما كانوا عليه من الأعمال الخبيثة وقالوا ما كنا نقطأ أحق إن
نستيقن أنه يساحرنا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعد ما قاموا شهرًا في عافية فإشار بعصاه
الضفادع فامتلات منها بيوتهم وأفنتهم وأطعمتهم وأنبتهم فلا يكشف أحد ماء ولا طعاما الا وجد فيه
الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ إلى حلقه فاذا أراد أن يتكلم شب الضفدع فيدخل
في فيه وكانت تشب في قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم إذا مضطجع ركبته
الضفادع حتى تكون عليه ركما فلا يستطيع أن يلقب إلى شقه الآخر وإذا أراد أن يأكل سبقت الضفادع
إلى فيه ولا يجن أحدهم بحبها الا امتلأ ضفادع ولا يفتح قدر الا امتلأت ضفادع فلحقوا من ذلك بلاء شديدا
وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله عز وجل على آل
فرعون سمعت وأطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدر وهي تغلى على النار وفي التنزيل وهي تغور
إنها لله عز وجل يحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه
من الضفادع وقالوا هذه المرة تتوب ولا نعود فاخذ موسى عليه السلام عليهم العهد والمواثيق ثم دعا الله
عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقامت عليهم سبعين السبت إلى السبت فاقاموا شهرًا في عافية ثم تقضوا
العهد وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل الله عز وجل عليهم الدمل فقال النيل
عليهم دما عبيطا وصارت مياههم كهادما وكل ما يستقون من الآبار والأنهار يحدونه دما عبيطا فشكوا
ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا
شيئا من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على إناه واحد فيكون ما يلي
الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وبفرغان الجرعة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللإسرائيلي ماء حتى إن
المرأة من آل فرعون نأت إلى المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها سقني من مائك فتصب
لها في قربتها فيصير في الإناه دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم يحبه في في فتفعل ذلك فيصير دما ثم إن
فرعون اعتراه العطش حتى أنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماء وهذا ما فكنوا على ذلك

حتى قاموا في الماء إلى
تراقبهم فن جلس غرق
ولم يدخل بيوت بني
اسرائيل من الماء قطرة أو
هو الجدرى أو الطاعون

(فأذا جاءهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لانهذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جذب ومرض (يطبروا) أصله يطبروا فادغمت الذاء في الطاء لانها من طرف اللسان وأصول الثنايا (يموسى ومن معه) تشاء مواهبهم وقالوا هذه بشؤمهم (١٣٠)

ولولا مكانهم لما صابتنا وانما دخل اذافي الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة وكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكاثر اكثرته وأما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شئ منها (ألا غا طائرهم) سبب خيرهم وشرهم (عند الله) في حكمه ومشيبته والله هو الذى يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة فل كل من عند الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (وقالوا) مهمما تأنابه من آية أنسخرنا بها فأنحن لك بمؤمنين) أصل مهمما ما فما الأولى للجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما نخرج أخرج أبنائكم ونوا فاما نذهب بك الان الاناف قلبت هاء استقفا لا لتكرر المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى وهو في موضع نصب بتأنا أى أيمان شئ ومن آية تبين لهما والضمير في به وبه راجع الى مهمما الان الاول ذكر على اللفظ والثاني أنت على المعنى لاسها في معنى الآية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فارسنا)

انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى (فأذا جاءهم الحسنة) يعنى الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لانهذه) أى نحن مستحقون لها ونحن أهلها على العادة التي جرت انما في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم في شكره على انعامه (وان تصبهم سيئة) يعنى القحط والجذب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم (يطبروا) يعنى يتشاءموا وأصله يطبر يعنى يمشى واما نظير التشاؤم في قول جميع المفسرين (يموسى ومن معه) يعنى انهم قالوا ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون أو بعامة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يركر وهاقط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط (ألا غا طائرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذى لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله تعالى (وقالوا) يعنى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهمما تأنابه من آية) يعنى من عند ربك فهى عندنا سحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاءه فقال تعالى (فارسنا انما عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والنمادى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المجزات اليد والعاصم فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه قد نقضوا العهد بخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نعمة ولقوى عظة ولين بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشبكة فامتدأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شئ وركد الماء على أرضهم فلم يقدروا على التحرك ولم يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى وهم أول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما ان الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنارك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وأنبأ الله لهم تلك السنة شيئا لم ينبتة قبل ذلك من الكلا والزرع والتمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الانعمة علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والنياب والامعة وأكل المسامير الحديد في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتدأت دور القبط منه ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شئ فجحوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنارك انكشف عنا هذا الرجز لنؤمن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك

عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمس ولا قمر ولا يدرأون ان يخرج من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط

وانافوقهم قاهرون) سنقتل تجازى أى سنعيد عليهم قتل الانباء ايعاموا اناعلى ما كنعاليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولثلاثيوتهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فينبطهم ذلك عن طاعتنا وبدعهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم تسليتهم ووعدا بالصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أى أرض مصر وألجنس فيتناول أرض مصر تداولا ولأوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنية اياهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) إشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط (١٢٩) وأخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة

مستأنفة بخلاف قوله وقال ان لا لها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا من بعد ما جئتنا) يعنيون قتل ابناءهم قبل مولدهم - موسى الى أن استنبي وأعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاه من فرعون واستبطاه لوعده النصر (قال عيسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تعبر بـ عمار من اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلفهم بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون) فيرى السكان منكم من العمل حسنة وقبيحة وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائده رغيف أو رغيفان وطلب المصور

عباس رضى الله عنهما كان قد ترك القتل في نبي اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيديا عليهم القتل فاعادوا القتل على نبي اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقياله لعدوهم بالقتل لنقل شوكرته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وانافوقهم قاهرون) يعني بالغلبة والقدره عليهم ولما نزل بيني اسرائيل منازل شكوا الى موسى منازلهم (قال موسى لقومه) يعني لما شكوا اليه (استعينوا بالله واصبروا) يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبناءكم (ان الارض لله) يعني أرض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى (يورثها من يشاء من عباده) وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا من بعد ما جئتنا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أمنت السحرة تبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل والمعنى أن نبي اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أؤذينا من قبل أن تأتينا يعني بالرسالة وذلك ان نبي اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا من بعد ما جئتنا يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام يوهم أن نبي اسرائيل كرهوا محبة موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الابهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فطنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا من بعد ما جئتنا فيكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى مجيبا لهم (عسى ربكم ان يهلك عدوكم) يعني فرعون وقومه (ويستخلفكم في الارض) يعني ويجعلكم تخلفوهم في أرضهم بعد اهلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعملونه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم في قوله عز وجل (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) يعني بالقحط والجذب تقول العرب مستثم السنة بمعنى أخذهم الجذب في السنة ويقال أسدوا كما يقال أجدبوا قال الشاعر * رجال مكة مستثون عجايف * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها علمهم سنين كسني يوسف ومعنى الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجذب والقحط والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعني واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة ماالسنون فلاهل البوادي وأما نقص الثمرات فلاهل الامصار (لعلهم يذكرون) يعني لعلهم يتعلمون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيها عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى

(١٧ - (خارن) - ثاني) زيادة له روفهم توجد فقر أعمر وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخاف فذكر له ذلك وقال قديقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سني القحط رهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كاللابة والنجم (ونقص من الثمرات) قبل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات لاامصار (لعلهم يذكرون) ليتعظوا فيفهموا على أن ذلك لا صرارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة أضرع خدودا وأوراق أفئدة وقد عاش فرعون أربعين سنة وعشرين سنة ولواصابه في تلك المدة وجمع أوجعي للمادعي الربوبية

(قال فرعون أنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منهم ولم يهمنين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار الاستبعاد (قبل أن أذن لكم) قبل اذنى لكم (ان هذا لمكر مكرتوه في المدينة لتخرج جوامنها أهلها) ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها وأتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا (١٢٨) الى الصحراء اغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني

اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيد أجهل ثم فصله بقوله (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لأصلبنيكم أجعين) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قالوا) انالى ربنا منقلبون) فلا نبالى بالموت لا نقبل انالى لقاء ربنا ورحته وأنا جيعا يهنون أنفسهم وفرعون تنقأ الى الله فيحكم بيننا (وماتنقم منا الآن) أما بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهم فلول من قراع الكتائب (ربنا أفرغ علينا صبرا) أى اصعب صباريها والمعنى هب لنا صبرا واهما وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افرأغا (وتوفنا مسلمين) نابئين على الاسلام (وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى وقومه افسدوا في الارض) أرض مصر بالاستعلاء

نخر واسجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴿قوله عز وجل﴾ (قال فرعون أنتم به قبل أن أذن لكم) يعني قال فرعون للسحرة أنتم موسى وصدموه قبل أن أمركم به وآذن لكم فيه (ان هذا لمكر مكرتوه في المدينة) يعني ان هذا الصنع الذي صنعتوه أنتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطأ عليه وعلى أهل مصر وهو قوله (لتخرج جوامنها أهلها) وتسبوا ولوا عليها أتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهوان تقطع احدى اليدين وحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع (ثم لأصلبنيكم أجعين) يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل فرعون (قالوا) يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انالى ربنا منقلبون) يعني انا الى ربنا راجعون واليه صائررون في الآخرة (وماتنقم منا) ومانكره منا وما ناطعن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعد بنا عليه (الآن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) ثم فرغوا الى الله تعالى وسأله الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أى اصعب علينا صبرا كما لا تانا ولهذا أتى بلفظ التنكير يعني صبرا وأى صبرا عظيم (وتوفنا مسلمين) يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال السكبي ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عاينهم لقوله تعالى لا يصلون اليك بآياتنا أتمنا ومن اتبعكم الغالبون ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى) يعني وقال جماعة من أنشرف قوم فرعون لفرعون أنذر موسى (وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) يعني أرض مصر وأراد بالافساد فيها انهم يأمرهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذكرك وأهلك) يعني ونذرك ليذكرك ويذرك أهلك فلا يعبدك ولا يعبدوها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدوها وكان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى والاولى أن يقال ان فرعون كان دهر يامر بذكر الوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هي الكواكب فالتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبدوها يأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الأرض فلما قال أنار بكم الاعلى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس والشعمي والضحاك ويذكرك وأهلك بكسر الالف ومعناه ويذكرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدوها قال الشاعر

تروحن من اللعاب قصرا * وأجعلن الالهة أن نوبا

أراد بالالهة الشمس (قال) يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أنذر موسى وقومه (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) يعني نتركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون لما أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أوجس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا ما أرادوا به لقوة موسى عليه السلام بمساعدة من المجزة فعاد الى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وقال ابن

فيها وتغير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذكرك وأهلك) عطف على عباس افسدوا قبل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تنقأ الى الله تعالى ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنار بكم الاعلى (قل) فرعون مجيبا للملا (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم

ملأت الارض وركب بعضها بعضاً (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهاباً شديداً كأنهم استدعوا ارهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) في باب السحر أو في عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف) نبتلع تلقف حفص (ما يأفكون) ماموصولة أو مصدرية يعني ما يأفكونه أي يقابونه عن الحق الى الباطل ويوزرونه وأفكهم تسمية للأفوك بالافك روى أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقتها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) حصل وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فقلبوها نالك) أي فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا ذلاء مهوتين (وألقى السحرة ساجدين) وخروا سجداً لله كأنما ألقاهم ملقى لسدة خروهم أولم يتالكو أم أروا فكانهم ألقوا فكانوا أول النهار كفاراً سحرة وفي آخره شهداء بررة (قالوا آمنابر العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله

قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشيء والمجزة قلب نفس الشيء عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسعى (واسترهبوهم) يعني أرهبوهم وأفزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعني السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم ألقوا حبالا غلاظاً وخشباً طوا لافاذهي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقاً أيضاً وألقوها على الارض فلما أثير الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات ويقال ان الارض كانت سهماً مائلاً في ميل فصارت كلها حيات وأفاعي ففزع الناس من ذلك وأرجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى أنهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالماً بان كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمجزة فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم بمنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من أمر تلك الحيات خاف موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرقوا قبل ظهور مجزته ويحجته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى ﷺ قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) يعني فألقها (فاذا هي تلقف) يعني نبتلع (ما يأفكون) يعني ما يكذب فيه السحرة لان أصل الأفك قلب الشيء عن غيره وجهه ومنه قيل للكذاب أفك لانه يقبل الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألقى عصاك فألقها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاهاً ما بين ذراعا فاذا هي تلقف يعني نبتلع كل شيء أتوا به من السحر فكانت نبتلع حبالهم وعصيمهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك ففرعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفاً ثم أخذها موسى عليه الصلاة والسلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجداً وقالوا آمنابر العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا فلما نفذت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته (فقلبوها نالك) يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجوعه (وانقلبوا صاغرين) يعني ورجعوا ذليلاً مقيهورين (وألقى السحرة ساجدين) يعني ان السحرة لما علموا انهم عظم قدرة الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والايان به (قالوا آمنابر العالمين) فقال فرعون اباي تعنون فقالوا بل (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأؤمنن بك وقيل ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت حل ثلثة امة بعير فلما ابتاعها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا به وصدقوه فان قلت كان يجب أن يأثروا بالايان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا وسجدوا لله تعالى شكر اعلی هدايتهم اليه وعلى ما ألهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما رأوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه في أمر العصا وانهم ليس بقدر على ذلك أحد من البنروزات كل شبهة كانت في قلوبهم يادروا الى السجود لله تعظيماً لاشانه لما رأوا من عظيم قدرته ثم انهم أظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما رأيت السحرة ما رأيت عرف أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر

كفاراً سحرة وفي آخره شهداء بررة (قالوا آمنابر العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله

حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر عليهم) سحار حرة وعلى أي يأتوك بكل ساحر عليهم مثله في المهارة أو بخير منه (وجاء السحرة فرعون) يريد فارسل اليهم فخصروا (قالوا ان لنا اجرا) على الخبر واثبات الاجر ٧ العظيم حجازي وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جازا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا لجمعنا على الغلبة والتذكير للتعظيم كانهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) ان لكم اجرا (وانكم لمن المقر بين) عندي فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا وسبعين ألفا أو بضعة وثلاثين ألفا (قالوا يا موسى اما أن تلقى عصاك) (واما أن تكون نحن الملقين) لما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (ألقوا) تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المناظررون قبل ان يتحاوروا في الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه اذ اثنى عليه وقلة ماله منهم واعتمادا على ان المحزة له يغلبها سحر ابداء (فلما ألقوا سحروا عين الناس)

فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد أن رأى من أمر العصا ما رأى (وأرسل في المدائن) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمسكان أي أقام به يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى أنهم قالوا لفرعون أرسل الى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيهم من السحرة وكان رؤساء السحرة باقضى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا أنه ساحر فذلك قوله (يأتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو المبتدئ في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتادون وقت والسحار الذي بدوم سحره ويعمل في كل وقت (عليهم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحق والسدي ان فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال اننا لنتقاتل موسى الابن هو أشد منه سحر افا تخذ غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا واعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجأؤهم معهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحر الا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنا منهم من القط وهما رئيس القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلا من مجوسيين من أهل ينسوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا ^{عليه السلام} قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا ورجأوا الى فرعون (قالوا ان لنا اجرا) يعني جعلنا وعطاء تنكر منابه (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام غفر الدين الرازي ولقائل أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل ما قالوا اذ جازا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقر بين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لأقتصر معكم على الاجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني أجعلكم من المقر بين عندي قال الكلبي تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (يا موسى اما أن تلقى عصاك) (واما أن تكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب حيث قدموه على أنفسهم في الالقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث نادى بومع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالايمان والهداية لمارعوا الادب أولا وأظهر واما يدل على رغبتهم في ذلك (قال) يعني قال لهم موسى (ألقوا) يعني أنتم فقدمهم على نفسه في الالقاء فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر باللقاء وقد علم انه سحر وفعل السحرة غير جائز قلت ذكر العلماء رحيم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محققين في فعلكم قالوا والافلا تاتقوا الجواب الثاني انما أمرهم باللقاء لتظهر مجزته لانهم اذ لم يلقوا احبالهم وعصيم لم تظهر مجزته موسى في عصاء الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخيير في التقديم والتأخير فاذا نزلهم في التقديم لتظهر مجزته ايضا بغلبهم لانه لو أتى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم باللقاء أولا (فلما ألقوا) يعني حبالهم وعصيمهم (سحروا عين الناس) يعني صرفوا عين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين مجزته الانبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي فعل الله وذلك لان السحر

يجتمع الناس للنظر اليه
 روى أنه أرى فرعون يده
 وقال ما هذه فقال يدك ثم
 أدخلها في جيبه ونزعها
 فاذا هي بيضاء غلب شعاعها
 شعاع الشمس وكان موسى
 عليه السلام آدم شديد الامة
 (قال الملا من قوم فرعون
 ان هذا الساحر عليم) عالم
 بالسحر ما هو فيه قد خيل
 الى الناس العصا حية
 والادم أبيض وهذا
 الكلام قد عزي الى
 فرعون في سورة الشعراء
 وانه قاله للملا وهنا عزي
 اليهم فيحتمل انه قد قاله
 هو وقالوا هم فكي قوله
 ثمة وقولهم هنا وقاله ابتداء
 فتلقته منه الملا فقالوه
 لا عقاب لهم (يريد أن
 يخرجكم من أرضكم) يعني
 مصر (فإذا نامرون)
 تشيرون من أمرته فأمرني
 بكذا اذا شاورته فأشار
 عليك برأي وهو من كلام
 فرعون قاله للملا قالوا له
 ان هذا الساحر عليم يريد
 أن يخرجكم (قالوا أرجه)
 يسكون الهاء عاصم وحزة
 أي أخر واحبس أي أخر
 أمره ولا تجعل أو كانه هم
 بقتله فقالوا أخر قتله
 واحسه ولا تنقله ليتبين
 سحره عند الخلق (وأخاه)
 هرون

عباس وغيره أخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة
 والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرج يده من تحت ابطة فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب
 نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فاخرجه فاذا هي كما كانت ولما
 كان اليبايس المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى بيضاء من غير سوء يعني من
 غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان يياضها يياضا عجيبا خارا جاعنا
 العادة يتعجب منه
 فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق
 المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسالات يعرفهم معالم دينه وجميع
 تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يباينهم كلاما وهو يعرفهم أحكامه وجائز أن تكون
 تلك الواسطة من غير البشر كاللائكة مع الانبياء وجائز أن تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع الأمم
 ولما مع هذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات
 دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المعجزة مع التعبد من النبي قائمة مقام قول الله
 عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة بمعجزة
 لان الخلق يعجزون عن الاتيان بمثلهما وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن يعجز راعنه
 فمعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت في قوله فتمنوا
 الموت ان كنتم صادقين فلما صر فواعن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى
 الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من
 صخرة وكلام الشجر والجناد والحيوان ونسج الماء من بين الأصابع وغير ذلك من المعجزات التي يعجز البشر
 عن مثلها فاذا أتى النبي بشئ من تلك المعجزات الخارقة للعادة علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو
 الذي أظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل
 العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخر اجها من
 العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم قوله عز وجل (قال الملا من
 قوم فرعون ان هذا) يعني موسى (ساحر عليم) يعني انه لا يأخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت
 حية ويرى الشئ بخلاف ما هو عليه كما أراه يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو
 الغالب في ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا ساحر عليم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه
 السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملا حوله ان هذا الساحر
 عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمنع أن يدون قاله فرعون أو لاثم انهم قالوه بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا
 وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصة
 سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هذا عن الملا وأخبر هناك عن فرعون وقوله (يريد
 أن يخرجكم من أرضكم) يعني يريد موسى أن يخرجكم أيها القبط من أرض مصر (فإذا نامرون) يعني فأي
 شئ تشيرون أن نفعل به وقيل ان قوله فإذا نامرون من قول الملا لان كلام فرعون ثم عند قوله يريد أن
 يخرجكم من أرضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فإذا نامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة
 الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فنامرون أن تفعل به والقول الاول أصح اسباق الآية التي بعدها وهو
 قوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه) يعني أخر أمرها ولا تجعل فيه قصير عجلتك عليك لالك والارجاء التأخير في
 اللغة وقيل معنى أرجه واحسه وأخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحس ولان

الكَفْرَ لَانَهُمَا مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ اِنَّ الشَّرْكَ اَظْلَمُ عَظِيمًا وَ اَوْفَلَهُمُ النَّاسُ بِسِيَئِهِمْ اَحْيَا مِنْ اَمْنٍ اُولَئِكَ اِذَا جَابَ الْاِيْمَانُ بِهِمْ اَفْكَفَرُوا وَابَدَلَ الْاِيْمَانُ كَانَ كُفْرَهُمْ بِهِمَا ظُلُمًا حَاسِحًا وَضَعُوا الْكُفْرَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ وَهُوَ مَوْضِعُ الْاِيْمَانِ (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) حَيْثُ صَارُوا مَغْرَقِينَ (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ) يَقَالُ لِلْمَلُوكِ مِصْرَ الْفِرْعَاوْنَةِ كَمَا يَقَالُ لِلْمَلُوكِ فَارِسَ الْاَكْسَرَةِ وَكَأَنَّهُ قَالَ يَا مَلِكَ مِصْرَ وَاسْمُهُ قَابُوسُ اَوُ الْوَلِيدُ بْنُ مِصْعَبُ بْنُ الرَّيَّانِ (اِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إِلَيْكَ قَالَ فِرْعَوْنُ كَذَبْتَ فَقَالَ مُوسَى (حَقِيقَ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) أَيْ أَنَا حَقِيقٌ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَيْ وَاجِبٌ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْحَقِّ أَنْ أَكُونَ قَائِلَهُ وَالْقَائِمُ بِهِ حَقِيقٌ عَلَى نَافِعٍ أَيْ وَاجِبٌ عَلَى تَرْكِ الْقَوْلِ عَلَى

(١٢٤)

الله الحق أى واجب على

الآيات مجبـزات ظاهرة فاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الإيمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أى انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهل كنانهم (وقال موسى يا فرعون ائني رسول من رب العالمين) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى الى الإيمان به وقال له ائني رسول أى مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعنى ان الله الذى خلق السموات والأرض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذى أرسلنى اليك (حقيق) أى واجب (على أن لا أقول على الله الا الحق) يعنى ائني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق فى وصفه وتنزيهه ونوحه وانه لا اله غيره (قد جئتكم ببينة من ربكم) يعنى يبرهان على صدقى فيما أدعى من الرسالة والمراد ببينته مجبزه وهى العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى (فارسل معى بنى اسرائيل) يعنى خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل واستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة (قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين) يعنى ان فرعون قال موسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت جئت من عند من أرسلك ببينة تدل على صدقك فاتنى بها وأحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت (فالتقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) أى بين والثعبان الذى كرم من الحيات وصفه هنا بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه فى آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين أنها كانت فى عظم الجثة كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة وهى الجان قال ابن عباس والسدى ان موسى لما أتى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحبيها ثمانون ذراعاً وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحبيها الاسفل فى الارض ولحبيها الأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره غار باواً حدث وقيل انه أحدث فى ذلك اليوم أربع مائة مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضاً فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفاً ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذى أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فعدت فى يده عصا كما كانت وفى كون الثعبان مبيناً وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عما علمته السحرة من التمويه والتليس وبذلك تميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخبيطهم الوجه الثانى انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين أى بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التى أبانت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام فى أنه رسول من رب العالمين ﴿وقوله تعالى﴾ (ونزع يده) النزاع فى اللغة عبارة عن اخراج الشئ عن مكانه والمعنى انه أخرجه من جيبه أو من تحت جناحه (فاذا هى بيضاء للناس) قال ابن

الله الحق أى الصدق وعلى هذه القراءة تتفق على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة أى أى ائني رسول خليق بان لا أقول أو يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول أى ائني رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله الا الحق (قد جئتكم ببينة من ربكم) بما يبين رسالتى (فارسل معى بنى اسرائيل) فخلهم بذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون على نسل الاسباط واستعبدتهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أربع مائة عام معى حفص (قال ان كنت جئت بآية) من عند من أرسلك فات بها ان كنت

من الصادقين) فاتنى بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فالتقى موسى) عليه السلام (عصاه) من يده (فاذا هى) اذا هذه للمفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (مبين) ظاهر أمره وروى انه كان ذكر كرافر افاه بين لحبيها ثمانون ذراعاً واضعة لحبيها الاسفل فى الارض والا على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وحل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً وقتل بعضهم بعضاً فصاح فرعون يا موسى خذها وأنا ومن بك فاخذها موسى فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه (فاذا هى بيضاء للناس) أى فاذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بيضاء عجباً خالها العادة

مستأنف أي ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا على شيخنا في أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبر أو المعنى تلك القرى المذكورة من (١٢٣) قوم نوح إلى قوم شعيب نقص

عليك بعض أنبائها ولها أنباء غير هالم نقصها عليك (والقصة جاءتهم رسالهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا يؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فاما كانوا يؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أو لاحقين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين مع تنابح الآيات واللام لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) الضمير للناس على الإطلاق يعني أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان والآية اعتراض أو للام المذكورين فانهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرر مخافة لأن أنجيبتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا (وان) الشأن والحديث (وجدنا أكثرهم لفاستقين) خارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل

أي ونحن (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعني لا يسمعون موعدة ولا يقبلون الإيمان وطبيع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفاً على الماضي وافظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعني نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسالهم الذين أرسلوا إليهم لتعلم يا محمد أن النصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسالهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك كقوله قرىش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (واتقوا الله) يعني لا تهازلوا في الدين (رسالهم بالبينات) يعني جاءتهم رسالهم بالمعجزات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) اختلف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه ما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم رسالهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذنا منهم حين آخر جهنم من ظهر آدم عليه السلام فاقروا باللسان وأضروا بالكذب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي آمنوا كره يوم أخذ الميثاق وقال مجاهد فاما كانوا لو آحيناهم بعد أهلاكهم ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فاما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله أنهم يكذبون به حين آخر جهنم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم أقرأه بالميثاق أنهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسالهم بالبينات فاما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن أبدا وقد كان سبق في علم الله ان هلك من الأمم الذين قص خبرهم في هذه السورة أنهم لا يؤمنون أبدا فأخبر عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون به في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم إليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعني كما يطبع الله على قلوب كفار الأمم الحالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) يعني وما وجدنا لاكثر الأمم الحالية والقرن الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهود الذي عهدناه إليهم وأوصيناهم به يوم أخذ الميثاق قال ابن عباس انما أهلك الله أهل القرى لانهم لم يكونوا يحفظوا مواصاتهم به (وان وجدنا أكثرهم لفاستقين) أي وما وجدنا أكثرهم لفاستقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم بعثنا من بعدهم) يعني ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى بآياتنا) يعني بمحجتها وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (إلى فرعون وملئه) قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مضر بن الريان وكان ملك القبط والملا أشرف قومه وانما خصوا بالذكور لانه اذا آمن الأشرف آمن الاتباع (فظلموا بها) يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وكانت هذه

دخول أن الخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسالهم أوللام (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (إلى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم بحري

الضراء والسراء) أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعتوبة الذنب فكونوا على ما أئتم عليه (فاخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) ينزل العذاب واللام في (ولو أن أهل القرى) إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (وانقوا) الشرك مكان ارتكابه (افتحنا عليهم) (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات أولاً فيناهم بالخير من كل وجه (واكن كذبوا) الانبياء (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) (١٢٢) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفامن أهل القرى)

يريد الكفار منهم (أن ياتهم بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا أي وقت يات يقال بات ياتنا (وهم نائمون أو آمن أهل القرى أن ياتهم بأسنا نحيي) نهارا والضحى في الاصل ضوء الشمس اذا اشرفت والفاء والواو في أفامن وأمن من حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فاخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك أمن أهل القرى أن ياتهم بأسنا بيانا وأمنوا أن ياتهم بأسنا ضحى أو آمن شامى وحجازى عل العطف بأو والمعنى انكار الامن من أحد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا وأضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف لعطف وهو بنا في الاستفهام قلت التثنية في المفرد لافي عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة

الضراء والسراء) يعني أنهم قالوا هكذا عادة الدهر قد بما وحدينا لنا ولا يأتنا ولم يكن ماسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أئتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فاخذناهم بغتة) يعني أخذناهم فجأة آمن ما كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) يعني ينزل العذاب بهم والمراد بذلك كرهة القصة اعتبار من سمعها لينزع عما هو عليه من الذنوب قوله عز وجل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لما بين الله تعالى في هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعذاب بين في هذه الآية أنهم لو آمنوا يعني بالله وبرسوله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعني ما نهى الله تعالى عنه وحرمة عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والاعمال والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعا عليهم بالطم من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجذب (ولكن كذبوا) يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فآمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل (فاخذناهم) يعني بأنواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعني أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى (أفامن أهل القرى) هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا (ان ياتهم بأسنا) يعني عذابنا (بيانا) يعني ليلا (وهم نائمون أو آمن أهل القرى أن ياتهم بأسنا نحيي) يعني نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزل العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب أيضا لانه يضر ولا ينفع (أفامنوا مكر الله) يعني استدرأجه اياهم بما أئتم عليهم من الدنيا وقيل المراد أن ياتهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكر الانزال وله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) يعني انه لا يامن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدرأجا لا يامن خسر في آخره وهلك مع الهالكين (أولم يهد) يعني أولم يبين (للذين يرتنون الارض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورتوها عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يعني لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع)

بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي لهم (أفامنوا) تكرر ليرفعوا أفامن أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد أي من حيث لا يشعرون وعن الشبل قدس الله روحه العزيز مكرهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيعة بن خيثم لا يها إلى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنائه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن ياتهم بأسنا بيانا (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرتنون الارض من بعد أهلها) أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة أي أولم يهد للذين يخافون من خلا قبلهم في ديارهم ويرتنونهم أرضهم هذا الشأن وهو ما لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين (ونطبع)

(الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لأن قالوا لهم انكم اذا خسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه (١٢١) قيل الذين كذبوا شعيبا هم

المخصوصون بان أهل كوا
كان لم يقيموا في دراهم لان
الذين اتبعوا شعيبا قد
أنجاهم الله الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون
بالخسران العظيم دون
أتباعه فهم الراجحون وفي
التكرار مبالغة واستعظام
لنكذبهم ولما جرى عليهم
(فتولى عنهم) بعد ان نزل
بهم العذاب (وقال يا قوم
لقد أبلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم فكيف آسى)
أحزن (على قوم كافرين)
اشتد حزنه على قومه ثم أنكر
على نفسه فقال كيف يشتد
حزني على قوم ليسوا بأهل
للحزن عليهم لكفرهم
واستحقاقهم ما نزل بهم أو
أراد لقد أعذرت لكم في
الابلاغ والتحذير مما حل
بكم فلم تصدقوني فكيف
آسى عليكم (وما أرسلنا في
قرية من نبي) يقال لكل
مدينة قرية وفيه حذف
أي فكذبوه (الا أخذنا
أهلها بالبأساء) بالبؤس
والفقر (والضرء) الضر
والمرض لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم أو هما
نقصان النفس والمال
(لهم) هم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا

ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به
كلن هم ركني * هلكه وسط المحلة
سيد القوم أناه * هلك نار تحت ظله * جعلت نار اعليهم * دارهم كالمضجحة
وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر
يقال غنيت بالمكان أي أقت به والمغاني المنازل التي بها أهلها واحد ما غني قال الشاعر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوناد
أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنيين يقال غني الرجل اذا استغنى وهو
من الغنى الذي هو ضد الفقر (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) يعني خسروا أنفسهم هلاكهم
(فتولى عنهم) يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أناهم العذاب (وقال يا قوم لقد
أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختافوا هل كان
ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه الصلاة والسلام وقوله (فكيف
آسى) يعني أحزن (على قوم كافرين) والاسى أشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين
وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف أحزن على قوم
كافرين لانهم هم الذين أهل كوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شعيبا قال لقد
أعذرت اليكم في الابلاغ والنصحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحتي فكيف أحزن عليكم يعني انكم
لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن
عليهم والله أعلم وقوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي) فيه اضممار وحذف تقديره فكذبوه (الا أخذنا
أهلها بالبأساء والضرء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضرء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال
البأساء كل ما ناله من الشدة في أموالهم والضرء كل ما ناله من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق
العيش والضرء الضر وسوء الحال (لهم يضرعون) يعني انما فعلنابهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا
والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف بنبيه صلى الله
عليه وسلم أحوال الانبياء مع أممهم المكذبة وقصص عليه من أخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله
وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد أرسل رسالا الى أمم آخر فكذبوا رسالهم
فاخذهم بالبأساء والضرء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قرى وغيرهم من الكفار
ليتجزوا وعماسهم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجزى نديرة في أهل القرى على غلط واحد
وسنة واحدة انما يدرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) لان
ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال أهل
اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة السيئة والحسنة هنا الشدة
والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضرء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله
تعالى في هذه الآية انه ياخذ أهل المعاصي والكفر نارة الشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله
(حتى عفوا) يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثروا طال قال مجاهد حتى
كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قدمس آباءنا

(١٦ - (خازن) - ثاني)

ويحطوا أردية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثروا ومنه قوله عليه
السلام واعفوا للحي (وقالوا قدمس آباءنا

في جلتهم وان كان بريثا
من ذلك اجراء لكلامه
على حكم التغليب (وما
يكون لنا) وما ينبغي لنا
وما يصح (ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا) الا
ان يكون سبق في مشيئته
ان نعود فيها اذ الكائنات
كلها بمشيئة الله تعالى خیرها
وشرها (وسمع ربنا كل شيء
علما) تميز أي هو عالم بكل
شيء فهو يعلم أحوال عباده
كيف تتحول وقلوبهم
كيف تنقلب (على الله
توكلنا) في أن ثبتنا على
الايمان ويوفقنا لزيادة
الايقان (ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق) أي
احكم والفتاحة الحكومة
والقضاء بالحق بفتح الامر
المغاق فلذا سمي فتحا
ويسمى أهل عمان القاضى
فتحا (وأنت خير الفاتحين)
كقوله وهو خير الحاكمين
(وقال الملأ الذين كفروا
من قومه ان اتبعتم شعيبا
انكم اذا لخاسرون) مغبونون
الفسوات فوائد البخس
والتطفيف باتباعه لانه
ينهاكم عنهما وبأمركم
على الايفاء والتسوية
وجواب القسم الذى
وطأه اللام في ان اتبعتم
وجواب الشرط انكم اذا
لخاسرون فهو سادس
الجوابين (فأخذتهم
الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا
في دارهم جائعين) مبتين

نجى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة لأن شعيبا انظم نفسه في جلتهم وان كان بريثا كما كانوا عليه
من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجى الله منها علمنا ففتح ملتكم وفسادها فكأنه
خلصنا منها وقوله تعالى اخبار عنه (وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) يعنى وما يكون لنا ان
نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذى نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا يعنى الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله
ان نعود فيها لخير من قضا الله وقدره فينا ونفسنا سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا
الابتداء والذى عليه أهل العلم والسنة في هذه الآية ان شعيبا وأصحابه قالوا ما كنا نلجئ الى ملتكم بعد ان
وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلا كنا فامرونا راجعة الى الله غير راجعة عن
قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل
الانبياء والا كابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبني وبنى
ان اعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا يقول يا مقبل القلوب ثبت قاي على دينك قال
الزجاج رحمه الله تعالى المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها
وتصدق ذلك قوله (وسمع ربنا كل شيء علما) يعنى انه تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون وما سيكون وانه تعالى
كلن عالما في الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالى والشقى من شقى في علم الله تعالى (على الله
توكلنا) أي على الله نعتمد واليه نستند في أمورنا كلها فانه الكافي ان توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على
غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لما أيس شعيب من
ايمان قومه دعاهم للدعاء فقال ربنا افتح أي افض وافضل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعنى بالعدل الذى
لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وأنت خير الفاتحين) يعنى خير الحاكمين قال الفراء ان أهل عمان يسمون
القاضى الفتح والفتح وقال غيره من أهل اللغة هي لغة مرادوا نشد لبعضهم في ذلك

ألا بلغ نبي عصم رسولا * فأتى عن فتى حكم غنى ٧

أراد انه غنى عن حاكمهم وقاضيه وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفاتحك يعنى أقاضيك وهذا قول
قتادة والسدى وابن جرير وجهور المفسرين ان الفاتح هو القاضى والحاكم سمي بذلك لانه يفتح أغلاق
الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائر ان يكون معانرا ربنا أظهر أمرنا حتى يفتح بيننا وبين
قومنا وينكشف والمراد منه أن ينزل عليهم عذابا يبدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين
وعلى هذا الوجه فالفتح براديه الكشف والتمييز (وقال الملأ الذين كفروا من قومه ان اتبعتم شعيبا) يعنى
وقال جماعة من أشرف قوم شعيب من كفر به لآخرين منهم ان اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم
وملتكم وما أنتم عليه (انكم اذا لخاسرون) يعنى انكم انتم انتمونون في فعلكم (فأخذتهم الرجفة) يعنى الزلزلة
الشديدة (فأصبحوا في دارهم جائعين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حر
شديد من جهنم فأخذوا بنفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها أشد حر
من الظاهر فخرجوا بالبرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلمت وهي الظلة فوجدوا
لها بردا ونسيان فمدى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجا لهم ونساؤهم وصبيانهم ألهم الله
عليهم نار اور جفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كاحتراق الجراد في المقل و صاروا رماذ او روى أن الله
تعالى حبس عنهم الرج سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا بها وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب
الايسة والى أهل مدين فأما أصحاب الايسة فاهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فاخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل
عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال أبو عبد الله المجلى كان أبو جاد وهو زوحطى ولكن وسعفص وفرشت

(وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتنعوهم عن سلوكها ومحل توعدهن وما عطف عليه النصب على الحال أى لا تعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (واذ كروا) واذ كنتم قليلا) اذفعول به غير ظرف أى واذ كروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم (١١٩) وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نساها بالبركة والنماء فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من الشر كين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفرقة بين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملائكة الذين استكبروا من قوم شعيب) ان شعيبا أجب قومهم اذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم والادخول فيها فقال قد افترينا على الله كذبا ونحزنر صنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما أتم عليه من الملة والدين وقد أنقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما أجيب عن الاشكال الاول وهو أن نقول ان الله

وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعنى تريدون عوجا جاج الطريق عن الحق وعدوها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيف والضلal ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذ كروا) واذ كنتم قليلا فكثركم) يعنى ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا وضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى وانظر وانظر اعتبار ما نزل من كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لعصوه وكذبوا رسله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعنى وان اختلفتم في رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنت بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت وجحدت رسالتى (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعنى حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيعين المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعنى انه ما كان عادلا منزها عن الجور والميل والخياف في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين (قال الملائكة الذين استكبروا من قوم شعيب) يعنى قال الجماعة من أشرف قومه الذين تكبروا عن الإيمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعنى أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا أو اترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فاعنى قوله أو لتعودن في ملتنا وأجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الإيمان به على ملة أو تلك الكفار فاطموا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوق العود على معنى الابتداء كما نقول قد عاد على من فلان مكروه يعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الأيام أحسن مدة * الى فقد عادت لهن ذنوب

أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبها كانت لهن قبل الاحسان وقوله تعالى (قال أولو كنا كارهين) أى لا نعود في ملتكم وان أكرهتمونا وأجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) يعنى ان شعيبا أجب قومهم اذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم والادخول فيها فقال قد افترينا على الله كذبا ونحزنر صنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما أتم عليه من الملة والدين وقد أنقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما أجيب عن الاشكال الاول وهو أن نقول ان الله

والذين آمنوا معك من قريتنا ولتعودن في ملتنا) أى لا يكون أحد الأمرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (قال) شعيب (أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والاول للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أى والله لقد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلاصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراد عود قومهم الا انه نظم نفسه

(الامرأته كانت من الغابرين) من الباقيين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التفت فاصابها حجر فانت (وأما طرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نواعمن المطر عجيبا قالوا مطر الله عليهم الكبريت والناز وقيل خسف بالمقيمين منهم وأعطرت حجارة (١١٨) على مسافرهم وقال أبو عبيدة أمطر في العذاب ومطر في الرحمة فانظر كيف كان

يعني فانحينا الوطامن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد باهله ابتناه (الامرأته) يعني زوجته (كانت من الغابرين) يعني كانت من الباقيين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناها كانت من الباقيين المعمرين قد أتى عليها دهر طوي لم تهاكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين (وأما طرنا عليهم مطرا) يعني حجارة من سجيل قد عجن بالكبريت والناز يقال مطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطرت وفي الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهل كآهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مئذنتهم قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قالها فجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من أمته ليعتبروا بما جرى على أولئك فينزعوا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل (والى مدين أحاهم شعيبا) يعني وأرسلنا الى مدين أكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا الى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو أسد وقيل مدين اسم للواء الذي كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا الى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أحاهم شعيبا يعني في النسب لافي الدين وشعيب هو ابن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وأم ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان (قال) يعني شعيب (يا قوم اعبوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم تكمة بننة من ربكم) يعني قد جاءكم تكمة بنحة وبرهان من ربكم بحقيقة ما أقول وصدق ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة في القرآن وقيل أراد بالبننة محي وشعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالبننة الموعظة وهي قوله (فاوفوا الكيل والميزان) يعني فأتوا الكيل والميزان وأعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقص وطففه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) يعني الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس (خير لكم) يعني مما أتمم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بما أقول (ولا تتعدوا بكل صراط توعدون) يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تتعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله ورسوله شعيب وهو قوله تعالى (وتصدون عن سبيل الله) يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب

عاقبة المجرمين) الكافرين (والى مدين) أرسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة (أحاهم شعيبا) يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قال يا قوم اعبوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم تكمة بننة من ربكم) أى معجزة وان لم تذكر في القرآن (فاوفوا الكيل والميزان) أي أتموا الميزان والميزان أو يكون الميزان كالميزان معنى المصدر (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوا حقوقهم بطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شئ في مبيعهم وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه أى نقصته اياه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) بعد اصلاحها فيها أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء والاولياء واضافته كاضافة بل مكر اليل والنهار أى بل مكركم في

الليل والنهار (ذلكم) سارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض وتخوفونه (خير لكم) في الانسانية وحسن الاحدوث (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لي في قولي (ولا تتعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون) من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين

(ولو طأ ذقال لقومه) أي واذ كر لوطا واذ بدل منه (أنا تون الفاحشة) أنفعولون السبائة المته ادية في القبح (ماسبقكم بها) ماعملها قبلكم والباء للتعدي ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عاكشة (من أحد) من زائدة (١١٧) تأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق

(من العالمين) من للتبعض وهو جهة مستأنفة أنكر عليهم أولاً بقوله أنا تون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أتم أول من عملها وفيه تعالى (أنتمكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أنا تون الفاحشة والهمزة مثلها في أنا تون لأنكار أنكم على الاخبار مدني وحفص يقال أتى المرأة إذا غشيها (شهوة) مفهول له أي للاشتهاء لاحتلامكم عليه لا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لانه وصف لهم بالهيمية (من دون النساء) أي لامن النساء (بل أتم قوم مسرفون) أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وهوانهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد وفي كل شيء فمن اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوز المعتاد الى غير المعتاد (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا) آخر جوههم من قريشكم أي لوطا ومن آمن معه يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة وصفهم بصفة الاسراف الذي هو أصل

فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم وردوها وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فها لك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغارها الارجل واحد ايقال له ابو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فحرم الله تعالى من عذاب الله فلم يخرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم وابتدروا بسيافهم وحفر واعنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حضروا وقال قوم من أهل العلم توفي صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة (ولو طأ) يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذ كر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي ابراهيم وابراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعني أهل سدوم واليهيم كان قد أرسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاج مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الى الشام فنزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الاردن أرسله الله تعالى الى أهل سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى (أنا تون الفاحشة) يعني أنفعولون الفعل الخسيسة التي هي غاية في القبيح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في أدبارهم (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) من الاولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعض والمعنى ماسبقكم أيها القوم بهذه الفعل الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم ونقر بعب على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا الا كان من قوم لوط (أنتمكم لتأتون الرجال) يعني في أدبارهم (شهوة من دون النساء) يعني ان أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء (بل أتم) يعني أيها القوم (قوم مسرفون) أي مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان ورب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له لان أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار والسيرة انه كانت قري قوم لوط محبة ذات زروع وغمار يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فأذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذ فعلتمهم كذا وكذا انجوتم منهم فابوا ففعل الخ الناس عليهم فصدوهم فاصابوا غلها ناصبا حافا خبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان أول من عمل به عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب أمره دفد على نفسه فكان أول من نكح في دبره فامر الله تعالى السماء أن تحصيهم والأرض أن تحسف بهم قوله عز وجل (وما كان جواب قومه) يعني وما كان جواب قوم لوط لوط اذوبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث (الأن قالوا) يعني قال بعضهم لبعض (آخر جوههم من قريشكم) يعني آخر جوا لوطا وأتباعه وأهل دينه من بالكم (انهم أناس يتطهرون) يعني انهم أناس يتزهون عن فعلكم وعن أدبار الرجال لانهم موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والآثام يسهي طهارة فمن تباعد عنهم طهارة تطهر فلهم هذا قال انهم أناس يتطهرون أي من فعل المعاصي والآثام (فانجيئاه وأهله)

الشر وانكسهم جازا بشئ آخر لا تعلق بكلامه ووضيعة من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريشهم (انهم أناس يتطهرون) يدعون الطهارة ويدعون فعانا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما عابوهم بما يندح به (فانجيئاه وأهله) ومن يختص به من دونه من المؤمنين

باجمعهم الا. مضى يوم من الاجل فلما أصـبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم بحجارة كأنها خضبت بالدم
 فصاحوا وضجوا وبكوا وأيقنوا أنه العذاب فلما أمسوا صاحوا باجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل
 وحضركم العذاب فلما أصـبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا
 قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم
 الى الشام فنزل رملة فلبسوا فلما أصـبحوا في اليوم الرابع تكفؤوا وتحطوا وألقوا بانفسهم الى الارض
 يقبلون أبصارهم الى السماء مرة الى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضجى من
 يوم الاحد أنهم صبيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فقطعت
 قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا لاجارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة
 لصالح عليه الصلاة والسلام فاطلق الله تعالى رجلها بعد ما عاينت العذاب وما أصاب ثمود فخرجت مسرعة
 حتى أتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بشؤد ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت
 في الحال وذكر السدي في عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام ان قومك
 سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها
 فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتله قال فولدت تسعة منهم في ذلك الشهر أولاد
 فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فاني أن يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له أحر أزرق
 فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بال تسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب
 التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله ليدموا أهله وقالوا نخرج
 فنرى الناس اننا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده
 أتينا فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحماننا فنقول لا شهدنا مهلك أهله وانا
 اصادقون فيصدقوننا فيظنون اننا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت
 في مسجده خارج القرية فاذا أصبح أنأهم فيعظهم ويذكرهم فاذا أمسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه
 قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطاع على أمرهم
 لينظر واما فعل أولئك النفر فرأوهم وهم رضع فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضى صالح بقتل أولادهم
 حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد
 عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه بقدر فكان يشب سريرا فلما كبر جلس مع
 أناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد
 شربه الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما صنع نحن بل بين هذه الناقة ولو كنا أخذنا هذا الماء الذي تشر به الناقة
 فنسقيه لانهما نوزرونا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان أعقرها لكم قالوا نعم فعقرها (ق) عن
 ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
 أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع المسير حتى جاوز الوادي وفي رواية
 لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين ثم ذكر مثله ولما عنان الناس نزلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبائهم وعجائبهم فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما
 استقوه ويعلفوا الابل الجبين وأمرهم ان يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة وللبحارى ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجزنا
 منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرحو ذلك الجبين ويهرقوا ذلك الماء وفي بعض
 الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم الآيات

وجهوا أكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا أحرار زرق قصيرا
 ويزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن اسالف واسكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اى نأتى شئت
 أعطيتك على أن تعقر الناقة وكان قدار عز يزانية ما فى قومه (ق) عن عبد الله بن زمعة رضى الله تعالى عنه
 أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
 انبعث أشقاه انبعث لها رجل عز يزاع من منع فى رهطه مثل أبى زمعة قوله انبعث أى قام بسرعة والعارم
 الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمبيع الممتنع ممن أراده قال أصحاب الاخبار فانطلق
 قدار بن سالف ومصدع بن مهزج فاستنفرا غواة ثم ودفانبعهم سبعة نفر فـ كانوا تسعة رهط فانطلق قدار
 ومصدع وأصحابهم فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كنى لها قدار فى أصل صخرة على طريقها ولكن
 لها مصدع فى أصل صخرة أخرى فرت على مصدع فرماها بسهم فالتظم فى عضلة ساقها فخرجت أم غنم عنيزة
 وأمريت ابنتها ففسرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجها ليراها قدار ثم حثته على عقرها وأغرته به
 فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رعاة واحدة فتعذر سقياها من الجبل ثم طعن
 قدار فى إبطها فخرها فخرج أهل البلاد فاقسموا لجها فلما رأى سقيا ذلك انطلق هاربا حتى أتى جبلا منيعا
 يقال له صور وقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقبل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج
 أهل البلدة يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يابى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظر واهل
 تدركون فصليها فان أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخر جوا فى طلبه فرأوه على الجبل فذهبوا
 ليأخذوه فأوحى الله تعالى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ماتهاله الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام
 فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا لاثام انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغبة أجل
 يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين
 عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهزج وأخوه ذؤاب فرماهم مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبته فأنزله وألقوا
 لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام اتهم كتم حرم الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم
 يهزون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فى ذلك الوقت الاحد أول والاثنين أهون
 والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروية والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم
 الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس وجوهكم مصفرة ثم
 تصبحون يوم العروية وجوهكم حمرة ثم تصبحون يوم شبار وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول
 فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلقنقل صالحا فان كان صادقا فاعلمناه قبلنا وان كان
 كاذبا كنا قد أحقناه بناقته فانوه لايلا يقتلوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطلوا على أصحابهم
 أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لالصالح أنت قتلتهم ثم هموا به
 فقامت عشيته ودونه وقالوا لا تقتلوه أبدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا
 بكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فاتمروا مانريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس
 وجوههم مصفرة كما غلطت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنشاهم فابقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا
 قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق يحيى من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم
 واسمه نفيل ويكنى بابى هذب وهو مشرك ففزع صالحا فم يقدروا عليه وكانوا عمدوا الى أصحاب صالح ليدلوهم
 عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابى الله انهم يعذبونك الله عليك أفذلهم عليك
 قال نعم فدلوههم عليه فانوا بأهدب فكاموه فى أمر صالح فقال هو عندى وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه
 وتركوه وشغلهم منازلهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما أمسوا صاحوا

وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون
وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينجز عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها
خذ كرقصة ثم ود على ما ذكره محمد بن اسحق وذهب بن منبه وغيرهما من أصحاب السيرة والخبار
قالوا جميعا ان عاد الما هلك وانقضى أمرها عمرت ثم ود بها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها واكثروا
وعمر واحتى ان أحدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما ساروا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا
وكانوا في سعة من العيش والرءاء ففتوا وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا
نبيا وكانوا قوماعر با وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل
يدعوهم الى الله تعالى والى عبادته حتى شمت وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح
بالدعاء والتبليغ وأكثرتهم التحذير والتخويف سألوه أن يرهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال
صالح أي آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد ينحرون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم
من السنة وقالوا تدعوا هلك وتدعوا آلهتنا فان استجب لك انبعاثك وان استجيب لنا انبعاثنا فقال لهم
صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصلح في
شيء مما يدعونه ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج ايامنا من هذه الصخرة
لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة نخرت جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشا كانت
البخت من الابل فان فعلت آمنا بك وصدقناك فاخذنا عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولئن لم تفعل
قالوا نعم قال فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض
التنوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوها ووصفوا غير أنه لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله عز وجل عظم ما وهم ينظرون اليها ثم تجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو وورثها معه من
قومه وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو بن ابيد والحباب وكانا صاحبي
أوثانهم وورباب بن ضمير وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح
هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكنتم الناقة ومعها سقبا في أرض ثمود رعى الشجر وتشرب الماء
وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فارتفع رأسها حتى
تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتعجج لهم فيحلبون ماشاؤا منها من ابن فيشربون
ويدخرون حتى يملؤا أو انهم كاهنهم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر أن تصدر من حيث
وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ماشاء الله من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم
الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهور الوادي فتهرب منها
مواشيهم الابل والبقر والغنم فتعبط الى بطن الوادي فتسكون في حره وجده واذ كان الشتاء
فتشت الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتسكون في البرد والجذب فاضر ذلك بمواشيهم
للامر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعمتوا عن أمرهم وحلمهم ذلك
على عقر الناقة فاجتمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لهما عنبيرة بنت غانم بن مخلد
ونكتي بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل
وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جيلة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من أشد
الناس عداوة لصلح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضرت بمواشيهم فاجتلتا في عقر الناقة
فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فآبى عليها فدعت
ابن عم لها يقال له مصدع بن مهزج بن الحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس

منيحة تدرك الفضيحة
ولكنها وخيمة تورث
السخيمة روى ان عقرهم
الناقة كان يوم الاربعاء
فقال صالح تعيشون بعده
ثلاثة أيام تصفرو وجوهكم
أول يوم ونحمر في الثاني
وتسود في الثالث ويصيبكم
العذاب في الرابع وكان
كذلك روى أنه خرج في
مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فلما علم أنهم
هلكوا رجع بمن معه
فسكنوا ديارهم

ولا تنفوا في الأرض مفسدين) روى أن عاد الماء هلكت عثرت ثم دبلادها وحلفوها في الأرض وعمر وأعمارها طوا لا فتحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش ففتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قومًا عابثين بالصالح من أوسطهم نسبًا فدعاهم إلى الله فلم يتبعوه إلا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشرة أهلي ففعلوا به فتمخضت فتمخض النعوج بولدها فخرجت منها ناقة كشاة أو فافا من به جندع ورهط من قومه (قال الملا الذين استكبروا من قومه) وقال شامي (الذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (١١٣) (لن آمن منهم) بدل من الذين

استضعفوا بإعادة الجار وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان في تقدير عادة العامل والضمير في منهم راجع إلى قومه وهو بدل على أن استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين أو إلى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا انما أرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم لأنهم سألوهم عن العلم بأرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مسلما كانتهم قالوا العلم بأرساله وبما أرسل به لا شبهة فيه وانما الكلام في وجوب الإيمان به فتخبركم آياته مؤمنون (قال الذين استكبروا انما بالذي آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتهم به موضع أرسل به ردًا لمراجعهم المؤمنون معلوما مسلما (فقروا الناقة) أسند

(ولا تنفوا في الأرض مفسدين) قال قتادة معناه ولا تنسروا في الأرض مفسدين فيها والعنوا أشد الفساد وقيل أراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد (قال الملا الذين استكبروا من قومه) يعني قال الأشراف الذين تعظموا عن الإيمان بصالح (الذين استضعفوا) يعني المساكين (لن آمن منهم) يعني قال الأشراف المتعظمون في أنفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه (أعلمون أن صالحا مرسل من ربه) يعني أن الله أرسله إلينا وليسكم (قالوا انما أرسل به مؤمنون) يعني قال الضعفاء انما أرسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون (قال الذين استكبروا) يعني عن أمر الله والإيمان به وبرسوله صالح (انما بالذي آمنتم به كافرون) أي جاحدون منكرون (فقروا الناقة) يعني فقرت ثم دبلادها وناقاة العقر قطع عرقوب البعير ثم جعل الذئب عقر الان ناجر البعير بعقره ثم ينحره (وعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن أمر ربهم وعصوه واعتوا الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى أنهم عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبينهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقالوا يا صالح انت نبأنا تعدنا) يعني من العذاب (ان كنت من المرسلين) يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رساله على أعدائه وانما قالوا ذلك لأنهم كانوا مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب فجعل الله لهم ذلك فقال تعالى (فاخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدى هي الصبغة فيعتل أنهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصبغة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى (فاصبحوا في دارهم جاثمين) يعني فاصبحوا في أرضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما قال دار الحرب أي بلد الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم وجمع في آية أخرى فقال في ديارهم لأنه أراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطسا بالأرض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى أنهم أصبحوا جاثمين على وجوههم موتى لا يتحركون (فتولى عنهم) يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولى قولان أحدهم أنه تولى عنهم بعد أن اتوا هلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والثاني للتعقيب فدل على أنه جعل هذا التولى بعد جثومهم وموتهم والقول الثاني أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه أنه خاطبهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى وانصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق إلا بالأحياء فعلى هذا القول يحتمل أن يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى وانصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وأجاب أصحاب القول الأول عن هذا أنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توخيًا وتقديرًا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتل بدر حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث في الصحيح

(١٥ - خازن - ثاني) العقر إلى جميعهم وان كان العاقر قد اربن سالف لانه كان برضاهم وكان قد اربن قسيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا علي أشقى الأولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على إسان صالح عليه السلام من قوله قد روهاتنا كل في أرض الله أو شان ربهم وهو دينه (وقالوا يا صالح انت نبأنا تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين) والمرسلين (الرجفة) الصبغة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها (فاصبحوا في دارهم) أي مساكنهم (جاثمين) أي ميتين قعودا قال الناس جثم فعود لا حراك بهم في بلادهم لا يكلمون (فتولى عنهم) لم يعقر وناقاة (وقال يا قوم) عند فراقهم (لقد أبلغتكم رسالة ربى وانصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) الأمرين بالهدى لاستجداء الهوى والصبغة

بَنُو دَاوُدَ الْقَبِيلَةِ وَقِيلَ
سَمِيَتْ يُحُودُ لِقَابِ آبَائِهِمْ
الْحَمْدُ وَهُوَ اسْمُ الْقَبِيلِ
وَكُنْتُ مَسَاكِينُ الْحَمْرِ
بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ (أَخَاهُمْ
صَالِحُ الْقَوْمِ يَعْبُدُونَ اللَّهَ
مَالِكُكُمْ مِنَ الْغَيْبِ قَدْ
جَاءَكُمْ بِنْتٌ مِنْ رَبِّكُمْ)
أَيُّهَا الظَّاهِرُ شَهِيدٌ عَلَى صِحَّةِ
نُبُوَّتِي فَكَانَ قِيلَ مَا هَذِهِ
الْبِنْتُ فَقَالَ (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ)
وَهَذِهِ إِضَافَةٌ مَخْصِيصٌ
وَنَعِظُكُمْ لَأَنَّهُمَا يَتَكَوْنُ فِيهِ تَعَالَى
بِلَا صُلْبٍ وَلَا رَحِمٍ (لَكُمْ
آيَةٌ مِنْ النَّاقَةِ
وَالْعَامِلُ مَعْنَى الْإِشَارَةِ فِي
هَذِهِ كَأَنَّهُ قِيلَ أَشِيرَ إِلَيْهَا
آيَةٌ وَلَكُمْ بَيَانٌ لِمَنْ هِيَ لَهُ
آيَةٌ وَهِيَ يُحُودُ لِأَنَّهُمْ عَابَدُوهَا
(فَدَرَوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ
اللَّهِ) أَيْ الْأَرْضِ أَرْضُ اللَّهِ
وَالنَّاقَةُ نَاقَةُ اللَّهِ فَدَرَوْهَا
تَأْكُلُ فِي أَرْضِ رَبِّهَا مِنْ
نَبَاتِ رَبِّهَا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
مُؤْتَنَاهَا (وَلَا تَنْسَوْنَهَا بِسُوءِ)
وَلَا تَنْصُرُ بُوَهَا وَلَا تَعْقُرُوهَا
وَلَا تَنْظُرُوهَا إِلَّا كَمَا لَايَةٌ
إِلَهُ (فَيَأْخُذْكُمْ) جَوَابُ
الْهَمِي (عَذَابُ أَلِيمٍ
وَإِذْ كَرُوا أَذْجَعَكُمْ خَلْفَاءَ
مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَاءُكُمْ)
وَنَزَلَ كُمْ الْمُبَاءَةُ الْمَنْزِلَ (فِي
الْأَرْضِ) فِي أَرْضِ الْحِجْرِ بَيْنَ
الْحِجَازِ وَالشَّامِ (تَتَخَذُونَ
مِنْ سَهْوِهَا قُصُورًا) غُرَفًا
لِلصَّيْفِ (وَتَنْتَحُونَ الْجِبَالَ
بِيُونَا) لِلشَّتَاءِ وَبِيُونَا حَالُ

عَادٍ وَقِيلَ ابْنُ عِزِّ حِينَ دَعَا بِمَكَّةَ قِيلَ لَهُمْ قَدْ أُعْطِيتُمْ مِنْكُمْ فَخْتَارُوا وَالْأَنْفُسُكُمْ غَيْرَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ وَلَا بَدَنٍ مِنَ
الْمَوْتِ فَقَالَ مَرُّدُ اللَّهِ عَاطِي بَرَاوِدٍ قَدْ قَاطَعْتُ ذَلِكَ وَقَالَ لَقَمَانُ اللَّهُمَّ أُعْطِنِي عَمْرًا أَقْبِلَ لَهُ اخْتَرْتُ فَخْتَارَ عَمْرٌ
سَبْعَةَ أَسْرِ فَكَانَ يَأْخُذُ الْفَرْخَ حِينَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضَةِ وَكَانَ يَأْخُذُ الَّذِي كَرَفَتْهُ فَيَرِيهِ حَتَّى يَمُوتَ فَإِذَا مَاتَ
أَخَذَ غَيْرَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أَتَى عَلَى السَّابِعِ وَكَانَ كُلُّ أَسْرِ يَعْشَى ثَمَانِينَ سَنَةً وَكَانَ السَّابِعُ مِنَ النَّسُورِ
اسْمُهُ لَبِيدٌ فَلَمَّا مَاتَ لَبَّدَتْهُ لَقَمَانُ مَعَهُ وَأَقْبَلَ فَإِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا يَصِيبُ قَوْمَهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ أَهْلَكَ فَقَالَ لَا أَبَالِي
لَا حَاجَةَ لِي فِي الْبَقَاءِ بَعْدَ قَوْمِي فَاصْبِرْ إِلَى الَّذِي أَصَابَ عَادَ أَهْلَكَ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْوَفْدِ الَّذِينَ خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ
لَعَادَ قَانَتْ الرِّيحُ الْمَاخِرَ جِوَامِنَ الْحَرَمِ فَاهْلِكْتُمْ جَمِيعًا فَلَمَّا أَهْلَكَ اللَّهُ عَادَ ارْتَحَلَ هُودٌ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَرْضِهِمْ بَعْدَ هَلَاكِ قَوْمِهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الشَّجَرُ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ فَتَزَلَّ هُنَاكَ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَدُفِنَ بِأَرْضِ
حَضْرَمَوْتِ يَرَوِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّ قَبْرَهُ هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِحَضْرَمَوْتِ فِي كَثِيبٍ
أُحْمَرٍ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَبَابَةَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَزَمْرَمِ قَبْرِ نِسْعَةٍ وَتَسْعِينَ نَبِيًّا وَإِنَّ قَبْرَهُ هُوَ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ
وَأَسْمَعِيلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ وَيَرَوِي أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا هَلَكَ قَوْمُهُ جَاءَهُ وَالصَّالِحُونَ
مِنْ قَوْمِهِ مَعَهُ إِلَى مَكَّةَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى يَمُوتُوا بِهَا ^{فِي} قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَالْيُحُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا) يَعْنِي وَأُرْسَلْنَا
إِلَى يُحُودٍ وَهُوَ يُحُودُ بْنُ عَابِرِ بْنِ أَرَمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَهُوَ أَخُو جَدِّيسَ بْنِ عَابِرٍ وَكَانَتْ مَسَاكِينُ يُحُودِ الْحَمْرِ بَيْنَ الْحِجَازِ
وَالشَّامِ إِلَى وَادِي الْقُرَى وَمَا حَوْلَهُ وَمَعْنَى الْكَلَامِ وَالْيُحُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا لِأَنَّ يُحُودَ قَبِيلَةٌ قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ
الْعَلَاءِ سَمِيَتْ يُحُودُ لِقَابِ آبَائِهِمْ وَالْحَمْدُ الْمَاءُ الْقَابِلُ وَقِيلَ سَمُوا يُحُودَ بِأَسْمِ آبَائِهِمْ الَّذِي يَنْسَبُونَ إِلَيْهِ أَخَاهُمْ صَالِحًا
يَعْنِي فِي النَّسَبِ لَا فِي الدِّينِ وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَمِيدِ بْنِ آسَفِ بْنِ مَاسَحِ بْنِ عَمِيدِ بْنِ حَازِرِ بْنِ يُحُودَ (قَالَ يَاقُومُ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَالِكُكُمْ مِنَ الْغَيْبِ) يَعْنِي قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ حِينَ أُرْسِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ يَاقُومُ وَحَدَّثَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
فَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَ سِوَاهُ (قَدْ جَاءَكُمْ بِنْتٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يَعْنِي جَاءَكُمْ حُجَّةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَرَهَانٌ عَلَى صَدَقِ
مَا أَقُولُ وَأَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَعَلَى تَصَدِّقِي بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ثُمَّ فُسِّرَ تِلْكَ
الْبِنْتُ فَقَالَ (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ آيَةٌ) يَعْنِي إِتْلَامَةُ عَلَى صَدَقِي قَوْلَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَوَجْهَهُ كَوْنُ هَذِهِ النَّاقَةِ
آيَةً عَلَى صَدَقِ صَالِحٍ وَمُحْجَزَةً لَهُ خَارِقَةً لِعَادَةِ أَنْهَا خَرَجَتْ مِنْ صَخْرَةٍ فِي الْجَبَلِ وَكَوْنُهَا لَامِنٌ ذَكَرُوا لَهَا مِنْ أَنْتِي
وَكُلَّ خَلْقَتَهَا مِنْ غَيْرِ جِلٍّ وَلَا تَدْرِي لِمَ لَانْهَا خَلَقَتْ فِي سَاعَةٍ وَخَرَجَتْ مِنَ الصَّخْرَةِ وَقِيلَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهَا شَرْبُ يَوْمٍ
وَجَمِيعُ قَبِيلَةِ يُحُودِ شَرِبَ يَوْمَ ذَلِكَ مِنَ الْمَجْزَةِ أَيْضًا لَانْ بَاقَةَ تَشْرَبُ مَا تَشْرَبُ بِهِ قَبِيلَةُ مَجْزَةٍ وَكَانُوا يَحْمِلُونَهَا فِي
يَوْمٍ شَرِبَ بِهَا قَوْمٌ مَا يَكْفِيهِمْ جَمِيعُهُمْ وَيَقُومُ لَهُمْ مَقَامُ الْمَاءِ هَذَا أَيْضًا مَجْزَةٍ وَقِيلَ إِنَّ سَائِرَ الْوَحُوشِ وَالْحَيَوَانَاتِ
كَانَتْ تَمْتَنِعُ مِنَ شَرَبِ الْمَاءِ فِي يَوْمٍ شَرِبَ النَّاقَةُ وَتَشْرَبُ الْحَيَوَانَاتُ الْمَاءَ فِي غَيْرِ يَوْمٍ النَّاقَةُ وَهَذَا أَيْضًا مَجْزَةٍ وَأَمَّا
أَصَافُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْضِيلِ وَالتَّشْرِيفِ كَمَا يُقَالُ بَيْتُ اللَّهِ وَقِيلَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
خَلَقَهَا بِغَيْرِ وَسْطَةٍ ذَكَرُوا نَتْنِي وَقِيلَ لِأَنَّهُ لَمْ يَلِكْهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَقِيلَ لِأَنَّهُمَا كَانَتْ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى قَوْمِ صَالِحٍ
(فَدَرَوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ) يَعْنِي فَدَرَوْهَا النَّاقَةُ تَأْكُلُ الْعُشْبَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَالنَّاقَةَ أَيْضًا
لِلَّهِ وَإِسْلَامُكُمْ فِي أَرْضِ اللَّهِ شَيْءٌ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْبَتَ الْعُشْبَ فِيهَا (وَلَا تَنْسَوْنَهَا بِسُوءِ) يَعْنِي وَلَا تَنْظُرُوهَا وَلَا
تَقْرُبُوهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذْيِ وَلَا تَعْقُرُوهَا (فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ) يَعْنِي بِسَبَبِ عَقْرِهَا وَأَذَاهَا
(وَإِذْ كَرُوا أَذْجَعَكُمْ خَلْفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ) يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ عَادًا وَجَعَلَ كُمْ تَخْلَفُونَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَعْمُرُونَهَا
(وَبَوَاءُكُمْ) يَعْنِي وَأَسْكَنْتُكُمْ وَأَنْزَلْتُكُمْ (فِي الْأَرْضِ) تَتَخَذُونَ مِنْ سَهْوِهَا قُصُورًا يَعْنِي تَبْنُونَ الْقُصُورَ
مِنْ سَهْوَةِ الْأَرْضِ لِأَنَّ الْقُصُورَ أَمَّا تَبْنِي مِنَ اللَّابِنِ وَالْأَجْرُ الْمَتَّخِذُ مِنَ الطِّينِ السَّهْلِ اللَّابِنِ (وَتَنْتَحُونَ الْجِبَالَ
بِيُونَا) يَعْنِي وَتَشُقُّونَ بِيُونَا مِنَ الْجِبَالِ وَقِيلَ كَانُوا يَسْكُنُونَ السَّهْلَ فِي الصَّيْفِ وَالْجِبَالَ فِي الشِّتَاءِ وَهَذَا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مَتَّعِينَ مَتَرَفِينَ (فَإِذْ كَرُوا آلَاءَ اللَّهِ) أَيْ فَإِذْ كَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكُمْ وَاشْكُرُوهُ عَلَيْهَا

وان الله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء
 زادنى رواية لقد حكم الاله وليس جورا * وحكم الله ان غلب الهـ واء
 على عاد وعاد شرفـ ووم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
 وانى لن أفارق دين هود * طوال الدهر أويأتى الفناء

فقال جلهمه بن الخيرى بحبيب المرئى بن سعد حين فرغ من مقاتته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به
 ألا يا سـعد انك من قبـل * ذوى كرم وأمك من نمود
 فانا لانطـيعـك ما بقينا * ولـسـنا فاعـلـين لما نريد
 أنأمرنا لنـترك دين وفـد * ورمـل والصـداء مع الصمود
 ونترك دين آباء كـرام * ذوى رأى ونابـع دين هود

لا يخفى ما فى قافية البيت
 الثانى

ثم قال جلهمه لعادوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرئى فلا يقدر من معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا
 ثم خرجوا الى مكة يستسقون بهم العاد فلما اولوا الى مكة خرج مرئى بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى
 أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعوا الله وبها وفد عاد يدعونه فقال
 مرئى اللهم أعطني سوئلى وحدى ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعوا فقال
 اللهم أعط فيلأما سألك وقال الوفدمعه واجعل سوئنا مع سوئله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان
 سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتكم وحدى فى حاجتى فاعطني سوئلى وسأل
 طول العمر فمر عمر سبعة أشهر وقال قيل بن عنز حين دعايا الهنأ ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا
 فأنشأ الله تعالى سحاب ثلاثا بيضاء وجرأ وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من
 هذه السحاب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناده مناد اخترت رمادا
 رمدد الا يبقى من آل عاد أحد واساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة الى
 عاد حتى خرجت عاينهم من وادهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطر نايقول الله
 عز وجل بل هو ما يستجئتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أى كل شئ مرت به بامر ربها وكان أول من
 أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم
 صعدت فلما ان أفافت قالوا لها ما ذارت رأيت الريح فيها كسهب النار أمامها رجال يقولون نها
 فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحد الا أهلكته واعتزل هود ومن
 معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الاماثلين عليه الجلود وتلذذ به الانفس وانها فى قوتها
 لتربا الظعن من عاد فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بعادوية
 ابن بكر فنزلوا عليه فيبيناهم عنده اذا قبل اليه رجل على ناقة فى ليلة مقمرة وذلك مساء نالته من مصاب عاد
 فاخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به
 فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دانت
 منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها
 وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخات عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما
 أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فقلعتهم الى البحر فالتقامهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فالت
 عليهم الرمال فكانوا تحت اسبع ايام وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم
 الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط الا بكيال الا يومئذ فاهمعت على الخزنة فقامت بهم فلم
 يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث انما خرجت على مثل خرقة الخاتم وقيل ان مرئى بن سعد ولقمان بن

والاحقاف الزبل وبما بين عمان وحضر موت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا في الأرض كلها وقهروا أهلها
بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء
وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم
نسبا وأفضلهم موضعا فامرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الهة غيره وإن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم
بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتُمون
إيمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتُم إيمانه فلما عتوا على الله
وكذبوا أنبيهم وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية واتخذوا المصانع لعلمهم بخلدون فلما
فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء
وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة وممنهم ومشر كهم وكان يجتمع بمكة ناس
كثير مختلف أديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من
الحرم وكان سكان مكة يؤمنون بالعماليق وأنما سموا العماليق لأن أباهم كان عمليق بن لاو بن سام بن نوح
وكان سيد العماليق يؤمنون بالعماليق لا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كهدة بنت الخيرى وهو رجل
من عاد وكانت عاد أحوال معاوية سيد العماليق فلما حطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفد إلى
مكة ليستسقوا الحكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قبيلا بن عزرو نعيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صند بن عاد
الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسالما يكتُم إسلامه وجاهلهم بن الخيرى خال معاوية بن بكر سيد
العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين
رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا
أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قيتتان لمعاوية بن بكر فلما رأى
معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه
وقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيبي نازلون على الله ما أدري كيف أصنع فأتى
أستجى أن أمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق منى بمكانهم عندى وقد هلك من وراءهم من
قومهم جهدا وعطشا قال وشكى ذلك من أمرهم إلى قينته الجرادتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به ولا يدرون من
قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

ألا يا قبيلا وبحك قم فنهيم * أمهل الله يسقينا غمما * فيسقى أرض عادان عادا
قد أسوا لا يبينون الكلام * من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم أيامى * وإن الوحش تائبهم جهارا
ولا تخشى إعادى سها * وأنتم ههنا فيما أشبهت * نهاركم وليلكم غمما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولالقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنثهم به الجرادتان وعرف القوم ما غنث به قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم
قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطلناهم فادخلوا الحرم واستسقوا قومكم فقال
مرثد بن سعد بن عفير أنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطلعتم نبيكم وتبتم إلى ربكم سقيتم وأظهر
إسلامه عند ذلك وقال فى ذلك

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا مات بلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فابصرنا الهدى وجلى العماء

بيته الحرام فاوفدوا اليه
قيل بن عزرو نعيم بن هزال
ومرثد بن سعد وكان يكتُم
إيمانه بهود عليه السلام
وأهل مكة اذ ذاك العماليق
أولاد عمليق بن لاو بن
سام بن نوح وسيدهم
معاوية بن بكر فنزلوا عليه
بظاهر مكة فقال لهم مرثد
لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود
نخلفوا مرثدا وخرجوا
فقال قيل اللهم اسق عادا ما
كنت تسقيهم فأنشأ الله
سحابات ثلاثا بيضاء وجراء
وسوداء ثم ناداه مناد من
السماء يا قبيلا اختر لنفسك
واقومك فاختر السوداء
على ظن أنها أكثر
ماء فخرجت على عاد من
وادهم فاستبشروا وقالوا
هذا عارض ممطرنا فجاءتهم
منهاريج عقيم فاهلك منهم
ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة فعبدوا الله فيها
حتى ماتوا

و يسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلقتموهم في الأرض أوفى مساكنهم واذفعول به وليس بطرف أي اذكروا وقت استخلاصكم (وزادكم في الخلق بسطة) طولاً وامتداداً فكان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع بسطة حجازي وعاصم وعلى (فاذكروا آلاء الله) في استخلاصكم وبسطة أجزامكم ومساواهم من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحواني والآباء (عليكم نفلحون) ومعنى (١٠٩) المحي في (قالوا أجنثنا) أن

يكون لهود عليه السلام مكان مع نزل عن قومه يتحنت فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوه (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معهم جبالاً منشوا عليه (فاتنابا تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) أن العذاب نازل بنا (قال قد وقع أي قد نزل عليكم) جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لن طلب إليك بعض الطالب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أتجادلونني في أسماء سميتموها) في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحنها سميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الألوهية (أتم وآباءكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فاتنظروا) نزول العذاب

(أمين) يعني على تبليغ الرسالة وأداء النصح والامتنان على ما أنعم الله عليه صلى الله عليه وسلم من نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال وأصبح لكم وحكي عن هود عليه الصلاة والسلام أنه قال وأنا لكم ناصح فلأول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما أن صيغة الفعل تدل على تجديد النصيحة ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعوه وقومه يلبونهم فقالوا كما أخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وأصبح لكم وأصبح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوه وقتاً ودون وقت فلما دعا قال وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفس بآثار المدح غير لائق بالعقلاء وإنما قيل هود ذلك وقال هذا القول لأنه كان يجب عليه إعلام قومه بذلك ومقصوده الردها عنهم في قلوبهم وبالنسبة لك من الكاذبين فوصف نفسه بالأمانة وأنه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرر للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في موضع الضرورة إلى مدحها (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعني أعجبتم أن أنزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأسر ربكم ويخوفكم عقابه (واذكروا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعني واذكروا نعمة الله عليكم إذا هلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الأرض (وزادكم في الخلق بسطة) يعني طولاً وقوة قال السكبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعاً وقيل سبعين ذراعاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمانين ذراعاً وقال مقاتل اثني عشر ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا آلاء الله) يعني نعم الله وفيه إضمار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم وأعمالوا عملاً يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام (عليكم نفلحون) يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة (قالوا) يعني قال قوم هود مجيبين له (أجنثنا) يهود (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) يعني من الأصنام (فاتنابا تعدنا) يعني من العذاب (إن كنت من الصادقين) يعني في قولك أنك رسول الله (قال) يعني قال هود مجيباً لهم (قد وقع) يعني نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس وغضب) أي عذاب وسخط (أتجادلونني) يعني أتخاصمونني (في أسماء سميتموها) أي أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم لأنهم سمو الأصنام بالآلهة وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان) يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وإنما سميتموها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل (فاتنظروا) يعني العذاب (اني معكم من المنتظرين) يعني نزول العذاب بكم (فانجيئناهم) يعني فأنجيئنا هوداً عند نزول العذاب بقومه (والذين معه برحمة منا) يعني وأنجيئنا أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لأنهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعني وأهلكنا الذين كذبوا هوداً من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فهاك أوجيعا ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعني لأنهم لم يكونوا صدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكركم عاده على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير والخبار ﴾

قالوا جميعاً كانت منازل عاد وجاعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هوداً عليه الصلاة والسلام الاحقاف

(اني معكم من المنتظرين) ذلك (فانجيئناهم والذين معه) أي من آمن به (رحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الأصل أو السائن خلف الشيء وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة في الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الأشعار بان الهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عاد قد بسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصموداً والهباء فبعث الله اليهم هوداً فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلا طابوا إلى الله الفرج منه عند

فنسبوه الى الكذب (فانجيناه والذين معه) وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافت وستة من آمن به (في الفلك) يتعاقب معه كانه قيل والذين يحبوه في الفلك (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا منهم كانوا قوم عاصين) عن الحق يقال أعشى في البصر وعم في البصيرة (والى عاد) وأرسلنا (١٠٨) الى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحدا منهم من قولك يأخا العرب للواحد

منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم أئزم (هودا) عطف بيان لأخاهم وهـ وهود بن صالح بن ارغش بن سام بن نوح (قال يا قوم اعبدوا الله مالا لكم من اله غيره أفلا تتقون) وانما لم يقل فقال كفى قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملائكة الذين كفروا من قومهم) وانما وصف الملائكة بالذين كفروا دون الملائكة من قوم نوح لان في أشرف قوم هود من آمن به منهم مرد بن سعد فاريبت النفرقة بالوصف ولم يكن في أشرف قوم نوح عليه السلام مؤمن (اننا نراك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث نهجر دين قومك الى دين آخر وجعات السفاهة ظرفا مجازا يعني انه متمكن فيها غير منفك عنها (وانا لظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال يا قوم ليس بي

يعني فكذبوا نوحا (فانجيناه) يعني من الطوفان والغرق (والذين معه) يعني من آمن من قومه معه (في الفلك) يعني في السفينة (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا منهم كانوا قوم عاصين) قال ابن عباس رضى الله عنهما عصى قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموما عن الحق والايمن يقال رجل عم في البصيرة وأعشى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غدعم

قال مقاتل عموما عن نزول العذاب بهم وهو الغرق ﴿قوله تعالى﴾ (والى عاد أخاهم هودا) أى وأرسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى أخاهم هودا يعني أخاهم في النسب لاني الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن صالح بن ارغش بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من أين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكرنا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لامن الملائكة وبكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى اننا أرسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانسان بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والنساء أنه أخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمى صاحب الذوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت (قال يا قوم اعبدوا الله مالا لكم من اله غيره) أى اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها آخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله مالا لكم من اله غيره (أفلا تتقون) يعني أفلا تتخافون عقابه بعبادتك غيره ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من العرق حسن قوله هنا أفلا تتقون يعني أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن نخوفهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملائكة الذين كفروا من قومهم اننا نراك في سفاهة) يعني اننا نراك يا هود في جن وجهالة وضلالة عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا له اننا نراك في ضلال مبين وأخبر عن قوم هود انهم قالوا له اننا نراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة قاله قومه عند ذلك اننا نراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء وأما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابله بمثله فقالوا اننا نراك في سفاهة (وانا لظنك من الكاذبين) يعني في ادعائك انك رسول من عند الله (قال) يعني قال هود هؤلاء الملائكة الذين نسبوه الى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) يعني ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) يعني اليكم (أبلغكم رسالات ربي) يعني أؤتي اليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيه وشرائعه ونكاليه (وأنا لظنكم باصح) يعني فيما أمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه

(أمين)

سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لظنكم باصح) فيما أَدْعُوكم اليه

(أمين) على ما أقول لكم وانما قال هنا أنا لظنكم باصح أمين لقولهم وأنا لظنكم من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصوصهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك لتعلم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكذا ننسبون عنهم

(فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيرة) غيرة على فالرفع على المحل كأنه قيل مالكم من الغيرة فلا تعبدوا غيره والجر على اللفظ (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملائة) أي الأشراف والسادة (من قومه انا انراكم في ضلال مبين) أي بين في ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال) (١٠٧) يا قوم ايسر في ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة

أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس في شيء من الضلال ثم استدرك لتأكدي الضلالة فقال (ولكني رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلة لرسالته في معنى كونه على الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربي) ما أوحى الى في الأوقات المتطاوله وفي المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواظع والبشائر والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأفصح لكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحت ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على المحاض النصيحة وحقيقة الصبح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في صدق العنابة (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه

نعم الى بعد ادر يس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لانه أصل قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلافه وفي سبب نوحه فقيل لدعونه على قومه بالهلاك وقيل لمرآجعتهم به في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكل مجذوم فقال له احسبا يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعيتني أم عبت الكلب (فقال) يعني نوحا قومه (يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيرة) يعني اعبدوا الله تعالى فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب أن يعبد (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعني ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه أو يوم القيامة انما قال أخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملائة) وهم الجماعة الاشراف (من قومه انا انراكم) يعني يا نوح (في ضلال مبين) يعني في خطأ وزوال عن الحق بين (قال) يعني نوحا (يا قوم ايسر في ضلالة) يعني ما يماثلون من الضلال (ولكني رسول من رب العالمين) يعني هو أرسلي اليكم لانذركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالات ربي) يعني بتحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به (وأفصح لكم) يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه وقيل النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وأرشدكم الى الوجه الاصل والاصوب لكم وأدعوك الى ما دعاني اليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع أو امر الله تعالى ونواهييه وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني وأعلم انكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلعهم على سر من أسرارهم فقال وأعلم من الله ما لا تعلمون (أو عجبتم) الالف ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه أ كذبتهم وعجبتم (أن جاءكم ذكر من ربكم) يعني وحيامن ربكم (على رجل منكم) تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمي القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع (لينذركم) يعني جاءكم لاجل أن ينذركم (ولتتقوا) أي ولاجل أن تتقوا (ولعلكم ترجون) لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا يبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة (فكذبوه)

وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين (أو عجبتم) الهزلة لانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أ كذبتهم وعجبتم (أن جاءكم) من ان جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أي من جسمكم وذلك لانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ماسه عنا هذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لازلنا ملائكة (لينذركم) لينذركم عاقبة الكفر (واتتقوا) ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترجون) ولترجوا بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه)

أحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأجساد بعد موتها والمعنى إنما وصفت ما وصفت من التشبيه والمتمثيل
لكي تعتبر واوتدكر واوتعلم وأن من فعل ذلك كان هو الذي يعيد ويحيي ﴿قوله تعالى﴾ (والبلد الطيب)
يعني والارض الطيبة التربة السهلة السمحة (يخرج نباته باذن ربه) يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن
الله عز وجل (والذي خبت لا يخرج) يعني والبلد الذي خبت ارضه فهي سبخة لا يخرج يعني لا يخرج
نباته (الانكدا) يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر في المعنى يذم انسانا

لا تنجز الوعدان وعدت وان * أعطيت أعطيت نافيها نكدا

يعني بالنافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون
هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزل القرآن على قلب
المؤمن بنزل المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن
اذا سمع القرآن آمن به واتق به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحسنة وشبه الكافر
بالارض الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع
به ولا يصدق ولا يزيد الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها
في الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما
ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبداءة السبخة المسالحة التي خرجت منها البركة قال الكافر
خيبت وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضرب به الله تعالى لآدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب وبدل على
صحته هذا التأويل ما روى عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة
قبلت الماء فانبثت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس
فثمرت اثمارها وسقاوا زرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك
مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعمل وعلم ومن لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى
الله تعالى الذي ارسلت به خرافه في الصحيحين ﴿قوله تعالى﴾ (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)
يعني كما ضرب بنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم
يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر
لانهم هم الذين اتفعا وباسماع القرآن ﴿قوله عز وجل﴾ (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) اعلم ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنفته الدالة على توحيده وربوبيته
وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى
لهم مع أممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد
أعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى
الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت
عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق أحدا من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص
والأخبار عن القرون الماضية والأمم الخالية لم ينكره عليه أحد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله
عز وجل وانه أوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح
ابن المك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى ارسلنا بعثنا وهو أول نبي بعثه الله

(والبلد الطيب) الارض
الطيبة التربة (يخرج نباته
باذن ربه) بتدبيره وهو موضع
الحال كأنه قيل يخرج
نباته حسنا وافيا لانه واقع
في مقابلة نكدا (والذي
خبت) صفة للبلد أي
والبلد الخبيث (لا يخرج)
أي نباته خذف للاكتفاء
(الانكدا) هو الذي لا خير
فيه وهذا مثل لمن ينجع
فيه الوعد وهو المؤمن
ولن لا يؤثر فيه شيء من
ذلك وهو الكافر وهذا
التمثيل واقع على أثر مثل
ذلك المطر وانزاله بالبد
الميت واخراج الثمرات
به على طريق الاستطراد
(كذلك) مثل ذلك
النصرف (نصرف الآيات)
نردها ونكررها (لقوم
يشكرون) نعمة الله وهم
المؤمنون ليتفكروا فيها
ويعتبروا بها (لقد ارسلنا)
جواب قسم محذوف أي
والله لقد ارسلنا (نوحا الى
قومه) ارسل وهو ابن
خسين سنة وكان نجارا
وهو نوح بن ملك بن
متوشلخ بن اخنوخ وهو
اسم ادريس عليه السلام

يقول الرّيح من روح الله تعالى تاني بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيت قوماً يتقوها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعينوا بالله من شرها رواه الشافعي رضي الله عنه بطوله وآخر جهه أبو داود في المسند عنه وقال كعب الأحبار لو حبس الله الرّيح عن عباده ثلاثة أيام لانت أكثر أهل الأرض وقوله تعالى (حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً) يقال أقل فلان الشيء إذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فإن من رفع شيئاً براه قليلاً والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه ماء سمي سحاباً لان سحابه في الهواء والمعنى حتى إذا حلت هذه الرياح سحاباً ثقالاً بما فيه من الماء قال السدي إن الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهم اطراف السماء والأرض حيث يلتقيان فتخرج منه من ثم ثم تنشره فتبسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب بعد ذلك وقيل إن الله تعالى دبر بحكمته أن الرياح تتحرك تحركاً شديداً فتثير السحاب ثم يضم بعضه إلى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه إلى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سقناه لبلد ميت) يعني إلى بلد فتكون اللام بمعنى إلى وقيل معناه لأجل حياة بلد ميت وإنما قال سقناه لأن لفظ السحاب مذكور وإن كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائز انظروا إلى اللفظ قال الأزهرى رحمه الله تعالى قال الليث البادكل موضع من الأرض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الأعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الآية أناسقنا السحاب إلى بلد ميت محتاج لأنزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فانزلنا به الماء) اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به إلى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الأنباري جائز أن يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز أن يكون المعنى وأنزلنا بالسحاب الماء لأن السحاب آلة لنزول الماء (فاخرجنا به) يعني بذلك الماء لأن أنزال الماء كان سبباً لإخراج الثمرات وقيل يحتمل أن يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت (من كل الثمرات) يعني وأخرجنا بذلك البلد بعد موته وجده من أصله أصناف الثمار والزروع) كذلك يخرج الموتى) يعني كما أحيينا بالباد الميت كذلك نخرج الموتى أحياء من قبورهم بعد فنأثمهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل إن الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة أنزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة أنزال المطر أيضاً قال أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أو بعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أو بعين يوم ما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم ففخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد إذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الأرض ثم يرسل الأرواح فتعود كل روح إلى جسدها فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كما حيائه الأرض به وقيل إنما وقع التشبيه بأصل الأحياء والمعنى أنه تعالى كما أحيانا هذا البلد الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ورما بالية لأن من قدر على إخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم إلى حشرهم ونشرهم (أعالمكم تذكرون) الخطأ المتكرري البعث يقول انكم شاهدتم الأشجار وهي مزهرة مورقة ثمرة في أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الأزهار والأوراق والثمار ثم إن الله تعالى أحيانا مرة أخرى فالتقدير على

أجل النعم (حتى إذا أقلت) أجلت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لأن الرافع المطبق يرى ما يرفعه قليلاً (سحاباً ثقالاً) بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حل على المعنى كالتقال لانت كما لو حل الوصف على اللفظ لقيت ثقيلاً (البلد ميت) لأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميت مدني وحزة وعلى وحفص (فانزلنا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات (نخرج الموتى اعلمكم تذكرون) فيؤدبكم التذكير إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين لأن كل واحد منهما إعادة الشيء بعد انشائه

بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من إتلاف النفس بالقتل أو إفسادها بقطع بعض الاعضاء وإفساد
 الأموال بالنصب والسرقه وأخذ من الغير بوجوه الخيل وإفساد الأديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء
 المضلة وإفساد الأنساب بالأقدام على الزنا وإفساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في
 الدنيا هي هذه الخمسة فنع الله من ادخال الفساد في ما هيئها ﷻ وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعا)
 أصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع
 محبوب يحصل له والمعنى وأدعوه خوفاً منه ومن عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه
 خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفاً من الرباء في الذكر والدعاء وطمعاً في الاجابة فان قلت
 قال في أول الآية ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وقال هنا وادعوه وهذا هو عطف الشيء على نفسه فافائدة ذلك
 قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم أي ليكن الدعاء مقرر ونايات تضرع والالجابات وقوله وادعوه
 خوفاً وطمعاً ان فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الآية الاولى في بيان شرط صحة الدعاء والآية
 الثانية في بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها
 ولا تظمعوا أنكم وفيتم حق الله في العباداة والدعاء وان اجتهدتم فيها ما (ان رحت الله) أصل الرحمة رقة
 تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة عن الاحسان وتارة في الاحسان المجرد عن
 الرقة واذا وصف بها البارئ جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحة الله عز وجل عبارة
 عن الافضل والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول
 الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات (قريب من المحسنين)
 قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع اللفظ الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس
 بحقبة وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وكون الرحمة قرينة من المحسنين لان
 الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا وقبال على الآخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب
 اليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة لا الموت وهو قريب من الانسان قوله
 عز وجل (وهو الذي يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خالق السموات
 والارض وهو الذي يرسل الرياح (بشرا) قرئ نثراً بانون أراد جمع نشور وهي الريح الطيبة المهبوب
 التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناثر يقال أنثر الله الريح بمعنى أحيأها وقال الفراء النثر الريح الطيبة
 اللينة التي تنثي السحاب وقال ابن الانباري النثر المنتشرة الواسعة المهبوب وقيل النثر خلاف الطي
 فيحتمل أنها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى أرسلت وقرئ بشرا بالياء جمع بشيرة وهي التي
 تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك عمة ويسر والرياح أربعة الصبا وهي الشرقية والدمبور وهي
 الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي الغربية وعن ابن عمر رضي الله
 عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهي المقاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة
 وهي النائمات والمبشرات والمرسلات والذاريات (بين يدي رحمة) يعني أمام المطر الذي هو رحمة وانما
 سماه رحمة لانه سبب حياة الارض الميتة قال أبو بكر بن الانباري رحمة الله تعالى اليه ان تستعصمها العرب
 في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون في الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشيها
 وغنيابا اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به * عن أبي هريرة رضي
 الله عنه قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما باعكم في الريح فلم
 يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سألت عمر عنه من أمر الريح فاستجشنت راحتي حتى أدركت عمر وكنت في
 مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرتك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالظلم بعد العدل (وادعوه خوفا وطمعاً) حالان أي خائفين من الرد طامعين في الاجابة أو من النيران وفي الجنان أو من الفراق وفي التلاق أو من غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية أو من العدل وفي الفضل (ان رحت الله قريب من المحسنين) ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعل الذي هو بمعنى مفعول أو لان تانيث الرحمة غير حقيقي وللاضافة الى المذكور (وهو الذي يرسل الرياح) الريح مكي وحمزة وعلى (نشرا) حمزة وعلى مصدر نشر واتصابه اما لان أرسل ونشروا ريان فكأنه قيل نشرها نشرًا واما على الحال أي منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرًا شامئ تخفيف نشر كرميل ورسل وهو قرأة الباقرين جمع نشور أي ناشرة للمطر (بين يدي رحته) أي نعمته وهو الغيث الذي هو من

ودام كالميزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لأنه لم يرد به التوقيف قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لأن معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفاً وطعماً والمطوف يجب أن يكون مغايراً للمطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدر والكمال وهو المراد من قوله تعالى (انضرعوا) يعني ادعوا ربكم تذللوا واستكانوا وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان إذا ذل له وخشع وقال الزجاج نضرع أي تملقوا حقيقة أن ندعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعني سراني أنفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً هذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمعون لهم صوت إن كان الهمساً بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم نضرعاً وخفية وإن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً رضى فيه فقال تعالى إذا نادى ربه نداء خفياً (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأما خلفه أقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس ألا ذلك على كثر من كنوز الجنة قالت بلى يا رسول الله قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعني ارفعوا بها وأقصر واعن الصياح في الدعاء ﴿ وقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) يعني في الدعاء وقال أبو مجلزهم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الأبيض عن عيبن الجنة إذا دخلته قال أي نبي سأل الله الجنة وتعذبه من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الظهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفتح بعض أرباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم نضرعاً وخفية هل الأفضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم إلى أن اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ولكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى أن اظهارها أفضل فيقتدى به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال إن كان خائفاً على نفسه من الرياء فالأولى اخفاء العبادات صوتاً لعمله عن البطلان وإن كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى التمكن بحيث صار مبادئاً شائبة الرياء كان الأولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم إلى أن اظهار العبادات المفروضات أفضل من اخفائها فالصلاة المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت أفضل من صلاته في المسجد وكذلك اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات ﴿ قوله تعالى (ولا تنفدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني ولا تنفدوا وأبها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء إلى غير طاعة الله بعد اصلاح الله إياها بمعة الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكبي وقال ابن عطية لا تنفدوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرت بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله إياها بالطر والخشب وقيل معنى الآية ولا تنفدوا في الارض شيئاً

ادعوا ربكم نضرعاً وخفية) نصب على الحال أي ذوي نضرع وخفية وانضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذللوا وتلقوا قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفاً (نه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء ونه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تنفدوا في الارض بعد اصلاحها) أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو

أنه إلى الرحمن على العرش استوى قال أنه مستو على عرشه كما أخبر فقال الرجل إنما معني قوله استوى أي
 استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك أن العرب لا تقول استولى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد
 فإيهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما تظنه البشر والله
 أعلم وقوله تعالى (يغشى الليل النهار) يعني أنه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب
 بنوره وفيه حذف تقدير هو يغشى النهار بالليل وإنما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه (يطلبه حينئذ)
 يعني سر يعاود ذلك أنه إذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام نضر الدين الرازي عن
 القفال أنه قال إن الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور الخلق على وفق
 مشيئته وأراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان إلى الخبر وتزول الشهية من كل الجهات قال الامام
 وأعلم أنه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل
 بحركة الفلك الأعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فإن الإنسان إذا كان في أشد عرويه بمقدار رفع رجله
 ووضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل وهي ألف فرسخ فها هنا قال تعالى يطلبه حينئذ السرعة
 حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الأشياء
 جارية في مجاريها بأمره وقال المفسرون يعني بتسخيرهن تذهيلهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير
 ورجوع إذ ليس هي قادات بأنفسهن وإنما هن يتصرفن في متصرفتهن على إرادة المدبر لمن الحكيم في
 تديرهن وتصرفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر في قوله بأمره نفاذ إرادته لأن الغرض من هذه الآية
 تدبين عظمة قدرته ومنهم من جعل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال أنه تعالى أمر هذه الاحرام بالسير
 الدائم والحركة المستمرة إلى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم
 أفردهما بالذكر ثم عطف عليهما ما ذكر النجوم قلت نعم أفردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب
 لما فيهما من الاشرار والنور وسيرهما في المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عبداً لله وملائكته
 ورسوله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وإن كانا من الملائكة لبيان شرفهما
 وفضلهما على غيرهما من الملائكة ﴿وقوله تعالى (ألا له الخلق والامر)﴾ يعني له الخلق لأنه خلقهم وله
 أن يأمر فيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو تقبض النهي واستخراج
 سفیان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بخلق فله لان الله تعالى فرق بين الخلق والامر
 فمن جمع بينهما فقد تفرع عن معنى من جعل الامر لذى هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان الخلق
 لا يقوم بخلق مثله وفيه دلالة على ان جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري
 بقضائه وقدره فهو بحر هو ومنبثها فلا يبقى بعد هذا الاحتمال وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من
 الآية تعظيم القدرة وفي الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس
 والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم فآخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر
 والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غير في الامر والنهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 لا اعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله) يعني تعجده وتعظمه وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من
 البركة ومعنى البركة لكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله (رب العالمين) يعني انه هو الذي
 يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
 وذكر اسماء من عظم خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو
 المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك
 معناه تقدس والتفديس الظاهرة وقيل معناه بابه يتبرك في كل شيء وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت

(يغشى الليل النهار) يغشى
 حزمة وعلى وأبو بكر رأ
 يلحق الليل بالنهار والنهار
 بالليل (يطلبه حينئذ) حال
 من الليل - هل أي سر يعا
 والطالب هو الليل كأنه
 ل سرعة - ضيه يطالب النهار
 (والشمس والقمر
 والنجوم) أي وخلق
 الشمس والقمر والنجوم
 (مسخرات) حال أي
 مذلات والشمس والقمر
 والنجوم مسخرات شامى
 والشمس مبتدأ والبقية
 معطوف عليها والخبير
 مسخرات (بأمره) هو
 أمر تكوين ولما ذكر انه
 خلقهن مسخرات بأمره
 قال (ألا له الخلق والامر) أي
 هو الذي خلق الاشياء
 وله الامر (تبارك الله)
 كثر خبره أو دام بركه من
 البركة التمام أو من
 البروك الثبات ومنه البركة
 (رب العالمين)

وطحاها وأخرج ماءها ومراها وأخاق دوابها وحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وأخاق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الأحد ثم استوى إلى السماء خلقها وجعل ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الأرض ودحاها يوم الأربعاء والخميس وأخاق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما إلى الأرض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خفي وما هو خالق إلى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خاق العرش ثم خاق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر ثم مد الأرض وبسطها من التربة التي خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خاق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط إلى الأرض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة أيام من أيام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كأمح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والأرض في ستة أيام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شيء حدا محددا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده الثبوت والتأني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والأرض في لحظة فخلقهن في ستة أيام ليعلم خلقه الثبوت والتأني في الامور كما في الحديث الثاني من الله والمجمل من الشيطان وقيل ان الشيء اذا أحدث دفعة واحدة فله ان يخطر ببال بعضهم أن ذلك الشيء انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شيئا بعد شيء على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد ان يوقع في كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التجهيل في الخلق أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة والثبوت أبلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالثبوت كما أظهر قدرته في خلق الاشياء بكن فيكون ﴿﴾ وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه ومملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما يذهب اليه أهوام العامة فانه لو كان كذلك لكان حامله تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كما هو قول أما الاستواء فالتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنهجهم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك وأخذته الرضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك برأسه حتى علت الرضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا فامر به أن يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي قال

(ثم استوى) استولى
(على العرش) أضاف
الاستيلاء إلى العرش وان
كان سبحانه وتعالى
مستوليا على جميع المخلوقات
لان العرش أعظمها
وأعلاها ونفس العرش
بالسرير والاستواء
بالاستقرار كما قوله المشبهة
باطل لانه تعالى كان قبل
العرش ولا مكان وهو الآن
كما كان لان التغيير من
صفات الاكوان والمنقول
عن الصادق والحسن وأبي
حنيفة ومالك رضي الله
عنهم ان الاستواء معلوم
والتكليف فيه مجهول
والإيمان به واجب والجحود
له كفر والسؤال عنه بدعة

أقروا على أنفسهم واعتزوا فواحد بين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والافرار والمعنى ان الكفار أقروا بان الذي
 جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق
 وانما أقروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولمساروا أنفسهم في العذاب قالوا (فهل
 لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ونزد فنعمل غير الذي كنا عمل) يعني أنه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن
 فيه من العذاب الآن يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعة فينا فيخلصنا من هذا العذاب أو نرذل الى الدنيا
 فنعمل غير الذي كنا عمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والابابة (قد خسرنا
 أنفسنا) يعني ان لدى طلبه ولا يحصل لهم فتبين خسرانهم واهلاكهم أنفسهم لانهم كانوا في الدنيا أول
 مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا ليعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والمعصيان لسابق علم الله
 تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا
 من ان الاصنام تشفع لهم فلما فوضوا الى الآخر ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم كانوا في دعواهم كاذبين
 ﴿قوله عز وجل﴾ (ان ربكم الله) يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح أسورك وموصل الخير اليكم والذي
 يدفع عنكم المكارد هو الله (الذي خالق السموات والارض) أصل الخلق في اللغة التقدير ويستعمل في
 ابداع الشيء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خالق السموات والارض يعني أبداعهما وأنشأ خلقهما
 على غير مثل سبق وقد رآحوالهما (في ستة أيام) فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار
 هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة أيام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة
 أيام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيما يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها
 ولا نهار واختاف العلماء في اليوم الذي ابتداء الله عز وجل بخلق الاشياء فيه قيل في يوم السبت وهو قول
 محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه
 قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خالق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد
 وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المسكر وهو يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس
 وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل
 وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء ما فيه من المخالفة لآية الكرسي
 لان الله تعالى يقول خالق السموات والارض في ستة أيام وقال في آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض
 وما بينهما في ستة أيام فدل بهذين الصيغ على ان جميع الخلق تم وكل في ستة أيام والذي في الحديث ان
 بعض الخلق وقع في سبعة أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد
 ذكر الازهرى في كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن النباري السبت القطع وسمى يوم
 السبت لان الله تعالى ابتداء الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خالق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق
 كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واحتاره ابن جرير الطبري قال
 طبري خالق الله السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس
 والجمعة وروى سنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخالق الارض من الماء وبدأ الخلق
 يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود في يوم السبت
 و يوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وبعض هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيدة قال وسمى
 سابع الاسبوع سبتي لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خالق قال أصحاب
 الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلاد حو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين
 ثم استوى الى السماء فداهن سبع سموات في يومين وهم الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها

(هل لنا من شفعاء فيشفعوا
 لنا) جواب الاستفهام
 (أو نرذل) جملة معطوفة على
 جملة قبلها اذا خلة معها في حكم
 الاستفهام كانه قيل فهل لنا
 من شفعاء وهل نرذل رافعه
 وقوعه موقفا يصلح للاستفهام
 كقولك ابتداء هل يضرب
 زيدا أو عطف على تقدير هل
 يشفع لنا شفاعة وهل نرذل
 (فنعمل) جواب الاستفهام
 أيضا (غير الذي كنا عمل
 قد خسرنا أنفسنا) وضل
 عنهم ما كانوا يفترون
 ما كانوا يبدونه من الاصنام
 (ان ربكم الله الذي خالق
 السموات والارض في ستة
 أيام) أراد السموات
 والارض وما بينهما وقد
 فصلها في حم السجدة أي
 من الاحد الى الجمعة واعتبار
 الملائكة شيئا فشيئا والاعلام
 بالتأني في الامور ولان لكل
 عمل يوما ولان انشاء شيء
 بعد شيء أدل على عالم مدبر
 مر يدبصره على اختياره
 ويحج به على مشيئته

أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في النرج فقالوا يا ربنا إن قربات من أهل الجنة فاذن لهم حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون إلى قرباتهم في الجنة وراهم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظرون أهل الجنة إلى قرباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم أسود وجوههم فينادون أي أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل أباه وخاه فيقول قد احترقت فض على من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون إن الله حرمهم على الكافرين ومعنى الآية أن أهل النار يستغيثون بأهل الجنة إذا استقرروا فيها وذلك عند نزول البلاء بأهل النار وما يقعون من شدة العافس والجوع وعقوبة لهم من الله إلى ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول أهل النار لأهل الجنة يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله يعني وأطعمونا مما رزقكم الله وسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم أهل الجنة بقولهم (إن الله حرمهم على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذات الأكل والشرب عندهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طاب الأكل والشرب فأجيبوا بأن الله حرمهم على الكافرين يعني طعام الجنة وشربها ثم وصف الكافرين فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم هواً واعبأ) يعني أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم وهو عبادة الله وما يشغل الإنسان عما يعنيه وبهمه يقال طوت بكذا وطيت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المستهزون وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخرُوا من دعاهم إليه وهزأوا به استهزأ به الله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحار والسوانب والمكاه والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه وهو ما لا يذكرون الله فيه (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني وخدعهم عاجل ما هم فيه من حسب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الإيمان بالله ورسوله وعن الأخذ بنصيحتهم من الآخرة حتى انتهت النية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الإنسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فإذا حصل له ذلك صار محجوباً عن الدين وطلب الخلاص لأنه غر في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يعني يوم القيامة (ننساكم) ننساكم كأنسوا لقاء يومهم هذا) يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جيا عا عا شا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس رضي الله عنهما أنسبهم من الخبر ولم ينسبهم من الشر وقيل معناه نعلمهم معاملة من نسي فتركهم في النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الإيمان أعراض النامى سعى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على الميزان لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثله فيكون المراد من هذا النسيان أن الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وزلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا الإيمان والعمل (وما كانوا بايتنا يحدون) يعني ويتركهم في النار كما كانوا يحدون وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب) يعني ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) أي بيناه على علم منابه فصله وندينه (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) أي جعلنا القرآن هادياً ودارجة لقوم يؤمنون (هل ينظرون) يعني هل ينظرون هؤلاء الكفار الذين كذبوا بايتنا ويحدونهم يؤمنون بها (الأناء) يعني هل ينظرون ويتوقعون إلا ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وإن مصيرهم إلى النار وأتوا بل ما يؤول إليه الشيء (يوم يأتي تأويله) يعني يوم القيامة لأنه يوم الجزاء وما يؤول إليه أمورهم (بقول الذين نسوه من قبل) يعني بقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معابنة العذاب (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أقروا

رزقكم الله) من غيره من الاشربة ليدخلوه في حكم الافاضة أو أريد وأتوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك علفنا نباتاً وما بارداً أي وسقيتها وأنما سألوا ذلك مع بأسهم عن الإجابة لأن المتعجب ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا إن الله حرمهم على الكافرين) هو تحريم منع كافي وحرمانا عا به المراضع وتقف هنا إن رفعت أو نصبت ما بعده ذماً وإن جرته وصفاً للكافرين فلا (الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً) فخرموا وأحلاوا ما شاؤوا أو دينهم عيدهم (وغرتهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء (فاليوم ننساكم) نتركهم في العذاب (كأنسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بايتنا يحدون) أي كنسيانهم وبجودهم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كأن على علم حال من مرفوعه (لقوم يؤمنون هل ينظرون) ينظرون (الأناء) إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدق وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعد (يوم يأتي تأويله) يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي تبين وصحة أنهم جاءوا بالحق فأقروا حين لا ينفعهم

(يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قبل سماع المؤمنين بياض الوجوه وتضارنها وسبيل الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (ونادوا) أى أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) (٩٧) انه سلام أو أى سلام وهو

يعرفون أهل الجنة وأهل النار فليل لاني مجزان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انه هم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبرى قول أبى مجزل قال لان لفظ الرجال فى لسان العرب لا يطاق الاعلى الذكور من نبي آدم دون انانهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان أصحاب الاعراف أفضل من أهل الجنة لانهم أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل انما أجلسهم الله فى ذلك المكان العالى لميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمرادوا وسرار كتابه ﷺ وقوله عز وجل (يعرفون كلا بسيماهم) يعنى أن أصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسبيل العلامة الدالة على شئ وأصله من السمعة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الاعراف اذ رأوا أصحاب الجنة عرفوهم بياض الوجوه واذ رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون أهل الجنة فى الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذ رأوا أهل الجنة عرفوهم بياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) يعنى نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم سلمتهم من الآفات وحصل الحكم الامن والسلامة واذ رأوا أهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الاشرف والافضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة وأهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى لدرجات العلية فى الجنة ﷺ وقوله تعالى (لم يدخلوها وهم بطمعون) يعنى فى دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريد بهاهم ﷺ وقوله تعالى (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعنى واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى وجاههم وحيا لهم فنظروا اليهم الى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان أصحاب الاعراف اذ انظروا الى أهل النار وما فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم معهم ﷺ وقوله تعالى (ونادى أصحاب الاعراف رجلا) يعنى ونادى أصحاب الاعراف رجلا كانوا عاظماء فى الدنيا وهم من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم) يعنى بسيما أهل النار (قالوا) يعنى أصحاب الاعراف هؤلاء الذين عرفوهم فى النار (ما أغنى عنكم جمعكم) يعنى ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعنى وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيأ قال السكبي ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أباجهل بن هشام يا فلان يا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء من كانوا يستزؤون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباهم فيقول أصحاب الاعراف لا أولئك الكفار (أهؤلاء) لفظ استفهام يعنى أهؤلاء الضعفاء (الذين أقسمتم) بالله (لا يناديهم الله بدرجة) يعنى انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضلى ورحمتى (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف اذ قالوا لأصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعبرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا يناديهم الله بدرجة تقول الملائكة لاهل النار أهؤلاء يعنى أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا يناديهم الله بدرجة ثم تقول الملائكة لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بدرجة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﷺ وقوله عز وجل (ونادى

تهنئة منهم لاهل الجنة (لم يدخلوها) أى أصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن أصحاب الاعراف فقبيل لم يدخلوها (وهم بطمعون) فى دخولها وأوله محل وهو صفة لرجال (واذا صرفت أبصارهم) أصحاب الاعراف وفيه ان صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعينوا (تلقاء) ظرف أى ناحية (أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فاستعاذوا بالله وفرعوا الى رحمة أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الاعراف رجلا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسيماهم) قالوا ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتمكم واجتماعكم وما افية (وما كنتم تستكبرون) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدأ مضمرة تقديره هؤلاء هم الذين (أقسمتم) حلفتم فى الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لا يناديهم الله بدرجة) جواب أقسمتم وهو داخل فى صلة الذين

(١٣ - خازن - ثابى) تقديره أقسمتم عليهم بان يناديهم الله بدرجة أى لا يدخلهم الجنة بحتقر ونهم فقرهم فية لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) ونادى

الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضررب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي بينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من الجسد سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضى الله عنهم الاعراف المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فتمصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتحافت بهم حسناتهم عن النار فوققوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانهم درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضلهم ورحمته لانه ليس في الآخرة دار الا الجنة أو النار وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسنة أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئة أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخفف ويثقل بمئة آل حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوققوا على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غلب آثامه عشراته وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعاقبهم اطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة فاحفاه قصب الذهب مكال بالمؤاثر به المسك فالتقوا فيه حتى تصلح ألوأناهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوأناهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فتمنوا حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتهم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن غيل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصابة لأبائهم فقتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زادي رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضى آبائهم دون أمهاتهم وأمهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم أولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أصحاب الاعراف الى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة الله أعلم بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل انهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون انهم على الاعراف على سبيل النزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم أنبياء حكاه ابن الانباري وانما جلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلمهم بنبوتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطاعين على أحوالهم ومقادير نواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مجلز وأصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسماهم يعني

(وعلى الاعراف) على
أعراف الحجاب وهو السور
المضروب بين الجنة والنار
وهي أعاليه جمع عرف
استعبر من عرف الفرس
وعرف الديك (رجال)
من أفاضل المسلمين أو
من آخرهم دخولا في الجنة
لاستواء حسناتهم
وسيئاتهم أو من لم يرض
عنه أحد أبويه أو أطفال
المشركين

الجنة) ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجهة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانه تلك الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كانه قيل وقيل لهم تلك الجنة (أورثتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة (بما كنتم تعملون) سماها ميراثا لاهما لا تستحق بالعمل بل هى محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت (٩٥) ليس بعوض عن شئ بل هو صلة

خالصة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما أغويتني (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك أن اعنة الله على الظالمين) (ما وعدنا نارنا) من الثواب (حقا) حال (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب (حقا) وتقديره وعدكم ربكم بخذفكم لدلالة وعدنا ربنا عليه وإنما قالوا لهم ذلك نهامة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قالوا نعم) وبكسر العين حيث كان على (فأذن مؤذن بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة

الجنة) يعنى وبأدى منادى أهل الجنة ان هذه الجنة التى كانت الرسل وعداكم بها فى الدنيا واختلفوا فى المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بأمر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون فى الجنة (م) عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى (أورثتموها بما كنتم تعملون) روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد فى رواية فذلك قوله تعالى أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات غير أحياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفى الشرح ان الأحياء يرثون الأموات فقال أورثتموها يعنى ان المؤمن يحى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه فى حكم الميت وقيل معناه ان أمرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل أورثتموها عن الأعمال الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على الأعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يدخل الجنة أحد بعمله وانما يبدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال وقيل ان العمل الصالح ان يناله المؤمن وان يبلغه الابرحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة فى الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الأعمال الصالحة التى عملوها فى دار الدنيا والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعنى ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقراء أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار تقول أهل الجنة يا أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) يعنى ما وعدنا فى الدنيا على أنسنقرس له من الثواب على الايمان به وبرسوله وطاعته حقا (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا) يعنى من العذاب على الكفر (قالوا نعم) يعنى قال أهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار ومن البعض للبعض فأت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع بوزع الفرد على الفرد فكيف يرى من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار فى دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يمكن ان يباغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ﴿قوله تعالى﴾ (فأذن مؤذن بينهم) يعنى نادى مناد أو علم لان أصل الاذان فى اللغة الاعلام والمفعلى نادى مناد أو علم الله تعالى وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدى (أن اعنة الله على الظالمين) يعنى يقول المؤذن ان اعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعنى الذين يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعنى ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التى شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتكلموا بالقرآن وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعنى وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها ﴿قوله عز وجل﴾ (ويبين ما خجأ) يعنى بين

والنار (أن اعنة الله على الظالمين) أن اعنة مكي وشامى وحزرة وعلى (الذين يصدون) يصدون (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالآخرة (كافرون ويبينها) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (خجأ) وهو السور المدكور فى قوله فضررب بينهم سور

من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لانكف نفسا الاوسعها يعني
 لانكف نفسا الاوسعها من الاعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقد رتوا او لا حرج فيه عليها ولا
 ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر غايه وقال مجاهد معناه الاما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها
 الذي تقدر غايه ولا تجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهد وقال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى
 لانكف نفسا الاوسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (أو تلك
 أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لانكف نفسا الاوسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر
 لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاعتهم
 وغير خارج عن قدرتهم وفيه نبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحملها يتوصل اليها بالعمل الصالح
 السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر موضعه رفع والعائد
 محذوف كأنه قال لانكف نفسا منهم الاوسعها الخذف العائد لعل به قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم
 من غل) يعني وقلعنا وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا
 ومعنى الآية أن لنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين
 لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسوس
 ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن علي رضي الله عنه قال فينا والله أهل بدر نزات ونزعنا ما في صدورهم
 من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا انه قال اني لارجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير
 من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة
 (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من
 النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا
 هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لا أحد هم أهدي بمنزلة في الجنة منه بمنزلة في
 الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا إلى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل
 ساقيها عينان فشر بوا من احدهما فبئز ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى
 فخرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا وان يشعثوا بعدا أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو
 والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم
 ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العلية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن
 الانسان يرى الدرجات العلية والنعيم العظيمة وهو محبوس عن العلية لا يلب بطبعه اليها ولا يفتح بسبب
 حرمانه منها وان كان في لذة ونعيم وأجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب أهل
 الجنة حتى تكمل لهم المآلة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة في النعيم الذي هو فيه
 فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحدا أبدا وهذا نعيمه ولذته وكل سروره ومهجته وقوله تعالى (تجربى من
 تحتمم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم أخبر
 بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) يعني ان المؤمنين اذا دخلوا
 الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وأرشدنا للعمل الذي هدانا به ونفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا
 عذاب جهنم بفضلهم وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) يعني وما كنا لنرشد لذلك العمل
 الذي هدانا به لولا أنه أرشدنا الله اليه ووفقنا بفضلهم وكرمه وفي الآية دليل على ان المهتدي من هداه الله
 ومن لم يهد الله فليس بهتد (انما جاء رسلنا بالحق) يعني ان أهل النعيم اذا دخلوا هاورا واما أعداء الله
 لم يها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا (ونودوا أن نلکم

أى مشقة (أو تلك) مبتدأ
 والخبر (أصحاب الجنة)
 والجملة خبر اذین ولا نكف
 نفسا الاوسعها اعتراض
 بين المبتدأ والخبر (هم فيها
 خالدون) ونزعنا ما في صدورهم
 من غل) حقد كان بينهم
 في الدنيا فلم يبق بينهم الا
 التواد والتعاطف وعن علي
 رضي الله عنه اني لارجوان
 أكون أنا وعثمان وطلحة
 والزبير منهم (تجربى من
 تحتمم الانهار) حال من هم
 في صدورهم والعالم فيها
 معنى الاضافة (وقالوا الحمد
 لله الذي هدانا لهذا) لما هو
 وسيلة الى هذا
 الفوز العظيم وهو الايمان
 (وما كنا) ما كنا بغير
 واوشاى على أنها جملة
 موضحة للاولى (لنهتدي
 لولا ان هدانا الله) اللام
 لتوكيد النفي أى وما كان
 يصح ان نكون مهتدين
 لولا هداية الله وجواب لولا
 محذوف دل عليه ما قبله
 (لقد جاءت رسل ربنا
 بالحق) فكان اطفاء لنا
 ونبيها على الاهتداء
 فاهتدينا يقولون ذلك
 مروراً بما نالوا واطهاراً لما
 اعتقدوا (ونودوا أن نلکم

بما كنتم تكسبون)

بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لهم أبواب السماء لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة اذهى فى السماء أولا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أولا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتناء مع التخفيف أبو عمرو وبالباء معه حزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل فى سم الخياط) حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة أى لا يدخلون الجنة أبدا لانه علقه بما لا يكون والخياط والخيط ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الغلط الذى وصفنا (نجزى المجرمين) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغشية جمع غاشية (وكذلك نجزى الظالمين) أنفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكاف نفسا الاوسعها) طافئها والتكليف الزام مافيه كافة

وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب (بما كنتم تكسبون) يعنى بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعنى كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسالنا (واستكبروا عنها) أى وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تفتح لهم أبواب السماء) يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى السكك الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهم لا تفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبرى بسنده عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء فى يصعدون بها فلا يرون على ملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيسقطون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل فى سم الخياط وقيل فى معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا يبرئ عليهم من البركة والخير والرحمة شئ ﴿ وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل فى سم الخياط) (الولوج الدخول والجبل معروف وهو الذ كرم من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والخيط ما يخاط به والمراد به الابرة فى هذه الآية وانما خص الجبل بالذ كرم من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسمها عند العرب قال الشاعر * جسم الجبال وأحلام العصافير * وصف من هجاه بهذا بظم الجسم مع صغر العقل جسم الجبل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجبل مع عظم جسمه فى ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال وما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محال ثابت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار أن دخول الكفار الجنة مأبوس منه قطعاً وقال بعض أهل المعانى لما عاق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجبل فى سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأييد وذلك لان العرب اذا علق ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب وبيض القمار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب أتيت أهلى * وصار القمار كاللبن الحليب

﴿ قوله تعالى (وكذلك نجزى المجرمين) أى ومثل الذى وصفنا نجزى المجرمين يعنى الكافرين لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتهاد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفرش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى المهاد الفراش والغواشي اللحاف (وكذلك نجزى الظالمين) يعنى وكذلك نكافى ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها ﴿ قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكاف نفسا الاوسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم فى الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم فى الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزله عليه

كاندين في جلة أعم. صاحبين
 لهم (قد خلت) مضت (من
 قبلكم من الجن والانس)
 من كفار الجن والانس
 (في النار) متعلق بادخلوا
 (كلما دخلت أمة) النار
 (اعنت أختها) شيكها في
 الدين أي التي ضلت بالافتداء
 ١٣ (حتى اذا داركوا
 فيها) أصله تداركوا أي
 تلاحقوا واجتمعوا في النار
 فابدلت التاء والواو سكنت
 للادغام ثم أدخلت همزة
 الوصل (جميعا) حال (قالت
 أخوهم) منزلة وهي الاتباع
 والسفلة (لأولاهم) منزلة
 وهي القادة الرؤس ومعنى
 لأولاهم لاجل أولاهم لان
 خطاهم مع الله لامعهم
 (ربنا) ياربنا (هؤلاء
 أضلونا فآثمهم عذابا ضعفا)
 مضاعفا (من النار) قال لكل
 ضعف) للقادة بالغواية
 والاغواء وللا اتباع بالكفر
 والافتداء (واكن
 لا تعلمون) ما لكل فريق
 منكم من العذاب لا يعلمون
 أبو بكر أي لا يعلم كل فريق
 مقدار عذاب الفريق
 (وقلت أولاهم لأخوهم
 فما كن لكم علينا من
 فضل) عطفوا عند الكلام
 على قول الله تعالى للسفلة

وهذا

العذاب

ينقصون عليكم آياتي) يقرؤن عليكم كتيب وهو في موضع رفع صفة لرسول وجواب الشرط (فمن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أصلاً فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا واستكبروا عنها) تعظموا عن الإيمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم) فمن أشنع ظمها (ومن افترى على الله كذباً وكذب بما ينطق الله به) (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما كتب لهم من الأعمال وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله كذباً وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فأنذرتكم ناراً تلتظي وفي قوله إذا لاغلال في أعناقهم فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الأعمال وقال في رواية أخرى عنه من عمل خيراً جوزى به ومن عمل شراً جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التي عملوها و قيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والارزاق والاعمار فإذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول الآخر وقال لأن الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان أن الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فإذا فرغ توفهم رسل ربهم قال الامام غفر الدين رحمه الله تعالى وإنما حصل الاختلاف لأن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حله على العموم والرزق أولى لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فإنه ليس بما منع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلاً من الله سبحانه وتعالى لكي يصطلحوا ويتوبوا ^{﴿١﴾} قوله تعالى (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعني حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمالهم وأرزاقهم لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعني قال الرسل وهم الملائكة لا لكفار (أينما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقرير وتبكيك لاسؤال استعمال والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعواهم أيدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل إن هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى

وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فمن اتقى وأصلح يعني منكم وإما قال رسول بلفظ الجمع وإن كان المراد به واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء وهو مرسل إلى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم عام في كل بني آدم وإما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لأن الرسول إذا كان من جنسهم كان أقطع لعذرهم وأثبت للحجة عليهم لأنهم يعرفونه ويعرفون أحواله فإذا أناهم بما لا يليق بقدرته أو بقدرته أمثاله علم أن ذلك الذي أتى به معجز له وحجة على من خالفه (ينقصون عليكم آياتي) يعني يقرؤن عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي (فمن اتقى) الشرك ومخالفة رسلي (وأصلح) يعني العمل الذي أمرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيت عنه (فلا خوف عليهم) يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعني ومن جحدوا آياتنا وكذبوا رسلنا (واستكبروا عنها) يعني واستكبروا عن الإيمان بها وما جاءت به رسلنا (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني لا يخرجون منها أبداً ^{﴿٢﴾} قوله تعالى (فمن أظلم) من افترى على الله كذباً يعني فمن أعظم ظلماً ممن يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شريكاً من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد (أو كذب بآياته) يعني أو كذب بالقرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله كذباً وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فأنذرتكم ناراً تلتظي وفي قوله إذا لاغلال في أعناقهم فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الأعمال وقال في رواية أخرى عنه من عمل خيراً جوزى به ومن عمل شراً جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التي عملوها و قيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والارزاق والاعمار فإذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول الآخر وقال لأن الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان أن الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فإذا فرغ توفهم رسل ربهم قال الامام غفر الدين رحمه الله تعالى وإنما حصل الاختلاف لأن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حله على العموم والرزق أولى لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فإنه ليس بما منع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلاً من الله سبحانه وتعالى لكي يصطلحوا ويتوبوا ^{﴿١﴾} قوله تعالى (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعني حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمالهم وأرزاقهم لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعني قال الرسل وهم الملائكة لا لكفار (أينما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقرير وتبكيك لاسؤال استعمال والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعواهم أيدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل إن هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى

على الآخر لاختصاص كل واحد منهما بما صاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وأما الغيرة في وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له وبدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش مظهر منها وما بطن وقد يحتمل أن تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم وقوله تعالى (والأثم) يعني وحرم الأثم واختلفو في الفرق بين الفاحشة والأثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش فبجها وتزايدوا الأثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل إنما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والأثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الأول واعترض على هذين القولين بأن الأثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل إن الفاحشة اسم للكبيرة والأثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيراً أو صغيراً والفائدة فيه أن يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل إنما حرم ربي الفواحش أردفه بتحريم مطلق الذنب لتلايته وهم متوهم أن التحريم مقتصور على الكبائر فقط وقيل إن الفاحشة وإن كانت بحسب اللغة اسم الكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصاً بالزنا لانه إذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الأثم فقد قيل إنه اسم من أسماء الجرم وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى قد تسمى الجرائم واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الأثم حتى ضل عقلي * كذا الأثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى أن تسمية الجرم بالأثم صحيح لأن شر بها الأثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللغتين وأنكر أبو بكر بن الأنباري تسمية الجرم بالأثم قال لأن العرب ما سمتة أتماقظ في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الجرم داخل تحت الأثم لقوله قل فيها ما أثم كبير ﴿وقوله تعالى (والبنى) أى وحرم البنى (بغير الحق) والبنى هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كما ومعنى البنى بغير الحق هو أن يطلب ما ليس له بحق فاذا طالب ما له بحق خرج من أن يكون بغياً (وأن تشركوا) أى وحرم أن تشركوا (بالله ما ينزل به سلطاناً) هذا فيه منكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز أن ينزل بحجة وبرهان بان يشرك به غيره لأن الأقرار بشئ ليس على ثبوته بحجة ولا برهان فمنع فله امتنع حصول الحجية واليمنية على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلاً على الإطلاق * فإن قلت البنى والاشراك داخلان تحت الفاحشة والأثم لأن الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الأثم وكذا البنى أيضاً من الفواحش والأثم * قات انما أفردهما بالذکر للتنبيه على عظم فبجعهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البنى والشرك فكأنه بين جلته ثم تفصيله ﴿وقوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) تقدم تفسيره ﴿وقوله تعالى (ولكل أمة أجل) الاجل الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى أن لكل أمة كذب رسلاً وقتاً معيناً وأجل اسمى أمهاتهم الله إلى ذلك الوقت (فإذا جاء أجلهم) يعنى فإذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى فلا يؤخرون ولا يهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لأنها أقل أسماء الاوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فآخبرهم الله تعالى أن لهم وقتاً إذا جاء ذلك الوقت وهو وقت أهلهم واستنصاهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثانى أن المراد بهذا الاجل هو أجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل أمة انقارب أعمار أهل كل عصر فكأنهم كانوا حدى مقدار العمر وعلى هذا القول أيضاً يكون المقتول ميتاً باجله خلافاً لمن يقول القاتل قطع عليه أهله ﴿وقوله عز وجل (يا بني آدم اياي أنبئكم رسل منكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لعنى الشرط لان ما لا شرط ولذا لرمت فعلها النون الثقيلة وأخفيفة (رسل منكم)

سرهما وعلانيتهما (والأثم) أى شرب الخمر أو كل ذنب (والبنى) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبنى ومحل (وأن تشركوا بالله ما ينزل به سلطاناً) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصرى وفيه منكم اذ لا يجوز أن ينزل برهاناً على أن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأن تثقلوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين ياتهم فيه عذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالامم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لانها أقل ما يستعمل في الامهال (يا بني آدم اياي أنبئكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لعنى الشرط لان ما لا شرط ولذا لرمت فعلها النون الثقيلة وأخفيفة (رسل منكم)

(انه لا يحب المسرفين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للشر - يد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكواواشربوا (٨٩) ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو

عن رسواكم شيء في الطب فقال قد جمع رسواك ما الطب في ألقاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماء سودته فقال النصراني مانرك كتابكم ولا تنيكم لجاليينوس طبائهم استغنهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتعبد به (التي أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن من الارض والقز من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلزمات من الماء وكل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها وابنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا وغيرهم لانه على طريق الاصل الكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهي مبتدأ خبره للذين آمنوا وفي الحياة الدنيا طرف لا خبر وأخالة

في نصف آية فقال وكواواشربوا ولا تسرفوا في الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لا يحب المسرفين) يعني ان الله تعالى لا يحب من أسرف في الماء كقول والمشروب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضا عن العبد وإيصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الآية على الوعيد الشديد في الاسراف ﴿قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده) يعني قل يا محمد طهوا لاهل الجاهلية من العرب الذين يطوفون بالبيت عراقة من حرم عايكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تنز ينواها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يسترا العورة والقول الثاني ذكره الامام نضر الدين الرازي انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلوا في هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكر وفي معنى الطيبات في هذه الآية أقوالا أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حبههم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما وقتادة ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوايق قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات الا ما نهى عنه وورد نص بتحريمه (قل هي للذين آمنوا) يعني قل يا محمد ان الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا (في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) يعني لا يشركهم فيها أحد لانه لا حظا للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنفيس والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدبر وتنغيس فأعلمهم أنها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كذلك تفصل الآيات اقوم يعلمون) يعني كذلك نبين الحلال مما أحلت والحرام مما حرمت اقوم علموا اني أنا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالا وحرموا حراما ﴿قوله عز وجل (قل انما حرم ربي الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبح وخش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد طهوا لاهل المشركين الذين يجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراقة يحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانية وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد أغنياء بني النضير من بني النضير ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة نوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يخص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين

(١٢) - (خازن) - (ثاني) خبرتان أو خبر مبدأ بمحذوف أي هي خالصة وغيره نصها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة (كذلك تفصل الآيات) تميز الحلال من الحرام (لقوم يعلمون) أنه لا شريك له (قل انما حرم ربي الفواحش) ربي حرة الفواحش ما تنافحش قبحه أي تزايد (ما ظهر منها وما بطن)

الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة و يصحح هذا القول ما روى
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعمل الزمن الطويل
بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم
له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معني الآية كابدواكم خلقكم في الدنيا ولم
تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون أحياء يوم القيامة وبشهادة هذا القول ما روى عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم
تخشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كبدا تأول خلقا نعيده وعدا علينا ما كفا عابدين أخرجه البخاري
ومسلم وقوله تعالى (فر يقا هدى) يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووفقههم اطاعته وعبادته
(وفر يقا حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فر يقا حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التي سبقت لهم في
الازل بانهم أشقىا وفيه دلائل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل وما روى عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهم اقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فخلق عليهم من نوره
فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين
أولياء من دون الله) يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأولياء أطاعوهم
فبما أمرهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو الله تعالى اتخذوا
الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لا يتقرون على اضلال أحد وقوله (ويحسبون انهم
مهدتون) يعني أنهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دلائل على ان الكافر الذي
يظن انه في دينه على الحق والجأحد والمعاد في الكفر سواء وقوله عز وجل (يا بني آدم خذوا زينتكم عند
كل مسجد) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اقال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من
يعبرني تطوفا فاجعله على فرجها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما اقال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه
فأمرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان نحي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا
أو معتمرا يقول لا ينبغي لي ان أطوف في ثوب قد عصبت فيه فيقول من يعبرني متزافا فقدر عليه والاطاف
عريانا فانزل الله تعالى فيه ما سمعوا خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف
بالبيت عراة الا الحس وهم قريش وأخلافهم فمن جاء من غير الحس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحسى ويرى
أنه لا يحمل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعبره من الحس فانه ياتي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب
نفسه ألهاها اذا قضى طوافه وحرمها أي جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل
مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يورى عورتكم ولو عباة وقال الكلبي
الزينة ما يورى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه
دلائل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى (وكلاوا واشربوا)
الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم الا قنونا ولا يأكلون دسما يظنون بذلك حجهم فقال المسامون
نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلاوا واشربوا يعني الدسم واللحم (ولا تسرفوا)
يعني تبخرهم ما لم يحرم الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضي الله عنهم اكل ما شئت واشرب ما شئت
والس ما شئت ما أخطأتك خذ لثان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسب بن واقد قد جمع الله الطب كله

ابتداء يعيدكم احتج عليهم
في انكارهم الاعادة ابتداء
الخلق والمعنى انه يعيدكم
فيعازركم على أعمالكم
فاخا صواله العبادة (فر يقا
هدى) وهم المسلمون
(وفر يقا) أي أضل فريقا
(حق عليهم الضلالة) وهم
الكافرون (انهم) ان
الفريق الذين حق عليهم
الضلالة (اتخذوا الشياطين
أولياء من دون الله) أي أنصارا
(ويحسبون انهم مهتدون)
والآية حجة لما على أهل
الاعتزال في الهداية
والاضلال (يا بني آدم خذوا
زينتكم) لباس زينتكم
(عند كل مسجد) كلما
صليتم وقيل الزينة المشط
والطيب والسنة ان يأخذ
الرجل أحسن هياكله
للاصلاة لان الصلاة مناجاة
الرب فيستحب لما تزين
والنعطر كما يجب التستر
والتطهر (وكلاوا) من
اللحم والدسم (واشربوا)
ولا تسرفوا بالشروع في
الحرام أو في مجاوزة الشبع

(انا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لا يؤمنون)

فيه دلالة خافي الأفعال (واذا

فعلوا فاحشة) ما يبلغ في

قبحه من الذنوب وهو

طوافهم بالبيت عراة

وشركهم (قالوا وجدنا

عليها آباءنا والله أمرنا بها)

أى اذ فعلوها اعتذروا بأن

آباءهم كانوا يفعلونها

فاقتدوا بهم وبأن الله

أمرهم بأن يفعلوها حيث

أمرنا عليها اذ لو كررنا نقلنا

عنها وهو ما باطلان لان

أحدهما تقليد للجهال

والثاني افتراء على ذى

الجلال (قل ان الله لا يأمر

بالفحشاء) اذ المأمور به

لا بد أن يكون حسنا وان

كان فيه على مراتب على

ما عرفت فى أصول الفقه

(أقولون على الله مالا

تعلمون) استفهام انكار

وتوبيخ (قل أمر ربى

بالقسط) بالعدل وبما هو

أحسن عند كل عاقل

فكيف يأمر بالفحشاء

(وأقيموا وجوهكم عند

كل مسجد) وقيل أقيموا

وجوهكم أى اقصدوا

عبادته مستقيمين البهاجر

عادين الى غيرها فى كل

وقت سجد أو فى كل

مكان سجود (وادعوه)

واعبدوه (مخلصين له

الدين) أى الطاعة متبتغين

بوجهه خاصا (كبدأكم

تعودون) كما أنشأكم

لا يرون الجن رقة أجسام الجن واطافتها والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع أبصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل فى أبصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بنى آدم مساكن لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا ربة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيعتنا فى مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراهم المؤنة الامن عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء) يعنى أعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج يعنى سلطانهم عليهم يزبدون فى غيرهم ﴿قوله عز وجل (واذ فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هى طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاءى الشريك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصى والكبائر فيمكن جعلها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون أنها طاعات وهى فى نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو ﴿قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا لانفسهم عذرين أحدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهو هذا التقليد باطل لانه أصل له والعذر الثانى قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى ان هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها هى فى نفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بمصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى أنكم ماسمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده فى تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون ﴿قوله تعالى (قل أمر ربى بالقسط) أى قل يا محمد ل هؤلاء الذين يقولون على الله مالا يعلمون أمر ربى بالقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ابلا له الا الله فالامر بالقسط فى هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وانه واحد لا شريك له (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) فان قلت قل أمر ربى بالقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فاما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل أمر ربى بالقسط وقال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية فى قول مجاهد والسدى وجهوا وجوهكم حينما كنتم فى الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وأتم عند المسجد فصولا فيه ولا تقوان أحدكم أصلى فى مسجدى أو فى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خاصا (وادعوه مخلصين له الدين) أى واعبدوه مخلصين للعبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا غيره (كبدأكم تعودون) قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل بدأ خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فىكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كبدأ خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله فى سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوى فى روايته المؤمن على إيمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل باعمال أهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال أهل

وقیل و اباس اهل اتقوی من

عليكم لباس التقوى (ذلك
من آيات الله) الدالة على
فضله ورحته على عباده
يعنى انزال اللباس (اعلمهم
بذكرون) فيعرفوا عظيم
النعمة فيه وهذه الاشياء
واردة على سبيل الاستطراد
عقيب ذكر بدو السوات
وخصف الورق عليها
اظهارا لامة فيما خاق من
اللباس ولما فى العرى من
الفضيحة واشـمارا بان
التستر من التقوى (يا بني آدم
لا يفتنكم الشيطان كما
أخرج أبوكم من الجنة)
لا يخذعنكم ولا يضلنكم
بان لاندخلوا الجنة كما فتن
أبوكم بأن أخرجهما
منها (ينزع عنهما لباسهما)
حال أى أخرجهما مازعا
لباسهما بان كان سببا فى ان
نزع عنهما والهى فى
الظاهر للشيطان وفى المعنى
ابنى آدم أى لاتتبعوا
الشيطان فيفتنكم
(ايهمهما سواتهمهما)
عورانهمما (انه) الضمير
للشأن والحديث (يراكم
هو) تعاليل الهى وتحذير
من وقتته بانه بمنزلة العدو
المدامجى بكيدكم من حيث
لا تشعرون (وقبيله)

وذرته أو وجوده من الشياطين وهو عطف على الصمير في براكم أو كدبه ولم يعطف عليه
 لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وإنما عطف على ما هو معه ول الفعل (من حيث لاترونهم) قال ذوالنون ان كان هو يراك
 من حيث لاتراء فاستغن عن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار

ابليس هبط من قبل
ويحتمل انه هبط الى السماء
ثم هبطوا جميعا الى الارض
(وكنتم ابدع عدو)
في موضع الحال أي
متعادين يعاديهما ابليس
ويعاديانه (ولكنكم في الارض
مستقر) استقرار أو موضع
استقرار (ومتاع)
واتتفاع بعيش (الى حين)
الى انقضاء آجالكم وعن
ثابت البناني لما أهبط آدم
عليه السلام وحضرته
الوفاة وأحاطت به الملائكة
فجاءت حواء تدور حولهم
فقال لها خلى ملائكتي بي
فانما أصابني ما أصابني
فيك فلما توفي غسـلته
الملائكة بماء وسدر وترا
وحنطته وكفنته في وتر من
التياب وحفر واله قبراً
ودفنوه بسرندب بارض
الهند وقالوا لبنيه هذه
سنتكم بعده (قال فيها
تحيون) في الارض (وفيهما
تموتون ومنها نخرجون)
للثواب والعقاب نخرجون
جزء وعلى (يأني آدم قد
أنزلنا عليكم لباساً) جعل
ما في الارض منزل من السماء
لان أصله من الماء وهو
منها (يواري سواكنكم)
يستر عواركنكم (وريشا)
لباس الزينة استعبر من
ريش الطير لانه لباسه وزينه

وهي حسنات بالنسبة لى غيرهم كما قيل حسنات الابراسيات انقر بين يعني انهم بر ونها بالنسبة الى
أحوالهم كالسيات وهي حسنات اخبرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان كل آدم من الشجرة هل كان قبل
الموت أو بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (قال اهبطوا) قال الامام غفر الدين
الرازى رحمه الله ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة
وقال الطبري قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحيمة اهبطوا يعني من السماء الى الارض قال السدي
رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعني الى الارض آدم وحواء وابليس والحيمة (بعضكم لبعض عدو) يعني ان
العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحيمة وذرية كل واحد من آدم وابليس (ولكنكم في الارض مستقر) يعني
موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولكنكم في الارض مستقر يعني
القبور (ومتاع الى حين) يعني ولكنكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى انقضاء آجالكم وبعني
الآية ان الله عز وجل أخبر آدم وحواء وابليس والحيمة انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو
وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا
(قال فيها تحيون) يعني قال الله عز وجل لآدم وذريته وابليس وأولاده فيها تحيون يعني في الارض
تعيشون أيام حياتكم (وفيهما تموتون) يعني وفي الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها نخرجون)
يعني ومن الارض نخرجكم بكم ويحشركم للحساب يوم القيامة ﴿قوله عز وجل﴾ (يأني آدم قد أنزلنا عليكم
لباساً يواري سواكنكم) اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلهما مستقرهما
أنزل عليهما كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما نزل عليهما اللباس الذي يحتاج اليه
في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه يستر العورة وستره شرط في صحة الصلاة وأمانته في الدنيا فانه
يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان أنزل عليهم لباساً يواري سواكنهم فقال تعالى ياني آدم قد أنزلنا عليك
لباساً يواري سواكنكم يعني لباساً تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله قد أنزلنا عليكم لباساً قلت
ذكر العلماء فيه وجوهاً أحدها أنه بمعنى خافي خلق أي خلقنا لكم لباساً أو بمعنى زقناكم لباساً الوجه
الثاني ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فيكون أنزله عليهم الوجه الثالث ان
جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد (وريشا) الريش للطائر
معروف وهو لباسه وزينه كالتياب للانسان فاستعبر للانسان لانه لباسه وزينه والمعنى وأنزلنا عليكم
لباساً يستر عواريتكم ولباساً يستركم لان التزيين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوا حياضه وزينه
وقال ولكنكم فيها جبال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش
المذكور في الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وریشا يعني ما لا هو قول مجاهد والضحاك والسدي
لان المال عما يتزين به ويقال تزيش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة
أيضا وقيل ان الريش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا
المتاع والاموال عندهم ورعما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه لحسن الريش أي
لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا في الخصب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف
العلماء في معناه فمنهم من جعله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من جعله على الجوارح من حله على نفس
الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبارا أن
ستر العورة من التقوى وذلك خبر وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بأنه خير لان العرب في الجاهلية كانوا
يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك

أي أنزلنا عليكم لباساً يستر عواريتكم ولباساً يستركم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي بقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي

ظهرت لهم اسماواتهم - ما
انهم افت للباس عنهما وكانا
لا يريانها من انفسهما ولا
أحد منهما من الآخر وقيل
كان لباسهما من جنس
الانعام أى كالظفر بيضا
في غاية اللطف واللين فبقى
عند الاطراف تذكريا
للنعم وتجيديا للندم
(وظفقا) وجعلا يقال
طفق يفعل كذا أى جعل
(يخصفان عليهما من ورق
الجنة) يجعلان على عورتها
من ورق اثنين أو الموز ورقه
فوق ورقة ليستتر بها كما
تخصف الابل (وناداهما
ربهما لم أنهما عن تلكما
الشجرة) هذا عتاب من
الله وتنبية على الخطأ وروى
أنه قال لآدم عليه السلام
ألم يكن لك فيما منحتك من
شجر الجنة مندوحة عن
هذه الشجرة فقال بلى
ولكن ما منحت ان أحدا
يحاف بك كاذبا قال فبعزتي
لاهبطنك الى الارض ثم
لاتنال العيش الا بكدين
وعرق جبين فاهبط وعلم
صنعة الحديد وأمر بالحرق
فحرق وسقى وحصد وداس
وذرى وعجن وطحن وخبز
(وأقل السكبان الشيطان
لكما عدو مبين قالار بنا
طلعنأ أنفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكون من
الخاسرين) فيه دليل لنا

وفيه دليل على اهم انما ولا اليسير من ذلك قصد الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير (بدت
لهم اسماواتهما) يعنى ظهرت لهم اسماواتهم ما قال ابن عباس رضى الله عنهم ما قبل ان ازدردا أخذتهما
العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهم اسماواتهما وتبفت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما
ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه
ولا هذه عورة هذا فعلا أصابا الخطيئة بدت لهم اسماواتهما وقال قتادة كان لباس آدم في الجنة ظفرا كاله
فلمسا وقع في الذنب قشط عنه وبدت سوائه (وظفقا) يعنى وأقبلا وجعلا (يخصفان عليهما من ورق الجنة)
يعنى انهما ما بدت لهم اسماواتهما جعل ليرقان و يلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار
كهيشة الثوب وقل الزجاج جعل لورقة على ورقة ليس تراساواتهما وفي الآية دليل على ان كشف العورة
من ابن آدم قبيح ألا ترى أنهم ما بدرا الى ستر العورة ما تقرر في عقليهما من قبيح كشفها روى أنى بن كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كأنه نخلة - حقوق كثير شعر
الرأس فلمسا وقع في الخطيئة بدت له سوائه وكان لا يراها في الجنة فاطلقت فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة
خضراء بشعر فقل لها أرسائني قالت است برستك فنادى به يا آدم أمتى تفر قال لا يارب ولكنى استحييتك
ذكرة البغوى بغير سنده الطبرى من طريقين موقوفين فوعا ﴿قوله تعالى﴾ (وناداهما ربهما ألم
أنهما عن تلك الشجرة) يعنى ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخطبهما فقال ألم أنهما عن تلك الشجرة
الشجرة (وأقل السكبان الشيطان لكما عدو مبين) يعنى ألم أعلمكما أن الشيطان قد بان عدو له لكما بترك
الموجود حسدا وبغيا قال ابن عباس رضى الله عنهم لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى
نهيتك عنها قال حواء أمرتنى قال فأتى أعقبتهما ان لا تحملا الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرئت حواء عند
ذلك رنة فقبل لها الرنة عايك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه به يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال
أطعمتنى حواء فقال لحواء ألم أطعمتني قالت أمرتنى الحية فقال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال الله
تعالى أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فاقطع رجلك فقشيت على وجهك
وسيدخ رأسك من اقرئك وأما أنت يا ابليس فلعل من مطرود مدحور يعنى عن الرحمة وقيل ناداه به يا آدم
أما خلقتك يدي أما منفخت فيك من روحى أما أسجدت لك ملائكتى أما أسكنتك جنتى فى جوارى ﴿قوله﴾
عز وجل (قالار بنا طلعنا أنفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليهما السلام
واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والعنى قالار بنا انما فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بما خالفه
أمرنا وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها (وان لم تغفر لنا)
يعنى وأنت ياربنا ان لم تستر عنا ذنبا (وترحمنا) يعنى وتفضل علينا برحمتك (لنكونن من الخاسرين)
يعنى من الهالكين قال قتادة قال آدم يارب أريت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا دخلك الجنة وأما ابليس
فلم يسأله التوبة وسأله أن ينظر فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك فى قوله بنا طلعنا أنفسنا قال
هى الكلمات التى تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

﴿فصل﴾ وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب
عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حازهم على الخوف
منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بما رصرت منهم على سبيل التأويل
والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علوم مناصيهم وسيئات بالفسجة الى كمال
طاعتهم لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصى غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم
وعمارت بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا

(ليبدى لهم ما ووري عنهم من سواهما) ليكشف لهم ما ستر عنهم من عوراتهم ما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستقبحا للطباع والعقول فان قلت مالوا والمضمومة في و وري لم تقاب (٨٣) همزة كفاي أو يصل تصغير واصل

وأصله ووصل فقلت
الواو همزة كراهة لاجتماع
واوين قات لان الثانية مدة
كالف واري فكالم يجب
همزه في واعد لم يجب في
ووري وهذا لان الواو ين
اذا تحرك كما ظهر فيهما من
الثقل ما لا يكون فيهما
اذا كانت الثانية ساكنة
وهذا مدرك بالضرورة
فالتمزوا بدلا في موضع
الثقل لافي غيره وقرأ
عبدالله أوري بالقلب
(وقال منها كما ربك
عن هذه الشجرة الآن
تكونا ملكين) لا كراهة
ان تكونا ملكين تعلمان
الخبر والشر وتستغنيان
عن الغداء وقرئ
ملكين لقوله وملك
لاييلي (أوتكونا من
الخالدين) من الذين
لا يموتون وبقية من في
الجنة ساكنين (وقاسمهما)
وأقسم لهما (الى لكالن
الناصحين) وأخرج قسم
ابليس على زنة المفاعلة
لانه لما كان منه القسم
ومنها التصديق فكأنها
من اثنين (فدلاهما)
فزلهما الى الاكل من
الشجرة (بغرور) بما
غرهما به من القسم

وألقها اليهما فان قات كيف ووس اليهما وادم وحواء في الجنة وابليس قد أخرج منها قلت ذكر الامام
خير الدين الرازي في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن أنه قال كان يوسوس في الارض الى السماء
الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم الاصماني بل كان آدم وابليس في الجنة لان
هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من أن ابليس دخل في جوف الحية
فدخلت به الحية الى الجنة فقصه مشهور ركيكة وقال آخرون ان آدم وحواء بما قرأ بامن باب الجنة وكان
ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فرب أحد هما من الآخر فخلصت الوسوسة هناك * فان قات ان
آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله * قلت بمحتمل أن يقل
ان ابليس اتى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها جاء نيل الخلد ومنها قوله
وقاسمهما في لكالن الناصحين فلاجل هذه المواقبة والمداومة على هذا التوبة أثر كلام ابليس في آدم
حتى أكل من الشجرة (ليبدى لهم ما ووري عنهم من سواهما) يعني يظهر لهم ما غطي وستر من
عوراتهم ما ووريه ما ووري ما خوذ من المواراة وهي السترة يقال وارتبه بمعنى سترته والسواة فرج الرجل
والمرأة سمى بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دلائل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات
وللام في قوله ليبدى لهم الام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهم وانما كان
حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عوراتهما (وقال) يعني وقال ابليس لآدم وحواء
(مانها كمار بكما عن هذه الشجرة) يعني عن الاكل من هذه الشجرة (الا أن تكونا ملكين أو تكونا من
الخالدين) يعني انما هما كمار عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا
من الباقيين الذين لا يموتون وانما أطعم ابليس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من
العرش فاستشرف لذلك آدم وأحب أن يعيش مع الملائكة اطول أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين
لا يموتون أبدا فان قات ظاهر الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب
أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضاهم عليه * قات ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه
الصلاة والسلام لما طالب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة
قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه
الواقعة في زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما يطلب أن يكون من الملائكة اطول أعمارهم لانهم أفضل
منه حتى ياتحق بهم في الفضل لانه طلب ان يكون من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين
لا يموتون أبدا وقوله تعالى (وقاسمهما) أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص الواحد (الى
لكالن الناصحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خالفت
قبل كما وانا أعلم منكم كما فاني أرى شديدا كما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فدلاهما بغرور)
يعني خدعهما بغرور يقال مازال فلان بدلى فلا نابغرور يعني مازال يخدعهم ويكاهم بزخرف من القول
الباطل قال الأزهري وأصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر يأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التولية
موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور اظهر النصح مع ابطال الغش وهو ان ابليس حطهم من منزلة
الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون الا من علوا الى أسفل ومعنى الآية ان ابليس اعنه الله تعالى غر آدم
بالحسين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحد الايحاء بالله كاذبا وابليس أول من حلف
بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاغتر به (فلما اذا الشجرة) يعني طعمها من ثمرة الشجرة

بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما من خدعنا بالله اخدعنا له (فلما اذا الشجرة) وجسد اطعمها آخدين في الاكل
منها وهي السنبلة أو الكرم

(ولا تجرد أكرههم شاكرين) مؤمنين قاله ظنا فاصاب قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى ايهم (قال اخرج منها) من الجنة أو من السماء (مذؤما) معييا من ذأمه اذا ذمه ولذأم والذم العيب (مدحورا) مازودا بعدا من رحمة الله واللام في (ان) تبعك منهم) موطنه للقسم وجوابه (لأملأن جهنم) وهو ساد مسدد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أجمعين ويا آدم) وقلنا يا آدم بهدا اخرج ابليس من الجنة (اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذها مسكنا (فكلامن) حيث شئنا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا) فتصيرا (من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) وسوس اذا تكلم كلاما خفيا بكرره وهو غير متشد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله وسوس اليه ألقاها اليه

بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتيبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فاز بها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأنبط لهم عنها وعن أيماهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شئ ما أنهم من قبل الباطل فاز به لهم وقال قتادة أنا هم من بين أيديهم فأخبرهم انه لا موت ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدين فز بها لهم ودعاهم البهاوعن أيماهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شئ ما أنهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها تارك يابن آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك فلم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتهم من بين أيديهم وعن أيماهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شئ ما أنهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا بد موت فيه طاعة ومن خلفهم يعني ماضي من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيماهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور رآه وقال شقيق الباهجي ما من صباح الا ويأتني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أمامي بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فافرا أو اني اغفر لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدي وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فافرا أو ما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأما من قبل يعني فيأتي من الثناء فافرا أو العاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتي من قبل الشهوات فافرا أو حيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع إنما أراد بها التأكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لأنهم من جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجرد أكرههم شاكرين) يعني ولا تجرأ برب أكرهني آدم شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجرد أكرههم موحدين فان قلت كيف علم الحبيب ابليس ذلك حتى قال ولا تجرد أكرههم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى واقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزوين الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فتمال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله أعلم مراده ﴿قوله عز وجل﴾ (قال اخرج منها) أي قال الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنبه وذلك بسبب مخالفته وعصيانته أخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي أن يسكن فيها العصاة (مذؤما) يعني معييا ولذأم أشد العيب (مدحورا) يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا عقمونا وقال قتادة لعينامة وقال الكلبي ما هو ما مقصيا من الجنة ومن كل خير (من تبعك منهم) يعني من بني آدم (لأملأن جهنم منكم أجمعين) اللام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بني آدم وأطاعه منهم ان يملأ جهنم منه ومن كفر من بني آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم ﴿قوله تعالى﴾ (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان أهبط منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة (فكلامن حيث شئنا) يعني فكلامن نمار الجنة من أي مكان شئنا فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء فالفارق قلت قال الامام خن الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فاللهووم من الفاء نوع داخل تحت الفهووم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس وهذا ذكر النوع (ولا تقربا) هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) تقدم في سورة البقرة الكلام على نفسه بغير هذه الآية مستوفى ﴿قوله تعالى﴾ (فوسوس لهما الشيطان) يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقى به الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا بكرره وأصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة

من الصاغرين) من أهل الصغار والهلوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل إنسان وبلغتك كل إنسان اتكبرك و به علم ان الصغار لازم للاستكبار (قال أنظري الى يوم يبعثون) أمهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الاولى وانما أجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقرىب القلوب الاحباب أى هذا يرى بمن يسئني فكيف بمن يحبني وانما جسرته على السؤال مع وجود لزال منه في الحال عامه تحلم ذى الجلال (قال فما أغويته) أضللتني (٨١)

والباء تعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أى فاقسم باغوائك (لا قعدن لهم صراطك المستقيم) لا تعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة واتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظاهر أى على الظهر وعن طاوس انه كان في المسجد الحرام جأهر جل وقى فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقبل له أقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس أفضقه منه قال رب بما أغويته وهى يقول أنا أغوى نفسي (ثم لاثنين من بين أيديهم) أشككهم في الآخرة (ومن خلفهم) أرغبهم في الدنيا (وعن أيمنهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعنى ثم لاثنين من الجهات الاربع التي يأتى منها

من الصاغرين) يعنى انك من الادلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال لزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخصر وعرضه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عامية اطمار رتير وع فيها حتى يخرج منها (قال) يعنى قال ابليس عند ذلك (انظري) يعنى آخرنى وأمهلنى فلا تمنى (الى يوم يبعثون) يعنى من قبورهم وهى النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس اعنه الله لانه سأل ربه لاهمال وقد علم انه لاسبيل لاحد من خلق الله تعالى الى البقاء فى الدنيا واكنه كره ان يكون ذاتنا الموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب الى ما سأل بل (قال) الله تعالى له (انك من المنظرين) يعنى من المؤخرين المهملين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة في سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم لوقت العلو. وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم فان قلت فما وجد قوله لك من المنظرين وايس أحد ينظر سواء قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظر ون الى ذلك الوقت باآجلهم فهو منهم. (قال) يعنى ابليس (فما أغويته) يعنى فبأى شئ أضللتنى فعلى هذا تكون الاستفهامية وتم الكلام عند قوله أغويتهنى ثم ابتداء فقال (لا قعدن لهم صراطك المستقيم) وقيل هى باء القسم تقديره فباغوائك اياى وقيل معناه فباأدعت فى قلبى النى الذى كان سبب هبوطى الى الارض من السماء وأضلتنى عن الهدى لا قعدن لهم صراطك المستقيم يعنى لاجلسن على طريقك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذى يساكونه الى الجنة وذلك بان أوسوس اليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعنى بمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولا غوينهم ولا ضللتهم كما أضلتنى عن سيرة بن أبى الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لادن آدم باطريقة قعدله فى طريق الاسلام فقال تسلم وتزدرين آباءك وآباء آباءك فعصاه وأسلم وقعدله بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسماؤك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول فعصاه فهاجر وقعدله بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو وجه النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسبح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصة دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى اخبار عن ابليس (ثم لاثنين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) قال ابن عباس من بين أيديهم يعنى من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعنى من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن أيمنهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى وانما جعل الآخرة من بين أيديهم فى هذا القول لانهم منقلبون البهاوصارون البها فعلى هذا الاعتبار فالدين خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس فى رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعنى أزينها فى قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث ولا نشور ولا الجنة ولا نار وعن أيمنهم من قبل حسانتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدين من بين أيديهم فى هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهد فيها حاضرة

(١١ - خازن - ثانيا) العدو فى الاغاب وعن شقيق ما من صباح الا قعدلى الشيطان على أرمعه مرصدا من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار ان تاب وآمن وعمل صالحا ومن خافى فيتغوى الضيعة على خافى فاقرأ وما من دابة فى الارض الا الى الله رزقا وعن عني فيأتيني من قبل الشفاء فاقرأ والحققة للمتقين وعن شاملى فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال فى الاولين من لا بداء الغاية وفى الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف

أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لزيادته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاء الى التوبة والاستغفار وفي النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاء الى الاستمكبار والتراب عدة للممالك والنار عدة للممالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مثله الامانة والانعاء والطين يطغى النار ويتلفها والنار لا تلتفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول نافي القياس أول من قاس ابليس قياس على ان القياس عنده مثبتة مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص فكان الجواب لما منعك أن يقول معنى كذا وإنما قال أناخير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وقلة فضله عليه فعلم منها الجواب كانه قال منعني من السجود فضلي عليه وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجد الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة ومن السماء

عز وجل لا بليس أي شيء منعك من السجود لآدم اذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لافي قوله أن لا تسجد صلة زائدة وانما دخالت التوكيد والتقدير مامنعك أن تسجد فهو وكقوله لا أقسم أي أقسم وقوله وحرام على قرية أهلكمها أنهم لا يرجعون أي يرجعون وقوله فلا يعلم أهل الكتاب أي يعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثر بن وقيل ان كلمة لاها على أصحها مفيدة وليست بزيادة لانه لا يجوز أن يقال ان كلمة من كتاب الله زائدة ولا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن يحيى ان لافي هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد الا ان معنى قوله مامنعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك أن يقال ان في الكلام محذوفان تقديره مامنعك من السجود فاحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام غير الدين الرازى عن القاضي قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه قال مادعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عظمية يتوجب منها ريسل عن الداعي اليها فارقت لمأله عن المنع له من السجود وهو أعلم به قلت انما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يثبت الله عليه (قال) يعني قال ابليس بحجة الله تعالى عما سأله عنه (أناخير منه) فان قات قوله أناخير منه ليس بجواب عما سأله عنه في قوله تعالى مامنعك أن لا تسجد فلم يحب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي له أن يقول منعني كذا وكذا او كنهه قال أناخير منه قلت استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيه دليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والناخير من الطين وأنور وانما قل أناخير منه لما رأى أنه أشد منه قوة وأفضل منه أصلا وذلك افضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجعل عدو الله ابليس وجه الحق وأخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حل الخبيث ابليس مع الشقاء لدى سقى له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بامر ربه فأورد ذلك العتاب والهلاك ومن المعلوم أن في جوهر الطين الرزانة والانادة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس فاختأ وقال ابن سيرين أيضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذي قاسه ابليس اعنه الله تعالى لما رأى ان النار أفضل من الطين وأقوى فقال أناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدرك أن الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضالية والخبرة لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وأيضا الفضل انما يحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالأمر من الحبشي خير من الكافر القرشي فأنه تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتناب والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للاعناية التي سبقت له في القدم وأورث ابليس كبره اللعنة والطرد للشقاوة التي سبقت له في القدم (وقوله تعالى) (قال فاهبط منها) يعني قل الله تعالى لابليس اعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهووان والاستخفاف (فما يكون لك أن تكبر فيها) يعني فليس لك أن تكبر في الجنة من أمرى وضاعى لانه لا ينبغي أن يسكن في الجنة أو في السماء متكبرا مخالفا لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون في الارض (فاخرج انك

في ميزانهم خير فتخف موازينهم (فانك الذن خسروا أنفسهم عما كانوا بآياتنا يظلمون) يحدون فالآيات الحج والظلم بها وضعها في غير موضعها أي جودها وترك الانقياد لها (واقدمكنكم في الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أومكنكم فيها أو قدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهي على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع الماء والشارب والثاني ما يتحصل من المكاسب والارباح في أنواع التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معاش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمعطيها والشكر لعلها ثم ين تعالى انه مع هذا الافضل على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى (قليلًا ماتشكرون) يعني على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دلائل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذکر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واطهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ﴿وقوله تعالى﴾ (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر آدم ثم صورناكم في رحام النساء صورًا مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصورهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته قلت يحتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أي أخبرناكم ثم أخبرناكم انا فانا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب الخبر به على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد وقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القواين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أولانه أبو البشر فكان في خاقه خاق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصور يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكمنا بخلقهم ثم صورناكم يعني آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم في صورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل النجاة والتعظيم لآدم لاحقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان السجود له هو الله تعالى واما كان آدم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعني الملائكة (الا ابليس) يعني فسجد الملائكة لآدم الا ابليس (لم يكن من الساجدين) يعني له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورًا بالسجود لآدم مع الملائكة فاما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلان استثناه منهم ﴿وقوله تعالى﴾ (قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك) يعني قال الله

هم المفلحون) يعني هم الناجون غدا والفائزون ثواب الله وجزائه (ومن خفت موازينه) يعني موازين أعماله وهم الكفار بدليل قوله تعالى (فانك الذين خسروا أنفسهم) يعني غبنوا أنفسهم حظوظهم ان جزيل ثواب الله تعالى وكرامته (بما كانوا ياتينا يظلمون) يعني سبب ذلك الخسران انهم كانوا يحجج الله وأدلة توحيدهم بمحمدون ولا يعترفون بهاروى عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثلث موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا ونقله عابهم وحق ايزان بوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق ايزان بوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا ﴿وقوله عز وجل﴾ (واقدمكنكم في الارض) يعني ولقدمكنكم أيها الناس في الارض والمراد من الممكنين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو قدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهي على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع الماء والشارب والثاني ما يتحصل من المكاسب والارباح في أنواع التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معاش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمعطيها والشكر لعلها ثم ين تعالى انه مع هذا الافضل على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى (قليلًا ماتشكرون) يعني على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دلائل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذکر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واطهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ﴿وقوله تعالى﴾ (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر آدم ثم صورناكم في رحام النساء صورًا مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصورهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته قلت يحتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أي أخبرناكم ثم أخبرناكم انا فانا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب الخبر به على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد وقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القواين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أولانه أبو البشر فكان في خاقه خاق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصور يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكمنا بخلقهم ثم صورناكم يعني آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم في صورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل النجاة والتعظيم لآدم لاحقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان السجود له هو الله تعالى واما كان آدم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعني الملائكة (الا ابليس) يعني فسجد الملائكة لآدم الا ابليس (لم يكن من الساجدين) يعني له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورًا بالسجود لآدم مع الملائكة فاما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلان استثناه منهم ﴿وقوله تعالى﴾ (قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك) يعني قال الله

على ان الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع عاصيه بالتو بيج ولاظهار معانيدته وكفركه وافتخاره باصله

الاولئان والاهواء والبدع (فليلا ما ند كرون) حيث تركون دين الله ويتبعون غيره وقليل انصب بند كرون أي تذ كرون تذ كروا قليلا وما يزيد لتوكيد القلة تذ كرون شامئ (وكم) مبتدأ (من قرية) تبين والخبر (أهلكناها) أي أردناها هلاكها كقوله اذ انقم الى الصلاة (جاءها) (باسنا) عذابنا (بيانا) مصدر وقع موقع الحال بمعنى (بائنين) يقال مات بئانا حسنا (أوهم

قائلون) حال معطوفة على

بيانا كأنه فيسئل فيهم
باسنا بائنين أو قائلين وإنما
قيل هم قائلون بلا أو ولا
يقال جاءني زيد هو فارس
بغير أو لانه لم اعطف على
حال قبلها حذف الواو
استثقالا لاجتماع حرفي
عطف لان واو الحال هي واو
العطف استعيرت للوصل
وخص هذان الوقتان
لانهم اوقت الغفلة فيكون
نزول العذاب فيهما أشد
وأفزع وقوم لوط عليه
السلام أهلكوا بالليل
وقت السحر وقوم شعيب
عليه السلام وقت القيولة
وقيل بيانا لئلا يلبسوا
نائمون أو نهارا وهم قائلون
(فما كان دعواهم)
دعاهم وتضرعهم
(اذ جاءهم باسنا) لما جاءهم
أوائل العذاب (الأن قالوا
انا كنا ظالمين) اعترفوا
بالظلم على أنفسهم والشرك
حين لم ينفعهم ذلك
ودعواهم اسم كان وأن
قالوا الخبر ويجوز لعكس
(فلنسلن الذين أرسل
اليهم) أرسل مسند الى
اليهم أي فلنسلن المرسل
اليهم وهم الامم عما أجابوا

والمعنى ولا تتولوا من دونه شيئا طين الانس والجن فيأمرهم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة
(فليلا ما ند كرون) يعني ما تتعظون الا قليلا ﴿قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) لما أمر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وأمر أمته باتباع ما أنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا
ما أمر به فذكر في هذه الآية ما ترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية
أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس
فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها (جاءها باسنا) يعني عذابنا فان قلت مجيء البأس وهو
العذاب انما يكون قبيل الاهلاك فكيف قال أهلكناها جاءها باسنا انما عذابها وكم من قرية حكمنا
بأهلكها جاءها باسنا وقال الفراء اهلاك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعطيني فاحسنت الى فلم يكن
الاحسان قبل الاطاعة ولا بعده وإنما وقع معا وقال غيره لافرق بين قولك أعطيتني فاحسنت الى أو أحسنت
الى فاطيتني فيكون أحدهما نداء من الآخر (بيانا) يعني جاءها عذابنا لئلا قبل أن يصبحوا (أوهم
قائلون) من اقيلا لولة وهي نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن معناه نوم والمعنى جاءها باسنا
غفلة وهم غير متوقعين له لئلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود
الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمانة تذلم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد
وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فما
كان دعواهم) يعني فما كان دعاء أهل القرية التي جاءها باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء بمعنى
الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانه
الله (اذ جاءهم باسنا) يعني عذابنا (الأن قالوا انا كنا ظالمين) يعني اثمهم لم قدر واعلى رد العذاب عنهم
وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجمالية وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسلن الذين أرسل اليهم) يعني
نسلن الامم الذين أرسل اليهم الرسل ماذا علمتم فيما جاءكم به الرسل (ولنسلن المرسلين) يعني ولنسلن
الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا وأديتم الى الامم ما أمرتم بتأديته اليهم أم قصرتم في ذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين ويسأل
المرسلين عما بلغوا عنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتم كتابهم بما كانوا يعملون وقال السدي يسأل
الامم عما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به فان قلت قد أخبر عنهم في الآية الاولى
بأنهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك
قلت لما اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا
التقرير والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم الى
من أرسلوا اليهم من الامم * قلت اذا كان يوم القيامة أنكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فكان مسألة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من أرسلوا اليهم من الامم أنهم قد بلغوا
رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقرير والتوبيخ للكفار أيضا لانهم
أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيتهم وهوانهم وعذابهم ﴿وقوله تعالى (فلنقصن عليهم بعلم) يعني
فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم بعلم وبقين بما عملوا في الدنيا (وما كنا غائبين) يعني عنهم وعن أفعالهم

به رسالهم (ولنسلن المرسلين) عما أجابوا به (فلنقصن عليهم) الى الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالين بأحوالهم الظاهرة
والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقرير والتعسير اذا قالوا هو بالسنهم
وشهد عليهم أنبياءهم

بالمملوك (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمة (وانه يغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ماهوات قريب وما امر الساعة الا كالح البصر وهو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له (٧٦) مثل أعمالهم الى يوم القيامة ﴿سورة الاعراف مكية وهي ما ان وحس آيات بصرى

وست كوفي ومدني ﴿

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
المص ﴿قال الزجاج المختار في تفسيره ما قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا الله أعلم وأفضل﴾ (كتاب) خبر مبتدا محذوف أي هو كتاب (أنزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السور (فلا يكن في صدرك حرج) شك فيه وسمى الشك حرجا لان الشك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا شك في انه منزل من الله أو حرج منه بقليل لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأداهم فكار يضيق صدره من الادي ولا يشغل له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهي متوجه الى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه والفاء للعظم أي هذا الكتاب أنزله اليك فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك واللام في (لتنذر به) متعلق بازل أي أنزل اليك لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين

نصيبه التخويف والترغيب ﴿وهو قوله تعالى﴾ (ان ربك سريع العقاب) يعني لاعدائه باهلا بهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ماهوات فهو قريب وان كان العبد موفيا لحقوق الله تعالى فيما أمر به أو مهابا عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم ﴿وهو قوله تعالى﴾ (وانه لغفور) يعني لذنوب وإيائه وأهل طاعته (رحيم) يعني بجمع خلقه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة الاعراف﴾

نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقادة وروى عن ابن عباس أيضا انها مكية الا خمس آيات أولها وأصلها من القرية التي كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان آيات في سورة الاعراف مدنية ولها وأصلها من القرية الى قوله واذا خذرك من بني آدم وهي مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أفصل وعنه أنا الله أعلم وأفضل وعنه ان المص قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال أبو العالية آلاف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله تعالى بعلمها وهي سر في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحتوي معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معنى الحروف المقطعة أوائل السور في أول سورة البقرة ﴿وقوله تعالى﴾ (كتاب أنزل اليك) يعني هذا كتاب أنزله الله اليك يا محمد وهو القرآن (فلا يكن في صدرك حرج منه) يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما أرسلت به الى الناس (لتنذر به) يعني أنزل اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بالنداره (وذكري للمؤمنين) يعني واتذكري وتعتظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب أنزله الله اليك لتنذر به وذكري للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الانشاء توجيه ما حصل له ﴿قوله تعالى﴾ (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما أنزل اليكم من ربكم معنى من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت بانباء كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما أنزل آية الا ويجب أن تعلم فيم أنزلت وما معابها ونحو هذا قال الزجاج أي اتبعوا القرآن وما أنزل به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل لقوله تعالى وما آماكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله تنذر به كان معنى الكلام أنذر لقومك وقيل لم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وانركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكركم به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار أي اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم وانركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك وبدل عليه قوله تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعني ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم

والعنى

على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكري للمؤمنين)

في محل النصب باضمار فعلها أي لتنذر به وتذكركم كبريا فالله كبرى اسم معنى التذكير أو الرفع بالعطف على كتاب أي هو كتاب وذكري للمؤمنين أو بانه خبر مبتدا محذوف أو الجواب بالعطف على محل لتنذر أي للانذار ولله كبرى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيمملوكم على عبادة

(حنيفاً) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله يامعشر قريش (قل ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي والناسك العابد أودبني
أوحيني (ومحيي ومماتي) وما أنبتني في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح (٧٥) (لنقرب العالمين) خالصاً لوجهه

محيي ومماتي بسكون
الياء الاوّل وفتح الثاني
مدني وبكسبه غيره
(لاشريك له) في شئ
من ذلك (وبذلك)
لاخلاص (أمرت وأنا أول
المسلمين) لان اسلام كل
نبي متقدم على اسلام أمته
(قل أغير الله أبني ربا)
جواب عن دعائهم له الى
عبادة آلهتهم والهمزة
للاينكار أي منكراً أن أطلب
ربا غيره وتقديم المفعول
للاشعار بأنه أهم (وهو
رب كل شئ) وكل من دونه
مرتبوب ليس في الوجود
من له الربوبية غيره (ولا
تكتسب كل نفس الا عابها)
جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم
(ولا تزروا زرة زراً أخرى)
أي لا تؤخذ نفس آئمة
بذنّب نفس أخرى (ثم الى
ربكم مرجعكم فينبئكم بما
كنتم فيه تختلفون) من
الاديان التي فرقتهموها
(وهو الذي جعلكم خلائف
الارض) لان محمد صلى
الله عليه وسلم خاتم النبيين
فأمته قد خالفت سائر الامم
أولان بعضهم يخلف بعضاً
أوهم خلفاء الله في أرضه
يملكونها ويتصرفون
فيها (ورفع بعضكم فوق

ابراهيم وشريعته (حنيفاً) الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل
من اختلفت أوحج حنيفاً تقيها على أنه على دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم
صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون أنهم على دين ابراهيم فأخبر الله تعالى ان ابراهيم لم
يكن من المشركين ومن يعبد الاصنام (قل ان صلاتي) أي قل يا محمد ان صلاتي (ونسكي) قال مجاهد وسعيد
ابن جبير والضحاك والسدي أراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة
والناسك العابد وقيل المناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح
وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكة وقيل للنسك سبائك
لأبه خلص نفسه من دنس الآثام وصفها كالسبيكة الخاصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل
على ان جميع العبادات يؤدّيها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله لنقرب العالمين لاشريك له وفيه
دليل على ان جميع العبادات لا تؤدّي الا على وجه التمام والسكال لان ما كان لله لا ينبغي أن يكون الا كاملاً
تاماً مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولاً (ومحيي ومماتي) أي حيائي
وموتي بخالق الله وقصائه وقدره أي هو محيي ويميتني وقيل معناه ان محيى بالعمل الصالح ومماتي اذا مات
على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله
وقضائه وقدره والمراد بقوله (لنقرب العالمين لاشريك له) يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر
أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه (وبذلك أمرت) يعني قل يا محمد وهذا التوحيد أمرت (وأنا أول
المسلمين) قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره ﴿قوله عز وجل﴾ (قل
أغير الله أبني ربا) أي قل يا محمد هؤلاء الكفار من قومك أغير الله أطلب سيدها وأهلها (وهو رب كل شئ)
يعني وهو سد كل شئ ومالكه لا يشاركه فيه أحد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى
ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي أحل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل ردا
عليه (ولا تكتسب كل نفس الا عابها) يعني ان ثم لجاني عليه لا على غيره (ولا تزروا زرة زراً أخرى) يعني
لا تؤخذ نفس آئمة بآثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حل أخرى ولا يؤخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم
مرجعكم) يعني يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدين من الاديان والملل ﴿قوله تعالى﴾
(وهو الذي جعلكم خلائف الارض) يعني والله الذي جعلكم بأمة محمد خلائف في الارض فان الله أهلك
من كان قبلكم من الامم الخالية واستخافكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخفونهم فيها وتعمرونها
بعدهم وذلك لان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وأمته آخر الامم (ورفع بعضكم فوق بعض
درجات) يعني انه تعالى خالف بين أحوال عبادته فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل
والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغنى والفقر والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى
والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل الجزاء والجهل أو البخل فان الله سبحانه وتعالى
منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان ﴿وهو قوله تعالى﴾ (ليبلوكم فيما آتاكم) يعني
يعاملكم معاملة المتبلى والمختبر وهو أعلم باحوال عبادته والمعنى يبتلى الغنى بغناه والفقر بفقره والشريف
بشرفه والوضيع بدناءته والعبد بالحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب
والعقاب لان العبد امانة ان يكون مقصراً فيما كلف به واما ان يكون موفياً ما أمر به فان كان مقصراً كان

بعض) في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان أو انقضى الى درجات أو هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفعة بعد
رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كف تشكروا تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقر والمالك

الملة والدين اذ جعلهم من أمة وقوله تجارى بهم الاهواء كناية تجارى السكب بصاحبه التجارى تفاعل من
الجرن وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجرى الفرس والسكب قال ابن مسعود ان
أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشرا الامور محرمانها ور واما جار
عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى (لست منهم في شئ) يعنى في قتال الكفار فعلى هذا تكون
الآية منسوخة مآبة لقتله وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال
المراد من الآية أهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شئ أى أنت منهم برى وعوهم منك
برآة تقول العرب ان فعلت كذا فاست منك واست منى أى كل واحد منا برى من صاحبه (انما أمرهم الى
الله) يعنى في الجزاء والمكافأة (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) يعنى اذا وردوا القيامة ﴿ قوله تعالى (من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها) يعنى عشر حسنات أمثاله (ومن جاء بالسئنة فلا يجزى الا مثله) يعنى مثلهما في
مقابلتها واختلافها في هذه الحسنة والسئنة على قوانين أحدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسئنة هي
الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة لتوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأوجب
عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يحازى على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر
أمثاله لترغيب في الايمان بالالتحديد وكذلك جزاء السئنة بمثلهما من جنسها والقول الثانى أن اللفظ عام في
كل حسنة يعملها العبد وسئنة وهذا أولى لان جمل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بالعشرة
ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء في حسناته الى سبعمائة وعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب
لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وجزاء السئنة بمثلهما عدل منه سبحانه وتعالى وهو
قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزداد على عذاب العاصي (ق) عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها
الى سبعمائة ضعف وكل سئنة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن أبي ذر رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وازيد ومن جاء
بالسئنة فجزاؤه سيئة مثلهما أو أغفر ومن تقرب منى شبرا تقرب منى عشرة أمثالها وازيد ومن جاء
بما عوسن أتاني بمشيئتي تهرة وله من انى بقرب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة
(ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد
عبيدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكثروها بمثلها وان تركها من أجلى
فاكتبوها له حسنة واذا اراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكثبوها له حسنة فان عملها فاكثبوها له بعشر
أمثالها الى سبعمائة لفظ البخارى وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك
وتعالى اذا تحدث عبيدى بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له عشر أمثالها
واذا تحدث عبيدى بان يعمل سيئة فانا أغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها
فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكثبوها له حسنة فانما تركها من جرأى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها ﴿ قوله عز وجل (قل) يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك (اننى هداني ربى الى صراط
مستقيم) يعنى قل لهم اننى أرشدنى ربى الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده
المؤمنين (دينا قيا) يعنى هداني صراطا مستقيما دينا قيا وقيل يحتمل أن يكون محمولا على المعنى تقديره
وعرفنى دينا قيا يعنى دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيف وقيل قيا مابتا مقبولا بالامور معاشى ومعادى
وقيا هو من قام وهو بلغ من الثم (ما اراهم) والملة بالسكسر الدين والشرعة يعنى هداني وعرفنى دين

لها (لست منهم في شئ) أى
من السؤل عنهم وعن
تفرقهم أو من عقابهم
(انما أمرهم الى الله ثم
ينبئهم بما كانوا يفعلون)
فيجاز بهم على ذلك (من
جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها) تقديره عشر
حسنات أمثالها الا أنه
أقيم صفة الجنس المميز
مقام الموصوف (ومن جاء
بالسئنة فلا يجزى الا مثلهما
وهم لا يظلمون) بنقص
الثواب وزيادة العقاب
(قراننى هداني ربى)
ربى أبو عمر ومدنى (الى
صراط مستقيم دينا) نصب
على البديل من محل الى
صراط مستقيم لان معناه
هداني صراطا بدليل قوله
ويهديكم صراطا مستقيما
(قيا) فيعمل من قام كسيد
من ساد وهو بلغ من الثم
قيا كوفى وشامى وهو مصدر
بمعنى القيام وصف به (ملة
ابراهيم) عطف بيان

إيمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة (أو كسبت في إيمانها خيراً) يعني أو علمت قبل ظهور هذه الآية خيراً من عمل صالح وتصدق قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قل منه قبل ذلك فإيمان آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عذاباً على أمة فآمنوا وصدقوا فأنهم لا ينفعهم إيمانهم ذلك لما بينتهم الأهوال والشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة وقوله (فمن انتظروا) يعني ما وعدتهم به من مجيء الآية ففهم وعيد وتهديد (انما منتظرون) يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة أو قبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا إنما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذابين لمحمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوقت والمراد بهذا أن المشركين إنما يملكون قدر مدة الدنيا فإذا ماتوا وأظهرت الآيات لديهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدًا وقيل إن قوله قل انتظروا إنما منتظرون المراد به الكفار فكور الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الأول تكون الآية محكمة قوله عز وجل (الذين فرقوا) وقرئ فرقوا (دينهم وكانوا شيعاً) يعني أحزاباً متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم أنهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فنقرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم يهودين إبراهيم الخنيفية السهلة أديماً ناختلفة كاليهودية والصراية وعبادة الأصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة ومن فرقوا دينهم قال معناه بانيه ورؤيه من المغارقة للشيء وقيل إن معنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد في الحقيقة وهو أن من فرق دينه فافقر ببعضه وأسكر ببعضه فافرق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لأن بعضهم عبدوا الأصنام وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا أنهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفرق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لأنهم تفرقوا فكانوا فرقاً مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء وإيسوا منكم هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري في هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يتدعوا البدع الضلالة وروى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند عن العراب بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة درفت منها العميون ووجات منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فما نعهد اليها فقال وصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعيش منكم يهدى وسيروا اختلافكم كثيراً عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فتنان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زادي رواية وأنه سيخرج في أمي أقوام تنجاري بهم الأهواء كما تجاري الكتاب بصاحبه لا يقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أمأ عليه وأصحابي أخرجه الترمذي قال خطابي في هذا الحديث دلالة على أن هذه الفرق غير ناجية من

(أو كسبت في إيمانها خيراً) أي إخلاصاً كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضاً أو توبته وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبته من لم يتب قبل (قل انتظروا) إحدى الآيات الثلاث (انما منتظرون) بكم أحداها (الذين فرقوا دينهم) اختلغوا فيه وصاروا فرقاً كما اختلف اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي الناجية وافترت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وتفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي السواد الأعظم وفي رواية وهي ما أمأ عليه وأصحابي وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فرقوا دينهم حزة وعلى أي تركوا (وكانوا شيعاً) فرقاً كل فرقة تشيع اماماً

محشرهم (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادر وبالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخو بصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعير بين القرنين زاذني رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ابرئى من حيث جئت فتصيح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ابرئى فارجعي من حيث جئت فتصيح طالعة من مطلعها لا تنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصيح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر إلى الشمس حين غربت فقال إنها تغرب في عين حجة تنطلق حتى تخرل بها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فإذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب إن مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا إلى الله قبل أن يأتيكم بعذاب فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب فإذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون لهم ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فإذا أصبحوا فاطال عليهم رأيت أعينهم طلوع الشمس فيبيناهم ينظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب فإذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لأنه لا ينفع مشركا إيمانه عند الآيات وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا أكتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي قيل إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن الملاحدة والمنجمين زعموا أن ذلك لا يكون في ربهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة وبأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها بروى عن ابن مسعود أنه قال التوبة معروضة على ابن آدم أن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو يأجوج ومأجوج وروى عن عائشة قالت إذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال وروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدابة والارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدابة والارض وأصح الأقوال في ذلك ما نظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) يعني لا ينفع من كان مشركا

(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) لأنه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا

وانه كذا عن دراستهم
غافلين على أن الهاء ضمير
الشأن والخطاب لاهل مكة
والمراد اثبات الحجية عليهم
بازال القرآن على محمد صلى
الله عليه وسلم كيلا يقولوا
يوم القيامة ان التوراة
والانجيل انزل على
طائفتين من قبائنا وكنا
غافلين عما فيهما
(أوتقولوا) كراهة ان
تقولوا (لوانا أنزل علينا
الكتاب اسكننا أهدي
منهم) لخدمة أذهانتنا وثقابة
أفهامنا وغرارة حقلنا لا يلام
العرب (فقد جاءكم بينة من
ربكم) أى ان صدقتم فيما
كنتم تعدون من أنفسكم
فقد جاءكم ما فيه البيان
الساطع والبرهان القاطع
خفف الشرط وهو من
أحسن الخدوف (وهدي
ورحة فن أظلم ممن كذب
بآيات الله) بعد ما عرف
صحتها وصدقها (وصدف
عنها) أى أعرض (سنجزى
الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب) وهو النهايه
في النكابة (بما كانوا
يصدفون) باعراضهم
(هل ينظرون) أى أقننا
بجمع الوجدانية وثبوت

الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فيايتطرون في ترك الإيمان بعدها (الآن تأتيهم الملائكة) أي تأتيهم حوزة وعلى (أو يأتي ربك) أي أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لأن الاتيان متشابه وانسان أو اليه (أو يأتي بعض آيات ربك) أي اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك

الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فليبتطرون في ترك الإيمان بعدها (الآن تأتيهم الملائكة) أي ملائكة الموت ليقبضوا روحهم
يأتيهم حزة وعلى (أو يأتي ربك) أي أمر ربك وهو العذاب والقيامة وهذا لأن الاتيان متشابه وإتيان أمر منصوص عليه محكم فيرد
إليه (أو يأتي بعض آيات ربك) أي شرائط الساعة كملوع الشمس من مغربها وغير ذلك

ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادي سبعاء عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه (٧٠) ثم خط على كل جانب ستة خطوط مائلة ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان

يدعوا اليه فاجتنبوها ولا هذه الآية ثم بصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنى عشر وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخن شئ من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لاول شئ في التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر أولانعة لكون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عذبوا تفكروا ثم تذكروا أي انعطوا فانقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أي ثم أخبركم انا آتينا وهو عطف على ثم قل أي قل آتينا وأنهم مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذي احسن) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تحية المكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به (وتفصيلا

وأمرهم بانباع جلته وتفصيله) (ولا تتبعوا السبل) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطر يته الذي ارضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه وقرأوا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية (ذاكم وصاكم به) يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا عوج جاج فيه (لعلكم تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخن شئ وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم الآيات الى قوله لعلكم تتقون أخرجه الترمذي قال حديث حسن غريب قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة فان قلت آتينا موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فمأني ذلك قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم أخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذاكم وصاكم به ياتي آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم ثم قال بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فخذف لفظة قل للدلالة الكلام عليها ﴿ وقوله تعالى (تماما على الذي أحسن) اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي عا ما على من أحسن من قومه لانه كان منهم محسن وموسى وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من أحسن أي أتمنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون أي أتمنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي أحسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى (وتفصيلا لكل شئ) يعني وفيه بيان لكل شئ يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه (وهدي) يعني وفيه هدى من الضلالة (ورحمة) يعني انزاله عليهم رحمة مني عليهم (لعلهم يلقاها بهم يؤمنون) قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب ﴿ قوله عز وجل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ (فاتبعوه) يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا) يعني مخالفته (لعلكم ترجون) يعني ليكون الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترجوا على جزاء التقوى (أن تقولوا) يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعني أنزلنا اليك الكتاب كراهية أن

لكل شئ) وبما نامت لالكل ما يحتاجون اليه في دينهم (وهدي درجة اعلمهم) أي بني اسرائيل تقولوا (بلقاء بهم يؤمنون) يصدقون أي بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا) أي القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفته (لعلكم ترجون) لرجوا (أن تقولوا) كراهية أن تقولوا أو لئلا نقولوا

(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذلكم وصاكم به) أي المذ كور مفصلاً أمركم بهم بحفظه (لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظمها عند الله (ولا تقر بومال اليتيم الابالي هي أحسن) (٦٩) الاباخصلة التي هي أحسن وهي

حفظه وتتمره (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حمله فادفعوه اليه واحده شد كفس وأفلس (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لانكف نفسا الاوسعها) الا ما يسعها ولا تهجز عنه وانما اتبع الامر بإيفاء السكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لاز يادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر بـ بلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (واذا قلم فاعدلوا) فاصدقوا (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرهما من أهل قرابة القائل كقوله ولوعلى أنفسكم أو الوالدين والأقربى (وبعهد الله) يوم الميثاق أو في الامر والنهي والوعد والوعيد والنذر واللين (أوفوا ذلكم) أي ما أمر (وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حجة وعلى وحفص على حذف احدي التاءين غيرهم بالتشديد أصله تذكرون فادغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتعظوا (وأن هذا صراطي) ولان هذا صراطي فهو علة للاتباع

العقاب ومن ترك المعصية ظاهراً أو باطناً لاجل خوف الله وتعظيماً لامره استوجب رضوان الله وثوابه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق) حرم الله تعالى قتل النفس الاباحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقر بومال الفواحش وانما أفرد قتل النفس بالذ كرتظيماً لامر القتل وانه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل انما أفرد بالذ كرتلانه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الابالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق وهي التي أبيع قتلها من ردة وأقصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الاباحدي ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿ وقوله تعالى (ذلكم) يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات (وصاكم به) يعني أمركم به وأرجعه عليكم (لعلكم تعقلون) يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها ﴿ قوله تعالى (ولا تقر بومال اليتيم الابالي هي أحسن) يعني ولا تقر بومال اليتيم الابا فيه صلاحه وتميره وتحصيل الرج له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسمى له فيه ولا ياخذ من ربحه شيئاً هذا اذا كان القيم بالمبال غنياً غير محتاج فلو كان الوصي فقيراً فله أن يأكل بالعرف (حتى يبلغ أشده) يعني احفظوا مال اليتيم الى أن يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهي في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال السكبي الاشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين سنة وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية انما هي نهاية الاشد لا ابتداء والمراد بالاشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية ﴿ وقوله تعالى (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط) يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لانكف نفسا الاوسعها) يعني طاقها وما يسعها في ايفاء السكيل والميزان وانما لم يكف المعطى أن يعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكف صاحب الحق الرضا بقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه (واذا قلم فاعدلوا) يعني في الحكم والشهادة (ولو كان ذا قربى) يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق (وبعهد الله) أي بعهدهم (وأوفوا) يعني بعهدهم (وصاكم به) يعني بالعدل (لعلكم تذكرون) يعني لعلكم تتعظون وتذكرون فتأخذون ما أمركم به ﴿ قوله عز وجل (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) يعني وان هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريق ديني الذي ارتقيته لعبادي مستقيماً يعني قوياً لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به مفصلاً أجله في هذه الآية اجاباً لا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضاً جميع احكام الشرع وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين

بتقدير اللام وان بالتخفيف شامياً وأصله وانه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء حزه وعلى (مستقيماً) حال (فاتبعوه)

منهم) ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع لأهوى اذ لو تتبع الدليل لم يكن لا مصداقا للآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم يريدون ان لا يؤمنون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحشر والالعام (تعالوا) هو من الخاص الذي صار عامافاصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ما حرم ربكم) الذي حرمه ربكم (عليكم) مامن صلة حرم (ن لا نشر كوابه شيئا) أن مفسرة افعال التلاوة ولا نهى وبالوالدين احسانا) واحسبوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان نحر بما اترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا اولادكم من املاق) من أجل فقر ومن خشية كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الله صهر بدل من الفواحش ٢ قوله في الهامش مامن صلة حرم هكذا بالاصل الذي

ذلك وانما اختلقوه من عند أنفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين في شهادتهم ولا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان وقع منهم شهادة فاتمهاهي باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم يريدون ان لا يؤمنون) يعني يشركون ﴿ قوله عز وجل (قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم) لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله أمرهم به بحريم ما حرموه على أنفسهم فكانهم سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى اتسع فيه حتى عم وقيل أصله أن تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزل وكانه دعاه الى ما فبر فرة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا أيها القوم أنزل عليكم يعني أقر ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظاهرا ولا كذبا كما تزعّمون اتم بل هو وحي أوحاه الله الى (ان لا نشر كوابه شيئا) فان قلت ترك الاشراك واجب فامعنى قوله أن لا نشر كوابه شيئا لانه كالتفصيل لما أجله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجود الوجه الاول أن يكون موضع أن رفع معناه هو أن لا نشر كوابه الوجه الثاني أن يكون محله النصب واختلغوا في وجه انتصابه فقل معناه حرم عليكم أن تشركوا وتكون لاصلة وقيل ان حرف لا على أصلها ويكون المعنى أنل عليكم نحر حريم الشرك أي لا تشركوا ويكون المعنى أوصيكم أن لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على أوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث أن يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم أن لا تشركوا على الاغراء أو بمعنى فرص عليكم أن لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شركا من خلقه أو يطيع مخلوقا في معصية الخالق أو ير يدعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربك أحد ﴿ وقوله عز وجل (وبالوالدين احسانا) أي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما نبي بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذي أخرجه من العدم الى الوجود وخلقاه وأوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهم ما السبب في وجود الانسان ولما لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهلك في حال صغره (ولا تقتلوا اولادكم من املاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الافتقار والمرا بالقتل وأد البنات وهن أحياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم واياهم) يعني لا تشدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتر بئته والانسكال في أمر الرزق على الله عز وجل (ولا تقربوا الفواحش) يعني الزنا (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقبعون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل لفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احتراز عن المعاصي في الظاهر ولم يحتزم منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق ما بينك وبين الله صهر بدل من الفواحش ٢ قوله في الهامش مامن صلة حرم هكذا بالاصل الذي

عز وجل ردوا نكذيبهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل
 قومك كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء (حتى ذاقوا بأسنا) يعني عذابنا
 * فصل * استدلال القدرة والمعتزلة بهذه الآية فقلوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله
 ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأضاف ان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريحاً من ذهب
 الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه
 مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لو شاء
 الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التاكيد ليس هو في قولهم لو شاء الله
 ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله أمرنا به ورضي منا نحن عليه كما خبر عنهم
 في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فردد الله تعالى عليهم بقوله قل
 ان الله لا يأمر بالفحشاء والذليل ان التاكيد في قولهم ان الله أمرنا به هذا ورضي منا لا في قولهم لو شاء الله
 ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله
 ما أشركنا فقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التاكيد وقال
 الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وما يقولون لما عابهم بذلك ولا كنهم
 قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وما يقولون وقيل في معنى الآية انهم كانوا يقولون
 الحق بهذه الكلمة وهو قولهم لو شاء الله ما أشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في
 ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان أمر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فان الله تعالى مريد لجميع الكائنات
 غير أمر بجميع ما يريد فعلى العبد ان يتبع أمره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا
 لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد
 ويأمره بالايمان وورد الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالخصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يحسبون
 بمشيئته الله تعالى في شر كهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة
 لله تعالى في كل الامور دفع دعواه الانبياء عليهم السلام والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (قل هل عندكم من علم)
 أى قل يا محمد هؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا كنهم على ما كنا نعبد) (قل هل عندكم من علم)
 يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكلام يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنا) يعني فظهروا
 ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالة في العقول (ان تتبعون
 الا الظن) يعني فيما أنتم عليه من الشر ك وتحر يم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون أنكم على حق وانما هو
 باطل (وان أنتم الا تخرجون) يعني وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل ﴿ وقوله
 تعالى (قل فأنه الحجة البالغة) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله وحجة لهم فأنه
 الحجة البالغة يعني الزامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصى الله
 أو أشرك به على الله ولكن الله الحجة البالغة على عبادته (فلو شاء هداكم أجمعين) يعني فلو شاء الله لوفقكم
 أجمعين للهداية ولكنهم لم يشاءوا ذلك وفيه دليل على أنه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء هداكم لايستل عما
 يفعل وهم يستلون (قل هل شهداءكم الذين يشهدون) يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهم لك دعوة الى
 الشيء يستوى فيه الواحد والاثان والجمع والذك والانثى وفيها لغة أخرى يقال للواحد هلم وللأثنين
 هلمما وللجميع هلموا ولا نثى هلمى واللغة الاولى أفصح (أن الله حرم هذا) وهذا تنبيه من الله باستدعاء
 الشهود من الكافرين على تحر يم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله مرنا به ليطهر ان لا شاهد لهم على

الله لم يشيئته ولولا مشيئته
 لم يكن شيء من ذلك (كذلك
 كذب الذين من قبلهم) أى
 كذبهم اياك كان
 نكذيب المتقدمين رسالهم
 وتشبهوا بآل هذا فلم ينفعهم
 ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد
 بل قالوا ذلك استهزاء ولا نهم
 جعلوا مشيئته حجة لهم على
 انهم معذرون به وهذا
 مردود لان الاقرار بالمشيئة
 ٢ أو معنى المشيئة هذا الرضا
 كما قال الحسن أى ما رضى
 الله منا ومن آباءنا الشر ك
 والشر ك مراد اكنه غير
 مرضى الا ترضى أنه قال
 فلو شاء هداكم أجمعين
 أخبر أنه لو شاء منهم الهدى
 لآمن كلهم ولكن لم يشأ
 من الكل الايمان بل
 شاء من البعض الايمان
 ومن البعض الكفر
 فيجب حل المشيئة هنا
 على ما ذكرنا فالتناقض
 (حتى ذاقوا بأسنا) حتى
 أنزلنا عليهم العذاب
 (قل هل عندكم من علم)
 من أمر معلوم يصح
 الاحتجاج به فيما قلتم
 (فتخرجوه لنا) فظهره
 (ان تتبعون الا الظن)
 وان أنتم الا تخرجون
 تكذبون (قل فأنه الحجة
 البالغة) عليكم يا أمراء
 ونواهي ولا حجة لكم على
 الله بمشيئته (ولو شاء

لهذا أجمعين) أى فلو شاء هداكم به تبطل صولة المعتزلة (قل هل شهداءكم) هاتوا شهداءكم فربوهم ويستوى في هذه كلمة الواحد
 والجمع والذك والمؤنث عند المجازيين وينعيم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى زعموه محرم

لتوغله في باب الفسق (فن) لمواساته (ولاعاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذنه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي صفر) أي ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم وهي الثروب وشحوم السكلى (الاماحات ظهورهما) الا ما شتمل على الظهور والجنوب من السجفة (أو الحوايا) أو ما شتمل على الامعاء واحدها حوايا أو حوية (أو ما اختلط بعظم) وهو الآية (أو المخ) (ذاك) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك (ببغهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف أنشكر من سبب معصيتهم التحريم الحلال ومعصية سالفنا التحايل الحرام حيث قال وعفانكم فالان باشرهين (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذورجة واسعة) بها يهل الكذابين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمة (عن القوم الجرمين) اذا جاء فلا تغرب سعة رحمة عن خوف

حرم بعد نزولها أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الآية محرم على اسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله أعلم (بأن في الآية أحكام) في قوله تعالى أودما مسغوا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالسكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن حدير سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها جرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق أوخ الا المسفوح وقال عكرمة مولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود وقوله تعالى (فن اضطر غير باغ ولا عاد) لما بين الله المحرمات في هذه الآية أباح أكلها عند الاضطرار من غير بني ولا عدوان في قوله (فان ربك غفور رحيم) دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار وقوله تعالى (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) قال ابن عباس هو البعير والنعام ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من المهاثم والطيور مثل البعير والنعام والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين (الاماحات ظهورهما) يعني الامعاء بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وأبوصالح الآية مما حلت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية (أو الحوايا) وهي المباعر في قول ابن عباس وجهوا المفسرين واحدها حوايا وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى أن الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود (أو ما اختلط بعظم) يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فاصل هذا أن الذي حرم عليهم شحم الثروب وشحم الكاية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله رأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جلوه ثم باعوه فاكلوه فكلوا منه قوله جلوه يعني اذا بوه يقال أجلت الشحم وجلته اذا ذبته وجلته أكلوه وأضحج وقوله تعالى (ذلك جزيناهم) أي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة لهم (ببغهم) يعني بسبب بغهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذال باواسنحلاهم أموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) يعني في الاخبار عن بغهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك ان احرمنا عليهم وأحللنا لهم مما بيناه في هذه الآية المتقدمة (فقل ربكم ذورجة واسعة) يعني بتأخير العقوبة عنكم فان رحمة تسع المسيء والمحسن فلا يجمل بالعقوبة على من كفر به أو عصاه (ولا يرد بأسه) يعني ولا يرد عذابه ونقمة اذا جاء وقتهما (عن القوم الجرمين) يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل (سيعقوب الذين أشركوا) لما لزمهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله ونحوهم ما لم يحرم الله أخبر الله تعالى عنهم عما سيقولونه فقال تعالى سيعقوب الذين أشركوا يعني مشركي قريش والعرب (لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا) يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلو لا أنه رضى ما نحن عليه وأراد منهنا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك (ولا حرمنا من شيء) يعني ما حرمه من البعائر والسواائب وغير ذلك فقال الله

التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى منه وان المحرمات محصورة في الاربعه الاشياء المذكورة في هذه الآية
وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالة في أن التحريم لا يخرج عن
هذه الاربعه وذلك أنه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحى وثبت أن الله تعالى نص في هذه
الآية على هذه الاربعه الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وأنه لا يحرم
شي من سائر الطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير
وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا بدخلة النسخ واحتجوا
بان هذه الآية وان كانت مكية لكن يعضدها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المسكية في
الحكم وذهب جمهور العلماء الى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان
المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بما منها تحريم الجوارح الاهلية
وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدم بن معديكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا
هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فوجدنا فيه حلالا
استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرماناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب ولا يروى داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب
ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما
وجدتم فيه من حرام فحرّموه الا بالحل لكم الجوارح الا اهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطعة معاهد الا أن
يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليه أن يقره فان لم يقره فله أن يعفيهم بمثل قراه عن ابن عباس قال
كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقدروا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه
وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكنت عنه فهو معفو ولا قل لأجد فيما
أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الجوارح الا اهلية (ق) عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
لحوم الجوارح الا اهلية وأذن في الخيل وفي رواية أكلنا من خير الخيل وحمل الوحش ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الجوارح الا اهلى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهرث وأكل ثمنه وقد
استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح أكل ذلك وقد تقدم دليله
والاصل في ذلك عند الشافعى أن كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمرا شرعا بقتله كما ورد
في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلاب
العقور وروى عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخارى
ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة
والنحلة والهدأة والصراد أخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالرجوع فيه الى
الاغلب من عادة العرب فبابية طيبة الاغلب منهم فهو حلال وما يستحبته الاغلب منهم ولا يكون
فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا انظر بما يحل
ويحرم من الطعومات وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فمن وجوه أحدها ان يكون المعنى
لأجد محرما مما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما أوحى الى في هذه الآية
الوجه الثاني أن يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر وانص عليه في هذه الآية ثم

ما فعل أئمتها (أم كنتم شهداء) أم منطقة أي بل كنتم شهداء (أذواكم الله بهذا) يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله (٦٤) وهم يقولون الله حرم هذا الذي عهدهم منكم في قوله أم كنتم شهداء على

معنى أعرقتهم النصيحة به مشاهد بن لانكم تؤمنون بالرسول (فمن أظلم من افترى على الله كذبا) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين في علمه أنهم يخطئون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المحدثين وبعض المعتزلات غير أجنبي من المحدثين وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الانعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرّمها يكون تأكيدا للتجليل والاعتراضات في الكلام لاتساق الاللو كيد (قل لأجد فيما أوحى الى) أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لان وحي السنة قد حرم غيره وأمن الانعام لان الآية في رد البحيرة وأخسواتها وأما الموقودة والمتربة والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم إنما ثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى النفس (محرمات) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على أكل يأكله (الآن يكون

صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتهم أصافامن النعم على غير أهل وانما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والاتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرا أم من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتخبر ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك مالك لا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلوقال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولوقال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث وان كان باشمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر أو أنثى وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو بالبعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم فاتحج الله على بطلان دعواهم هاتين الآيتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيئا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر الامام خرا الذين في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني أنكم لا تقررون بنبوته وتلا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني أنكم حكمتهم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فانه تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهى الضأن والمعز والبقر والابل فلم تحكموا بهذه الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة ۞ قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا) يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ل هؤلاء الجاهلة من المشركين الذين يزعمون أن الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقررون بنبوته أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى (فمن أظلم من افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعني فمن أشد ظلمها وأبعد عن الحق من يكذب على الله وبيضف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك وبصدهم عن سبيل الله جهلا منه اذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمرو بن لحي لانه أول من بحر البحائر وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام وبدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته وأبتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه ما لم يشرعه لعباده ۞ قوله عز وجل (قل لأجد فيما أوحى الى محرمات على طاعم يطعمه) اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التجليل والتحريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرّموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين أن التحريم والتجليل لا يكون الا بوحي سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أي قل يا محمد ل هؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحى الى وقيل انهم قالوا لما الحرم اذا نزل قل لأجد فيما أوحى الى محرمات على طاعم يطعمه يعنى على أكل يأكله (الآن يكون ميتة أو دما مسفوحا) يعنى سائلا مصبوبا (أو لحم خنزير فانه رجس) أي نجس (أو فسقا أهل غير الله به) يعنى ما ذبح على غير اسم الله تعالى فيبين الله تعالى في هذه الآية أن

ميتة) الآن يكون الشئ المحرم ميتة أن تكون مكي وشامي وحزرة ميتة شامي (أو دما مسفوحا) مصبوبا حائلا التحريم فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل غير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى بفسق

(انه لا يحب المسرفين) اعتراض (ومن الانعام حولة وفرشا) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الالتفال، وما يفرش للذبح أو الحولة البكار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والمجاجيل والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كاوامارزقكم الله) أى ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كفى الجاهلية (ولا) (٦٣) تنبوا خطوات الشيطان) طريقة

في التحليل والتجريم كفعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) فانهموه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حولة وفرشا (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكرو والانثى والواحد اذا كان وسده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خاق الزوجين الذكرو والانثى وبدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرهما بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر ونجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمر ووهما لغتان والهزمة في (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين (للانثيين) لانكار والمراد بالذكرين الذكرو من الضأن والذكرو من المعز والانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضائها ومعزها

الحدي البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذا القولان يشتركان في أن المراد من الاسراف مجاوزة الحد الآن الاولى في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حله وقال الزهرى معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان أبو قبيس ذهابا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو أنفقته درهما أو مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خطوب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذي ألزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلطين لا تسرفوا أى لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى (انه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شئ لان من لا يحب الله فهو من أهل النار وقوله تعالى (ومن الانعام) يعنى وأنشأ من الانعام (حولة) وهى كل ما يحتمل عليهما من الابل (وفرشا) يعنى صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحولة هى البكار من الابل والفرش هى الصغار من الابل وقال فى رواية أخرى عنه ذكرها الطبري أما الحولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شئ يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الحولة الابل والبقر والفرش المعز والضأن فالحولة كل ما يحتمل عليهما من الانعام والفرش ما يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض اصغره (كاوامارزقكم الله) يعنى كاوامأ أحله الله لكم من هذه الانعام والحرث (ولا تنبوا خطوات الشيطان) يعنى لا تسلكوا طريقه وأثاره في تحريم الحرث والانعام كفاعله أهل الجاهلية (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين) يعنى انه مبين العداوة لكم ثم بين الحولة والفرش فقال عز وجل (ثمانية أزواج) يعنى وأنشأ من الانعام ثمانية أزواج يعنى ثمانية أصناف والزواج فى اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكرو زوج وللانثى زوج (من الضأن اثنين) يعنى الذكرو والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) يعنى الذكرو والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) استفهام انكار أى قل يا محمد هؤلاء الجاهلة آلذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الانثيين منهما فان كان حرم الذكرو من الغنم فكل ذكروها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل انثى حرام (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) يعنى أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين من الضأن والمعز فانها لا تشمل الاعلى ذكر أو أنثى (نبشوى) أى اخبرونى وفسر والى ما حرمتم (يعلم ان كنتم صادقين) يعنى أن الله حرم ذلك عليكم (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) وهذه أربعة أزواج آخر بقية الثمانية (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم وفى هاتين الآيتين تقرير وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتعريضهم مالم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه أنعام وحرت حجج وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكرونا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم فى كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبى

شياً من نوعى ذكروها وانثاها ولا يمكن الاماث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة وانثاها طوراً ولأولادها كيفما كانت ذكورا وانثاها ومختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب آلذكرين يحرم وكذا أم الانثيين أى أم حرم الانثيين وكذا ما فى أم ما اشتملت (نبشوى يعلم) أخبرونى باسمه معلوم جهة الله ببدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى أن الله حرمه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) (منها) (حرم أم الانثيين) (منها) (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أم

الى غير الوحوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما أوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئاً قبل اخراج الواجب فيها المالك شركة الفقراء والمساكين معه فاباح الله أن يأكل قبل اخراجه لان رعاية حق النفس متقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كما ومن ثمرة اذا أثمر بصيغة الامر يعلم أن المقصود من خلق هذه الاشياء التي أنعم الله بها على عباده هو الاكل (وأتواحقه يوم حصاده) يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقادة قال قتادة في قوله وأتواحقه يوم حصاده أي من الصدقة المفروضة ذكرنا أن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائخة أو سقاء النيل والندي أو كان بعلا العشر كاملاً وان سقى بنضح أو سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة أو الزرع وبلغ خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وأتواحقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حل قوله وأتواحقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزات في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روى عن ابن عباس أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وأتواحقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعمهم من حنظل من الزرع والتمر وهذا قول علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحاد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيئون بالعنق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعنق فيعاقونه في جانب المسجد فيبقي المسكين فيضربه بعصاه فاسقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر أمر وجوب أو استحباب وندب فيه قولان أحدهما انه أمر وجوب فيكون منسوخاً بآية الزكاة بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل على غير هذا قال لا الآن تطلع والقول الثاني أنه أمر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبيرة كان هذا حقاً يؤمر باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب اخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدر وأداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه لأنه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وأتواحقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد المالك لا في ياتلف من الزرع قبل حصوله في يد المالك وقوله تعالى (ولا تسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلاً قال ابن عباس في رواية عنه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسها في يوم واحد ولم يترك لاهل شيئاً فانزل الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتقعروا فقراء قال الزجاج فعلى هذا الوأعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئاً فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن نعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا

اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وأتواحقه) عشره وهو حجة أبي حنيفة رحمه الله في تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهم الغتان (ولا تسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى

جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم (انه حكيم) في جزائهم (عليهم) باعتقادهم (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) كانوا يثدنون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكى وشامى (سفها بغير علم) خلفة أحلامهم وجهلهم بان الله هورازق أولادهم لاهم (وحرمو امارزقهم الله) من البحائر والسواب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب (وهو الذى أنشأ) خلق (جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات مرفوعات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرض يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (والنخل والزروع مختلفا) فى اللون والطعم والجسم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لأكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أكله) أكله حجازى وهو نمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزروع داخل فى حكمه لانه معطوف عليه أول كل واحد (والزيتون والريمان

ودخلت الهاء فى خالصه لتأنيدها والمبالغة كقولهم رجل عالة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الانعام لان ما فى بطونها مثلها فانت بتأنيثها وقال الكسائى خالص وخاصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى ونذكره على اللفظ كما فى هذه الآية فانه أنت خالصة على المعنى وذ كرو محرّم على اللفظ (سيعجز بهم وصفهم) يعنى سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه حكيم عليهم) فيه وعيد ونهيد يعنى انه تعالى حكيم فيما يفعله عليهم بقدر استحقاقهم قوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة نزلت فيمن يثد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضى الرجل على أن يسعجى جارية ويثد أخرى فاذا كانت الجارية التى تؤادغدا الرجل أوراخ من عند امرأته وقال لها انت على كظهر أُمى ان رجعت اليك ولم تبدىها فتخذ لها فى الارض خدات وترسل الى نساءها فيجتمعن عن عندها ثم يثدوا منها لينهن حتى اذا ابصرنه راجعادهن في حفرتهن سموت عليهن التراب وقال قتادة هذا من صنع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة بغدوكبه ما سبب الخسران المذكور فى قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم ان الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل فى إزالة هذه النعمة عنه وباطلها فقد استوجب الدم وخسر فى الدنيا والآخرة اما خسارته فى الدنيا فقد سعى فى نقص عدده وازالها ما أنعم الله به عليه واما خسارته فى الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعنى فعلوا ذلك للسفاهة وهى الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قوة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى (وحرمو امارزقهم الله) يعنى البحائر والسواب والخاصى وبعض الحروث وبعض ما فى بطون الانعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة (افتراء على الله) يعنى أنهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعنى فى فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعنى الى طريق الحق والصواب فى فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله عز وجل (وهو الذى أنشأ جنات معروشات) يعنى وبالله الذى ابتدع وخلق جنات يعنى بساتين معروشات (وغير معروشات) يعنى مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات وأصل العرش فى اللغة شئ مشقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم أعرضه عرشا وعرشته نعرشا اذا جعلته كهيمته السقف واعتش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا فى معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما ينسبط على الارض وانتشر ما يعرّش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزروع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما فى الكرم خاصة لان منه ما يعرّش ومنه ما لم يعرّش بل يبق على وجه الارض منسبطا وقيل المعروشات ما غرسه الناس فى البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما نبته الله فى البرارى والجبال من كرم وأشجار (والنخل والزروع) يعنى وأنشأ النخل والزروع وهو جميع الحبوب التى تقطت وتذخر (مختلفا أكله) يعنى به اختلاف الطعم فى الثمار كالحلوى والحامض والجيد والردىء ونحو ذلك (والزيتون والريمان متشابهة) يعنى فى المنظر (وغير متشابهة) يعنى فى الطعم كالزيتون لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الريمان ولكن ثمرهما مختلف فى الجنس والطعم (كلوا من ثمره اذا أثمر) لما ذكر ما أنعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكرها هو المقصود الاصلى وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وهذا أمر اباحة ونسبك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد

متشابهة فى اللون (وغير متشابهة) فى الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد وقائدة (اذا أثمر) أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت

زين لكثير من المشركين) أي كازين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركاؤهم بالجر شامى على إضافة القتل إلى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم (ليردوهم) أي هلكوا بهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخطلوا عليهم ويشوبوه ودينهم كانوا (٦٠) عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه إلى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه

جهل منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم تركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيباً من أموالهم وشركائهم نصيباً في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لا هم جعلوا الأصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك أقدمهم على قتل أولادهم في نهاية الجهل أيضاً فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلاً وخطأ وضلالاً كذلك (زين) يعني حسن (الكثير من المشركين قتل أولادهم) يعني به وأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعني شياطينهم أمروهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفـ قروسميت الشياطين شركاء لانهم أطاعوهم فيما أمروهم به من معصية الله وقتل الأولاد فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء إلى المشركين لانهم أطاعوهم واتخذوهم أرباباً وقال السكبي شركاؤهم سدة آلهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا بنون ويحسنون للكفار قتل الأولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف ابن ولده كذا وكذا علماً لينحرن آخرهم كحلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدة وخدام الأصنام سمو شركاء لانهم أشركوهم في الطاعة (ليردوهم) يعني هلكوا بهم بذلك الفـ هل الذي أمروهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس يردوهم في النار (وليلبسوا عليهم دينهم) يعني وليخطلوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الأوضاع الفاسدة وزينوها لهم (ولو شاء الله ما فعلوه) يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الأولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الأشياء بمشيئته وأرادته إذ لم يشأ ما فعلوا ذلك (فذرهم) يعني فتركهم يا محمد (وما يفترون) يعني وما يخترقون من الكذب على الله فإن الله لهم بالمرصاد قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (هذه أنعام وحرت حجر) أي حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البهيرة والسائبة والوصيلة والحامي (لا يطعمها إلا من نشأ بزعمهم) يعني يا كاهن خدام الأصنام والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعني الحوامي وهي الأنعام التي حواظها ورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها (وأنعام لا يذ كرون اسم الله عليها) يعني لا يذ كرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذ كرون عليها أسماء الأصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل الخير لانه لما جرت العادة بذ كرون الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعني أنهم كانوا يفعلون هذه الأفعال بزعمهم أن الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجز بهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افتراءهم على الله الكذب قوله عز وجل (وقالوا ما نرى بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا) يعني نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر والسوابف فأولد منها حياضها وخالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتاً كاه الرجال والنساء جميعاً وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء)

دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (قدرهم وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو افتراءهم لان ضر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرت) لا دوائن (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به المذكور والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا إذا عينوا أشياء من حروثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها إلا من نشأ بزعمهم) يعنون خدام الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هي البحائر والسوابف والحوامي (وأنعام لا يذ كرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذ كرون عليها أسماء الأصنام (افتراء عليه) هو مفعوله أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حج وقسم لا يركب وقسم لا يذ كرون

اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه (سيجز بهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما نرى بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يذولون في أجنة البحائر والسوابف ما ولد منها حياضها وخالص للذكور لا يكل منه إلا ما ناء وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث وأنث خالصة وهو خبر ماله حمل على المعنى لان ما في معنى الاجنسة وذ كرون محرم حلاً على اللفظ وأثناء المبالغة كذابة (وان يكن ميتة) أي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أي وان تكن الاجنسة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان التامة يكن ميتة مكي لتقديم الفعل ونذ كبر الضمير في (فهم فيه شركاء)

لطيف في الانذار (انه
لايفلم الظالمون) أى

الکافرون مکانکم حیث
 کان أبو بکر یكون حرة

وعلى وموضع من رفع اذا
كان بمعنى أى وعلق عنه

فعل العلم أو نصب إذا كان
معنى الذي (وحوالوا لله

مما ذرأ من الحرث والانعام
نصبها) أي وللاصنام

اصیبا فا کتفی بدلالة قوله
تعالی (فقالوا هـ۔ ذالک

زعمهم وهذا اشركائنا
زعمهم على وكذا ما بعده

أى زعموا أنه لله والله
لم يأمرهم بذلك ولا شرع

لهم تلك القسمة) (فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله)

أى لا يصل الى الوجوه التى
كانوا يصرفونه اليها.

قرى الضيفان والتصدق
على المساكين وما كان

لله فهو يصل الى شركائهم)
من انفاقهم عليهم والاجر

على سدّ تهاروى انهم كانوا
يعينون اشياء من حرث

ونحتاج الله وأشياء منهما
لأنهم فاذا رأوا ما جعلوا الله

زا کیا مامیارجعوا فاعملوه
للانصنام واذازکا مامیارجعوه

للاصنام تركوه طاقوا قالوا
ان الله غني وانما اذكركم

آلہم ھم وایثار ھم ھماوفی
(ن) فی ایثار آلہم ھم علی اللہ

على أمر السكفار بالإقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الأمر الوعيد وأنه يبد
والمبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكأنه قال أقيموا على ما أنتم عليه من الكفر إن رضيتم

لأنفسكم بالعدا، ثم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ففيه نفويض أمر العمل إليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه إطلاق لهم في عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصي ﴿وقوله تعالى﴾ (فسوف تعلمون)

يعني لمن تكون العاقبة المحموده لنا اولكم وفيه ل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينما كان على الحق في عمله نحن أم اتم (من تكون له عاقبة الدار) يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن

نكون عاقبة الدار وهي الجنة (انه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر في واشترك
ثم في هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعمـلوا على

مَكَاتِمَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَقَوْلُ الثَّانِي أَنَّهُمْ نَسُوخَةُ بَابِ السَّيْفِ وَهَذَا عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ أَنَّ الْمَرَادَ بِهَا تَرْكُ الْقِتَالِ ﴿قَوْلُهُ نَعَالَى﴾ (وَجَعَلُوا اللَّهَ عِمَادًا لِمَنْ الْحَرْثَ وَالْإِنْعَامَ نَصِيحًا) الْآيَةُ لِمَا يَبِينُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ قَبِيحَ

طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بدراوع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيهها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا الله ماذرا يعني مما

خاق من الحرب يعني الزرع والعمود والأنعام بمعنى ومن الأنعام وهي الأبل والبقر والعم تصديداً يعني فسموا
وجزأقال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجمعون لله من حروثهم وثمارهم وأنعامهم وسموا

لأصنامهم أنفقوه عليها وعلى خدمتهم فإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصب الأوثان تركوه وقالوا

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أتاكم من بعدكم عيال فقولوا: لا والله، لا نقدر أن نأخذ من أموالكم شيئاً، فإن الله عز وجل يحب المتقسطين.

جَعَلَهُ لِلْغَنَىٰ فَهَؤُلَاءِ مَن لَّا يَرْجُونَ الْآخِرَةَ وَلَا يُعْلَمُونَ لِيَوْمِ لِقَائِهِمْ أَهْلُ الْآخِرَةِ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ

حقيقته وان معنى اسم حكاية كون يكون الكلمة الكذب والصدق وبجانبه في موضوع عدم الاعتناء بالحق والصدق
الى الكذب في قولهم هذا الله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها الله لا ضافهم نصيب الاصل نام مع نصيب الله وهو
قولهم (وهذا الذي كانا) يعني الاصل نارا وان اسم الاصل نارا في قوله لا يصح جعل الاصل نارا من انما

ينفقونه عابها (فاكان اشركا ثم) يعني ما جاءه لوه هان الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعني فلا يعطونه
المساكين ولا ينفقونه على الضعفاء (وما كان لله فيه حصا الى شركا ثم) والمعنى انهم كانوا ايقروا

ما جعلوه للصنام مما جعلوه لله ولا يقرن مما جعلوه للصنام وقال فتادة كانوا إذا أصابتهم سنة
 في حقل وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفر وأما جعلوه لشيء كانهم ولم يأكلوا منه شيئاً وقال الحسن:

والسدى كانوا اذا هلك ما جعلوه اشركا لهم - ثم أخذوا ببدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعنى نفس ما يحكمون وتقضون وذلك انهم ربحوا احاب

الاصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفة منهم وقيل ان الاشياء كلها الله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا الاصنام جزأ من المألوهي لاتملك ولا تحق ولا تنصر ولا تنفع نسبوا الى الاساءة في الحكم والمقصود

من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك

فوقله مما درأ ان الله كان أولى بان يجعل له لزا كي لانه هو الذي ذرأ ثم ذم صيغهم بقوله (ساء ما يحكمو
عمله علم مالم يشع علمه وموضع ما فعأ) ساء الحكم حكمه أو نصب أي ساء حكم حكيمه (وذكر ذلك

(ومار بك بغافل عما يعملون) بساء عنه وباتاء شامى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) عليهم بالتكليف ليعرضهم للذوفاة الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظالمة (وبستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (ان ما) ما بمعنى الذي (نوعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أي لكانن (وما أنتم بمجزيين) بفائتين رداً ولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدراً يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ تمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل) يا قوم اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمسككم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهنكم وحالكم التي أنتم عليها ويقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي ائت على ما أنت عليه (اني عامر) على كائن التي انا

المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى (ومار بك بغافل عما يعملون) مختص باهل الكفر والعاصي وفيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول أصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب أو عقاب ﴿قوله عز وجل﴾ (وربك الغنى) يعني عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصيين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منقصة بمعصية العاصي بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذو الرحمة) قال ابن عباس باولائه وأهل طاعته وقال الكلبي بخلق ذواته وازرعهم فمن رحته تأخير العذاب عن الذين لهم بؤس ورجعون (ان يشأ يذهبكم) يعني يهلككم الخطاب لاهل مكة وفيه وعيد وتهديد لهم (وبستخلف) يعني وبشئ وبخلق (من بعدكم) يعني من بعدهم (ما يشاء) يعني خلقاً غيركم أمثل وأطوع منكم (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدي وصاحب الكشف يعني من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام غفر الدين الرازي في قوله تعالى وبستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الاعلى طريق البديل من فائت وأما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أوارع واخافوا فيه فقال بعضهم خلقاً آخر من أمثال الجن والانس قال القاضي وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء أمثال هذا الخلق فتي كمل خلق ثالث ورابع يكون أقوى في دلالة لقدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته هؤلاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولو شاء لاماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كأنشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا نكح كره علم انه تعالى خلق الانسان من نقطة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقاً آخر مخالفاً لها هذا آخر كلامه وقال الطبري في قوله كأنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كأنشأكم وابتدعكم من بعد خلقي آخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام أعطيتك من دينارك ثوباً يعني مكان الدينار ثوباً بالان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كأنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشؤا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا أنهم أنشؤا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلهم ﴿قوله تعالى﴾ (ان ما نوعدون) به من محيى الساعة والبعث بعد الموت والجنس للحساب يوم القيامة (لآت) يعني انه كائن قريب (وما أنتم بمجزيين) يعني بفائتين حينما كنتم بذكركم الموت (قل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد (يا قوم) أي قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكانتكم) وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدراً يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ تمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل أن يكون معناه اعملوا على تمسككم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل أن يكون معناه اعملوا على حالكم التي أنتم عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله يثبت على مكانتك يا فلان أي ائت على ما أنت عليه وما أمرني به ربى والمعنى ائتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة فاني نأت الى الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهراً الآية يدل

على ذلك لانه قال تعالى ألم ياتكم رسلي منكم فاقبلوا نذري واتقوا عذابي عن ذلك بان الله تعالى قال
بامعشر الجن والانس ألم ياتكم رسلي منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وإذا
كان الرسل من الانس كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حل لفظ الآية
على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لامن الجن وبمحتمل أيضا أن يقال ان كافة الرسل كانوا من
الانس لكن الله تعالى باقى الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعون كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم
من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذا صرفنا إليك نورا من الجن يستمعون
القرآن الى فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فكان أولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وأبو عبيدة
وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده وأسرار كتابه
﴿وقوله تعالى﴾ (يقصون عليكم آياتي) يعني يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصديق
رسلى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعني ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وهو يوم
القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقرير والتوبيخ ما أخبرنى
كتابى وهو قوله تعالى بامعشر الجن والانس الآية فيجيبون بما أخبر عنهم فى قوله تعالى (قالوا) يعني كفار
الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بان الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروهم لقاء
يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله
تعالى (وغرهم الحياة الدنيا) يعني إنما كان ذلك بسبب انهم غرهم الحياة الدنيا وما لوالها (وشهدوا على
أنفسهم انهم كانوا كافرين) فى الدنيا فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر فى هذه الآية وحججوا
الشرك والكفر فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طول والاحوال فيه مختلفة فإذا
رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك اعدل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا
والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله
تعالى وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم قلت شهادتهم الاولى
اعتراف منهم بما كانوا عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفى قوله وشهدوا على أنفسهم
ذم لهم وتخطئ لآلهم ووصف انلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرهم الحياة الدنيا ولذا انها كانت عاقبة
أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم
عن الكفر والمعاصى ﴿قوله عز وجل﴾ (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم
سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذى فصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم (أن لم يكن
ربك) يعني لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال السكبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل
أن تأتهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والآن انا هم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن
يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه (وأهلها غافلون) أى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا
للكفار وهو شرهم وذنوبهم التى عملوها وعلى قول الفراء أنه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالموا لله
عز وجل بتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه
فى شئ من أفعاله غير أنه أخبر أنه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالما منه ﴿قوله تعالى﴾ (ولكل
درجات مما عملوا) يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يباغها بعمله ان كان خيرا نخير
وان كان شرا فشره وانما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والاحتياط كتفاضل الدرج وهذا لما يولون
فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فانهم من هو أعظم ثوابا ومنهم من هو أشد عقابا وهو قول جمهور

(يقصون عليكم آياتي)
يقرؤن كنى (ويبدرونكم
لقاء يومكم هذا) يعنى
يوم القيامة (قالوا) ههنا
على أنفسنا) بوجوب
الحجة علينا وتبليغ الرسل
الينا (وغرهم الحياة الدنيا
وشهدوا على أنفسهم أنهم
كانوا كافرين) بالرسل
(ذلك) اشارة الى ما تقدم
من بعثة الرسل اليهم وهو
خبر مبتدأ محذوف أى
الامر ذلك (ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم
وأهلها غافلون) تعليل أى
الامر ما قصنا عليك
لاتقاء كون ربك مهلك
القرى بظلم على أن
أن مصدريه ويجوز أن
تكون مخففة من التثنية
والمعنى لان الشأن والحديث
لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه
أو ظالموا على أنه لو أهلكهم
وهم غافلون لم ينهوا رسول
وكتابا كان ظالما وهو
متعال عنه (ولكل) من
المكافئين (درجات) منازل
(مما عملوا) من جزاء أعمالهم
وبه استدلال أبو يوسف
ومحمد بن جريرهما الله على أن
للجن الثواب بالطاعة لانه
ذكر عقيب ذكر الثقلين

واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم (خالد في فيها) حال والعامر معنى الاضافة كقوله تعالى أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فصبغين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة اذ معنا الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شئ (الامشاء الله) أى يخلدون في عذاب النار الابدي كله الامشاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فيما يفعل باوليائه وأعدائه (عليم) باعمالهم فجزى كالا على وفق عمله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) تتبع بعضهم بعضا في النار أو تسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يا معشر الجن والانس ألم أتاكم رسل منكم) عن الضحك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لانهم به آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل

(و بلغنا جلنا الذي أجلت أنسا) يعنى ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال) يعنى قال الله هؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار مثواكم) يعنى ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها (خالد في فيها) يعنى مقيد بين في نار جهنم أبدا (الامشاء الله) اختلّفوا في معنى هذا الاستثناء ففيل معناه خالد في فيها الا قدر مدة بعثهم ووقفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا خالد في فيها في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو أوقات نقالتهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة قتلهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فاعلى هذا التأويل تكون مافى قوله الامشاء الله بمعنى من يعنى الامن شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية انه لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ان لا ينزلهم جنة ولا يار اقل الزجاج والقول الاول أولى لان معنى الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالد في فيها من يبعثون الامشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (ان ربك حكيم) يعنى في تدبير خلقه ونصر يفة اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة (عليم) يعنى بعواقب أمور خلقه وما هم اليه صائرون كانه قال انما حكمت هؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا (الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضى شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا أى تسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظلم كما جاء في الاثر من أعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالظالمون الى المؤمنين حيث كان وأين كان والكافر الى الكافر حيث كان وأين كان وفي رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من المولاة وقيل معناه نولي ظامة الانس ظامة الجن وظامة الجن ظامة الانس يعنى نكمل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيرا هم واذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرا هم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم ﴿قوله تعالى﴾ (بما كانوا يكسبون) يعنى تسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها ﴿قوله تعالى﴾ (يا معشر الجن والانس) المعشركل جماعة أمرهم واحدا والجمع معاشر (ألم ياتكم رسل منكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب كثير العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا عن قوله رسل منكم معنى من أهدكم وهم الانس فذهب المضاف فهو كقوله يخرج منهما الاول والثاني والمرجان وهو جاز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى أحدهما الفريقين وهم الانس وهذا قول افرأه والزجاج ومن ذهب بجهور أهل العلم قال الواحدى وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال ير يدأ نبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل

والدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب قوله ز وجل (وهذا صراط ركب مستقيماً) يعنى وهذا الذى بيننا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرهما من سور القرآن هو صراط ركب يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ركب مستقيماً يعنى الاسلام وقال ابن مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى قد فصلنا آيات القرآن بالوعود والوعيد والثواب والعقاب والخلل والحرام والامر والنهى وغير ذلك من أحكام القرآن (لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى أسماء الله تعالى ذوالسلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول أضيفت الدار الى السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبى صلى الله عليه وسلم عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام يعنى السلامة كما قال لهم دار السلامة التى لا يلقون فيها شيئاً يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها منة بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال نحيبتهم فيها سلام وقال من رب رحيم لا يسمعون فيها لغواً ولا سلاماً وقوله عند ربهم يعنى ان الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها (وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعنى انه تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه أنه يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق والهداية وفى الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولى هو الناصر والقرىب يعنى انه تعالى ينصرهم فى الدنيا ويقرهم فى الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يتقربون بها اليه فى الدنيا ﴿قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً) نى اذ كرم بالحشر يوم جميعاً يعنى باليوم القىامة (يامعشر الجن) فيه حذف تديره يقول لهم يامعشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه أضلتم كثير من الانس وهذا التفسير لا بد له من تأويل آخر لان الجن لا يقدر ان على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار اذ الله لا اله الا هو المتصرف فى خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القول من الانس (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم بعضاً) يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض فقراء وخاف على نفسه من الجن قال أعود بسيد هذا الوادى من شرسفهاء قومه فبيت فى جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا الانس مع الجن حتى عاذاوا بنا فيزدادون بذلك شرفاً فى قومهم وعظماً فى انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وترتيبهم الامور التى كانوا يهونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يذلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضهم بعضاً يعنى هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه

والدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب قوله ز وجل (وهذا صراط ركب مستقيماً) يعنى وهذا الذى بيننا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرهما من سور القرآن هو صراط ركب يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ركب مستقيماً يعنى الاسلام وقال ابن مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى قد فصلنا آيات القرآن بالوعود والوعيد والثواب والعقاب والخلل والحرام والامر والنهى وغير ذلك من أحكام القرآن (لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى أسماء الله تعالى ذوالسلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول أضيفت الدار الى السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبى صلى الله عليه وسلم عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام يعنى السلامة كما قال لهم دار السلامة التى لا يلقون فيها شيئاً يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها منة بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال نحيبتهم فيها سلام وقال من رب رحيم لا يسمعون فيها لغواً ولا سلاماً وقوله عند ربهم يعنى ان الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها (وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعنى انه تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه أنه يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق والهداية وفى الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولى هو الناصر والقرىب يعنى انه تعالى ينصرهم فى الدنيا ويقرهم فى الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يتقربون بها اليه فى الدنيا ﴿قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً) نى اذ كرم بالحشر يوم جميعاً يعنى باليوم القىامة (يامعشر الجن) فيه حذف تديره يقول لهم يامعشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه أضلتم كثير من الانس وهذا التفسير لا بد له من تأويل آخر لان الجن لا يقدر ان على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار اذ الله لا اله الا هو المتصرف فى خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القول من الانس (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم بعضاً) يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض فقراء وخاف على نفسه من الجن قال أعود بسيد هذا الوادى من شرسفهاء قومه فبيت فى جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا الانس مع الجن حتى عاذاوا بنا فيزدادون بذلك شرفاً فى قومهم وعظماً فى انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وترتيبهم الامور التى كانوا يهونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يذلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضهم بعضاً يعنى هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه

وعلى أسباب التوصل اليها واستمتع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى اغوائهم

أى أعمالهم (وكذلك) أى وكما جعلنا فى مكة صناده المكر وافيهما (جعلنا) صيرنا (٥٣) كل قرية أى كابر مجرمها الميكرو

ففيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الأكابير وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والدعة أدعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دابله ولو بسط الله الرزق لعباده لغوا فى الارض ثم صلى رسوله عليه السلام ووعد له النصر بقله (وما يكرون الا بانفسهم) لان مكرهم يحق بهم (وما يشعرون) انه يحق بهم اكابر مفعول أول والثانى فى كل قرية ومجرمها بدل من اكابر أو الاول مجرمها والثانى اكابر والتقدير مجرمها اكابر ولما قال أبو جبريل زاحنا بنوع عبد مناف فى الشرف حتى اداصرنا كفر سى رهان قالوا منابى يوحى اليه والله لارضى به الان يأيد اوحى كياأنيه نزل (واذا جاءتهم) أى الاكابر (آية) مجهزة أو آية من القرآن تأمرهم بالامان (قالوا ان تؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى تعطى من الآيات مثل ما أعطى الانبياء فاعلم الله تعالى انه أعلم من يصلح للنبوة فقال تعالى

قوله لا يعلم الا الله تعالى ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لا يكون الا بخافى الله تعالى فدل ذلك على ان المزمين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزمين هو الشيطان ويردونه ما تقدم ﴿وقوله تعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرمها)﴾ يعنى وكما جعلنا فى مكة اكابر وعظماة جعلنا فى كل قرية اكابر جمع الاكابر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل فى الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرمها اكابروا جعل المجرمين اكابر لانهم أقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابرهم (للمكر وافيهما) قال أبو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والتميمة والامان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق مكة أربعين نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يكرون الا بانفسهم) يعنى ما يحقق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) يعنى ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم ﴿وقوله عز وجل (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله)﴾ يعنى النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكانت اولى بهامنا لك لانى اكبر منك سناؤا كثير منك مالا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى أبي جهل وذلك انه قال زاحنا بنوع عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفر سى رهان قالوا منابى يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا تتبعه أبداً الا ان يأتينا وحى كياأنيه فانزل الله هذه الآية واذا جاءتهم آية يعنى حجة بيّنة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعنى الوليد بن المغيرة وأباجهـل ابن هشام وأكل واحد من رؤساء الكفر وبدل عليه الآية التى قبلها وهى قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرمها الميكرو وافيهما كان من مكر كفر قريش أن قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفى قولهم ان نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور ان القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبعين لآمالنا يعين القول الثانى وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعنى لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى حتى يوحى الينا أو يأتينا جبريل بصدقك فانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا أن يخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانهم رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا أن يكونوا أنبياء بدلى على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) يعنى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه ويعلم من لا يستحقها ومن ليس بأهل لها وأتم اسم لها بآهل وان النبوة لا تحصل لمن يطالبها خصوصاً لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعانى الاباغ فى تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين فى قومهم لان الظعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء طاعين فانبههم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم من يستحق الرسالة فجعلنا النبيتم أى طالب دون أى جهل والواو دعوهم من اكابر قريش ورؤسائها ﴿وقوله تعالى (سيعيب الذين أجروا صغار)﴾ أى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذى نصغر الى المرء نفسه فيه (عند الله) يعنى هدام عند الله وقيل ان هذا الصغار تأبى لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار فى الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم فى الدنيا (وعذاب شديد) يعنى فى الآخرة (عما

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحقق رسالته غيرهما حيث فاعول به والاعمال محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجروا) من اكابرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) فى القيامة (وعذاب شديد) فى الدارين من لقتل والامر وعذاب

وان الشياطين ابوحون (ليوسوسون) (الى اولياهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لانا كلون مما قتل الله وتا كلون مما تذبجون بايديكم والآية تحرم متروك التسمية (٥٢) وخصت حالة التسمية بالحدوث أو يجعل الناس ذاكرا تقديرا (وان

أطعمتموهم) في استحلال ما حرم الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دية فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل غير الله به وقال ان الواو في وانه انفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولانا كلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل غير الله به فصار التقدير ولانا كلوا منه حال كونه مهلا غير الله به فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحلّة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أو من كان ميتا فاحييناه) أي كافر افهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا مدني (وجعلناه نور ايمشي به في الناس) مستضيئ به والمراد به اليقين (كن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل ان اراد

قوله ولانا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه انفسق مخصوصا بما أهل غير الله به والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (وان الشياطين ابوحون الى اولياهم ليجادلوكم) يعني ان الشياطين ابوحون الى اولياهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمد اصيلي الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا مات من قتلها فقال الله قتلها فالوا فزعم ان ما قتل أنت وأصحابك حلال وما قتل الله الكلب والصقر حلال وما قتل الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي قريش أن خاصموا محمد اذ يقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين ابوحون الى اولياهم وهم المجوس ابوحون الى اولياهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحى المكاتبة في خفية (وان أطعمتموهم) يعني في كل ميتة وما حرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعني انكم اذا مثلتم في الشرك قال الزجاج فيمد ايل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه أثبت ما كفا غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك ﴿ قوله عز وجل (أو من كان ميتا فاحييناه) يعني أو من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصيرة يهتدى به الى رشده ولما كان الايمان يهتدى الى القوام والظلم والحياة الابدية شمه بالحياة (وجعلناه نور ايمشي به في الناس) يعني وجعلناه نور ايمشي به في الناس ويهتدى به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمنين بما يعمله (كن مثله في الظلمات) يعني كن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضر به الله تعالى لحال المؤمنين والكافرين ان المؤمنين المهتدين بمنزلة من كان ميتا فاحياه وأعطاه نور ايمشي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متخيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أو هما عامان في كل مؤمن وكافر وقد كروا في ذلك قولين أحدهما ان الآية في رجاين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلناه نور ايمشي به في الناس يريد حزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كن مثله في الظلمات يريد بذلك أباجهل بن هشام وذلك ان أباجهل رعى النبي صلى الله عليه وسلم بفرت فاخبر حزة بما فعل أبوجهل وكان حزة قد رجع من صيد ويده قوس وحزة لم يؤمن بعد فأقبل حزة غضبان حتى علا أباجهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبوجهل يتضرع الى حزة ويقول يا أبايعلى أمارى ما جاء به سفة عقولنا وسب آلهتنا وخاف آباءنا فقال حزة ومن أسفة منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم حزة يومئذ فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة والسكبي نزلت في عمار بن ياسر وأبى جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وذلك أن أباجهل قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذاصرنا نحن وهم كفر سى رهان قالوا من انبى بوحى اليه والله لا تؤمن حتى يأتينا وحى كآياته فبزلت هذه الآية والقول الثانى وهو قول الحسن في آخرين ان هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل أحد ﴿ وقوله تعالى (كذلك رين للكافرين ما كانوا يعملون) قال أهل السنة المازين هو الله تعالى ويدل عليه

قوله

بهما حزة وأبوجهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله والكل من أصله الله فبين

ان مثل المهتدى مثل الميت الذى احيى وجعل مستضيئا بمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التى لا يتخلص منها (كذلك) أى كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زيناهم أعمالهم (ما كانوا يعملون)

وحرم ما حل الله فهو يحاز بهم على سوء صنيعهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وذروا ظاهر الانم وباطنه) يعني وذروا
 أي الناس ما يوجب الانم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانياتها قليلا وكثيرها قال الربيع بن أنس
 نهى الله عن ظاهر الانم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبيرة في هذه الآية الظاهر منه قوله
 ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن
 الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها
 الرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلال ما كان
 سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد بظاهر الانم التجرع عن الثياب والتعري في الطواف والباطن
 الزنا وقال السكبي بظاهر الانم طواف الرجال بالبيت نهارا وعراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان أهل
 الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المعمرات
 التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول
 يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الانم من جميع
 جهاتها وقيل المراد بظاهر الانم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل
 لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الانم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد
 والكبر والمحب واردة السوء للمسلمين ونحو ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (ان الذين يكسبون الانم) يعني ان الذين
 يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيجزون) يعني في الآخرة (بما
 كانوا يفترون) يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب وانه
 مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين أجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل
 السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضلهم وكرمه
 ﴿قوله تعالى﴾ (ولانا كلوا مما لم يذ كرام الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها
 من المنخقة وغيره او قال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام انتهى

فصل في اختلاف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذ كرام الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها
 عامدا أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام غفر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء انه قال
 كل ما لم يذ كرام الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري
 وأبو حنيفة ان ترك التسمية عامد لا تحل وان تركها ناسيا تحل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية
 عامدا أو ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد وإيتين فيما اذترك التسمية
 عامدا وان تركها ناسيا حلت في أباح كل الذبيحة التي لم يذ كرام الله عليها قال المراد من الآية الميتات
 وما ذبح على اسم الاصنام بدليل أنه قال تعالى في سياق الآية (وانه لفسق) وأجمع العلماء على أن أكل
 ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا أيضا في إباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة
 رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان هنا أقواما حديثي شعورهم بشرك يأتوننا بلحمان فما ندرى
 يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أتم اسم الله وكلاؤا قالوا لو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان
 الشك في وجودها مانعا من أكلها كالكسك في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وان كان عامدا بحسب
 الصيغة الآن آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى
 أوليائهم ايجادلوكم وان أطعمتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق
 ذكرا اسم غير الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيها أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الى قوله
 أوفسقا أهل اغير الله به فسار هذا الفسق الذي أهل اغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان

من الحق الى الباطل
 (وذروا ظاهر الانم وباطنه)
 علانيته وسره أو الزنا في
 الحوانيت والصديقة في
 السر وألشرك الجلي والخفي
 (ان الذين يكسبون الانم
 سيجزون) يوم القيامة
 (بما كانوا يفترون)
 يكسبون في الدنيا (ولا
 تاكلوا مما لم يذ كرام
 الله عليه) عند الذبح (وانه)
 وان أكله (الفسق)

(ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا بخبر صون) يكذبون في أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي هو يعلم الكفار والمؤمنين (٥٠)

محمد صلى الله عليه وسلم وان تطعوا كثر من في الارض في كل الميعة وكان الكفار يومئذ كثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا النجاس الصواب والحق واقتصر على اتباع الظن والجهل (وان هم لا يخبرون) يعني يكذبون وأصل الخرص الخرز والتخمين ومنه خرس النخلة اذا خرس ركيعة ثم راعى الظن من غير يقين ويسمى الكذب خرسا لما بدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرس لان قائله لم يقله عن علم ويقين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) يقول الله انبياءه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي الناس يضل عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) يعني وهو أعلم ايضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فاخبر تعالى انه أعلم بالفر يقين الضال والمهتدى وانه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى (فكلوا مما ذكرا اسم الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين أنأكلون مما قتلتم ولأنأكلون مما قتلتم بكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما ذكرا اسم الله عليه من الذبائح (ان كنتم بآياته مؤمنين) وقيل كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الميعة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطا بالمشركين وعلى القول الاول تكون الآية خطأ بالمسلمين وهو الاصح لقوله في آخر الآية ان كنتم بآياته مؤمنين (وما لكم أنأكلوا مما ذكرا اسم الله عليه) يعني وأي شيء لكم في أن لا تأكلوا مما يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكرا اسم الله عليه وهذا كيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميعة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وأورد الامام نضر الدين الرازي ههنا اشكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك الفصل متقدما على هذا المحل والمدني متأخر عن المسي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاول أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ولحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا أن هذا القدر من المتأخر لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لافي النزول حسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميعة الآية والله أعلم بمراده وقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) يعني الا ان تدعوك الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار (وان كثير البضلون بأهوائهم بغير علم) يعني وان كثير من الذين يجادلونكم في كل الميعة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم أنأكلون مما تذبحون ولأنأكلون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهوائهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فن دونه من المشركين لانه أول من بحر البحار وسبب السوائب وأباح الميعة وغير دين ابراهيم عليه السلام (ان ربك هو أعلم بالمهتدين) يعني ان ربك يا محمد هو أعلم من تعبدى حدوده فاحل ما حرم الله

من روع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجلة نصب بي علم المقدر لا بآء لم لان أفعل لا يعمل في الاسم الظاهر نصب ويعمل الجر وقيل تقديره أعلم من يضل بدليل ظهور الباء بعده في المهتدين (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) هو مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فهاقتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايان فكلوا مما ذكرا اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه (وما لكم أنأكلوا) ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أي وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا (مما ذكرا اسم الله عليه وقد فصل لكم) بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميعة فصل وحرم كوفي غير حفص وفتح ما مدني وحفص وضمها غيرهم (الا ما اضطررتم اليه)

مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة الى أكله (وان كثير البضلون) يضلون كوفي وحرم (بأهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحرمون ويحلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعاقب شريعة (ان ربك هو أعلم بالمهتدين) بالمعجوزين

(وليقتروا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغ يرالله أبتغى حكما) أى قل يا محمد أفغ يرالله أطاب ما كما يحكم بيني وبينكم ويفصل الحق منامن المبط (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) المجهز (مفصلا) حال من الكتاب أى مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق يعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقة له بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أى عبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) شامى وحفص (من ربك بالحق) (فلا تكون من الممتريين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكون من الممتريين فى أن أهـل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا ير بك سجوداً كثيرهم وكفرهم به (ومت كمت ربك) أى ما تكلم به كلات ربك حجازى وشامى وأبو عمرو رأى تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا) فى وعده ووعيده (وعدلا) فى أمره ونهيه واتصـبـا على التمييز وأعلى الحال (لا مبدل لكلماته)

بفعل مضمر معناه وفعلناهمـ ذلك لى تصنى الى الباطل أفغـ الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك وتصنى اليه أفغـ الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله ونحوه وترضى به وهو قوله (وايرضوه) يعنى يرضون ذلك القول المزخرف الباطل (وليقتروا ما هم مقترفون) يعنى وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل (أفغ يرالله أبتغى حكما) أى قل يا محمد طولا المشر كين أفغ يرالله أطاب حكما فاضـ يا قصى بنى ويحكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامر الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحكم واحد عند أهل اللغة غـ ير أن بعض أهل المعانى قال الحكم كمن من الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق فانه تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكمه بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) يعنى مبينا فيه أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى (يعلمون انه منزل من ربك بالحق) يعنى يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم باللائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل أنى بكر وعمر وعثمان وعلى ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فأثروا به وصدقوه (فلا تكون من الممتريين) يعنى فلا تكون يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكون فى شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التبيين لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الآن المراد به غيره والمعنى فلا تكون أى الانسان السامع لهذا القرآن فى شك انه منزل من عند الله لمافية من العجز الذى لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى وقوله تعالى (ومت كمت ربك) وقرئ كلمات ربك على الجمع فن قرأ على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر فى كلمته يعنى فى قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شئ واحد فى عجز الظم وكونه حقاً وصدقا ومجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال فى سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع فى اللفظ الاول انبعا للثانى (صدقا وعدلا) يعنى صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعمما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع فى الجنة وعقاب العاصى فى النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهى والحلال والحرام وسائر الاحكام (لا مبدل لكلماته) يعنى لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام فى قوله ومت كمت ربك والتمام فى كلام الله لا يقبل التخص والتغير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لانها موصونة عن النحر يف والتغير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفى قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقى ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد فى الازل والشقى من شقى فى الازل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فى ختمه بالسعادة كان قد كتب سعيدا فى الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا فى الازل والله أعلم وقوله تعالى (وهو السميع) يعنى لما يقوله العباد (العايم) يعنى باحوالهم قوله عز وجل (وان تطعوا كثيرا من الارض يضلوك عن سبيل الله) قال المفسرون ان المشر كين جادوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى كل المستغ ذلك أنهم قالوا لاهلنا كيف تأكلون ما قتلتم ولانأكلون ما قتلتم فكيف قال الله تعالى لنبيه

بها تم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الإيمان ﴿وقوله تعالى﴾ (ولكن أكثرهم يجهلون) يعني يجهلون أن ذلك كذلك ويحسبون أن الإيمان اليوم متى شاءوا آمنوا ومتى شاءوا كفروا وليس الأمر كذلك بل الإيمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة أن الأشياء كلها بمشيئة الله تعالى وورد على القدرة والمعرفة في قولهم أن الله أراد الإيمان من جميع الكفار ﴿وقوله تعالى﴾ (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زيننا لكل أمة عملهم أي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا من قبلك من الأنبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له بقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا إليه عظم ثوابه على ما يكابد من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء (شياطين الأنس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الأنس والجن على قوانين أحدهما أن المراد شياطين من الأنس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متعبد من الجن والأنس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الأنس أشد من شياطين الجن لأن شيطان الجن إذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعياء ذلك استعان على اغوائه بشيطان الأنس ليقتله ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذ بالله من شيطان الجن والأنس قلت يا رسول الله وهل للأنس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي وغيره وسندوا بسنده الطبري وقال مالك بن دينار إن شيطان الأنس أشد على من شيطان الجن وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الأنس يجئني فيجري إلى المعاصي أقول الثاني أن الجميع من ولد إبليس وأضيف الشياطين إلى الأنس على معنى أنهم يغفونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الأنس التي مع الأنس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك أن إبليس قسم جنسه قسمين فبعث فر يقامهم إلى الجن وفر يقامهم إلى الأنس فالفر يقام شياطين الجن والأنس يعني أنهم يغفونهم ويضلونهم وكلا الفر يقام أعداء النبي صلى الله عليه وسلم ولأولياته من المؤمنين والصالحين ومن ذهب إلى هذا القول قال بدل على محنته أن أفظ الآية يقتضي إضافة الشياطين إلى الأنس والجن والإضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للأنس والجن وهم أولاد إبليس ﴿وقوله تعالى﴾ (يوحى بعضهم إلى بعض) يعني باقي ويسر بعضهم إلى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها إلى من يريد اغواءه فعلى القول الأول أن شياطين الأنس والجن يسر بعضهم إلى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني أن أولاد إبليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيؤلفون شيطان الأنس وشيطان الجن أصحابي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن شيطان الأنس كذلك فذلك وحى بعضهم إلى بعض ﴿وقوله﴾ (زخرف القول) يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشى بالكذب وكل شيء حسن موه فهو زخرف (غرورا) يعني أن الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك أن الشياطين يزنون الأعمال الفبيحة لئلا يمد ويغفونهم بها غرورا (ولو شاء ربك ما فعلوه) يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقيها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى أن الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من لقاء الوسوسة إلى الأنس والجن ولكن الله امتحن من يشاء من عباده بما يعلم أنه لا جبر له في الثواب إذا صبر على المحنة (فذرهم ما يفترون) يعني غفلهم يا محمد وما زين لهم إبليس وغفهم به من الكفر والمعاصي فاني من وراءهم ﴿وقوله تعالى﴾ (ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل إليه وأصل الصغوف في اللغة الميل يقال أصغى إلى كذا مال إليه ويقال صغوت أصغوف وصغيت أصغى اغتنان قال ابن الأنباري اللام في وتصني متعلقة

أن هؤلاء يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين الأنس والجن) على البديل من عدوا وعلى أنه المفعول الأول وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم إلى بعض) يوحى شياطين الجن إلى شياطين الأنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الأنس إلى بعض وعن مالك بن دينار إن شيطان الأنس أشد على من شيطان الجن لأن شيطان الجن إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الأنس يجئني فيجري إلى المعاصي عيانا وقال عليه السلام قراء السوء شر من شياطين الجن (زخرف القول) ما زين من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي (غرورا) خدع وأخذ على غرة وهو مفعول له (ولو شاء ربك ما فعلوه) أي الإيحاء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم أنه أجزل في الثواب (فذرهم ما يفترون) عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويخزيهم (ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) بفعل

قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم باهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح
الاف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال
الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذ ارأوها لان المشركين كانوا حلفوا أنهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا
واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال
الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا في
لفظة لامن قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها
وفيه حذف والمعنى وما يشعركم أنها اذا جاءتهم يؤمنون ولا يؤمنون وقيل ان معنى لفي قوله أنها اذا جاءت
وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلمها اذا جاءت وهذا ما انف في كلام العرب تقول العرب انت السوق أنك
تشتري لنا شياً بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

أعادل ما يدريك أن منيتي * الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

يعنى لعل منيتي قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان
فلوجئناهم بالآيات التي سألوها لما آمنوا بها والقلوب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر
لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر (كالم يؤمنوا به أول مرة)
يعنى كالم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير
ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس
المرّة الأولى دار الدنيا يعنى لوردوا من الآخرة الى الدنيا نقاب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون
كالم يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان
القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شاء منها ويرى ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فعنى قوله نقلب أفئدتهم نزعها عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية
الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كالم يؤمنوا بالآية وسوله وبما جاء من
عند الله فعلى هذا تكون الكفاية في به عائدة على الايمان باقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعنى ونترك هؤلاء
المشركين الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه بترددون لاهتدون الى
الحق قوله عز وجل (ولو أننا لنزالنا اليهم الملائكة) قال ابن جرير نزات في المستهزئين وذلك أنهم اتوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعت لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق
ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله أو اتنا بالله والملائكة قبيلة افترت هذه الآية
جواباً لهم والمعنى ولو أننا لنزالنا اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (وكلمهم الموتى) يعنى كما سألوا (وحشرنا
عليهم كل شئ قبلاً) يعنى وجعنا عليهم كل شئ قبلاً قبيل اقليل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا هو قوله
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله) يعنى الآن يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة
الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله
الكل حتى يشهدوا بصحة ما يقول كان ذلك في غاية لا يحاز وقيل قبلاً من القابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا
عليهم كل شئ مواجهة ومعاينة ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا أنهم
متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا يؤمنوا هم أهل الشقاء الآن يشاء الله هم
أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم
بقوله ما كانوا يؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم ان جاءتهم آية يؤمنن

(ونقلب أفئدتهم) عن
قبول الحق (وأبصارهم)
عن رؤية الحق
عند نزول الآية التي
اقترحوها فلا يؤمنون بها
قيل هو عظم على
لا يؤمنون داخل في حكم
وما يشعركم أي ما يشعركم
أنهم لا يؤمنون وما يشعركم
بانقلب أفئدتهم وأبصارهم
يفقهون ولا يبصرون الحق
(كالم يؤمنوا به أول مرة)
كما كانوا عند نزول آياتنا
أولاً لا يؤمنون بها (ونذرهم
في طغيانهم يعمهون) قيل
وما يشعركم أننا نذرهم في
طغيانهم يعمهون يتحرون
(ولو أننا لنزالنا اليهم الملائكة)
كما قالوا لولا أنزل علينا
الملائكة (وكلمهم الموتى)
كما قالوا فاتوا بآياتنا
(وحشرنا عليهم) جمعنا
(كل شئ قبلاً) كفلاء
بصحة ما بشرنا به ونذرنا جمع
قبيل وهو الكفيل قبلاً
مدنى وشامى أى عياناً
وكلاهما نصب على الحال
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله)
جواب لقول المؤمنين
لعلهم يؤمنون بنزول الآية

حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ ضَلَّ مِنْ
 يَشَاءُ وَهَدَىٰ مَنْ يَشَاءُ
 وَهُوَ وَجْدَةٌ لِّذِي الْإِصْحَاحِ
 (نَمِّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرَجَعُهُمْ)
 مَصْرُهُمْ (فَيَذَنَّهُمْ بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ) فَيُخَبِّرُهُمْ
 بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيهِمْ عَابَهُ
 (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
 أَيْمَانِهِمْ) جَهْدَ صَدْرٍ وَقَعَ
 مَوْقِعَ الْحَالِ أَيْ جَاهِدِينَ
 فِي الْإِيمَانِ بِأَوْكَدِ الْإِيمَانِ
 (لَنْ يَأْتِيَهُمْ آيَةٌ) مِنْ
 مَقْبَرَاتِهِمْ (لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ
 إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) وَهُوَ
 قَادِرٌ عَلَيْهَا لَاعْنَدِي فَكَيْفَ
 آتَيْنِكُمْ بِهَا (وَمَا يَشْعُرُكُمْ)
 وَمَا يَدْرِيكُمْ (إِنَّهَا)
 أَنَّ الْآيَةَ الْمَقْصُوحَةَ (إِذَا
 جَاءَتْ لَآيُومُنُونَ) بِهَا يَعْنِي
 أَنَا أَعْلَمُ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
 لَآيُومُنُونَ بِهَا وَأَنْتُمْ
 لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَكَانَ
 الْمُؤْمِنُونَ يَطْمَعُونَ فِي
 إِيْمَانِهِمْ إِذَا جَاءَتْ ذَلِكَ الْآيَةُ
 وَيَتَمَنَّوْنَ مَجِيئَهَا فَقَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى وَمَا يَدْرِيكُمْ أَنَّهُمْ
 لَآيُومُنُونَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّكُمْ
 لَا تَدْرُونَ مَا سَبَقَ عَلِمِي بِهِ
 مِنْ أَنَّهُمْ لَآيُومُنُونَ إِنَّهَا
 بِالْكَسْرِ مَكِّي وَبَصْرِي وَأَبُو
 بَكْرٍ عَلَىٰ أَنَّ الْكَلَامَ تَمَّ قَبْلَهُ
 أَيْ وَمَا يَشْعُرُكُمْ مَا يَكُونُ
 مِنْهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بَعْلَهُ فِيهِمْ
 فَقَالَ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
 لَآيُومُنُونَ الْبَتَّةَ وَمِنْهُمْ مَنْ

فهل أنتم معطى كلمة ان تكلمتم بها انكم العرب . دانت لكم الحج . وادت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطيكها عشرة أمثالها فهاهى قال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ماقات غيرها ارادة أن يؤيسهم فقالوا انك كف عن شتمك آلهتنا وان شتمتك أول شتم من يامر بك فانزلت ولانسبوا الذين يدعون من دون الله يعنى ولا نسبوا أيها المؤمنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فيسبوا الله وعدوا بغير علم يعنى فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الاصنام التي كانت يعبدونها المشركون وقال ابن الانبارى هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والى صلى الله عليه وسلم بمكة فاما اقواء بحاجبه نسخ هذه الآية ونظر أثرها بقوله وقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا نسبوا آلهتهم فيسبوا بكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سب لذلك ﷻ وقوله تعالى (كذلك زيننا لكل أمة عملهم) يعنى كما زيننا هؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زيننا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية واليه تنزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خالق الكفر وتزيينه ﷻ وقوله تعالى (ثم الى ربهم مرجعهم) يعنى المؤمن والكافر والطائع والعاصي (فينبئهم بما كانوا يعملون) يعنى في الدنيا ويجازيهم على ذلك ﷻ قوله عز وجل (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال محمد بن كعب القرظى والكافي قالت قرىش يا محمد انك تخبرنا أن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى فاننا بآية حتى اصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ نجحون قالوا نجعل لنا الصفا ذهباً وابتع لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما نقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون ائصد قوتي قالوا نعم والله لننتب عنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل أن يحول الصفا ذهباً فجاءه جبريل فقال ما شئت ان شئت أصبغ ذهباً ولكن ان لم صدقك لنعدنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعنى وحلفوا بالله جهد أيمانهم يعنى أو كد ما قدر واعليه من الايمان وأشهدا قال الكلبى ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه (لئن جاءتهم آية) يعنى كما جاءت من قبلهم من الائمة (ليؤمنن بها) يعنى ليصدقن بها (قل) يعنى قل يا محمد (انما الآيات عند الله) يعنى أن الله تعالى قادر على انزالها (وما يشعركم) يعنى وما يدرككم ثم اختلف العلماء في مخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله (أنها اذا جاءت لا يؤمنون) فقرا ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدرككم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون انها يعنى الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا والان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله ان يرهم ما أقرحوا حتى يؤمنوا فخطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتداء فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا فى

نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب درست مكي وأبو عمر وأبو دارست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية
ومضت كما قالوا أساطير الأولين (ولدينه) أى القرآن وإن لم يحزله ذكر كونه معلوماً أو (٤٥)

اللام الثانية حقيقة والاولى

تتلوها عليه فدينه درست وانجحت من قولهم درس الاثر اذا محى وذهب أثره (ولدينه تقوم يعلمون) يعنى
لقرآن وقيل معناه نصرف الآيات تقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد
وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعها قوم ويشق بها آخرون فمن أعرض عنها وقال للنبي صلى
الله عليه وسلم درست وأدرست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم مآلها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو اسحق
ان السبب الذى أداهم الى أن قالوا درست هو تلاوة آيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة
يعنى صار عاقبة أمرهم أن قالوا درست فصار ذلك سبباً لشقاوتهم وفى هذا دليل على أن الله تعالى جعل
نصريف الآيات سبباً للضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم ﴿ وقوله تعالى (اتبع ما أوحى اليك من
ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى اتبع يا محمد ما أمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه اليك وهو
القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادى ولا تلتفت الى قول من يقول درست وأدرست وفى قوله اتبع ما أوحى
اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذى حصل له بسبب قولهم درست وتنبه
بقوله تعالى (لا اله الا هو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته
ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزائغين وقوله تعالى (وأعرض عن المشركين) قيل
لمراد منه فى الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقائلتهم فعلى هذا يكون الامر
بالاعراض منسوخاً بآية القتال ﴿ قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال الزجاج معناه لو شاء الله
لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح فى أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافاً لما تزل فى قولهم لم يرد من أحد
الكفر والشرك فالآية رد عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظاً) يعنى وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين
رقيباً ولا حافظاً تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس فى رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظاً فأنعمهم
منا ومعناه أنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبالغاً فى إيمانهم بشركهم فان ذلك بمشيئة
الله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) يعنى وما أنت عليهم بقيم تقوم يارزاقهم وما أنت عليهم بمسيطر فعلى
التفصيل الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لان تكون منسوخة ﴿ قوله
عز وجل (ولانسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية قال ابن عباس لما
نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آل هنتنا وانهم جحون
ربك فنهاهم الله أن يسبوا آلهم فبسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أولاد
الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك اثلاثاً بسبوا الله لانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال
السدى لما حضرت أبا طالب الوفا ذقات قرىش انطاقوا بنا لتدخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى
عنا ابن أخيه فاما نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعهم فامامات قتلوه فانطلق أبو سفيان
وأبو جهل والضربن الحرث وأمية وأبى ابن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود
ابن أبى البختري الى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمد قد أدانا وذى آلهتنا فنحب
أن تدعوه فتنهائهم عن ذكر آل هنتنا ولدعاهم فدعاهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب ان هؤلاء
قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم وما يردون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وتدعك
والهلك فقال له أبو طالب قد أنصفت قومك فاقبل منهم فقال ابى صلى الله عليه وسلم أرايتم ان أعطيتكم هذا

اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظاً) مراعيالاعمالهم
ماخوذاً باجرائهم (وما أنت عليهم بوكيل) بما ساء وكان المسامون يسبون آلهم فنهاهم الله ليكون سبهم سبباً لله بقوله (ولانسبوا) آلهة
(الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدوا) ظلماً وعدواناً (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به

والا فكم يعلم موسى انه
 كيفية وجهه بخلاف
 كل موجود لم يحزن
 يرى بلا كيفية وجهه
 بخلاف كل مرئي وهذا لان
 الرؤية تحقق الشيء بالعرض
 كما هو فار كان المرئي في
 الجهة يرى فيها وان كان
 لا في الجهة يرى لافها
 (وهو اللطيف) أي العالم
 بدقائق الامور ومشكلاتها
 (الخبير) العليم بطواهر
 الاشياء وخفياتها وهو من
 قبيل اللغ والنشر (قد
 جاءكم صائر من ربكم)
 البصيرة نور القاب الذي به
 يستبصر القاب كما ان
 البصر نور العين الذي به
 تبصر أي جاءكم من لوحى
 والتنبيه ما هو للقلوب
 كالصائر (فن أبصر)
 الحق وآمن (فلفسه)
 أبصر واياها نفع (ومن
 عمى) عنه وضل (فعلها)
 فعلى نفسه عمى واياها
 ضل بالعمى (وما ناعليكم
 بحفيظ) أحفظ أعمالكم
 وأجازكم عليها عما أمانا
 منذر الله هو الحفيظ
 عليكم الكاف في
 (وكذلك نصرف الآيات)
 في موضع نصب صفة المصدر
 المحذوف ي نصرف الآيات
 تصرفا مثل ما تلونا عليك
 (وليقلوا) جوابه محذوف
 أي وليقلوا (درست)

وكان قومه فرعون قد رأوا قومه موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم في موسى الادراك مع
 انبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز ان يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو
 الاحاطة بالمرئي وهو ما كان محددا وله جهات والله تعالى منزّه عن الحدود والجهة لانه القديم الذي لانهاية
 لوجوده تعالى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بلديا قال ابن عباس في معنى الآية
 لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا قول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على
 هذا التخصيص قوله وجوده يومئذ باصرة الى ربهم بانظره فقوله يومئذ باصرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا
 يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي البصر بصران بصير ما ينشأ وبصر علم فبني قوله لا تدركه الابصار
 لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علماء وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك
 الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المراتب ويبصر جميع البصيرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقةها
 ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس
 اللطيف بأوايائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرقيق لعباده وقيل هو الموصل الشيء إليك برفق وابن
 وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا ينجحوا وأصل اللطيف دقة النظر في الاشياء وقال أبو سليمان الخطابي
 اللطيف هو اللين بعباده بلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال
 الأزهرى اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق
 طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث ينهى عنهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم
 بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها ﴿قوله تعالى﴾ (قد جاءكم
 بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن
 الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين
 ليست في أنفسها بصائر لأنها مقومها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات
 والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت بصائر (فن أبصر) يعني فن عرف الآيات واهتدى بها الى
 الحق (فلفسه) يعني فلفسه أبصر ولها عمل لأنه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمى) يعني ومن جهل ولم يعرف
 الآيات ولم يستدل بها الى الطريق (فلما بها) يعني فعلى نفسه عمى ولها ضرر وكان وبال ذلك العمى عليه لان
 الله تعالى غنى عن خلقه (وما ناعليكم بحفيظ) يعني وما أنا عليكم برفيق أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم
 إنما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسات به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم
 وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ
 الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات
 السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (وكذلك نصرف الآيات) يعني
 وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناهما من قبل (وليقلوا درست) يعني وكذلك
 نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقلوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقبل اللام فيه لام العاقبة ومعناه
 عاقبة أمرهم أن يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة إذا كثر قراءته
 وذلك ما حفظه ابن عباس وليقلوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وخير
 وكانا عبد بن من سبي الروم ثم قرأت علينا ثم علم أنه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ
 درست بالالف يعني قرأت أهل الكتاب من المدارس التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل
 الكتاب وقرأنا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي

فَاعْبُدْهُ) يعنى انه هو الذى يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه (وهو على كل شئ وكيل) يعنى أنه هو تعالى على كل شئ خالق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه ﴿قوله عز وجل﴾ (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته فالابصار ترى البارى جل جلاله ولا تحيط به كإمكان القلوب تدركه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب فى نفسه يرفقه ولا تدركه لا بصر لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كملت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به

فصل تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر أن الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله أدركته ببصرى ورأيته ببصرى فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار بمعنى لاتراده الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفى الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وفى هذه الآية دلائل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رحمه الله حجب قوم بالمصيبة وهى الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهى الايمان وقال مالك لو لم يراهم المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسر وهذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأما دلائل السنة فاروى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كئنا ندر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عما كنتم ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا قالوا يا رسول الله قال هل تضارون فى شمس لتس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى أوله ان ناسا سألوا ولا فى آخره ليس دونها سحاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ترونه ليلة البدر مخليا به فقلت وما آية ذلك من خلقه قال يا بارزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به فقلت بلى قال فآية أعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فآية أجل وأعظم أخرجه أبو داود وأما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره أنه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المدح لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز لرؤية وتحقيق هذا ان الشئ اذا كان فى نفسه بحيث تمتع رؤيته حينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم أما اذا كان فى نفسه جائز لرؤية ثم انه قد رعى حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز لرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرنى انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علمنى الله الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل على الجائر جائز وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية فى نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته والرؤية المعاينة للشئ من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى فى قصة موسى قال انما اكون قال كلا

تعبدا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شئ وكيل) أى هو مع تلك الصفات مآك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لا تدركه الابصار) لا تحيط به ٣ أو أبصار من سبق ذكرهم ونشبت المعتزلة بهذه الآية لا يستنب لان المنفى هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب الدرئ وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفى الاحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحد ولا يقتضى نفي العلم به فكذلك هذا على أن مورد الآية وهو التمدح بوجوب ثبوت الرؤية اذا نفي ادراك ما تم تحيل رؤيته لانه ح فيه لان كل ما يرى لا يدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية اذا تنافاه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع تقيصة التناهي والحدود على الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أمعنوا النظر فيها لا غنموا النقص عن عهدها ومن نفي الرؤية يلزمه نفي انه معلوم وجوده لعل هناك سقطا وأصله (وهو يدرك الابصار) أى كل الابصار وألح فليحذر اه

الاول وفائدة التدعيم استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكاً وجنباً وغير ذلك والمعنى أنهم أطاعوا الجن فباسولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وخاقهم) أى وقد خلى الجن فكيف يكون المخلوق شريكاً خالقاً والجلالة حال أى وخلق الجاهلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) (٤٢)

خرق الثوب اداشفه أى اشتقوا له (بنين) كفوا أهل الكافرين في المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنا (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولا يكن رمياً بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشيء فهو بديع وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (فى يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الامن صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسماً حتى يكون له ولد (وخاق

بالزندق لان الكتاب الذى زعم زردشت أنه نزل من السماء سباه بالزند والمنسوب اليه زندقى ثم عرب فقيل زندقى فادجمع قبل زندقى ثم ان الجوس قالوا كل ما يكون فى هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع ما فى العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى ابليس ثم اختلف الجوس فلا كثر من منهم على أن ابليس محدث ولهم فى كيفية حدوثه أقوال عجيبة والافلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على أنه شريك الله فى تدبير هذا العالم فما كان من خبر فى الله وما كان من شرفى ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انما أثبتوا لله شركاء واحد ادوا هو ابليس فكيف حكى الله أنهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له أعوان من جنسه وخر به وهم شياطين الجن يعملون أعماله فصح ما حكاها الله عنهم من أنهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا فى معنى هذه الشراكة فى أن الآية فى كفار العرب قال انهم لما أطاعوا الجن فيما أمرهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انهم فى الجوس قال انهم أثبتوا الهين ادين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاءه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) فى معنى الكتابة قولان أحدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خالق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثانى أن الكتابة تعود الى الجاهلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا الله الذى خلقهم شركاء لا يخلقون شيئاً وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكاً لله وكل ما فى الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما فى الكون فامتنع أن يكون لله شريك فى ملكه (وخرقوا له بنين وبنا بغير علم) أى اختلفوا وكذبوا بقال اختلقوا وخرقوا على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان الله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعاً فادعوه وقوله بغير علم كالتنبية على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى ان لله ولداً ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الافاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعنى عما يصفونه به من الكذب ۞ قوله عز وجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (أنى يكون له ولد) يعنى من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لان الولد لا يكون الامن صاحبة أنى ولا ينبغى أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثلته شئ (وخلق كل شئ) يعنى أن صاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثلته شئ فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزّه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شئ عليم) يعنى أنه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شئ وعلمه محيط بكل شئ ۞ قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خلق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شئ عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لامن تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخاق ولا تنضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شئ

(فاعبدوه)

كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا هو خالقها وعالمه ومن كان كذلك كان

لحنياً عن كل شئ والولد انما يطالبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) وقوله

(نبات كل شيء) ثبت كل صنف من أصناف النامي أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخر جنا منه) من النبات (خضرا) أي شياً غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضرة (حبا متراكبا) وهو السندل الذي تراكب حبه (ومن النخل من (٤١) طاعق قنوان) هور مع بالابتداء

ومن النخل خبيرة ومن طلعه بادل منه كانه قيل وحاصلة من طاع النخل قنوان وهو جمع قنوا العرق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المجتني لانحنائها بشقل حملها وانقص ساقها وفيه اكتفاء أي وغير دانية اطوطا كقوله سرايل تقيكم الحذر (وجناب) بالنصب عطفاً على نبات كل شيء أي وأخر جنا به جنات (من أعناب) أي مع النخل وكذا (والزيتون والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أي وتم جنات من أعناب أي مع النخل (مشتبها وغير مشتبها) يقال اشتبه الشيء وتشابهوا استويا وتساوا والافتعال والتعاعل شتركان كثير وتقديره والزيتون مشتبها وغير مشتبها والرمان كذلك يعني بعضه مشتبها وبعضه غير مشتبها في القدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يخرج ضعيفاً لا تفتح به (وبعد) ولنضجه

يعني بالماء الذي أنزلناه من السماء (نبات كل شيء) يعني كل شيء ينبت وينمو من جميع أصناف النبات وقيل معناه أخر جنا بالماء الذي أنزلناه من السماء غذاء كل شيء من الانعام والبهائم والطيور والوحش وأرزاق بني آدم وأفواتهم مما يتغذون به فينبئون عليه وينجون (فاخر جنا منه خضرا) يريد أخضر مثل عور وأعور والأخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة (نخرج منه حبا متراكبا) يعني نخرج من ذلك الاخضر سنا بل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سندل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف (ومن النخل من طلعه قنوان دانية) يعني من ثمرها يقال أطاعت النخلة اذا أخرجت طلعه او طلعه كقراها قبل أن ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا أيضا وهو ما يكون في قلب النخل والطاع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالسكران يكون فيه العرق فاذا شق عنه كثرانه سمي عرقا وهو القنوة وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية أي قرية التناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنوا دانية قرية ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفي بذلك القرية عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولاً من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة (وجنات من أعناب) يعني وأخر جنا من ذلك بساكنين من أعناب (والزيتون والرمان) يعني وأخر جنا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشتبها) قال قتادة مشتبها ورقها مختلف ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير مشتبها) يعني ومنها غير مشتبها في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من أشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظروا الى ثمره اذا اثمر ونضج) يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظر وانظر استدلال واعتبروا كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة اليابسة وهو قوله (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يعني يصدقون ان الذي أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيي الموتى ويعيهم وانما احتج الله عليهم بتعريف ما خلق ونعمه من حال الى حال وهو ما يعلمونه وقطعا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى اي بين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحييهم بعد موتهم ويعيهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم أطاعوا الجن فيما سواهم من شركهم فجعلواهم شركاء لله وقال السكاكي نزات في الزنادقة أتبعوا الشرك لانهم في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام نضر الدين الرازي وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يمتسكون

(٦ - (خازن - ثاني) أي انظر والى حال نضجه كيف يعود شيئا جاءه بالمنافع نظر اعتبار استدلال على قدرته وقدره ونقله من حال الى حال (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا ما بعده حزة وعلى جمع ثمار فوجع الجمع قال ثمره وثمره (وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعول جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعول ثانٍ مع على

مسكونا فيه من قوله تسكنوا فيه أي يسكن فيه الخلق عن كد المعيشة إلى نوم الغفلة وعن وحشة الخلق إلى الانس بالحق (والشمس والقمر) اتعيا باضمار فعل يدل (٤٠) عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر (حسابا) أي جعلهما على حساب

وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسابا) يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين قال ابن عباس يجران إلى أجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال السكبي منازلها بحسبان لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلها (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الانشاء التي خالفها بقدرته وكما علمه وهو المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعز بزيادة الإشارة إلى كمال قدرته والعليم إشارة إلى كمال علمه ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خالق يعني والله الذي خالق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها إذا ضللتكم الطرق وتخيرتم فيه فامتن الله على عباده بأن جعل لهم النجوم لتهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا أنه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال ولقد زدنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الآيات) يعني قدينا الآيات الدالة على توحيدنا وكل قدرتنا (قوم يعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع الختار وكل علمه وقدرته ﴿قوله تعالى﴾ (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو أبوا البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضا لان ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) قرئ فستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فن كسر القاف قال المستقر بمعنى انقار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر وأما المستودع فهو مثل أودع فيجوز أن يكون اسما لانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فن قرأ فستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلنكم مكان استقرار ومكان استئذاع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض لان يردولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام الامهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام أكثر من صلب الاب حل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه أنه قال بالعكس يعني أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول أن النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم إلى أن يولد والمستودع في القبر إلى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا والقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع في أهلاك إلى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر أما في الجنة أو النار لان المقام بينهما يقتضي الخلود والتأبيد (قد فصلنا الآيات) قدينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيد الله لان الفقه هو الفهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الارض (فاخرجنا به)

لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بانهم مصدر حسب كأن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) إشارة إلى جعلهما حسابا أي ذلك التيسير بالحساب المع لوم (تقدير العزيز) الذي فهمهما وسخرهما (العلم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذي جعل لكم النجوم) خلقها (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أي في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها إليهما للابتنها لهما أو شبهه مشبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا آيات لقوم يعلمون) قدينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) هي آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) فستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرهما كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلنكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فكم مستقر ومنكم مستودع

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصر يفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أدق (وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرجنا به)

الفاق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين أحدهما وهو مروى عن ابن عباس قال فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحببة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقاً أخضر والقول الثانى وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذى ليس له نوى كالخنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والخنوخ والشمس وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالحق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحببة أو النواة فى الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحببة ورقاً أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة فى الهواء وعروقاً ضاربة فى الارض فسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه ﷻ وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية يخرج من النطفة بشرحاً ويخرج النطفة الميتة من الحى وهذا قول السكبي ومقاتل قال السكبي يخرج النطفة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحى وقال ابن عباس فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الإيمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصى والعاصى من الطائع وقال السدى يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبرى لانه قال عقب قوله ان الله فالحق الحب والنوى فان قلت كيف قال ويخرج الميت من الحى بلغة اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت وما السبب فى عطف الاسم على الفعل قلت قوله ويخرج الميت من الحى عطف على قوله فالحق الحب والنوى وقوله يخرج الحى من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالحق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات فى حكم الحيوان وقوله (ذلكم الله) يعنى ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيى الميت لها (فأنى تؤفكون) يعنى فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضاً على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجها من التراب للحساب ﷻ وقوله تعالى (فالحق الاصبح) أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصبح والصبح واحد وهما أول النهار فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فى الصبح والظلمة هى التى تنفلق بالصبح فبمعنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوهاً الاول أن يكون المراد فالحق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطالع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطيرق فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه لا يمس بعده ظلمة والحاصل من هذا أن يكون المعنى فالحق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالحق الاصبح أى فالحق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالحق ظلمة الاصبح وهى الغدش فى آخر الليل الذى يلى الصبح لوجه رابع أن يكون المعنى فالحق الاصبح الذى هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمى الفجر فلما بعنى مفلول الوجه الخامس الفلق معنى الخلق يعنى خالق الاصبح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدأ أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره ﷻ وقوله تعالى (وجاعل الليل سكناً) السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون فى الليل سكناً راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أتعب نفسه فى النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة

الذين فى النواة والخنطة (يخرج الحى من الميت) النبات الغض النامى من الحب اليابس (ويخرج الميت من الحى) الحب اليابس من النبات النامى أو الانسان من النطفة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فأحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم أنكروا البعث فاعلمهم أنه الذى خلق هذه الاشياء فهو بقدرته على بعثهم وانما قال ويخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على فالحق الحب لاعلى الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبنية لقوله فالحق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامى من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان دليله قوله ويحيى الارض بعد موتها (ذلكم الله) ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية لا الاصنام (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد وضوح الامر بما ذكرنا (فالحق الاصبح) هو مصدر سمي به الصبح أى شاق عمود الصبح عن سواد الليل أو خالق نور النهار

(وجاعل الليل) وجعل الليل كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله يعنى الماضى فالحق فالحق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكناً)

وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الامانة وما يعذبون به من شدة النزاع والهون الهوان الشديدا وضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العساقفة في الهوان والتمكن فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أي قولا غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا للحساب والجزاء (فرادى) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كسير وأسارى (كما خلقناكم) في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئنا مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيات التي ولدتم عليها في الانفراد (وتركنتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحتملوا منه نقيرا (وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) في استعبادكم (لقد تقطع بينكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال فوالله لولا البين لم يكن الهوى * ولولا الهوى ما حن للبين آلف بينكم مدنى وعلى وحفص أي وقع التقطع بينكم (وصل عنكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاءكم عند الله (ان الله فاقى الحب والنوى)

انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فيها فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلاصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدررون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعني الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعني ذلك العذاب الذي تجزون به بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولان صدق قوله تعالى (واذ جئتمونا فرادى) يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافر بين يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله لا كافرين ولقد جئتمونا فرادى تقر بع وتو بيخ لهم لانهم صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وأفنوا أعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعني جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني قلنا كما ولدتهم أمهاتهم في أول مرة في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشرون الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقالت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهملهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأناه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى (وتركنتم ما خولناكم وراء ظهوركم) يعني وتركنتم الذي أعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والحوال وكل ما أعطى الله العبد خوله فيه من المال والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا (وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) يعني ان المسركين زعموا أنهم اعمام عباد وهذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وبخ الله الشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرى بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرى بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وصل عنكم ما كنتم تزعمون) يعني وذبح وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا وقوله عز وجل (ان الله فاقى الحب والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيهاً على أن المصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريفاً منه خطأ ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فاقى الحب عن النبات والنواة عن النخل في معنى فلق قولان أحدهما انه بمعنى خالق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية انه في عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدى ذهبوا الى مذهب فاطم وأنكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فاقى الله الشيء بمعنى خالق ونقل الازهرى عن الزجاج جو زه فقال وقيل الفاقى الخلق واذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما أوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فاقها وأظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان

يحمل على المحافظة على الصلاة وفائدة تخصيص الصلاة بالدرك دون سائر العبادات التنبيه على أنها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالى فإذا حافظ العبد عليها يكون محافظاً على جميع العبادات والطاعات ﴿وقوله عز وجل﴾ (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يعني ومن أعظم خطأ وأجهل فعلاً ممن اختلق على الله كذباً فزعم أن الله بعثه نبياً وهو في زعمه كذاب مبطل (أوقال أوحى إلى ولم يوح اليه شيء) قال قتادة نزات هذه الآية في مسيئة الكذاب ابن عمة وقيل مسيئة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم أن الله أوحى إليه وكان قد أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً فقال لهمارسول الله صلى الله عليه وسلم أن شهد أن أن مسيئة نبي قال نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبيرا على وأهمني فأوحى إلى أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأتتهما الكذابين الذين أنا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كان في يدي سوارين فأتتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيئة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعا قوله فأوحى إلى أن أنفخهما يروى بالخاء المعجمة ومعناه الرمي والدفع من نفخت الدابة برجلها إذا دفعت ورحت ويرى بالخاء المعجمة من النفخ يريد أنه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الأول فاما مسيئة الكذاب فإنه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فآغترق قومه بذلك وقتل مسيئة الكذاب في زمن خلافة أبي بكر الصديق قتله وحشي قاتل حزة بن عبد المطلب وكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حزة وقتلت شر الناس يعني مسيئة وأما الاسود العنسي باليمن فهو عبدة بن كعب وكان يقال له ذوالخمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يموت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الدلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي فن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً وقال أوحى إلى ولم يوح اليه شيء أنزات في مسيئة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير يتقدم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها أنزات في شأنهم يقول انها أخبر عن عيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) اليك قال السدي نزات في عبد الله بن أبي سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سمياً عاصراً كتب عليها حينما وإذا أملى عليه علمها حكماً كتب غفوراً رحيماً فاما نزات ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين أملاه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبها فها كذا نزلت فشكل عبد الله بن أبي سرح وقال لمن كان محمد صادقاً فافقه أوحى إلى مثل ما أوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك إلى الإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله في المسنة زين وهو جواب أقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذباً في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت) يعني ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين إذا نزل بهم الموت رأيت أمراً عظيماً وغمراته شدائده وسكراته وغمره كل شيء معظمه وأصلها شيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره (واللأكمة باسطوا أيديهم) يعني بالعداب يضربون وجوههم وأدبارهم وفيه لباسطوا أيديهم قبض أرواحهم (أخرجوا أنفسكم) يعني يقولون لهم أخرجوا أنفسكم فإن قلت

يحافظ على اخواتها اظاها
(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) هو مالك بن الصيف (أوقال أوحى إلى ولم يوح اليه شيء) هو مسيئة الكذاب ومن قال في موضع جر عطف على من افترى أي ومن قال (سأنزل مثل ما أنزل الله) أي سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح كاتب الوحي وقد أملى النبي عليه السلام عليه وأقعد خلقه الإنسان إلى خلقها آخر جري على أسنانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزات فشكل وقال ان كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى كذا أوحى إليه وان كان كاذباً فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة أو النضر ابن الحارث كان يقول والطاحنات طحننا فالعاجنات عجنا فالخبرات خبرا كانه يعارض (ولو ترى) جواه مخدوف أي رأيت أمراً عظيماً (إذا لظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمنبئة فيكون اللام لا عهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتراكهم في غمرات الموت شدائده وسكراته (واللأكمة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم) أي يبسطون

قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات فسقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء وبالياء في الثلاثة مكي وأبو عمرو (وعلمهم) ياء أهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا) من أمور دينكم ودنياكم (قل الله) جواب أي أنزله الله فاسم لا يقدرون أن ينكروا (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه) من الكتب (ولتنذر) وبالياء أبو بكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصدق ما تقدمه من الكتب والإنذار (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لأنها سررة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس يؤمنونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب

الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة جئنا رجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيا فأنازل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وأورد الرازي على هذا القول اشكالاً أيضاً وهو أنه قال إن اليهود مقررون بأنزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء مع اعترافهم بأنزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشيء وأجيب عنه بأن سراد اليه ودانكار أنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من أنزال التوراة على موسى فقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) أي قل يا محمد هؤلاء اليهود الذين أنكروا أنزال القرآن عليك بقولهم ما أنزل الله على بشر من شيء من أنزال التوراة على موسى وفي هذا الالتزام توبيخ لليهود بسوء جهلهم وافتدائهم على انكار الحق الذي لا ينكر (نورا وهدي للناس) يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتغير (يجعلونه قراطيس) يكتبونه في قراطيس مقطعة (يبدونها) يعني القراطيس المكتوبة (ويخفون كثيراً) يعني ويخفون كثيراً ما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة وما أخفوه أيضاً آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) أكثر المفسرين على أن هذا خطاب لليهود ومعناه أنكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوا ولم يفتقروا به وقال مجاهد هذا خطاب للساميين يذكركمهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) هذا راجع إلى قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فإن أجابوك يا محمد والافقل أنت الله الذي أنزله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزئون ويستخرون وقيل معناه يا محمد أنك إذا أفتت الحجة عليهم وبلغت في الإغارة والانهيار هذا المبالغ العظيم حينئذ لم يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للشركيين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائماً النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجوعن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذي بين يديه) يعني من الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء يعني أنه موافق لما في التوراة والإنجيل وسائر الكتب لأنها اشتملت جميعها على التوحيد والتز به لله من كل عيب ونقيصة وتدل على البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقاً لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرى بآباء يعني ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب (أم القرى) يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لأنها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل لأنها قبلة أهل الأرض (ومن حولها) يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقاً وغرباً (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) يعني والذين يصدقون بقيام الساعة والمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وأنه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فإنه يرغب في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل إلا بالنظر التام فإذا نظر وتفكر علم بالضرورة أن دين محمد أشرف الأديان وشريعته أعظم الشرائع (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني يداومون عليها في أوقاتها والمعنى أن الإيمان بالآخرة يحمل على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك

لأطلب على تبليغ الرسالة جعلاً قيل لأمره الله تعالى بالاعتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب
 الاجر على ائصال الدين وابلغ الشريرة لاجرم اقتدى بهم فقال لأسألكم عليه أجزاً (ان هو) يعني ما هو يعني
 القرآن (الاذكري للعالمين) يعني أن القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على أنه
 صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمّت جميع الخلائق ﴿قوله عز
 وجل﴾ (وما قدر والله حق قدره) قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمتهم وعنه أن معناه ما آمنوا أن
 الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال
 قدر الشيء اذا حزره وسره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدر انهم يقال لمن عرف شيئاً هو
 يقدر قدره واذ لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدر والله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه
 المذكورة في معناه (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدروا
 الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء
 فيمن نزلت هذه الآية على قولين أحدهما أنها نزلت في كفار قريش وعلى هذا قول من يقول ان جميع هذه
 السورة مكية وهو قول السدي و يروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من أول السورة الى هذا
 الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولاً بذلك غير مفصول
 عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء خبراً عن غيرهم وأورد غير الدين الرازي على هذا القول
 اشكالا وهو أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وإيضافاً بعد
 هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود
 وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالمجيزات الباهرات وانما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله
 عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لا يليق
 بالبحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد
 ان بعض الآية يكون خطاباً لكفار قريش وبه ضابطاً باليهود واقول الثاني في سبب نزول هذه الآية
 وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة واسما من
 الآيات المدنية التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة آيات منها قوله وما قدروا
 الله حق قدره فانهما نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد
 ابن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله
 عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً
 سمياً فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله
 ما أنزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدر والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل
 الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس الآية قال البغوي وفي القصة أن مالك بن الصيف لما سمعت
 اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء
 فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه
 عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في فتاح بن غاز وراء اليهودي
 وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتاباً قال نعم فقالوا والله ما أنزل
 الله من السماء كتاباً فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل
 الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألوا يحمله من عند الله فانزل

ورواية الحديث لا يجوز
 (ان هو الاذكري للعالمين)
 ما القرآن الاعطية للجن
 والانس (وما قدروا الله
 حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله
 على بشر من شيء) أي ما
 عرفوه حق معرفته في
 الرحمة على عباده حين
 أنكروا بعثة الرسل
 والوحى اليهم وذلك من
 أعظم رحمتهم وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين روى أن
 جماعة من اليهود منهم
 مالك بن الصيف كانوا
 يجادلون النبي عليه السلام
 فقال النبي عليه السلام له
 أليس في التوراة أن الله
 يبغض الحبر السمين قال نعم
 قال فأت الحبر السمين
 فغضب وقال ما أنزل الله
 على بشر من شيء وحق
 قدره منصوب نصب المصدر

واجتبتناهم وهديتناهم الى صراط مستقيم ذلك) أى مادان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعتزلة لانهم

(٣٤)

واخوانهم وذريتهم للهداية وخاص الدين وهو قوله تعالى (واجتبتناهم) يعنى اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعنى وأرشدناهم (الى صراط مستقيم) أى الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد يهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدى به من يشاء من عباده) يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو أشركوا) يعنى هؤلاء الذين سميئناهم (لحبط) يعنى لبطل وذهب (عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئاً ﴿ قوله عز وجل (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعنى أولئك الذين سميئناهم من الانبياء أعطيتناهم الكتاب التى أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هى الاصل لان منصب النبوة أشرف المراتب والمناصب فذكر الكتاب والحكمة على انهما يدلان على النبوة (فان يكفر بها هؤلاء) يعنى فان يجحد بدلائل التوحيد والنبوة كفار قريش (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردى هم الملائكة وميه بعد لان اسم القوم لا ينطق الا على بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زبكل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكاً أو نبياً أو من الصحابة أو التابعين وفى الآية دليل على أن الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عالياً على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب ﴿ قوله تعالى (أولئك الذين هدى الله) يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم الخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعنى فبشرائعهم وسننهم اعمل وأصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للاول فى فعله وقيل أمره أن يقتدى بهم فى أمر الدين الذى أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص التى لانطق بجلاله فى الاسماء والصفات والافعال وقيل أمره أن يقتدى بهم فى جميع الاخلاق الحيدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الاما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون فى الآية دلائل على أن شرع من قبلنا شرع لنا

فصل احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبنيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة فى الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا آل داود شكراً وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعنى الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب نضرة وخبات ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال الحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التى كانت متفرقة في جميعهم والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) يعنى قل يا محمد

وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى (لحبط) عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكمة) والحكمة أو فهم الكتاب (والنبوة) وهى أعلى مراتب البشر (فان يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هؤلاء) أى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو ألهم ومعنى توكيلههم بها انهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهد به ويحافظ عليه والباء فى (ليسوا بها) صلة كافرين وفى (بكافرين) لتأكيد النفي (أولئك الذين هدى الله) أى الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد

نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في عليين وأبقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له
 يعني لابراهيم اسحق يعني ابنا صلبه ويعقوب يعني ابن اسحق وهو ولد الولد (كلا هدينا) يعني هدينا جميعهم
 الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعني من قبل ابراهيم ارسدنا
 نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية (ومن ذريته) اختافوا في هذا الضمير الى من يرجع
 فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور
 المفسرين لان الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخي
 ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاهنا الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائزان
 ذكرهما جميعا فقد جرى وداود هو ابن يشا وكان من آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وأيوب)
 هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن
 اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن بصهر بن قهاث بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو
 موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيد وصبره على أذى
 قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن آذن بن بركا (ويحيى) هو ابن زكريا
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل
 وقال محمد بن اسحق هو لياس بن سنان بن قحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان
 أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جسد نوح لان نوحا ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس
 ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته (كل من الصالحين) يعني أن كل من
 ذكرنا وسمينا من الصالحين (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وانما أخذ ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر
 أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ ذكر اسمعيل الى هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن
 الجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن أخي ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعني على عالمي
 زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله
 تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي أن الانبياء أفضل من الملائكة واعلم أن الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا
 من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن
 هنا طيغة وأجبت هذا الترتيب وهي أن الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من
 الكرامة والفضل فذكر أول نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم أصول الانبياء واليه يرجع أنسابهم
 جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا
 وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بهذه أيوب عليه السلام ثم عطف
 على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدّة الى أن أعطاه الله
 ملكا مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد
 خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها
 وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بأنهم من الصالحين
 ثم ذكر الله من بعده هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوطا فاذا اعتبرنا
 هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
 ﴿قوله تعالى (ومن آياتهم)﴾ يعني ومن آياتهم الذين سميناهم ومن هذا التبعيض لان من آياتهم من لم يكن
 مسلما (وذرياتهم) يعني ومن ذرياتهم أي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم
 من هو كافر كابن نوح (وأخوانهم) يعني ومن احوالهم والمعنى ان الله تعالى وفي من آتاه الله كورين ومن
 وأخواتهم

كلا هدينا) أي كلاهم
 واتصّب كلا هدينا (ونوحا
 هدينا) أي وهدينا ونوحا
 (من قبل) من قبل ابراهيم
 (ومن ذريته) الضمير
 لنوح وأولاد ابراهيم
 أظهر لان يونس ولوطا لم
 يكونا من ذرية ابراهيم
 (داود وسليمان) وأيوب
 ويوسف وموسى وهرون
 والتقدير وهدينا من
 ذريته هؤلاء (وكذلك
 نجزي المحسنين) ونجزي
 المحسنين جزاء مثل ذلك
 فالكاف في موضع نصب
 نعت لمصدر محذوف
 (وزكريا ويحيى وعيسى
 والياس كل) أي كلهم (من
 الصالحين) وذكر عيسى
 معهم دليل على ان النسب
 يثبت من قبل الام أيضا
 لانه جعله من ذرية نوح
 عليه السلام وهو لا يتصل
 به الا بالام وبذا أجيب
 الحجاج حين أنكر أن
 يكون بنو قاطمة أولاد
 النبي عليه السلام
 (واسماعيل واليسع) واليسع
 حيث كان بلامين جزء
 وعلى (ويونس ولوطا وكلا
 فضلنا على العالمين)
 بالنبوة والرسالة (ومن
 آياتهم) في موضع نصب
 عطفًا على كلا أي وفضلنا
 بعض آياتهم (وذرياتهم
 وأخواتهم

أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً) أى لا أخاف معبوداً نكف في وقت قتلها لا تنفد على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربى أن يصيبنى منها بضر فهو قادر (٣٢) على أن يجعل فيا شاء نفعا وفيا شاء ضرا لا الاصنام (وسمع ربى كل شئ علماً)

أخاف ما تشركون به) وذلك أنهم قالوا له احذر الاصنام فاما تخاف أن تمسك بخبل أو جردون أعينك أياها فاجابهم بقوله ولا أخاف ما تشركون به فانها جادات لا تنضر ولا تنفع وانما يكون الخوف من بقدر على النفع والضرر وهو قوله (الأن يشاء ربى شيئاً) يعنى لكن ان يشار ربى شيئاً كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حاله وأيام عمره ما يكرهه فلو أصابه مكرهه نسبوه الى الاصنام فنفي هذه الشبهة بقوله إلا أن يشاء ربى شيئاً وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شئ والمعنى وان كان ان شاء ربى شيئاً كان (وسمع ربى كل شئ علماً) يعنى أحاط علمه بكل شئ فلا يخرج شئ عن علمه (أفلا تذكرون) يعنى أفلا تعتبرون أن هذه الاصنام جادات لا تنضر ولا تنفع وان الذافع الضار هو الذى خاق السموات والارض ومن فيهما (وكيف أخاف ما تشركنم) يعنى وكيف أخاف الاصنام التى تشركنتم بها لانها جادات لا تبصر ولا تسمع ولا تنضر ولا تنفع (ولا تخافون أن تشركنتم بالله) يعنى وأتم لتخافون وقد تشركنتم بالله وهو من أعظم الذنوب (مالم ينزل به عليكم سلطاناً) يعنى ما ليس لكم فيه حجة وبرهان (فاى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون) يعنى يقول من أولى بالامن من العذاب فى يوم القيامة الموحداً والمشرِك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعنى ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم فى المحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعنى آمنوا بالله وحده ولم يشرِكوا به شيئاً ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخالطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا يا نبالا بظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعون قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفى رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل فى معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخالطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذه القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معانى الظلم دون غيره والصحيح أن الظلم المذكور فى هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفى الآية دليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الامن من النار قوله (أو لك) يعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لهم الامن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعنى الى سبيل الرشاد وقوله تعالى (ولك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) يعنى ماجرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اننا نخاف عليك من آلهتنا لسببك اياها قال أفلا تخافون انتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير فى العبادة أن يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أى الفريقين أحق بالامن من يعبد الهوا واحداً مخلصاله الدين والعبادة أم من يعبد أرباباً كثيرة فقالوا من يعبد الهوا واحداً فاقضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (نرفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء فى الدنيا بالنسوة والعلم والحكمة وفى الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم) يعنى أنه تعالى حكيم فى جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وعلم وقوله عز وجل (ووهبنا له اسحق ويعقوب) لما أظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغاب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التى فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها أعداده الله ابراهيم على قومه) وهو

فلا يصيب عبداً شئ من ضرراً ونفع إلا بعلمه (أفلا تذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما تشركنتم) معبوداتكم وهى مأونة الخوف (ولا تخافون أن تشركنتم بالله مالم ينزل به) بأمر الله (عليكم سلطاناً) حجة اذا الاشرار لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف (فاى الفريقين) أى فريقى الموحدين والمشرِكين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فاينا احترازاً من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرِك عن الصديق رضى الله عنه (أولئك لهم الامن وهم مهتدون) ثم كلام ابراهيم عليه السلام (ولك حجتنا) إشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما حجتنا عليه الليل الى وهم مهتدون (آتيناها) ابراهيم على قومه) وهو

(فلما أفل) غاب (قال لأحب الآفلين) أى لأحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ فى الطلوع (قال هذاربى فلما أفل قال ائبن لم يهدنى ربى لا كون (٣١) من القوم الضالين) نه قومه

على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فلما رأى الشمس بازغة قال هذاربى) وانما ذكره لانه أراد الطالع اولانه جعل المبتدأ مثل الخير لانها شئ واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا فى صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان الثانى أبلغ تفاديا من علامة التأنيث (هَذَا كَبْر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصوصه (فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون) من الاجرام التى تجعولونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاها الله تعالى والاول أظهر لقوله يا قوم انى برىء مما تشركون (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) أى للذى دات هذه المحدثات على انه مدبها (حنيفا) حال أى مائلا عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله

حرف الاستفهام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعنى أفهم الخالدون والمعنى أيتكون هذاربى باودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذاربى بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كذا نزعتمون لما غاب فهو كقوله ذى انك أنت العزيز الكريم يعنى عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكسا فايريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان فى هذه الآية اضممارا تقديره يقولون هذاربى واضمار القول كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعهيل ر بناتقبل نأى يقولان ر بناتقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال فى حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان أراد الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يلقى بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله ائبن لم يهدنى ربى لا كون من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزوالوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني ونبي أن نعبد الاصنام واما قوله تعالى (فلما أفل) يعنى غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعنى ابراهيم (لأحب الآفلين) يعنى لأحب ربى بايغيب ويطلع لان أمارات الحدوث فيه ظاهرة ﴿قوله تعالى (فلما رأى القمر بازغا) يعنى طالعا منتشرا ضوءا (قال هذاربى) معناه ما تقدم من الكلام فى الكوكب (فلما أفل) يعنى غاب (قال ائبن لم يهدنى ربى لا كون من القوم الضالين) يعنى انى لم يثبتنى ربى على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزوالوا على الهداية من أول الفطرة وفى الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لان ابراهيم أضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) يعنى طاعة (قال هذا ربى) يعنى هذا الطالع أو انه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذا لان تأنيث الشمس غير حقيقى فلها أنى بلفظ التذكير (هذا كبر) يعنى من الكوكب والقمر (فلما أفلت) يعنى فاما اغابت الشمس (قال يا قوم انى برىء مما تشركون) يعنى انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدلائل القطعية ان هذه النجوم ليست بألهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها وأظهر لقومه انه برىء مما يشركون ولما أظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم أظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال (انى وجهت وجهى) يعنى انى صرفت وجه عبادتى وقصرت توحيدى (للذى فطر السموات والارض) يعنى للذى خلقهما وابتدعهما (حنيفا) يعنى مائلا عن عبادة كل شئ سوى الله تعالى وأصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة فى صلاته (وما أنا من المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه ﴿قوله عز وجل (وحاجه قومه) يعنى وخاصه قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التى كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصه قومه وجادلوه فى ذلك فقال أنا حاجونى فى الله يعنى أنا تجدوننى فى توحيدى لله وقد هدىنى وقد تبين لى طريق الهداية الى توحيدى ومعرفة الله وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذبايح وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فذهب ابراهيم وينادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بآبى عليه ذهب بها الى نهر فصب فيه رؤسها وقال اشترى استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته حاجه قومه يعنى خاصه وجادله قومه فى دينه (قال) يعنى ابراهيم (أنا حاجونى فى الله وقد هدىنى) يعنى الى توحيدى ومعرفة الله

شيا من خلقه (وحاجه قومه) فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قال أنا حاجونى فى الله) فى توحيدى ومعرفة الله (وقد هدىنى) الى التوحيد وبالباء فى الوصل أبو عمر وولما خوفوه أن يعبدتهم تصيبه بسوء قال (ولا هذان)

وعرف ربه و برى من دين قومه الا انه لم يشاهد ذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت به ففسر بذلك وفرح فرحاً شديداً و قيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت أنا قال فرب بك قالت أبوك قال فرب أنى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال أمك قال فرب أنى قال أنا قال فرب ربك قال نعم وود قال فرب نعم وود فلما طمأنته وقال اسكت فلما سجد عليه الليل دنا من باب السرب فنظر في خلل الصخرة فابصر كوكبا قال هذاربى ويثقال انه قال لابويه أخرجاني فخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل ولغنى فسأل أباه ما هذه قال ابل وخيل وغنى فقال ابراهيم ما هذه بدم من أن يكون لها اله وهو ربهما وخالقهما ثم نظر فإذا المشتري قد طمأنته ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما سجد عليه الليل يعنى ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذاربى ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قواين أحدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحج عليه فلم يكن لهذا القول لدى صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تنبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة فكشف في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخالق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهز فقال هذا ربى على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله لن لم يهدنى ربى لا كون من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحج وهذا القول ليس بسديد ولا مرضى لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحده من كل منقصة منزّه ومن كل معبود سواه برىء وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذاربى حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثانى الذى عليه جهووا المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرف الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول أن ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها سافرا هم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخلى على النجوم بسبب الغيبوبة والافول لبنت خطأ ما كانوا يعتقدون فيه من الألوهية ومثل هذا كمثل الخوارى الذى ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظفر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصرون عن رأيه في كثير من أمورهم الى أن دهمهم عدوا لقبولهم به فشاو ودفى أمر هذا العدو فقال الراى عندي أن ندعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الخوارى وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره أهدارنى الذى تزعمون واسقاط

الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلالة الامر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق فلما جعل يامن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرد الله كما كان قبل ذلك فعني الآية على هذا القول وكذلك أرى بناء ملكوت السموات والارض ليكون من يوقن علم كل شيء حسا وخبرا ﴿١﴾ قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) يقال جن الليل وأجن اذا ظلم وغطى كل شيء وأجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذاري)

ذكر القصة في ذلك

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسيرة ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لها ضوء ففرغ من ذلك فزاعش بدافدا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة ناحيته وأمر بزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا الاجامعون في الحيض فاذا ظهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امراة قد ظهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال تهمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقرية خبسها عنده الاما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي فخرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فسكت بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحد من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لتقتي بك فاقسمت عليك أن لا تدن من أهلك فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لودخلت على أعلى فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي أخذ بك به قد حملت به أمه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعت في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق اليه أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سريافي النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال أبو روق قالت أم ابراهيم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبن ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما مات فعصدها وسكت عنها وكان ابراهيم يمشي في اليوم كاشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخر جيني فاخرجه عشاء فظن وتفكر في خالق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لرب الذي مالى اله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذاري ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لأحب الآفاين فلما رأى القمر بازغا قال هذاري وأتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طاعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته

(فلما جن عليه الليل) أي أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لأبيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جلة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أي الزهرة أو المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومدبرا برطلوعها وأوقولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه (قال هذاري) أي قال لهم هذاري في زعمكم والمراد أهدا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكثف عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى الى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة

أو المحبوب اسماله فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بأسمائهم وقيل معناه واذ قال إبراهيم لأبيه يا عبد آزر خذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والصحيح هو الأول أن آزر اسم لابي إبراهيم لأن الله تعالى مماه به ومناقل عن النسابين والمؤرخين أن اسمه تارخ فقيه نظر لانهم إنما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخاري في أفراد من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بقي إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر فترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تارخ فثبت بهذا أن اسمه الأصلي آزر لا تارخ والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (أتتخذ أصناما آلهة) معناه اذ كر لقومك يا محمد قول إبراهيم لآبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة تعبدوها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن أيضا (انني أراك وقومك في ضلال مبين) يعني بقول إبراهيم لآبيه آزر اني أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين أن أبصر ذلك فانه لا يشك أن هذه الاصنام لا تنفع ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي العرب بأحوال إبراهيم ومحاجته لآبيه وقومه لانهم كانوا يعظمون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام مع آبيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين ﴿ قوله عز وجل (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض) معناه وكأثرنا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام بربه ملكوت السموات والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى إبراهيم لانه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق خالفهم فجاء الله بان أراه به بذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيد فيه البناء للمبالغة كالرهبوت والرجوت من الرهبة والرغبة والرجة وقال ابن عباس يعني خالق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبیر يعني آيات السموات والارض وذلك انه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات من المجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه أجره في الدنيا يعني أرى بناء مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فيهن من المجائب قال البغوي وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا إبراهيم أنت رجل محاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فإني أنا من عبادي على ثلاث خلال أما أن يتوب الى فاتوب عليه وأما أن أخرج منه نسمة تعبدني وأما أن يبعث الى فإن شئت عفوت وإن شئت عاقبت وفي رواية وإن تولى فإن جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين أحدهما أنها كانت بعين البصر الظاهر فشق لإبراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى ما في بطناها والقول الثاني أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الا أن يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض ابستدل به وليكون من الموقنين والذين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت

خلاف بين النسابين أن اسم آبيه تارخ وهو عطف بيان لآبيه وزنه فاعل (أتتخذ أصناما آلهة) استفهام نوبخ أي أتتخذها آلهة وهي لا تستحق الالهية (انني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك) أي وكما أرى بناء فبجح الشرك (نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض) أي نرى بصيرته اطائف خالق السموات والارض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت أبغ من الملك لان الوار والتاء تراد ان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن (وليكون من الموقنين) فعلة ذلك أو ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما يقن بيانا

الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهم ما قولان كأنه قيل قل هذا القول وقول أمرنا (لنسلم رب العالمين وان أقيموا الصلاة) والتقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (واقوه وهو الذى اليه تحشرون) وهو الذى يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو محققا (ويوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قـ وولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى له خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول الشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لا يكون شئ من السموات والارض وسائر المكنونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخير (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (في الصور) هو القرن بلغة اليمن أو جمع صورة (عالم الغيب) هو عالم الغيب

وجعل الغيلان يدعونهم في حيران لا يدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب أصحابه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى ان طريق الله الذى أوضحه لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لاهدى غيره (وأمرنا لنسلم) أى وأمرنا أن نسلم ونخاص العبادة (رب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره (وان أقيموا الصلاة واقوه) يعنى وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى لان فيه ما يقرب اليه (وهو الذى اليه تحشرون) يعنى في يوم القيامة فيجزىكم بأعمالكم (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) يعنى اظهار الحق فى هذا ان تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول عامه وتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بخلق لانه لا يخاف مخلوق بخلق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع الى خلق السموات والارض والمعنى اذ كر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم يقول لا تخلق موتوا فقومون وقوموا للحساب فيقومون أحياء (قوله الحق) يعنى أن قول الله تبارك وتعالى للشئ اذا أَرَادَهُ كُنْ فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ نذى الملك وانه المنفرد بذلك يومئذ وان من كان يدعى الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا أن الذى كانوا يدعون من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلاف العلماء في الصور المذكورة في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيمة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور فقال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أتم وقد اتقم صاحب القرن والقرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلناور بما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذى وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها أحيائها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم في الحديث لقوله تعالى فى آية أخرى ثم نفخ فيه أخرى ولا جاع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شئ (وهو الحكيم) يعنى في جميع أفعاله وتدبير خلقه (الخبير) يعنى بكل ما يفعله من خير أو شر (قوله تعالى) (واذ قال ابراهيم لاهيه آزر) اختلف العلماء فى لفظ آزر فقال محمد بن سحبق والكاتب والضحاك آزر اسم أبى ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لآبى ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الاصلى آزر وتارح لقبه وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبى ابراهيم من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه فى كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن فى القرآن ألفاظا قليلة فارسية وقيل هو الخطي فكأن ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيفه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبدونه واسمها هذا الاسم لان من عبد صنما أو أحمه جعل اسم ذلك المعبود

(والشهادة) أى السر والعلاية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والخزائن (واذ قال ابراهيم لاهيه آزر) هو اسم أبيه وألقبه لانه

واستهزأهم واللاهوما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به) وعطا القرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الالبسال المنع (ليس لها من دون الله ولي) ينصرها بالقوة (ولاشفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) (٢٦) نصب على المصدر وان نفذ كل فداء والعدل القدية لان القادى

يعدل المفدى بمثله وفاعل ٧
(لا يؤخذ منها) لاضمير
العدل لان العدل ههنا مصدر
فلا يسند اليه الاخذ وأما
في قوله ولا يؤخذ منها عدل
فبمعنى المفسدى به فصح
استناده اليه (أو لئلك)
اشارة الى المتخذين دينهم
اعبا وعلو هو مبتدأ
والخبر (الذين أسألو بما
كسبوا) وقوله لهم شراب
من حميم (أى ماء سخين
حار خبر ثان لاوائك
والتقدير أو لئلك المبسولون
ثابت لهم شراب من حميم
أو مسأنف (وعذاب أليم
بما كانوا يكفرون)
بكفرهم (قل) لابي بكر يقل
لأنه عبد الرحمن وكان
يدعو أباه الى عبادة
الوثان (أندعوا) أعبد
(من دون الله) الضار النافع
(مالا ينفعنا) مالا يقدر
على نفعنا ان دعوانه
(ولا يضرنا) ان تركناه
(ونزد) ونزد (على
أعقابنا) راجعين الى
الشرك (بعد اذهابنا
الله) للإسلام وأتقنا من

المشركين الذين اتخذوا دينهم الذى أمروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا وعلو وذلك حيث سخر وابه
واستهزأ به وقيل أهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا وعلو وقيل ان الكفار كانوا اذا أسمعوا القرآن لعبوا
وهو اعند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعنى عيدهم لعبا وعلو يلعبون
ويأهون فيه الا السامعين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبير او فعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم
الجمعة (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى انهم اتخذوا دينهم لعبا وعلو الاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب
حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا وعلو والمعنى الآية وذرا يا محمد الذين اتخذوا دينهم
اعبا وعلو واتركهم ولا تبال بتكديهم واستهزأهم. وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض
بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا
وهذا قول مجاهد فعلى هذا ان يكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم
لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله (وذكر به) يعنى وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين (أن
تبسل نفس بما كسبت) أى لئلا تبسل نفس وأصل البسل فى اللغة التمجرىم وضم الشئ ومنعه وهذا عليك
بسل أى حرام ممنوع فعنى تبسل نفس بما كسبت وترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت
من الآثام وقال ابن عباس تبسل تملك وقال قتادة تحبس يعنى فى جهنم وقل الضحاك تحرق بالنار وقال ابن
زبد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفصح والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع السكى لانهما لك
نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنايات التى اكتسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الآخرة (ليس لها) يعنى
لك النفس التى هلكت (من دون الله ولي) أى لتقرىب يلى أمرها (ولاشفيع) يعنى يشفع لها فى الآخرة
(وان تعدل كل عدل) يعنى وان تفتد بكل فداء واعدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك القدية
(أو لئلك الذين) اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا وعلو وغرتهم الحياة الدنيا (أسألو بما كسبوا) يعنى
أسألو الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ذلك لهم بسبب
كفرهم (قل الله تعالى) (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) يعنى قى يا محمد هؤلاء المشركين الذين
دعوا الى دين أبائكم أندعوا يعنى أن عبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك
عبادتها (ونزد على أعقابنا) يعنى ونزد الى الشرك (بعد اذهابنا الله) يعنى الى دين الاسلام والتوحيد
(كالذى استهوته الشياطين فى الارض) يعنى كالذى ذهب به الشياطين فآقتة فى هوىة من الارض
وأصله من الهوى وهو النزول من أعلى الى أسفل (حيران) يقال حار فلان فى الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى
الصواب ولا المخرج منه (له أصحاب يدعون الى الهدى) يعنى لهذا المتهجر الذى استهوته الشياطين أصحاب
على الطريق المستقيم (اثقنا) يعنى يقولون له اثقنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التى
لا تضر ولا تنفع ولن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل فى رفقة ضل به
الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونهم يقولون لهم الى الطريق المستقيم

عبادة لاصنام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهب به الغيلان ومردة الجن والكاف
فى محل النص على الحل من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أنكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الارض
اذا ذهب فيها كان معناه طابت هوىة (فى الارض) فى المهمة (حيران) حال من مفعول استهوته أى تأثرا لاجل الجادة لا يدرك كيف يصنع
(له) لهذا المستوى (أصحاب) رفقة (يدعون الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
(اثقنا) وقد اعتسف المهمة ناعا للجن لا يحجبهم ولا يأنهم وهذا مبنى على ما يقال ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه فشببه به

جبريل أن فناء أمني بالسيف (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (اعلمهم بفقهون وكذب به) بالقرآن أو بالعذاب (قومك) فريش (وهو الحق) أي الصدق أو لأبد أن ينزل بهم (قل استعليكم بوكيل) بحفيظ وكل (٢٥) إلى أمركم إنما أنا منذر (لكل

نبأ) لكل شئ ينأ به
يعنى انباءهم بانهم
يعذبون وابعادهم به
(مستقر) وقت استقرار
وحصول لادب منه (وسوف
تعلمون) تهديد (واذا
رأيت الذين يخوضون في
آياتنا) أي القرآن يعنى
يخوضون في الاستهزاء بها
والطعن فيها وكانت فريش
في أيديهم يفعلون ذلك
(فاعرض عنهم) ولا
تجالسهم وقم عنهم (حتى
يخوضوا في حديث غيره)
غير القرآن بما يحل حينئذ
يجوز أن تجالسهم (واما
ينسب إليك الشيطان) ما
نهيت عنه يسيبك شامى
نسى وأنسى واحد (فلا
تقعد بعد الذكري) بعد
أن تذكر (مع القوم
الظالمين وما على الذين
يتقون من حسابهم) من
حساب هؤلاء الذين
يخوضون في القرآن
تكذيباً واستهزاء (من
شئ) أى وما يلزم المتقين
الذين يجالسونهم شئ مما
يحاسبون عليه من ذنوبهم
(ولكن) عليهم أن
يذكروهم (ذكري) اذا
سمعوهم يخوضون بالقيام
عنهم وظهار الكراهة لهم

فمنعهم أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أي انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحجتنا
لهؤلاء المكذبين (اعلمهم بفقهون) يعنى يفهمون ويعتبرون فيمنزجوا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر
والتكذيب وقوله تعالى (وكذب به قومك) يعنى بالقرآن (وهو الحق) يعنى في كونه كتباً بمنزلة من عند
الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعنى انه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل
الضمير يرجع الى نصريف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله (قل استعليكم بوكيل) أي
قل يا محمد لهؤلاء المكذبين استعليكم بحفاظ حتى أجاز بكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما
أنا منذر والله المجازي اسكنكم على أعمالكم وقيل معناه اني انما أدعوكم الى الله والى الايمان به ولم أومر
بحر بكم فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل في معنى الآية قل استعليكم بوكيل يعنى
حفيظاً انما أطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة
(الكل نبأ مستقر) أي لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينتهى اليه اما في الدنيا واما في الآخرة
وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب في
الدنيا وقع يوم بدر (وسوف تعلمون) يعنى صحة هذا الخبر اما في الدنيا واما في الآخرة وقوله تعالى (واذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الخطاب في واذا رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يا محمد هؤلاء
المشركين الذين يخوضون في آياتنا يعنى القرآن لذي انزلناه اليك والخوض في اللغة هو الشروع في الماء
والعبور فيه ويستعار لاخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن أكثر
ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخافضين
وقيل الخطاب في واذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رأيت أيها الانسان الذين يخوضون في آياتنا
وذلك أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه
فنهاهم الله أن يقعدوا معهم في وقت الاستهزاء بقوله (فاعرض عنهم) يعنى فاتركهم ولا تجالسهم (حتى
يخوضوا في حديث غيره) يعنى حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به (واما ينسب إليك الشيطان)
يعنى ففقدت معهم (فلا تقعد بعد الذكري) يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم الظالمين) يعنى
المشركين ﴿ قوله تعالى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) قال ابن عباس لما نزلت هذه
الآية واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف تقعد في المسجد الحرام ونظوف
بالبيت وهم يخوضون أبدأ في رواية قال المسلمون اننا نحاف الاثم حين نتركهم ولا تنهاهم فانزل الله هذه الآية
وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ
يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثمهم (ولكن ذكري) يعنى ولكن ذكروهم ذكري وقيل معناه
ولكن عليكم أن تذكروهم (اعلمهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكري تمنعهم من الخوض والاستهزاء
﴿ فصل ﴾ قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهي
قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فادعوا الى الجهور الى أنها
محكمة لا نسخ فيها لا ما خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب
نفسه لا بحساب غيره وقيل انما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة ﴿ قوله
عز وجل (وذروا الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهوا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وذروا يا محمد هؤلاء

(٤ - خازن - ثانی)
وموعظتهم ومحل ذكري نصب أي ولكن يذكروهم ذكري أي تذكيراً أو رفع
والنقد يروى لكن عليهم ذكري فقد كرى مبتدأ والخبر محذوف (اعلمهم يتقون) اعلمهم بحجبتهم الخوض حياءً وكراهة لمساءتهم (وذروا الذين
اتخذوا دينهم) الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (لعبوا ولهوا) سخر رايه واستهزأوا بمعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تب لبسكديهم

ضئير المفعول في ينجيكم
(تضرعا) معلنين الضرعة
وهو مصدر في موضع الحال
وكذا (وخفية) أي مسرين
في أنفسهم خفية حيث كان
أبو بكر وهما الفتان (بن
أعجانا) عاصم وبالإمالة
حزة وعلى الباقون أعجبتنا
والعنى يقولون لأن خالصنا
(من هذه) الظلمات
(لنكونن من الشاكرين)
لله تعالى (قل الله ينجيكم)
بالتشديد كوفي (منها)
من الظلمات (ومن كل
كرب) (وغيم وحزن) (ثم أنتم
تشكرون) ولا تشكرون
(قل هو القادر) هو الذي
عرفتموه قادرا أو هو
الكامل القدرة فاللام
يحتمل العهد والجنس (على
أن يبعث عليكم عذابا
من فوقكم) كما أمطر على
قوم لوط وعلى أصحاب
الفيل الحجارة (أو من تحت
أرجلكم) كما غرق
فرعون وخسف بقارون
أو من قبل سلاطينكم
وسفلكم أو هو جسد
الطر والنبات أو يلبسكم
شيعة أو يخلطكم فرقا
مختلفين على أهواء شتى
كل فرقة منكم مشايعة
لامام ومعنى خاطهم أن
ينشب القتال بينهم
فيختلطوا ويشتبكوا في

الشدائد وهو المراد من قوله (تدعونه تضرعا وخفية) يعني فإذا اشتد بكم الأمر تخاصون له الدعاء تضرعا
منكم إليه واستكانة جهر أو خفية يعني سرا حلالا (لأن أنجيتمنا من هذه) يعني قاتنين في حال الدعاء
والتضرع لأن أنجيتمنا من هذه الظلمات وخلصتمنا من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على هذه
النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها المن أنعم بها (قل الله ينجيكم منها) يعني من الظلمات
والشدائد التي أنتم فيها (ومن كل كرب) يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم
الشديد الذي يأخذ بالنفس (ثم أنتم تشكرون) يريد أنتم يقررون بأن الذي أنجىهم من هذه الشدائد
هو الله تعالى ثم أنتم بعد ذلك الإقرار بشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿قوله عز وجل﴾ (قل هو
القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أي قل يا محمد لقومك إن الله هو القادر على أن يبعث عليكم
عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (أو من تحت
أرجلكم) يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني
أمة السوء والسلاطين الظلمة أو من تحت أرجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل
كباركم أو من تحت أرجلكم يعني السفلة (أو يلبسكم شيعة) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم
شيعة وأشياع وأصله من التشيع وبعني الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم
الإنسان قال الزجاج في قوله أو يلبسكم شيعة يعني يخلطكم فرقا مختلفين يقاتل بعضهم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضهم بأس بعض) قال ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعة
يعني الأهواء المختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض يعني أنه يقتل بعضهم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة
وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء
وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه الآية فقال قوم عني بها المسلمين من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من
فوقكم الآية قال هن أربع وكاهن عذاب جاءت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين
سنة فالسواشيعة وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن أبي
ابن كعب نحوه هن أربع خلال وكاهن واقع قبل يوم القيامة مضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمس وعشرين سنة بالسواشيعة وأذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال
مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد فاعفاهم منه أو يلبسكم شيعة ما كان بينهم من الفتن
والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضهم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعة ويذيق
بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا أيسر (م) عن سعد بن أبي وقاص أنه أقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا به طويلا
ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة
فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فتنة فأنزل خباب
ابن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطما لها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها
قال أجل أنها صلاة رغبة ورهبة أتى سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي
بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدو من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض

يعملون) في ليل-كم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحياها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد (٢٣) بالارواح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها

تعملون) قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو العالی عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعني أقدر منه وأغلب منه هذا مذهب أهل التأويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فامرأها كما جاءت من غير تكليف ولا تأويل ولا إطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر خلقه وقهر كل شيء بضده فقهر الحياة بالموت والابحاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة (ویرسل علیکم حفظة) یعنی أن من جملة قهره اعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الأقوال والأفعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكاً عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتوب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكنين بالانسان أنه اذا علم أن له حافظاً من الملائكة موكلاً به يحفظ عليه أقواله وأفعاله في صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجراً له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظون أجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه وأجله وعمله (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) يعني أعوان ملك الموت الموكلين بقبض أرواح البشر فان قلت قال الله تعالى في آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات أن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظياله وقال مجاهد جعلت الارض الملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له عوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال أيضاً من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له (و قوله وهم لا يفرطون) يعني الرسل لا يقصرون فيما أمر به ولا يضيعونه (قوله عز وجل) (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الآخرة وانما قال مولاهم لانهم كانوا في الدنيا تحت أيدي موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق (ألا الحكم) يعني لاحكم الاله (وهو أسرع الحاسبين) يعني أنه تعالى أسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض (قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) يعني يا محمد قل هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتهم فيه وتنجيتهم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبت فيه فأخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الجمل على الحقيقة أولى فظلمات البرهي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضاً الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكرب وازالة

الذي لا ينحسركم الا بالحق وهم صفتان لله (ألا الحكم) يومئذ لاحكم فيه غيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب محاسب جميع الخلق في مقدار جلب شاة وقيل الرادى من ربك خبر من البقاء مع من اذك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر)

لا يعلمها الا هو) المفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة (٢٢) لان المفاتيح يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتيحها

وكيفية فتحها يتوصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتيح أقال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن قيل عنده مفاتيح الغيب وعندك مفاتيح العيب فمن آمن بغيبه أسبل الله السترة على عيبه (ويعلم ما في البر) من النبات والدواب (والبحر) من الحيوان والجواهر وغيرهما (وماتسقط من ورقة لا يعلمها) ما لا نبي ومن للاستعراق أي يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (ولاحبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة ودخل في حكمها وقوله (الافى كتاب مبين) كالتكرير لقوله لا يعلمها لان معنى لا يعلمها ومعنى الافى كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالتعام في المنام (ويعلم ما جر حتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يبعثكم فيه) ثم يوقظكم في النهار أو التقدر ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جر حتم فيه

خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت أقوال المفسرين في قوله وعنده مفاتيح الغيب (لا يعلمها الا هو) فقيل مفاتيح الغيب خمس وهي ما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في الارحام الا الله ولا يعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يدري أحد متى يحيى المطر وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تنغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غدا الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتيح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفاتيح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق (ويعلم ما في البر والبحر) قال مجاهد البر المغاوير والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وماتسقط من ورقة لا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهر البطن الى أن تسقط على الارض (ولاحبة في ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الارض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولارطب ولا يابس) قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء امارطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتيح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعنده مفاتيح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجل ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ايدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيها من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يحجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير ﷻ قوله تعالى (الافى كتاب مبين) فيه قولان أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني أن المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفوته شيء مما يصنعون لانه من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع ﷻ قوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يعني يقبض أرواحكم اذا نتم بالليل (ويعلم ما جر حتم) ما كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي يوقظكم فيه أي في النهار (ليقضى أجل مسمى) يعني أجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) في الآخرة (ثم ينبئكم) أي يخبركم (بما كنتم تعملون)

فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جر حتم بالليل ولأنه لا يتوفاكم بالنهار فدل أن تخصيص الشيء بالذ كر لا يدل تعملون على نفي ما عداه (ليقضى أجل مسمى) لوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم

السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بقال اسئبان الامر وتبين واستبينته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين تفصل آيات القرآن وتلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجي اسلامه والمستوضح سبيلهم فتعامل كل منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي صرفت (٢١) وزجرت بآلة العقل والسمع

عن عبادة ما تعبدون من دون الله (قل لا أتبع أهواءكم) أي لا أجرى في طريقكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدلائل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال (قد ضللت اذا) أي ان اتبع أهواءكم فاما ضال

(وما أنا من المهتدين) وما أنا من المهتدين في شيء يعني انكم كذلك ولما نفي أن يكون الهوى متبعا به على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) أي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة (وكذبتم به) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهو القرآن وكذبتم به بالينة وذکر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بمادل على أنهم أحقاء بان يعاقبوا بالعذاب فقال (ما عندى ما تستجلبون به) يعني العذاب الذي استجلبوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا الله) في تأخير

ومعناه ويظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل) أي قل يا محمد طوؤا المشركين: (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني نهيت أن أعبد الاصنام التي تعبدونها أتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجادات أخس من أن تعبدوا وتدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى (قل لا أتبع أهواءكم) يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت اذا) يعني اذ عبدتها (وما أنا من المهتدين) يعني لو عبدتها (قل) يعني قل يا محمد طوؤا المشركين (اني على بينة من ربي) قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة في عبادة ربي (وكذبتم به) يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمجربات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ما عندى ما تستجلبون به) يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستجلبون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندى ما تستجلبون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا ماخيره وقيل كانوا يستجلبون بالآيات التي طلبوها واقتربوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستجلبون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا الله) يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق الا الله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضى بازال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ بقض بالصاد المهملة من القضاء يعني انه تعالى يقضى القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضاءه جور ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو أن عندى ما تستجلبون به) يعني من انزال العذاب والاستجمال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت المجلة مذمومة والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد طوؤا المشركين المستجلبين انزال العذاب لو أن عندى ما تستجلبون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو ناة لا يجمل بالعقوبة وقوله تعالى (لقضى الامر بيني وبينكم) يعني لا تفصل ما بيني وبينكم ولأنكم ما تستجلبون به من العذاب (والله أعلم بالظالمين) يعني انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان يستجلب بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين ويا حواهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وعنده مفاتيح الغيب) المفاتيح التي يفتح بها الغلق وجمع مفاتيح ويقال فيه مفتاح بكسر الميم وجمع مفاتيح والمفتاح يفتح الميم الخزانة وكل خزنة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتاح وجمع مفاتيح فقوله وعنده مفاتيح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوتق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها يتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها ولم يغب عن هذه المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده

عذابكم (يقص الحق) حجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقي بقص الحق في كل ما يقضى من التأخير والتجمل فالحق أي القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وهو خير الفاصلين) أي القاضين بالقضاء الحق اذا الفصل هو القضاء وسقوط الباء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قل لو أن عندى) أي في قدرتي وامكاني (ما تستجلبون به) من العذاب (انقضى الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع (وعنده مفاتيح الغيب

(وكذلك فتننا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) أي الاغنياء (أهلؤا من الله عليهم من بيننا) أي أنهم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون (٢٠) والرؤساء وهم الفقراء انكار الان يكون أمثالهم على الحق وعمونا

عابهم من ينسب بالخير ونحوه لو كان خيرا ماسبقونا اليه (أليس الله باعلم بالشاكرين) بن يشكر نعمته (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمرا بليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمرا بان يبدأهم بالسلام اكرامهم وتطييب القلوبهم وكذا قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليشرهم بسعة رحمة الله وقوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدم مؤكدا (انه الضمير للشأن) من عمل منكم سواء ذنبا (بجهالة) في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بما يتعاق به من المضرة أو جعل جاهلا لا يشاره المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد السوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فانه شامى وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدنى الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ أنه فانه غيرهم

عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم قوله عز وجل (وكذلك فتننا بعضهم ببعض) يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقر والغني بالشريف بالوضع والوضع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنه وابتلاء لهم وأما فتنه الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنه لهم (ليقولوا) يعني الاغنياء والشرفاء والرؤساء (أهلؤا من الله عليهم من بيننا) يعني من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله (أليس الله باعلم بالشاكرين) يعني انه تعالى أعلم بخلقه وابعواهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزات في الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذارهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزات في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن أبي عبيدة ومصعب بن عمير وحزرة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبي الارقم وأبي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقه في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقاتله التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما أردت الا الخير نزات واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعني فرض ربكم وقضى ربكم (على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف في عبادته كيف شاء وأراد فاجوب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (أنه من عمل منكم سواء بجهالة) قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه أثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن أثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لم يفعل الجهل نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده) يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه (وأصلح) يعني أصلح العمل في المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله (فانه غفور) يعني لمن تاب من ذنوبه (رحيم) بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على أبي العباس قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن أبي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكان يستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا ففتح حلقوا ورزت وجوههم قال فارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود وقوله عز وجل (وكذلك نفصل الآيات) يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلالة على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نفصل الآيات لك أدلة حججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (ولتبين) فرى بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق يا محمد وتبين لك (سبيل المجرمين) يعني طريق هؤلاء المجرمين وقرىء بالياء على الغيبة

ومعناه

على الاستئناف كان الرحمة استعسرت فغلب انه من عمل منكم (وكذلك نفصل الآيات

ولتبينين) والياء جزء على وأبو بكر (سبيل المجرمين) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكروا وتوث ونصب

ابن مسعود لبنا عنك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مرأى من قرئ بالشئ صلى الله عليه وسلم وعنده صهيبي وعمارو بلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلان من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا نحن نكون تبعاً هؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم أن تبعك فبزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشرف بن عبد مناف من أهل الكفر الى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه مواليه وحلفاء نافعهم عبيداً وعسفاً ونا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصدقنا له فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم خذته باليدى كما موه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلف قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك وبعضه حديث سعد بن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطأ فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروي عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيهاً على شرفهما واولائهم وما ظبون عليهم ما مع بقية الصلوات ولان الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فغير بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلم أسلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس الى هذا المجلس فقال مجاهد يتناولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي قال أوفى هذا انما هو في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناساً من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشرف الناس نؤم لك واذا صليتنا فآخر هؤلاء الذين معك فليصلاوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى أنهم كانوا يذكرون ربهم ويدعون طر في النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) يعني لا تكف أمرهم ولا يكفون أمرك وقيل ما عليك حساب رزقهم فتعلمهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدر في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا لهم لمصلحة وهو التاطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى أن ادباء هؤلاء الفقراء اولى من اطم بطردهم فقرهم منه وادناهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشئ في غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تطردهم

(ما عليك من حسابهم من شئ) كقوله ان حسابهم الاعلى ربى (وما من حسابك عليهم من شئ) وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فتطردهم) جواب النفي وهو ما عليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النهي وهو ولا تطردو ويجوز أن يكون عطفاً على فتطردهم على وجه النسب لان كونه ظالمين مسبب عن طردهم

والضال والمهتدي والعالم والجاهل (أفلاتفكرون) يعني أنهم لا يستويان ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأنذره) يعني وخوف بالقرآن والاندازاعلام مع تخويف (الذين يخافون أن يحشروا إلى يومهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لأنهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الأهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكثاني وانما خص الذين يخافون الحشر بالذ كر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحق عليهم أو كد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا إلى يومهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكبر له لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعني من دون الله (ولي) أي قريب ينفعهم (ولاشفع) يعني يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا إلى يومهم أن المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى مالا ظالمين من حيم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا إلى يومهم أن المراد بهم المؤمنين ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للذين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال أن الشفاعات لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعات باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى ياذن الله لهم في الشفاعات فاذا أذن فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع (اعلمهم يتقون) يعني ما نهيتهم عنه ﴿ قوله تعالى ﴾ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما رأواهم حوله حقر وهرم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جالس في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لمارحمة ليس عليهم غير هذا الجاسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فاناحب أن نجعل انما منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيكم فنستحجي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعداء فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتي بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن فعود في ناحية اذنزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إلى قوله أليس الله باعلم بالشاركرين فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده ثم دعا فانيأناه وهو يقول سلام عليكم كتب بكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنافنا نزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعد معناه بعد ذلك وندنومه حتى كانت ركبتان خمس ركبتة فاذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها اقتاد وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم الحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنتم أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني أشرف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعلوا المجلس واحدا وأقبل علينا واول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد يعني

أن اتباع ما يوحى إلى مما لا بدلى منه (وأنذره) بما يوحى (الذين يخافون أن يحشروا إلى يومهم) هم المسلمون المقرون بالعمل لانهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحى اليه وأهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا أي يخافون أن يحشروا غير منصور بن ولامشفوعا لهم (اعلمهم يتقون) يدخلون في زمرة أهل التقوى ولما أمر النبي عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وأثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذلك الغداة والعشي الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغداة شاميا ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين

لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك

كنا فدعا عمار رضي الله عنه لكتب فقام الفقراء وحلوه اما حة فنزلت فيهم عليه الصلاة والسلام حقيقة ما أتت الفقراء فاقعد

بان لم تظهر أماراته (أو
 جهرة) بان ظهرت أماراته
 وعن الحسن ليلا أو نهارا
 (هل يهلك الا القوم
 الظالمون) ما يهلك هلاك
 تعذيب وسخط الا الذين
 ظاموا أنفسهم بكفرهم
 برهم (وما نرسل المرسلين
 الا مبشرين ومنذرين)
 بالجنان والذين ان المؤمنين
 والكفار وان نرسلهم
 ليقترح عليهم الآيات بعد
 وضوح أمرهم بالبراهين
 القاطعة والادلة الساطعة
 (فن آمن وأصلح) أى
 دوام على إيمانه (فلا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون)
 فلا خوف يعقوب (والذين
 كذبوا باياننا يسملهم
 العذاب) جعل العذاب
 ماسما كأنه يحى يفعل بهم
 ما يريد من الآلام (بما
 كانوا يفسقون) بسبب
 فسقهم وخر وجهم عن
 طاعة الله تعالى بالكفر
 (قل لا أقول لكم عندى
 خزائن الله) أى قسمه
 بين الخلق وأرزاقه
 ومحل (ولا أعلم الغيب)
 النصب عطا على محل
 عندى خزائن الله لانه من

(٣ - خازن - ثاني) جلة المقول كانه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولا أقول لكم انى ملك) أى لا أدعى ما يستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله ولم الغيب ودعوى الملكية وانما أدعى ما كان الكثير من البشر وهو النبوة (ان أتبع الامايوسى الى) أى ما أخبركم الابعاء أنزل الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل لاضال واليهتدى أو ان اتبع يايوسى اليه ومن لم يتبع اعمى . . . المستقيم . . . النبوة . . . المحال . . . الالهة

(واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك) رسلاً فاعقول محذوف فكذبوهم (فاخذناهم بالأساء والضراء) بالبؤس والضر والاول الفجاء والجوع والثاني المرض ونقصان (١٦) الانفس والاموال (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخضعون لهم

ويتوبون عن ذنوبهم
فالفوس تخضع عند
نزول الشدائد (فلولا اذ
جاءهم بأسنا تضرعوا) أي
هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه
نفي التضرع كانه قيل فلم
يتضرعوا اذا جاءهم بأسنا
ولكنه جاء بلولا ليفيد
انه لم يكن لهم عذر
في ترك التضرع الاعناداً
(ولكن قست قلوبهم)
فلم ينزعروا بما ابتلوا به
وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون (وصاروا مجبين
بأعمالهم التي زينها الشيطان
لهم (فلمانسوا ما ذكروا
به) من البأساء والضراء
أي تركوا الاعتاظ به ولم
ينزعروا (فتحننا عليهم
أبواب كل شئ) من الصحة
والسعة وصنوف النعمة
فتحننا شأى (حتى اذا
فرحوا بما آتوا) من الخير
والنعمة (أخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون) أيسون
متحسرون وأصله
لا طراق حزناً لما أصابه أوندما
على ما فاته واذا المفاجاة
(فقطع دابر القوم الذين
ظلموا) أي اهلكوا عن
آخرهم ولم يترك منهم أحد
(والحمد لله رب العالمين)
أيان بوجوب الحمد لله
عند هلاك الظالمه وانه

قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الداعي لها ﴿ قوله تعالى (واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك) في الآية محذوف والتقدير واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلاً فاعقول محذوف فكذبوهم وكفر وأوحسن هذا الحذف لكونه معلوماً عند السامع (فاخذناهم بالأساء) يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع (والضراء) يعني الامراض والادجاع والزمانة (لعلهم يتضرعون) يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم بنيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلاً إلى أقوام بالغوا في القوة الى ان أخذوا بالأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فغضب الله للنبي صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعني فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه في التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخضع بل أقاموا على كفرهم وتكذبهم رسلاًهم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يزيد بن الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل (فلمانسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي (فتحننا عليهم أبواب كل شئ) يعني بدلتنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وفيه قحنا عليهم أبواب كل شئ من الخير كان مغلقاً عنهم (حتى اذا فرحوا بما آتوا) يعني فرحوا بما آتوا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعبشة وظنوا ان ما كان يزل بهم من الشدة لم يكن انتقاماً من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كإفراح قارون بما آتوا من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعني جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لحسرتهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في آمن ما كانوا أو أعجب ما كانت الدنيا اليهم (فاذا هم مبلسون) أي آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليأس المنقطع رجاءه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجة ولا يكون له جواب قد بلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فأنما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري ﴿ وقوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان اقوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبوهم قد كره الحمد تعليلاً للرسل وان آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم اذ هلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله وأهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم وإهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب ﴿ قوله تعالى (قل أرأيتم) أي قل يا محمد لولا المشركين (ان اخذ الله سمعكم) يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئاً (وأبصاركم) يعني وأخذ أبصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا

(ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم تثبت ما وجب أن يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شيء أي من شيء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضهم بعضا كما روي أنه يأخذ للجماء من القرآن ثم يقول كوني ترابا وإنما قال الامم مع افراد الدابة والطيور ليعني الاستغراق فيها وماذا كرم خلثقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وبزادى (١٥) على عظمتها قال (والذين

كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون بالحق خابطون (في الظلمات) أي طامة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بأنه فعال لما يريد (من يشأ الله يضله) أي من يشأ الله ضلاله يضله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصي ونفي الاصلح (قل أرأيتمكم) وتبليين الهمة مدني و بتركه على ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم الضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار مخدوف تقديره أرأيتمكم (ان انا لكم عذاب الله أو أتكم الساعة) من تدعون ثم بكنهم بقوله (أغبر الله تدعون) أي أنخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو

مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن السكالب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطيور أمم أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فواجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما أنكم تعرفون الله وتوحده وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض وبألف بعضها بعضا كما ان جنس الانس يألف بعضهم بعضا ويقفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوفى المهالك ومعرفة الذكرو والانثى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرآن وهو قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الدواب والطيور قال ابن عباس حشرهم موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيأخذ للجماء من القرآن ثم يقول كوني ترابا (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاءة للجماء من الشاة القرناء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين كذبوا بآياتنا) يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده (صم) يعني عن سماع الحق (وبكم) يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم (في الظلمات) يعني في ظلمات الكفر حائر بن متردين فيها لا يهتدون سبيلا (من يشأ الله يضله) يعني عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعني ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى في أحب هدايته وفقه بفضلها واحسانه للايمان به ومن أحب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يستل عما يفعل وهم يستلون ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل أرأيتمكم) يعني قل يا مجرم هؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام أخبروني تقول العرب أرأيته يعني أخبرنا بحال وأصله أرأيتم والكاف فيه للتأكييد (ان انا لكم عذاب الله) يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أتكم الساعة) يعني القيامة (أغبر الله تدعون) يعني في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقل لهم أترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) يعني فيكشف الضر الذي من أجله تدعونه واما قيد الاجابة بالمسيطرة رعاية للصحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى (وتنسون ما تتركون) يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها العلمكم انها لا تنفع ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسبها وهذا معنى

عادتكم اذا اصابكم ضرر تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام آلهة فادعوا هاتئذ بآلهتكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد ان يتفضل عليكم (وتنسون ما تتركون) وتتركون آلهتكم أولاند كرون آلهتكم في ذلك الوقت لان أذهانكم مغمومة بذكر ربكم وحده اذهو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخيار بقوله أغبر الله تدعون كانه قيل أرأيتمكم أغبر الله تدعون ان انا لكم عذاب الله

ليس له وافضل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تبتغي نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أو سما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان (١٤) كبروا المعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن

يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتي بهار جاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لجهلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تكون من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع اعدم سمعهم كما وني بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقاوبهم (والموتى) مبتدأ أي الكفار (يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) فينثي يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وقالوا لولا نزل عليه) هلا نزل عليه (آية من ربه) كما تقترح من جعل الصفا ذهابا ونوسيع أرض مكة وتفجير الانهار خلاها (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على أن ينزل تلك الآية أو لا يعلمون ما علمهم في

منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نتقصص عليك قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم) ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم في نفر من قريش وقال اننا بآية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آتنا بك فزات هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحصر على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا سأله آية أحب ان يرهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت أن تبتغي) يعني تطلب وتتخذ (نفقا في الارض) يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر (أو سما في السماء) يعني أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة (فتأتيهم بآية) يعني بالآية التي سألوها عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما أحسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به وبدل عليه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشئته الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى (فلا تكون من الجاهلين) يعني بان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم اياك ولا تنزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاهم عن هذه الحال وغلاظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني المؤمنين الذين فتح الله أسمع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون (يبعثهم الله) يعني يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) فيعجزهم باعمالهم (وقالوا) يعني رؤساء كفار قريش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك ايشهد محمد بالنبوة وقيل الآية المجزة الباهرة كمثل مجزات الانبياء (قل) يعني قل لهم يا محمد (ان الله قادر على أن ينزل آية) يعني أنه تعالى قادر على ايجاد ما يطلبوه وانزال ما اقترحوه من الآيات والمجزات الباهرات (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ماذا علمهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون أن الله قادر على انزل الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها قوله تعالى (وامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خاق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير في الهواء حتى أحقوا وحيوان الماء بالطيران الحيتان تسبح في الماء كأن الطير يسبح في الهواء وانما خاص ما في الارض بالذكور دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناس في قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدى ونظرت بعينى الأمم أمثالكم قال مجاهد أي أصناف مصنفة تعرف باسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسمائهم مثل بني آدم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن

الآية من البلاء لو أنزل (وامن دابة) هي اسم لا يدب وتقع على الذكر والمؤنث (في الارض) في موضع جر صفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين ان في المجاز لان غير المائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الأمم أمثالكم) في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها

(والدار) مبتدأ (الآخرة) مفعول والدار الآخرة بلاضافة شامى أى ولد دار الساعة الآخرة لان الشيء لا يضاف الى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين (خبر للذين يتقون) وفيه دليل على ان ماسوى أعمال المتقين اعب وهو (أفلا) (يعقون) بالتاء مدنى وحذف وما قال

(١٣)

أفلا

أبو جهل ما تكذبك يا محمد
وانك عندنا لمصدق وانما
تكذب ما جئت به نزل (قد
نعلم انه) الهاء ضمير الشأن
(ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك)
لا ينسبونك الى الكذب
وبالتخفيف نافع وعلى من
أكذبه اذا وجده كاذبا
(ولكن الظالمين بآيات الله
يجهلون) من اقامة
الظاهر مقام المضمروفية
دلالة على انهم ظلموا في
جحدهم والباء يتعلق
بجهلون أو بالظالمين
كقوله فظلموا بها والمعنى
ان تكذيبك امر راجع
لى الله لانك رسول الله المصدق
بالمجرات فهم لا يكذبونك
فى الحقيقة وانما يكذبون
الله لان تكذيب الرسل
تكذيب المرسل (واقعد
كذبت رسل من قبلك)
تسمية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو دليل على
ان قوله فانهم لا يكذبونك
ليس بنفى لتكذيبه وانما
هو من قولك لغلامك اذا
أهان بعض الناس انهم لم
يهينوك وانما أهانونى
(فصبروا) الصبر حبس
النفس على المكروه (علم
ما كذبوا وأوذوا) على

ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والنفاق والقول الثانى ان هذا عام فى حياة المؤمن والكافر لان الانسان
ياتى بالاعب واللاهوت ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذى كان فيه من الاعب واللاهوت وسرع الزوال
لابقائه فبان بهذا التقدير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا
بالاعب واللاهوت لمرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذى يعب به وقيل معناه ان أمر الدنيا والعمل لها لعب
وهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه فى الدنيا وقيل معناه وما أهل الحياة
الدنيا الا أهل لعب وهو لانه لا يجدى شيئا ولا يستغفلم عما أمر به ونسبوا الى اللعب واللاهوت وقوله تعالى
(والدار الآخرة) يعنى الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله دار الآخرة (خير) يعنى من الدنيا وأفضل
لان الدنيا سريرة الزوال والانقطاع (للذين يتقون) يعنى الشرك وقيل يتقون الاعب واللاهوت (أفلا
يعقون) ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها ﴿قوله تعالى﴾ (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) يعنى قد
نعلم يا محمد انه ليحزنك الذى يقوله المشركون لك قال السدى التقي الاخفش بن شريق وأبو جهل بن هشام
فقال الاخفش لابي جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك
غيرى فقال أبو جهل والله ان محمد الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوقصى بالواء والسقاية
والحجاجة والندوة والنبوة فماذا يكون اسائر قریش فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم ما اتهمك ولا تكذبك ولا كان تكذب الذى جئت به فانزل الله هذه الآية عن على بن
أبي طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا تكذبك ولكن تكذب بما جئت به فانزل الله فيهم
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجهلون أخرجه الترمذى من طريقين وقال فى أحدهما
وهذا أصح ففي هذه الآية تسمية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يوجبهم به قومه لانهم كانوا يعتقدون
صدقه وانه ليس بكذاب وانما حمله على تكذيبه فى الظاهر الحسد والظلم (فانهم لا يكذبونك) يعنى أنهم
لا يكذبونك فى السر لانهم قد عرفوا أنك صادق (ولكن الظالمين) يعنى الكافرين (بآيات الله
يجهلون) يعنى فى العلانية وذلك أنهم مجمدوا القرآن بعد معرفة صدق الذى أنزل عليه لعنادهم وكفرهم
كما قال تعالى فى حق غيرهم ويخمدوا بها واستبقفنتها أنفسهم ظلموا وعلموا وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم
يكذبوا محمد صلى الله عليه وسلم وانما مجمدوا آيات الله وهى القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى
فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما مجمدوا صحة نبوتك ورسالتك ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد
كذبت رسل من قبلك) يعنى ولقد كذبت الامم الخالية رسالهم كما كذبك قومك (فصبروا على ما كذبوا
وأوذوا) يعنى أن الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على أذاهم فاصبر أنت يا محمد
على تكذيب قومك وأذاهم كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وازالة حزنه على تكذيب قومه له وأذاهم اياه (حتى أتاهم نصرنا) يعنى باهلاك من كذبهم (ولاميدل
لكلمات الله) يعنى ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لاغلبين أنوارسلى ولا
خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبا المرسلين) يعنى ولقد أنزلت عليك فى القرآن من أخبار
المرسلين ما فيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما نقول أصابنا من مطر وقال غيره
بل هى للتبعض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء وأخبارهم كما قال تعالى

تكذيبهم وايدأهم (حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) او اعيدهم من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون انا
لننصر رسلنا (ولقد جاءك من نبا المرسلين) بعض أنبيائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابة المشركين وأجاز الاخفش أن تكون من زائدة
لفاء نأ الما سلتن وسدده به لا يحزننا بينهما الواحد كان كما عا الله صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم ويحب محب الآيات

للرؤية (حتى) غاية اكذبوا

تأبذ ما بهـدا كساعة
واحدة (بغية) خاة
واتصباها على الحال يعنى
باغتة وعلى المصدر كانه قيل
بغتتهم الساعة بغية وهى
ورود الشئ على صاحبه
من غير علمه بوقته (قالوا
يا حسرتنا) نداء تفجيع
معناه يا حسرة احضرى
فهذا اوانك (على ما فرطنا)
قصرنا (فيها) فى الحياة
الدنيا اوفى الساعة أى
قصرنا فى شأنها وفى
الايمان بها (وهم
يحملون أوزارهم) آثامهم
(على ظهـورهم) خص
الظهر لان اليهود حمل
الانقال على الظهر كما
عهد السكب بالايدي
وهو مجاز عن اللزوم على
وجه لا يفارقهم وقيل ان
الكافر اذا خرج من قبره
استقبله أقبح شئ صورة
وأخـشـهـر يحافيقول أنا
عملك السبي فطالما ركبتنى
فى الدنيا وأنا أركبك اليوم
(الأساء ما يزرون) شس
شياً يحملهونه وأفاد ألا
تعظم ما يذكـر بعده (وما
الحياة الدنيا الالعـب ولهو)
جواب اقولهم ان هـى
الاحياتا الدنيا واللعب
ترك ما ينفع بما لا ينفع والمهـو

الميل عن الجد الى الهزل قيل ما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو وقيل ما اعمال الحياة الدنيا

الالعب ولهولانها لاتعقب منفعه كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة

(وان يهلكون) بذلك (الأنفسهم وما يشعرون) أي لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضررون رسول الله وقيل غنى به أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبهه (ولوترى) حذف جوابه أي ولوترى لشاهدت أمرا عظيما (اذوققوا على النار) أروها حتى يعاينوها وأوجبسـ واعلى الصراط فوق النار (فقالوا يا ليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الردى الى الدنيا ليؤمنوا وتمنهم ثم ابتدوا بقوله (ولا) (١١) نكذب بآيات ربنا ونكون من

المؤمنين) واعدن الايمان
كانهم قالوا ونحن لا نكذب
ونؤمن ولا نكذب
ونكون حزمة وعلى
وحفص على جواب التثني
بالواو وباضمار أن ومعناه

ان رددنا لم نكذب ونمكن
من المؤمنين وافقهما في
ونكون شامى (سل)
للاضراب عن الوفاء بما
تمنوا (بداهم) ظهر لهم
(ما كانوا يخفون) من
الناس (من قبل) في الدنيا
من قبائحهم وفضائحهم في
صحفهم وقيل هو في المنافقين
وانه يظهر نفاقهم الذي
كانوا يسرونه أو أهمل
الكتاب وانه يظهر لهم
ما كانوا يخفونه من صحة
نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم (ولوردوا) الى
الدنيا بعد وقوفهم على
النار (لعادوا لما همـ) وا
عنه) من الكفر (وانهم
لكاذبون) فيما وعدوا من
أنفسهم لا يوفون به
(وقالوا) عطف على لعادوا
أي ولوردوا لكفروا
ولقالوا (ان هي الاحياء

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامر لك ما عليك غضاضة * وابشر بذلك وقرمته عيونا
ودعوتى وعرفت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديننا قد علمت بانه * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذر مسبة * لوجدتني سمحا بذلك مبينا

وقوله تعالى (وان يهلكون الأنفسهم) يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلمهم الاعليهم (وما يشعرون)
يعنى بذلك قوله تعالى (ولوترى اذوققوا على النار) يعنى في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك
سليمان أي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولوترى الكفار الذين
ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت أمرا عجيبا وموقفا فظيما (فقالوا) يعنى الكفار
(يا ليتنا نرد) يعنى الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) تمنوا أن يردوا الى الدنيا مرة
أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بداهم ما كانوا يخفون من
قبل) يعنى ليس الامر كما قالوا لوردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر
والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أخفوا شركهم وكنتموه فآظهروه
الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كنتموا وسرهم من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر
فعلى هذا تكون الآية في المنافقين (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) يعنى في قولهم لوردونا الى
الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هي الاحياء تنال الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا
خبر عن حال منكرى البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة
وأهوالها وما أعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين
قالوا يعنى الكفار ان هي أي ما هي الاحياء تنال الدنيا أي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين
يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار
انهم لوردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الاحياء تنال الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل (ولوترى اذوققوا على
رهم) يعنى على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أي يقول
الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشور بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون
لا بعث ولا نشور حقا (قالوا بلى وربنا) يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا بلى والله انه لحق
وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقوله بلى وربنا قال ابن
عباس للقيامة موافق في موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما
كانوا ينكرونه في الدنيا (قال فذوقوا العذاب) أي يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله
تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس (بما

الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة أو على قوله وانهم لكاذبون أي وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحياء
الدنيا وهي كناية عن الحياة وهو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولوترى اذوققوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد
الجاني بين يدي سيده ليعاتبه أو وقفا على جزاء ربهم (قال) جواب لسؤال مقدركه قيل ماذا قال لهم ربهم اذوققوا عليه فقيل قال (أليس
هذا) أي البعث (بالحق) بالكأن الما وجدوه هذا تعبيرهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو يحق (قالوا
بلى وربنا) أقرروا وكذبوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما

بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جاع الله الخلاق ورأى المشركون سعة رحة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا نتجوع مع أهل التوحيد فاذا قال لهم الله أين شركاكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله بنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم (١٠) فنشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون)

أهليته وشفاعته (ومنهم من يستمع اليك) حين تلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدري ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لا اراه حق فقال أبو جهل كلا فترت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كان وهو الغطاء مثل عنان وأكنة (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرأ) نقلا يمنع من السمع ووحده الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة إنافي الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضوع

على أنفسهم يعني اعتذارهم بالباطل ونبرؤهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعني زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم ﴿قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك) الآية قال السكبي اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبي بن الحارث والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول الا اني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخباره فقال أبو سفيان اني لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا وفي رواية للموت أهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يعني أغطية جمع كنه (أن يفقهوه) يعني لثايفه وهه أكرهية أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرأ) يعني وجعلنا في آذانهم صمما ونقلوا في آذانهم ليل على ان الله تعالى يقاب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايان فتقبله ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقرروا أنها دالة على صدقك (حتى اذا جاؤك يجادلونك) يعني انهم اذا راوا الآيات واستمعوا القرآن فما جاؤا يجادلوك ويخاصموك لا يؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا أساطير الاولين) يعني أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وماسطورا يعني وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر واسطار جمع واسطير جمع الجمع فعلى هذا القول قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقدر سطر الاولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قاله أجيب عنه باهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين بمعنى أنه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو أخبار مجردة كما نروى أخبار الاولين وقيل في معنى أساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشككة يقول قائلهم أخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكك الذي لا يعرف فجعات الترهات مثلا لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التي لا أصل لها ﴿قوله عز وجل (وهم يبهون عنه) يعني يبهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ويأتون عنه) يعني ويتبعون عنه يبهون بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به ويبهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينهى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روى أنه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذنا بمن أصبحنا وجهها ودفع اليها نجد افقل ما أنصفته فاني أدفع اليكم اني محمد التقتلوه وأرني لكم ابنيكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا أبا طالب الى الايمان فقال لولا تعبرني قرين لا قررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حيت وقال في ذلك آياتا

الحال ويجوز أن يكون جارة ويكون اذا جاؤك في موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا وانفسره والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلونك بانفسهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجمعون كلام الله كاذب رواحد الاساطير اسطورة (وهم) أي المشركون (يبهون عنه) يبهون الناس عن القرآن وعن الرسول واتباعه والايان به (ويأتون عنه) وبعدهون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون

(الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والإنجيل (يعرفونه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين (كيعرفون أبناءهم) بجلالهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) (٩) به (ومن أظلم) استهزاء يتضمن معنى النفي أي لأحد أظلم

لنفسه والظلم وضع الشيء في غير موضعه وأشغعه اتخاذ الخلق معبوداً (من افتري) اختاقي (على الله كذباً) فيصفه بما لا يليق به (أو كذب بآياته) بالقرآن والمجيزات (أنه) ان الأمر والشأن لا يفلح الظالمون) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله مالا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة بنات الله وسمعوا القرآن والمجيزات سحراً (ويوم نحشرهم) هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم (جميعاً) حال من ضمير المفعول (ثم نقول) للذين أشركوا) مع الله غيره توخا وبالياء فيها يعقوب (أين شركاؤكم) آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله (لذين كنتم ترمعون) أي ترمعونهم شركاء خدوف المفعولان (ثم لم تكن) وبالياء حزة وعلى (فنتنهم) كفرهم (الأن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه وعمارهم وقادروا

آتيناهم الكتاب يعرفونه كيعرفون أبناءهم) المراد بالذين أتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اناساً اننا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وأنكروا معرفته بين الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الآية انهم يعرفونه وأهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال لعمر بن الخطاب ان الله عز وجل أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بركة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كيعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف اني وأنا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابي فقال عمر وكيف ذاك قال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما يصنع النساء ﷺ وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) يعني أهل كوا أنفسهم وغبوها أو بقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الأولي ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم ويحسدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعني به والقول الثاني أنه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالأول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكرنا في معنى الخسار وجهين أحدهما انه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني آدم منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران ﷺ قوله تعالى (ومن أظلم ممن افتري على الله كذباً) يعني ومن أشد عناداً وأخطأ فعلاً وأعظم كفرًا ممن اختاقي على الله كذباً فزعم ان له شركاء من خلقه والها بعباد من دونه كما قال المشركون من عبدة الاصنام وأدعى ان له صاحبة وولداً كما قالت النصارى (أو كذب بآياته) يعني كذب بحجته واعلام أدلته التي أعطاهارسله كما كذبت اليهود بمجيزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعني انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل (ويوم نحشرهم جميعاً) أي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم ترمعون) يعني انهم اتشفع لكم عند ربكم ﷺ قوله عز وجل (ثم لم تكن فنتنهم) يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فنتنهم معنى اطفيف وذلك ان الرجل يفتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيبتأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنة الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بحجة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرأوا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فنتنهم ومحببتهم للاصنام الا ان تبرأوا منها ﷺ وهو قوله تعالى (الأن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا انكم الشرك اعلمنا ان مجموع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر ﷺ قال الله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا

(٢ - (خازن) - ثاني) عليه الا لجودوا والتبرؤ منه والخلق على الانتفاء من الدين به أو ثم لم يكن جوابهم الآن

قالوا فسمى فتنة لانه كذب و برفع الفتنة مكي وشامي وحقق فن قرأتك بالباء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أي لم تكن فنتنهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أي لم يكن فنتنهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل على الملقاة بنا حزة وتلى على النداء أي ياربنا وغرهم بالجر على النعت بن اسم الله (نظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم)

عز وجل (وهو الحكيم) يعنى فى امره وتدبيره عباده (الخير) يعنى باعمالهم وما يصاحبهم ﴿ قوله عز وجل (قل أى شئ أ كبر شهادة) قال السكيت أنى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لوايا محمد أرنا من يشهد أنك رسول الله فأنال ترى أحدا يصدقك ولقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فرغموا أن ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحسدون نبوتك من قومك أى شئ أ كبر شهادة يعنى أعظم شهادة فانهم أجابوك والا (قل) أنت يا محمد (الله شهيد بينى وبينكم) قال مجاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل قريشا أى شئ أ كبر شهادة ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى وبينكم يعنى يشهدلى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل انهم طلبوا شاهد ا مقبول القول يشهد له بالنبوة فيبين الله تعالى بهذه الآية أن أ كبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به) يعنى ان الله عز وجل يشهدلى بالنبوة لاندأوحى الى هذا القرآن وهو معجزة لانكم أنتم الفصحاء البلقاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته وكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بانى رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعنى أوحى الى هذا القرآن لا خوفكم به واحذركم مخالفة أمر الله عز وجل (ومن بلغ) يعنى وأنذر من بلغه القرآن من يأتى بعدى الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الامم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وفيصر وكل جبار يدعوه الى الله عز وجل (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية واحدة عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فلينبأ متعمدا من النار * شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بالبلاغ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الى من بعد من قرآن وسنة وقوله واحد ثوان عن بنى اسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قتم عن بنى اسرائيل فانهم كانوا فى حال أ كثر مما قلم وأوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب والاخبار عن بنى اسرائيل لسن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على بعض البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه أمر قد تعدل بعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نصر الله امرأ سمع مناشيا فبلغه كما سمع معه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذى وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نصر الله امرأ سمع مناشيا فبلغه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم أخرجه أبو داود وموقوفه وقوله تعالى (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين يحدون نبوتك واتخذوا آلهة غيرى انكم أبها المشركون ان تشهدون أن مع الله آلهة أخرى يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لان الجمع ياحقه التثنية كما قال تعالى والله الاسماء الحسنى فبأب القرون الاولى ولم يقل الاول والا لاولين (قل لأشهد) يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين لأشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أشهد بذلك وأنكره (قل انما هو اله واحد) يعنى قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد (وانتى ترى عما تشركون) يعنى وأنا ترى من كل شئ أعبد ونسوى الله وفى هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر والفظه الواحد صريح فى التوحيد وفى الشريك فثبت بذلك إيجاب التوحيد وسب كل شرك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قل العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتى بالشهادتين ويبرأ من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى واننى رى مما تشركون ﴿ قوله عز وجل (الذين

تميزوا أى كلفه يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت استغفها كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت اليه وقوله (قل الله) جواب أى الله أ كبر شهادة فأن الله مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشئ على الله تعالى وهذا لان الشئ اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيئا ولذا نقول الله تعالى شئ لا كالأشياء ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز أن يكون الجواب الله شهيد بينى وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فأكبر شئ شهادة شهيد له (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) أى ومن بلغه القرآن الى قيام الساعة فى الحديث من بلغه القرآن فكأنما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ومن فى محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد اليه محذوف أى ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القرآن (أنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استغفها اسكار وتبكيه (قل لأشهد) بما تشهدون وكرر (قل) توكيدا (ما هو اله واحد) ما كره لان عن العمل وهو مبتدأ والخبره وواحد صفة أو بمعنى الذى فى محل النصب بان وهو مبتدأ آتيناها

أحدهما أنافطرتها أي
ابتدأتها (وهو يطعم ولا
يطعم وهو يرزق ولا يرزق
أي المنافع كلها من عنده ولا
يجوز عليه الانتفاع) (قل
إني أمرت أن أكون أول
من أسلم) لان النبي سابق
أتمته في الاسلام كقوله
وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين (ولا تكون من
المشركين) وقيل لي
لا تكون من المشركين
ولو عطف على ما قبله لفظا
لقل وأن لا تكون والمعنى
أمرت بالاسلام ونهيت
عن الشرك (قل إني أخاف
ان عصيت ربّي عذاب يوم
عظيم) أي إني أخاف
عذاب يوم عظيم وهو القيامة
ان عصيت ربّي فالشرط
معتز بين الفاعل
والمفعول به محذوف
الجواب (من يصرف عنه)
العذاب (يومئذ قدره)
الله الرحمة العظمى وهي
النجاة من يصرف حمزة
وعلى وأبو بكر أي من
يصرف الله عنه العذاب
(وذلك الفوز المبين)
المجاة الظاهرة (وان
يسلك الله بضر) من مرض
أو فقر أو غير ذلك من بلايا
(ولا كاشف له الا هو) فلا
قادر على كشفه الا هو

والارض ومبدعها ومبتدئها (وهو يطعم ولا يطعم) يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه
بالغنى عن الخلق واحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته أن يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم
لاستغناؤه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتخذر با وناصر
ولا يامع بودا (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني
أمرت أن أسلم لامر الله وأنقاد الى طاعته (ولا تكون من المشركين) يعني وقيل لي يا محمد لا تكون من
المشركين (قل إني أخاف ان عصيت ربّي عذاب يوم عظيم) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين دعوك الى
عبادة غيري ان ربّي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه وإني أخاف ان عصيت ربّي
فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعني العذاب (يومئذ) يعني
يوم القيامة (فقد رجه) يعني بان أنجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رجه وأثاله الثواب لمخالفة
واما ذكر الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب
عنه (وذلك الفوز المبين) يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين ﴿قوله تعالى
(وان يمسك الله بضر) يعني بشدة وبليّة والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكر وهو غير ذلك مما
هو في معناه (فلا كاشف له الا هو) يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل (وان يمسك بخير) يعني
بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شيء
قدير) يعني من دفع الضر وجاب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى
الله لانه هو القادر على أن يمسك بضر وهو القادر على دفعه عندك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه
لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصر او معينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام
لكل أحد والمعنى وان يمسك الله بضر أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسك بخير أيها
الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر و ايصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسأل
الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله
لك وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف
أخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله
بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما نكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج
مع الكرب وان مع العسر يسرا وان يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله في
مسند أحمد بن حنبل ﴿قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم
مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويشغل
ويغمر ويحزن ويفقر ويميت ويدل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه مردد بيره والخروج من تحت قهره
وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذي لا يجزئه شيء أرادته ومعنى فوق عباده
هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما عليهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يتدر
أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير
الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن
صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فغنى الكلام اذا والله الغالب لعباده المذلل لهم العالي عليهم
بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي نفرد به الله

(وان يمسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شيء قدير) فهو قادر على ادامته ومرارته (وهو القاهر) مبتدأ وخبر أي الغالب المقدر
(فوق عماده) خبر بعد خبر أي عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه

تقريرهم أي هولة الاختلاف بيني وبينكم ولا تقدر أن تضيق فوامنه شيئاً إلى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب
أوجب ولكن لا يجوز الاجراء (٦) على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به أنه وعد ذلك وعداً

أن ذلك لله الذي يهركل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لئلا يصنام التي تعبدونها أنتم فأنها أموات لا تملك
شيئاً ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً وإنما أمره بالجواب عقب السؤال أي يكون أبغ في التأكيدها كد في الحجة
والما بين الله تعالى كمال قدرته ونصرته في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمة وإحسانه اليهم فقال تعالى (كتب
على نفسه الرحمة) يعني أنه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا الاستعطف منه للمؤمنين عنه إلى الأقبال
عليه وإخبار بانه رحيم بعباده وأنه لا يعجز بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب وأناب (ق) عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه عنده فوق العرش أن رحمتي
غاب غضيبي وفي البخاري أن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده
فوق العرش وفي رواية لهما أن الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه عنده
نفسه فهو موضوع عنه هذا البخاري على العرش ثم اتفق أن رحمتي غاب غضيبي (ق) عن أبي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في
الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه زاد
البخاري في روايته ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة ليمأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي
عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم أن لله مائة درجة أنزل منها درجة واحدة بين الجن والانس
والبهائم والهوم فيها تعاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعاً وتسعين
درجة يرحم بها عباده يوم القيامة (م) عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق
يوم خلق السموات والارض مائة درجة لكل درجة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض درجة فيها
تعطف الولادة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (ق)
عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبعتني اذا وجدت صبياً في السبي
أخذته فالتقت به بطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل هذه المرأة طارحة ولدها في
النار قلنا لا والله وهي تقدر أن لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم أنزل هذه المرأة بولدها وقوله
تعالى (ليجمعنكم) التام في قوله ليجمعنكم لأم القسمة تقديره والله ليجمعنكم (اليوم القيامة) يعني في يوم
القيامة وقيل معناه في قبوركم اليوم القيامة (لأرب فيه) أي لا شك في أنه أت (الذين خسروا أنفسهم)
يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم باتخاذهم الاصنام فعرضوا أنفسهم لسلطان الله وأليم عقابه فكانوا كمن
خسر شيئاً وأصل الخسارة الغبن يقال خسرت الرجل اذا غبت في بيعه (فهم لا يؤمنون) يعني لما سبق عليهم القضاء
بالخسران فهو الذي جعلهم على الامتناع من الإيمان ﴿ قوله تعالى (وله ما سكن في الليل والنهار) يعني وله
ما استقر وقبل ما سكن وما تحرك فاكتفى بذلك كراهة ما سكن في الليل والنهار فيكون المراد
النعمة فيه أن تقول ابن جرير كل ما طاعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد
منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يقيد الحصر
والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره (وهو السميع) لا قواهم وأصواتهم (العليم) بسرائرهم
وأحوالهم ﴿ قوله عز وجل (قل أغير الله اتخذ ولياً) قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى دينه بأن الله أنزل هذه الآية فقال قل لم يا محمد أغير الله اتخذ ولياً يعني رباً ومعبوداً وناصراً ومعيناً
وهو استفهام ومعناه الانكار أي لا اتخذ غير الله ولياً (فاطر السموات والارض) أي خالق السموات

مؤكداً وهو موجزه لا محالة
وذكر انفسه للاختصاص
ووقع الوسائط أوعدهم
على اغفالهم البصر
واشراكهم به من لا يقدر على
خلق شيء بقوله (ليجمعنكم
اليوم القيامة) فيجازيكم
على اشراككم (لأرب فيه)
في اليوم أو في الجمع
(الذين خسروا أنفسهم)
نصب على الذم أي أريد
الذين خسروا أنفسهم
باختيارهم الكفر (فهم
لا يؤمنون) وقال الاخفش
الذين بدل منكم في
ليجمعنكم أي ليجمعنكم
هؤلاء المشركين الذين
خسروا أنفسهم والوجه
هو الاول لأن سبويه قال
لا يجوز صررت في المسكين
ولا بك المسكين فتجعل
المسكين بدلا من الباء أو
الكاف لانها في غاية
الوضوح فلا يحتاجان إلى
البديل والتمسير (وله)
عطف على لله (ما سكن في
الليل والنهار) من السكنى
حتى يتناول الساكن
والمتحرك أو من السكون
ومعناه ما سكن وتحرك فيهما
فاكتفى بأحد الضدين عن
الأخر كقوله تقيكم الحر
أي الحر والبرد وذكر
السكون لاندأ أكثر من الحركة

وهو احتجاج على المشركين لا لهم لم ينكروا الخلق والملك (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم والارض
كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه اللوان (قل أغير الله اتخذ ولياً) ناصر ومفعول ثان لاتخذ والاول غير وإنما دخل
همزة الاستفهام على مفعول لاتخذ لانه لا يملك الا انكاراً في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم (فاطر السموات والارض)

(لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) نعمتوا وعناد للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا هلا (أنزل عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبي فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) لقضى أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يهتمون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامر بين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو (٥) جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقدرون ان يلقوا به لو انزل على محمد ملك

وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يقدرون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) وخلقنا واشكلنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال البست الامر على القوم وأبسته اذا أشبهته وأشكاته عليهم ثم سلى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله (واقداستهزئ برسل من قبلك خاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) فاحاط بهم الشئ الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم ومنهم متعاقبوا كقوله فيسخرهم

بالشئ من الرؤية لان المرئيات قبيد حلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف المسموس (لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) يعني لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألو لما آمنوا به وقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشاق القمر وانه لا ينفع معهم شئ لما سبق فيهم من علمي بهم (وقالوا) يعني مشركي مكة (لولا) يعني هلا (أنزل عليه) يعني على محمد (ملك) يعني نراه عيانا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) يعني افرغ الامر ولو جاب العذاب وهذه حسنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) يعني انهم لا يهتمون ولا يؤخرون طرفة عين بل يجعل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعني لو أنزلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لاصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملك الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خاق عليها صاعق لذلك وغشى عليه قوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية وخلقنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدركوا ملكا هو أم آدمي وقيل في معنى الآية اننا لوجعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشر فاعتودوا المسئلة بحالها انما لارضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبس وانما كان تلبس الانهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبس لانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو رأوا الملك رجلا لحققهم من اللبس مثل ما لحق بضعتهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل (واقداستهزئ برسل من قبلك) يعني كما استهزؤا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ونسيان له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (خاق) أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النعمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بنبيهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سيروا في الارض) أي قل يا محمد طوّلوا الاستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الافهام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظرا فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والافرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أو رهم الكفر والتكذيب اهلاك خذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل (قل لمن مافي السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد طوّلوا المكذبين العادلين برهم لمن ملك مافي السموات والارض فان أجابوك ولا فاجبرهم

منهم والضمير للرسول والدال مكسورة عند أبي عمر وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا للصم التاء (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فانه قيل سير والاحل النظر ولا تسير واسير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا والباحة السير في الارض للتجارة وغيره او اجاب النظر في آثارها الكين ونبه على ذلك ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن مافي السموات والارض) من استفهام وباء معنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولان خبره (قل لله)

يعلم سرهم وجهركم (ويعلم ماتكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ومن في (وماتأنيهم من آية) للاستغراق وفي (من آيات ربهم) للتبعية أي وانه يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليها لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب (٤) (فقد كذبوا) مردود على كلام محمد وفي كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد

كذبوا (بالحق لما جاءهم)

أي عظم آية

وأكبرها وهو القرآن الذي

تحذوا به فجزوا عنه

(فسوف يأتيهم أنباء ما

كانوا به يستهزؤن) أي

أنباء الشيء الذي كانوا به

يستهزؤن وهو القرآن أي

أخباره وأحواله يعني

سيعامون بأي شيء استهزؤا

وذلك عند إرسال العذاب

عليهم في الدنيا أو يوم

القيامة أو عند ظهور

الاسلام وعلو كلمته لم يروا

يعني المكذبين (كم

أهل الكفر من قبلهم من

قرن) هو مدة انقضاء أهل

كل عصر وهو ثمانون سنة

أو سبعون (مكناهم) في

موضع جرفه لقرن وجمع

على المعنى (في الأرض ما لم

نمكن لكم) التمكن في

البلاد اعطاء المكنة والمعنى

لم نعط أهل مكة نخوما

أعطينا عادا ونمود وغيرهم

من البسطة في الاجسام

والسعة في الاموال

والاستظهار باسباب الدنيا

(وأرسلنا السماء المطر

عليهم مدرارا) كثيرا

وهو حال من السماء

(وجعلنا الانهار تجري من

وبالجهر ما يظهره الانسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفي عليه خافية في السموات ولا في الارض

(ويعلم ماتكسبون) يعني من خيرا وشرقي في الآية سؤال وهو ان الكسب اما أن يكون من أعمال القلوب

وهو المسمى بالسرا أو من أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالأفعال لا يخرج عن هذين النوعين يعني السر

والجهر فقوله ويعلم ماتكسبون يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فامعنى ذلك وأجيب عنه بانه

يجب حل قوله ويعلم ماتكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل

فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب

والا لزم عطف الشيء على نفسه ذكره الامام نضر الدين (وماتأنيهم) يعني لاهل مكة (من آية من آيات ربهم)

يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل

المراد بالآيات آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) يعني الا كانوا الهائنا تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا

بالحق) يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات (لما جاءهم) يعني لما

جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) يعني فسوف يأتيهم أخبار

استهزأهم اذا عذبوا في الآخرة ﴿ قوله تعالى (الم يروا) الخطاب لكفار مكة يعني لم يروا هؤلاء المكذبون

بآياتي (كم اهل كنانة من قبلهم من قرن) يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون

الخالية والقرن الامة من الناس وأهل كل زمان قرن سمو بذلك لاقتراهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل

سمى قرنا لانه زمان زمان وأمة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل

أربعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد

الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهل الذين وجدوا فيه ومنه

قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابي وتابعيهم وتابعي

التابعين (مكناهم في الارض ما لم تمكنكم) يعني أعطيناهم ما لم نعطيكم يا أهل مكة وقيل أمددناهم في العمر

والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وأرسلنا السماء عليهم

مدرارا) مفعال من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك

انزوله منها (وجعلنا الانهار تجري من تحتم) يعني وجعلناهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين

(فاهلكناهم بذنوبهم) يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) يعني وخلقنا من

بعد هلاك أولئك أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم

السابقة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهل كنانة لما كفروا

وطغوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم

الغفلة وورقة الجهالة ﴿ قوله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) الآية قال السكبي ومقاتل

نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد ان نؤمن حتى نأتينا بكتاب من

عند الله ومعها ربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسول الله فانزل الله تعالى هذه الآية ولو

نزلنا عليك كتابا في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها

(فامسوه بأيديهم) يعني فعينوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لانه أبلغ في ايقاع العلم

بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيئا (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) بدلائلهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (في قرطاس) في

ورق (فامسوه بأيديهم) هو لئلا يكذبوا لو اسكروا نصارا ومن المحتج عليهم العمى

تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والتمار وسقيها الغيث المدرار (فاهلكناهم

بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيئا (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) بدلائلهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (في قرطاس) في

ورق (فامسوه بأيديهم) هو لئلا يكذبوا لو اسكروا نصارا ومن المحتج عليهم العمى

ثم رشح عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (برهم يعدلون) يساوون به
الاوثان تقول عدات هذا بذاتى ساو يته وبالباء فى برهم صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين (٣) كفروا برهم يعدلون عنه أى

يعرضون عنه فمكون الباء
صلة للكفر وصلة يعدلون
أى عنه محذوفة وعطف ثم
الذين كفروا على الجدللة
على معنى أن الله حقيق
بالجدل على ما خلق لانه ما
خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا
به يعدلون فيكفرون
نعمته أو على خلق السموات
على معنى انه خلق ما خلق
مما لا يقدر عليه أحد سواه
ثم هم يعدلون به مما لا يقدر على
شئ منه ومعنى ثم استعبدان
يعدلوا به بعد وضوح آيات
قدرته (هو الذى خلقكم
من طين) من لا بداء
الغاية أى ابتداء خلق
أصلكم يعنى آدم منه (ثم
قضى أجلا) أى حكم أجل
الموت (وأجل مسمى
عنده) أجل القيامة
أو الاول ما بين أن يخلق الى
أن يموت والثانى ما بين
الموت والبعث وهو البرزخ
أو الاول النوم والثانى
الموت أو الثانى هو الاول
وتقديره وهو أجل مسمى
أى معلوم وأجل مسمى
مبتدأ والخبر عنده وقدم
المبتدأ وان كان نكرة
والخبر ظرفا وحقه التأخير
لانه تخصص بالصفة فقارب
المعرفة (ثم أنتم تمترون)

ومن أخطأ ضل ذكره البغوى بغير سند (ثم الذين كفروا برهم يعدلون) يعنى والذين كفروا بعد هذا
البيان برهم بشركون وأصل العدل مساواة الشئ بالشئ والمعنى أنهم يعدلون بالله غير الله ويجمعون له عدلا
من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بأن الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء فى قوله
برهم يعنى عن أى عن برهم يعدلون وينحرفون من العدل عن الشئ وقيل دخول ثم فى قوله ثم الذين
كفروا برهم يعدلون دليل على معنى اظيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى
تعجب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمك وأحسنت اليك وأنت تشكرنى وتجدد
احسانى اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى (هو الذى خلقكم من طين) يعنى انه
تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث
وقالوا من يحيى العظام وهى رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم
بعد الموت قال السدى لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأنيه بقبضة مناهقات
الارض انى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يارب عاذت بك فبعث الله
ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من
وجه الارض غلظ الجراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلف أنوان بنى آدم ثم عجنهم بالماء العذب والملح والمر
فلذلك اختلف أخلقهم ثم قال الله الملك الموت رحمة جبريل وميكائيل الارض ولم ترجعها لاجرم أجعل
أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضه من جميع الارض فساء بنو آدم على قدر الارض منهم الاخر
والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبث والطيب أخرجه أبو داود والترمذى وأما قوله
تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلف العلماء فى معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك
لأجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والأجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ وروى
نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل
برا تقياد وصولا للرحم ز يذله من أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاحرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر
وز يذنى في أجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقال مجاهد وسعيد بن
جبير لأجل الاول أجل الدنيا والأجل الثانى أجل الآخرة وقيل لأجل هو الوقت المقدر فأجل كل انسان مقدر
معلوم عند الله لا يزبد ولا ينقص والأجل الثانى هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله
تعالى وقال ابن عباس فى رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعنى النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل
مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعنى قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها وهو
أجل مسمى عنده يعنى ان ذلك الأجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعنى فى اللوح المحفوظ الذى
لا يطاع عليه غيره (ثم أنتم تمترون) يعنى ثم أنتم تشكون فى البعث قوله عز وجل (وهو الله فى السموات
وفى الارض) يعنى وهو الله السموات والارض وقيل معناه وهو المعبود فى السموات وفى الارض وقال
تخمين جبريل الطبرى معناه وهو الله فى السموات (يعلم سركم وجهركم) فى الارض وقال الزجاج فيه تقديم
وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض وقيل معناه وهو المنقرض بالتدبير فى
السموات وفى الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسرى ما تخفيه الانسان فى ضميره فهو من أعمال القلوب

تشكون من المربة أو تجدلون من المراءى ومعنى ثم استعبدان أن تمتروافيه بعد ما ثبت أنه محيهم ومميتهم وباعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (فى السموات
وفى الارض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذى فى السماء والذى فى الارض وهو المعبود بالالهية فيهما
أوهو الذى يقال له الله فيهما والاول تفرع على انه متعلق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مستداً أى وهو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تفسير سورة الانعام﴾

﴿فصل في ذكر نزولها﴾ روى مجاهد عن ابن عباس أن سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غـيرت آيات منها فأنشدني ما هي قوله تعالى قل تعالوا أنل ما حرّم ربكم عليكم إلى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء إلى آخر الآيتين وذ كرمقاتل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتينا هم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتينا هم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروى عن ابن عباس أيضا وقتادة أنهم ما قالوا هي مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة وقوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربّي العظيم سبحان ربّي العظيم وخرساجدا قال البغوي وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه أو لثك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذ كره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وأخرية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وفي رواية عنه ان آخرة في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وحقه بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله نعلم لعباده كيف يحمدونه أي قولوا الحمد لله وقال أهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر أي اجدوا الله وأنما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لأنه أبلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولوقيل اجدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض أي اجدوا الله الذي خلق السموات والارض وأنما خصهما بالذكرا لأنهما أعظم الخلق فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) الجعل هنا بمعنى الخلق وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمر وعن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى

﴿سورة الانعام مكية﴾ وهي مائة وخمس وستون آية كوفي أربع وستون نصري

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أي الحمد له وان لم تحمده (الذي خلق السموات والارض) جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض جعل يتعدى إلى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) وإلى مفعولين ان كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدّم النور والظلمة وأفرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء يظهر ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم بخلاف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة

الجزء الثاني

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاه
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخازن
تغمده الله برحمته
آمين

وقد حلّ هاشم هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود
النسفي عليه سبحانه الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العلمية

على نفقة

(أصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخوه بكري وعيسى)

(بمصر)